مجمع البيان

في تفسير القرآن

للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

دار المعرفة

مجمع البيان

في

تفسير القرآن

لمؤلفه

الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من اكابر علماء الامامية في القرن السادس

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

كتابخانه
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
شماره ثبت: ۱۵۸۱
تاريخ ثبت :

الجزء السابع

دار المعرفة
للطباعة والنشر

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى



دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
Publishing & Distributing
DAR EL-MAREFAH

مسندبرة المطار - لجاء بنك ميكو - شارع البرجاوي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١-٨٣٤٣٣٢ - برقياً معرفكار بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٠) سورة طه مكية وآياتها خمس وثلاثون ومائة

[عدد آيها] مائة واربعون آية شامي وخمس وثلاثون كوفي واربع حجازي وآيتان بصري .

[اختلافها] احدى وعشرون آية طه ما غشيهم رأيتهم ضلوا ثلاثهن كوفي نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيراً كلاهما غير البصري محبة مني حجازي شامي فتونا بصري شامي لنفسي كوفي شامي ولا تحزن وأهل مدين ومعنا بني إسرائيل وأوحينا إلى موسى اربعهن شامي غضبان أسفا وإله موسى كلتاهما مكي والمدني الأول وعدا حسنا الا يرجع اليهم قولاً كلتاهما المدني الأخير القى السامري غير المدني الأخير فنسي عراقي شامي والأخير صفصفا عراقي شامي مني هدى وزهرة الحياة الدنيا غير الكوفي(١) .

[فضلها] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار، أبو هريرة عن النبي ﷺ انه قال الله تعالى قرأ طه ويس قبل ان يخلق آدم (ع) بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا طوبى لامة تنزل هذا عليها وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسن تتكلم بهذا وعن الحسن قال قال النبي ﷺ لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا يس وطه وروى إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (ع) قال لا تدعوا

(١) اعلم ان اعداد اهل الكوفة أصح الاعداد لانه مأخوذ عن علي بن أبي طالب عليه السلام، والمراد بالمعنى الاول هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارى وشيبه بن نصاح ، وقيل المدني الاول الحسن بن علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمر والمدني الثاني والمدني الاخير هو إسماعيل بن جعفر ، وقيل المدني الأخير ابو جعفر وشيبة وإسماعيل ، والأول . اشهر، وعدد اهل البصرة منسوب إلى عاصم بن أبي الصباح الجحدري وأيوب المتوكل، وعدد اهل مكة منسوب إلى مجاهدين جبيرة وإسماعيل المكي وعدد اهل الشام منسوب إلى عبد الله بن عامر . (عن هامش بعض النسخ الموصحة).

قراءة طه فإن الله سبحانه يحبّها ويحبّ من قرأها وادمن قراءتها واعطاه يوم القيامة كتابه بيمينه ولم يحاسبه لما عمل في الإسلام وأعطي من الأجر حتى يرضى.

[تفسيرها] ختم الله سبحانه سورة مريم بذكر إنزال القرآن وانه بشارة للمتقين وانذار للكافرين وافتتح هذه السورة بالقرآن وانه أنزله لسعادته لا لشقاوته فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

[القراءة] قرأ أبو عمرو طه بفتح الطاء وكسر الهاء كسراً لطيفاً من غير افراط وقرأ أهل الكوفة غير عاصم إلا يحيى عن أبي بكر بكسر الطاء والهاء وكذلك عياش عن أبي عمرو والباقون بفتح الطاء والهاء وروي عن أبي جعفر ونافع كهيعص وطه وطس وحم وآلر كله بين الفتح والكسر وهو إلى الفتح اقرب.

[الحجة] قد مرّ القول في الامالة والتفخيم في الحروف فيما تقدم والتفخيم لغة اهل الحجاز ولغة النبي ﷺ الشقاء استمرار ما يشق على النفس ونقيضه السعادة والعلى جمع العليا ومنه الدنيا والدنا والقصوى والقصى والثرى والتراب والندي والجهر رفع الصوت يقال جهر يجهر جهراً فهو جاهر والصوت مجهور وضده المهموس.

[الاعراب] روي عن الحسن انه قرأ طه بفتح الطاء وسكون الهاء فإن صحّ ذلك عنه فأصله طأ فأبدل من الهمزة هاء ومعناه طاءِ الأرض بقدميك جميعاً وقد روي ان النبي ﷺ كان يرفع إحدى رجليه في الصلاة ليزيد تعبه فأنزل الله طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فوضعها

وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) قال الزجاج ويجوز أن يكون طه امر من وَطأ يطأ على قول من لم يهمز ثم حذفت الألف فصار طَ ثم زيدت الهاء في الوقت ويجوز أن يكون طه جاريا مجرى القسم فيكون ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى جواب القسم وقوله تذكرة مفعول له. لمن يخشى الجار والمجرور في موضع الصفة لتذكرة والأولى ان يكون مصدر فعل محذوف ويكون الاستثناء منقطعاً والتقدير لكن تذكرة وكذلك قوله تنزيلاً مصدر لفعل محذوف تقديره نزلناه تنزيلاً أو نزل تنزيلاً ويدل عليه قوله انزلنا.

[المعنى] ﴿طه﴾ قد بيّنا في اول البقرة تفسير حروف المعجم في أوائل السور والاختلاف فيه وقد قيل ان معنى طه يا رجل عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والكلبي غير ان بعضهم يقول هو بلسان الحبشية او النبطية وقال الكلبي هي بلغة عك وانشد لتميم بن نويرة :

هَتَفْتُ بِطَهْ فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ ... فَخِفْتُ لَعَمْرِي أَنْ يَكُونَ مُوائِلا[1]

قال الآخر :

إِنَّ الشَّفَاهَةَ طَهَ مِنْ خَلائِقِكُمْ ... لا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْقَوْمِ الْمَلاعِينِ

وقال الحسن هو جواب للمشركين حين قالوا انه شقي فقال سبحانه يا رجل ﴿ما انزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ لكن لتستعد به وتنال الكرامة به في الدنيا والآخرة قال قتادة وكان يصلي الليل كله ويعلق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم فأمره الله سبحانه بأن يخفف على نفسه وذكر انه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كل هذا التعب ﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾ قال المبرد معناه لكن انزلناه تذكرة أي لتذكرة من يخشى الله والتذكرة مصدر كالتذكير ﴿تنزيلاً﴾ اي انزلناه تنزيلاً ﴿ممن خلق الأرض﴾ بدأ بالأرض ليستقيم رؤوس الآي ﴿والسماوات العلى﴾ اي الرفيعة العالية نبّه بذلك على عظم حال خالقهما ثم أكد ذلك بقوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ اي هو الرحمن لأنه لما قال ممن خلق بيّنه بعد ذلك فقال هو الرحمن قال أحمد بن يحيى الاستواء الاقبال على الشيء فكأنه أقبل على خلق العرش وقصد إلى ذلك وقد سبق القول في معنى الاستواء في سورة البقرة والاعراف ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي له ملك ما في السماوات وما في الأرض وتدبيرهما وعلمهما يعني أنه مالك كل شيء ومدّبره ﴿وما بينهما﴾ يعني الهواء ﴿وما تحت الثرى﴾ والثرى التراب الندي يعني وما وارى

(١) وئل: التجأ. وفي بعض النسخ «موالياً» مكان «موائلاً».

الثرى من كل شيء عن الضحاك وقيل يعني ما في ضمن الأرض من الكنوز والاموات ﴿وإن تجهر بالقول﴾ أي ان ترفع صوتك به ﴿فإنه يعلم السر واخفى﴾ أي فلا تجهد نفسك برفع الصوت فإنك وان لم تجهر علم الله السر واخفى من السر ولم يقل واخفى منه لدلالة الكلام عليه كما يقول القائل فلان كالفيل أو اعظم وقيل تقديره وان تجهر بالقول أو لا تجهر فإنه يعلم السر واخفى منه ثم اختلفوا فيما هو اخفى من السر فقيل ما حدث به العبد غيره في خفية واخفى منه ما اضمره في نفسه ما لم يحدث به غيره عن ابن عباس وقيل السر ما اضمره العبد في نفسه واخفى منه ما لم يكن ولا اضمره أحد عن قتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وقيل السر ما تحدث به نفسك واخفى منه ما تريد أن تحدث به نفسك في ثاني الحال وقيل العمل الذي تستره عن الناس واخفى منه الوسوسة عن مجاهد وقيل معناه يعلم السر أي اسرار الخلق واخفى أي سرّ نفسه عن زيد بن اسلم جعله فعلاً ماضياً وروي عن السيدين الباقر والصادق (ع) السر ما اخفيته في نفسك واخفى ما خطر ببالك ثم انسيته ﴿الله لا إله إلا هو﴾ لا معبود تحق له العبادة غيره ﴿له الاسماء الحسنى﴾ أي الاسماء الدالة على توحيده وعلى انعامه على العباد وعلى المعاني الحسنة فأيها دعوت جاز وروي عن النبي ﷺ انه قال انه لله تعالى تسعة وتسعين اسماً من احصاها دخل الجنة قال الزجاج تأويله من وحد الله تعالى وذكر هذه الاسماء الحسنى يريد بها توحيد الله واعظامه دخل الجنة وقد جاء في الحديث من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة فهذا لمن ذكر اسم الله موحداً له به فكيف بمن ذكر اسماءه كلها يريد بها توحيده والثناء عليه وإنما قال الحسنى بلفظ التوحيد ولم يقل الاحاسن لأن الاسماء مؤنثة تقع عليها هذه كما تقع على الجماعة هذه كأنه اسم واحد للجمع قال الاعشى .

وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَفَرْتُ بِهِ رَبٌّ كَرِيمٌ وَبِيضٌ ذَاتُ أَطْهَارِ

وفي التنزيل حدائق ذات بهجة ومآرب أخرى :

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ

نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ
لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ
كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو اني انا ربك بفتح الالف والباقون اني بالكسر وقرأ حمزة لأهله امكثوا وفي القصص ايضاً بضم الهاء وانا مشدد مفتوح الهمزة اخترناك على الجمع والباقون لأهله بكسر الهاء وانا اخترتك على التوحيد وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة طوى بالتنوين والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير اخفيها بفتح الالف.

[الحجة] قال أبو علي من كسر أتى فلأن الكلام حكاية كأنه نودي فقيل يا موسى اني انا ربك ومن فتح فكان المعنى نودي بكذا ونادى قد يوصل بحرف الجر قال.

نَادَيْتُ بِاسْمِ رَبِيعَةَ بْنِ مُكَرَّمٍ ... إِنَّ الْمُنَوَّهَ بِاسْمِهِ الْمَوْثُوقُ[1]

ومن الناس من يعمل هذه الاشياء التي هي في المعنى قول كما يعمل القول ولا يضمر القول معها وينبغي ان يكون في نودي ضمير يقوم مقام الفاعل لأنه لا يجوز ان يقوم واحد من قوله يا موسى ولا اني انا ربك مقام الفاعل لأنها جمل والجمل لا تقوم مقام الفاعل فإن جعلت الاسم الذي يقوم مقام الفاعل موسى لأن ذكره قد جرى كان مستقيماً وقوله طوى يصرف ولا يصرف فمن صرفه فعلى وجهين (أحدهما) ان يجعله اسم الوادي فيصرفه لأنه سمي مذكراً بمذكر (والآخر) ان يجعله صفة وذلك في قول من قال انه قدس مرتين فيكون طوى كقولك ثنى ويكون صفة كقوله مكاناً سوى وقوم عدى وجاء في طوى الضم والكسر كما جاء في مكان سوى الضم والكسر قال الشاعر:

(١) نوّه باسمه: دعاه.

أفي جَنْبِ بَكْرٍ قَطَّعَتْني مَلامَةٌ لَعَمْري لَقَدْ كانَتْ مَلامَتُها ثِنى

اي ليس هذا بأول ملامتها ومن لم يصرف احتمل أمرين (أحدهما) ان يكون اسماً لبقعة أو ارض فهو مذكر فيكون بمنزلة امرأة سميتها بحجر ويجوز ان يكون معدولاً كعمر ولا يمتنع ان تقدر العدل فيما لم يخرج إلى الاستعمال الا ترى ان جمع وكتع معدولتان عما لم يستعملا فكذلك يكون طوى وأما ضم الهاء في قوله لأهله امكثوا فقد مضى القول في مثله وأما قوله وانا اخترتك فالافراد اكثر في القراءة وهو اشبه بما قبله من قوله إني أنا ربك ووجه الجمع ان يكون ذلك قد جاء في نحو قوله تعالى سبحان الذي اسرى ثم قال وآتينا موسى الكتاب ويمكن ان يكون الوجه في قراءة حمزة وانا اخترناك مع انه قرأ إني أنا ربك بالكسر ان يكون التقدير ولأنا اخترناك فاستمع فيكون الجار والمجرور في موضع نصب بقوله فاستمع ولم يذكر الشيخ ابو علي وقوله أخفيها فإنهم قالوا معناه اظهرها قال أبو علي الغرض فيه ازيل عنها خفاءها وهو ما يلف فيه القربة ونحوها من كساء وما يجري مجراه وعليه قول الشاعر :

لَقَدْ عَلِمَ الأَيْقاظ أَخْفِيَةَ الكَرى تَرَجُّحَها مِنْ خالِكٍ فَاكْتِحالُها[1]

قال اراد بالايقاظ عيوناً فجعل العين كالخفاء للنوم كأنها تستره وهو من الفاظ السلب فأخفيته سلبت عنه خفاه كما تقول اشكيت الرجل ازلت عنه ما يشكوه وأما اخفيها بفتح الالف فإنه اظهرها قال امرؤ القيس.

خَفاهُنَّ مِنْ أَنْفاقِهِنَّ كَأَنَّما خَفاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ سَحابٍ مُرَكَّبِ[2]

وقوله :

فَإِنْ تَدْفَنُوا الدّاءَ[3] لا نَخْفِهِ وَإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُدِ

رواية ابي عبيدة بضم النون من نخفه ورواية الفراء بفتح النون :

[اللغة] الايناس وجدان الشيء الذي يؤنس به والقبس الشعلة من النار في طرف عود او قصبة والخلع نزع الملبوس يقال خلع ثوبه وخلع نعله والوادي سفح الجبل ويقال للمجرى العظيم من مجاري الماء واد واصله عظم الأمر ومنها الدية لأنها العطية في الأمر العظيم وهو

(١) الكرى : النعاس : والخالك: المظلم.

(٢) اي اخرجهن من حجرتهن كما يخرجها المطر العظيم. والضمير لليرابيع يصف فرساً اخرج اليرابيع من حجرتها بعدوه.

(٣) وفي اللسان «فان تكتموا السر».

القتل والمقدس المطهر قال امرؤ القيس (كَمَا شَبْرَقَ الْوِلْدَانُ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِ)[1] يريد العابد من النصارى كالقسيس ونحوه وسمي الوادي طوى لأنه طوى بالبركة مرتين عن الحسن فعلى هذا يكون مصدر قولك طويت طوى قال عدي بن زيد :

أَعَاذِلِ إِنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ عَلَيَّ طُوىً مِنْ غَيِّكَ الْمُتَرَدِّدِ

ويقال اخفيت الشيء كتمته واظهرته جميعاً وخفيته بلا الف اظهرته لا غير والردى الهلاك وردي يردى ردى إذا هلك وتردى بمعناه.

[الاعراب] قوله إذ رأى الظرف يتعلق بمحذوف فهو في موضع النصب على الحال من حديث موسى وأكاد اخفيها جملة في موضع رفع بأنها خبر ان فهي خبر بعد خبر. اللام في لتجزي يتعلق بآتية ويجوز ان يتعلق بقوله وأقم الصلاة فتردي منصوب باضمار ان في جواب النهي.

[المعنى] ثم خاطب الله سبحانه نبيه تسلية له مما ناله من اذى قومه وتثبيتاً له بالصبر على أمر ربه كما صبر موسى (ع) حتى نال الفوز في الدنيا والآخرة فقال ﴿وهل اتاك حديث موسى﴾ هذا ابتداء اخبار من الله تعالى على وجه التحقيق إذ لم يبلغه حديث موسى فهو كما يخبر الانسان غيره بخبر على وجه التحقيق فيقول هل سمعت بخبر فلان وقيل انه استفهام تقرير بمعنى الخبر اي وقد أتاك حديث موسى ﴿إذ رأى ناراً﴾ عن ابن عباس قال وكان موسى رجلاً غيوراً لا يصحب الرفقة لئلا ترى امرأته فلما قضى الاجل وفارق مدين خرج ومعه غنم له وكان اهله على اتان وعلى ظهرها جوالق فيها اثاث البيت فأضلّ الطريق في ليلة مظلمة وتفرقت ماشيته ولم ينقدح زنده وامرأته في الطلق فرأى ناراً من بعيد كانت عند الله نوراً وعند موسى ناراً ﴿فقال﴾ عند ذلك ﴿لأهله﴾ وهي بنت شعيب كان تزوجها بمدين ﴿امكثوا﴾ اي الزموا مكانكم قال مقاتل وكانت ليلة الجمعة في الشتاء والفرق بين المكث والإقامة ان الاقامة تدوم والمكث لا يدوم ﴿إني آنست ناراً﴾ أي ابصرت ناراً ﴿لعلي آتيكم منها بقبس﴾ اي بشعلة اقتبسها من معظم النار تصطلون بها ﴿أو أجد على النار هدى﴾ اي أجد على النار هادياً يدلّني على الطريق وقيل علامة استدل بها على الطريق والهدى ما يهتدي به فهو اسم

(١) وقبله «فأدركنه يأخذن بالساق والنساء وشبرق الثوب: قطعه ومزقه: يقول: أدركت الكلاب الثور الوحشي فأخذن بساقه ونساه (وهو عرق من الورك الى الكعب) وشبرقت جلده كما يمزق الصبيان ثوب الراهب حين ينزل من صومعته تبركاً به.

ومصدر قال السدي لأن النار لا تخلو من أهل لها وناس عندها ﴿فلما اتاها﴾ قال ابن عباس لما توجّه نحو النار فإذا النار في شجرة عناب فوقف متعجباً من حسن ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فسمع النداء من الشجرة وهو قوله ﴿نودي يا موسى اني انا ربك﴾ والنداء الدعاء على طريقة يافلان فمن فتح الألف من اني فالمعنى نودي بأني ومن كسر فالمعنى نودي فقيل اني انا ربك الذي خلقك ودبّرك قال وهب نودي من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعاً ما يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا أرى مكانك فاين انت انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لربه عز وجل وايقن به وإنما علم موسى (ع) ان ذلك النداء من قبل الله تعالى لمعجز اظهره الله سبحانه كما قال في موضع آخر إني أنا الله رب العالمين وان ألقِ عصاك إلى آخره وقيل أنه لما رأى شجرة خضراء من اسفلها إلى اعلاها تتوقد فيها نار بيضاء وسمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيماً لم تكن الخضرة تطفىء النار ولا النار تحرق الخضرة تحيّر وعلمَ انه معجز خارق للعادة وانه لأمر عظيم فألقيت عليه السكينة ثم نودي اني انا ربك وإنما كرّر الكناية لتأكيد الدلالة وإزالة الشبهة وتحقيق المعرفة ﴿فاخلع نعليك﴾ أي انزعهما وقيل في السبب الذي أمر بخلع النعلين اقوال (أحدها) انهما كانتا من جلد حمار ميت عن كعب وعكرمة وروي ذلك عن الصادق (ع) (وثانيها) كانتا من جلد بقرة ذكية ولكنه امر بخلعهما ليباشر بقدميه الأرض فتصيبه بركة الواد المقدس عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وابن جريج (وثالثها) ان الحفاء من علامة التواضع ولذلك كانت السلف تطوف حفاة عن الاصم (ورابعها) ان موسى (ع) إنما لبس النعل اتقاء من الانجاس وخوفاً من الحشرات فامنه الله مما يخاف وإعلمه بطهارة الموضع عن أبي مسلم ﴿أنك بالواد المقدس﴾ اي المبارك عن ابن عباس بورك فيه بسعة الرزق والخصب وقيل المطهر ﴿طوى﴾ هو اسم الوادي عن ابن عباس ومجاهد والجبائي وقيل سمي به لأن الوادي قدّس مرتين فكانه طوي بالبركة مرتين عن الحسن ﴿وانا اخترتك﴾ اي اصطفيتك بالرسالة ﴿فاستمع لما يوحى﴾ اليك من كلامي واصغ اليه وتثبت، لما بشره الله سبحانه بالنبوة امره باستماع الوحي ثم ابتدأ بالتوحيد فقال ﴿انني انا الله لا إله إلا انا﴾ اي لا إلٰه يستحق العبادة غيري ﴿فاعبدني﴾ خالصاً ولا تشرك في عبادتي احداً، امره سبحانه بان يبلغ ذلك قومه ﴿واقم الصلاة لذكري﴾ اي لان تذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم لأن الصلاة لا تكون إلا بذكر الله عن الحسن ومجاهد وقيل معناه لأن أذكرك بالمدح والثناء، وقيل ان معناه صلّ لي ولا تصل لغيري كما يفعله المشركون عن أبي مسلم وقيل معناه اقم الصلاة متى ذكرت ان عليك صلاة كنت في وقتها ام لم تكن عن اكثر المفسرين

وهو المروي عن أبي جعفر (ع) ويعضده ما رواه انس عن النبي ﷺ قال من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها غير ذلك وقرأ اقم الصلاة لذكري رواه مسلم في الصحيح ثم اخبره سبحانه بمجيء الساعة فقال ﴿ان الساعة آتية﴾ يعني ان القيامة جائية قائمة لا محالة ﴿اكاد اخفيها﴾ أي اريد أن اخفيها عن عبادي لئلا تأتيهم إلا بغتة قال تغلب هذا اجود الأقوال وهو قول الاخفش وفائدة الاخفاء التهويل والتخويف فإن الناس إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وروي ابن عباس اكاد اخفيها من نفسي وهي كذلك في قراءة ابي وروي ذلك عن الصادق (ع) والمعنى اكاد لا اظهر عليها احداً وهو قول الحسن وقتادة والمقصود من ذلك تبعيد الوصول الى علمها وتقديره إذا كدت اخفيها من نفسي فكيف اظهرها لك قال المبرد هذا على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء قال كتمته حتى من نفسي اي لم اطلع عليه احداً فبالغ سبحانه في اخفاء الساعة وذكره بابلغ ما تعرفه العرب وقال أبو عبيدة معنى اخفيها اظهرها ودخلت اكاد تأكيداً والمعنى يوشك ان اقيمها ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ اي بما تعمل من خير وشر وليتصف من الظالم للمظلوم ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها﴾ أي لا يصرفنك عن الصلاة من لا يؤمن بالساعة وقيل معناه لا يمنعك عن الإيمان بالساعة من لا يؤمن بها وقيل عن العبادة ودعاء الناس إليها وقيل عن هذه الخصال ﴿واتبع هواه﴾ والهوى ميل النفس إلى الشيء ومعناه ومن بنى الأمر على هوى النفس دون الحق وذلك ان الدلالة قد قامت على قيام الساعة ﴿فتردى﴾ أي فتهلك كما هلك اي ان صددت عن الساعة بترك التأهب لها هلكت والخطاب وان كان لموسى (ع) فهو في الحقيقة لسائر المكلفين وفي هذه الآيات دلالة على ان الله تعالى كلّم موسى وان كلامه محدث لأنه حل الشجرة وهي حروف منظومة .

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ
عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ
أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ
تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾
وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً

أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ
أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾
وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ
أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ
يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر أشدُدْ بقطع الهمزة وفتحها وأُشرِكهُ بضمها والباقون اشدد بهمزة الوصل واشركه بالفتح وفي الشواذ قراءة عكرمة واهس بالسين وقراءة ابي البرهسم[1] واهش بكسر الهاء .

[الحجة] الوجه في قراءة ابي عامر انه جعله خبراً وسائر القراء جعلوه دعاء وضم الهمزة في اشركه ضعيف جداً لأنه ليس إلى موسى اشراك هارون في النبوة بل ذلك إلى الله تعالى فالوجه فتح الهمزة على الدعاء ومن قرأ اهش بكسر الهاء فيمكن ان يكون اراد اهش بضم الهاء اي اكسر الكلاء بها للغنم فجاء بها على يغسل ان كان متعدياً كما جاء هرَّ الشيء يُهر ويهره إذا كرهه وشدُّ الحبل يشُدّه ويشِدّه ونمَّ الحديث ينُمُّه واما اهس بالسين فمعناه اسوق وكان ينبغي ان يقول اهسُّ بها غنمي ولكن لما دخل السوق معنى الانتحاء لها والميل بها عليها استعمل على معها حملاً على المعنى .

اللغة] التوكؤ والإتكاء بمعنى مثل التوقي والإتقاء والهش ضرب ورق الشجر ليتساقط والمآرب الحوائج واحدتها مأربة بضم الراء وفتحها وكسرها عن علي بن عيسى والسيرة والطريقة من النظائر ومعناه مرور الشيء في جهة وأصل الجناح من الجنوح وهو الميل لأن الطائر يميل به في طيرانه وعضد الإنسان جناحه لأن من جهته يميل اليد حيث شاء صاحبها

(١) ابو البرهسم كسفرجل من قراء الشام وفي نسختين مخطوطتين «إبراهيم» مكان «ابي البرهسم».

وقيل يريد بالجناح الجلب لأن فيه جنوح الأضلاع وقال الراجز « أضمّها للصدر والجناح » قال أبو عبيدة الجناحان الناحيتان والطغيان تجاوز الحد في العصيان وشرح الصدر توسعه ومنه شرح المعنى وهو بسط القول فيه والعقدة جملة مجتمعة يصعب تفكيكها والحل ضد العقد ونظيره الفصل والقطع والوزير حامل الثقل عن الرئيس مشتق من الوزر الذي هو الثقل والأزر الظهر يقال أزرني فلان على أمري أي كان لي ظهراً ومنه الميزر لإنه يشدُّ على الظهر والأزار لأنه يسيل على الظهر والتأزير التقوية ويمكن أن يكون أزر ووزر مثل أرخ وورخ وأكد ووكد قال امرؤ القيس :

بِمَحْنِيَةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَ نَبْتُهَا مَضَمَّ جَيُوشٍ غَانِمِينَ وَخُيَّبِ[1]

[الإعراب] وما تلك بيمينك قال الزجاج تلك اسم مبهم يجري مجرى التي ويوصل كما توصل التي والمعنى وما التي بيمينك وأنشد الفراء :

عَدَسَ مَا لِعُبَّادٍ عَلَيْكِ إِمَارَةٌ أَمِنْتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ[2]

أي والذي تحملين قال بعض المتأخرين إن الصحيح الذي لا غبار عليه أن يكون تلك مبتدأ وما خبره قدّم عليه لما فيه من معنى الإستفهام وبيمينك الجار والمجرور في موضع نصب على الحال من معنى الفعل في تلك وهو الإشارة قال وإنما قلنا ذلك لأن أسماء الإشارة إنما تبين بصفاتها كما أن الأسماء الموصولة تبين بصلاتها ولا يجوز وصف المبهم بالجملة لأن الجمل نكرات وقوله ﴿ فإذا هي حية تسعى ﴾ إذاً هذه ظرف المفاجأة وهي ظرف مكان تقديره فبالحضرة هي حية والعامل في الظرف تسعى وهذا يدل على إن إذاً هاهنا غير مضاف إلى الجملة لأنه لو كان كذلك لم يعمل فيه مما في الجملة شيء لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف وسيرتها إنتصب على تقدير سنعيدها إلى سيرتها فحذف الجار . من غير سوء في موضع نصب على الحال والتقدير تبيض غير برصاء فيه فيكون حالاً عن حال . آية أخرى إسم في موضع الحال أيضاً والمعنى تخرج بيضاء مبيِّنة قال الزجاج ويجوز أن يكون منصوبة على آتيناك آية أخرى ونؤتيك آية أخرى لأن في قوله ﴿ تخرج بيضاء ﴾ دليلاً على أنه يعطى آية أخرى . لنريك اللام يتعلق بقوله ﴿ واضمم ﴾ والمفعول الثاني من نري يجوز أن يكون محذوفاً وتقديره لنريك من آياتنا الكبرى آيات ويجوز أن يكون الكبرى صفة محذوف

---

(١) المحنية : منعطف الوادي . والضال : شجر السدر .

(٢) الشعر في جامع الشواهد وقد مر في الكتاب مراراً .

وهو المفعول الثاني والتقدير لنريك الآية الكبرى من آياتنا . هارون بدل من قوله ﴿ وزيراً ﴾ ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار فعل كأنه قال أعني هارون أخي أو استوزر لي هارون لأن وزيراً يدل عليه وأخي صفة لهارون ويجوز أن يكون بدلاً منه قال الزجاج يجوز أن يكون هارون مفعولاً أول لأجعل ووزيراً مفعولاً ثانياً له وعلى هذا فيكون مثل قوله تعالى ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن ﴾ في أن المفعول الثاني من هذا الباب قد تقدم على المفعول الأول ولو قرأ بالرفع هارون لكان خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من هذا الوزير فقيل هو هارون وكثيراً نعت مصدر محذوف في الموضعين أي تسبيحاً كثيراً وذكراً كثيراً ويجوز أن يكون نعتاً لظرف محذوف تقديره نسبّحك وقتاً كثيراً ونذكرك وقتاً كثيراً .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه ما أعطى موسى من المعجزات فقال ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾ سأله عما في يده من العصا تنبيهاً له عليها ليقع المعجز بها بعد التثبت فيها والتأمل لها ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ هي عصاي اتوكؤ عليها ﴾ أي أعتمد عليها إذا مشيت والتوكؤ التحامل على العصا في المشي ﴿ وأهش بها على غنمي ﴾ أي وأخبط بها ورق الشجر لترعاه غنمي ﴿ ولي فيها مآرب أخرى ﴾ ولم يقل أخر ليوافق رؤوس الآي أي حاجات أخرى فنصّ على اللازم وكنّى عن العارض قال ابن عباس كان يحمل عليها زاده ويركزها فيخرج منه الماء ويضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل وكان يطرد بها السباع وإذا ظهر عدوّ حاربت وإذا أراد الإستسقاء من بئر طالت وصارت شعبتاها كالدلو وكان يظهر عليها كالشمعة فتضيء له الليل وكانت تحدثه وتؤنسه وإذا طالت شجرة حناها بمحجنها[1] ﴿ قال ﴾ الله سبحانه ﴿ ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى ﴾ أي تمشي بسرعة وقيل صارت حية صفراء لها عرف كعرف الفرس وجعلت تتورم حتى صارت ثعباناً وهي أكبر من الحيات عن ابن عباس وقيل أنه ألقاها وحانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إله الناظرون ويمرّ بالصخرة مثل الخلفة من الإبل فيلقمها وتطعن أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فتجثّها[2] وعيناه تتوقدان ناراًوقد عاد المحجن عنقاً فيه شعر مثل النيازك[3] فلما عاين ذلك ولّى مدبراً ولم يعقّب ثم ذكر ربه فوقف إستحياء منه ثم نودي يا موسى إرجع إلى حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف ﴿ فقال خذها ﴾ بيمينك ﴿ ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ﴾ أي سنعيدها إلى الحالة الأولى عصاء وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد خلّها بخلال فلما أمره سبحانه بأخذها أدلى طرف المدرعة على يده فقال مالك يا موسى أرأيت لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني

---

(١) المحجن : المنعطف الرأس . (٢) جث الشيء : قلعه من أصله . (٣) جمع النيزك : الرمح القصير .

عنك شيئاً قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت وكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فإذا يده في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ عليها بين الشعبتين عن وهب وقيل كانت العصا من آس الجنة أخرجها آدم (ع) وتوارثها الأنبياء إلى أن بلغ شعيباً فدفعها إلى موسى قال وهب كانت من عوسج وكان طولها عشرة أذرع على مقدار قامة موسى ﴿ واضمم يدك إلى جناحك ﴾ معناه واجمع يدك إلى ما تحت عضدك عن مجاهد والكلبي وقيل إلى جنبك وقيل أدخلها في جيبك وكنّى عن الجنب بالجناح ﴿ تخرج بيضاء ﴾ لها نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشدُّ ضوءاً عن ابن عباس ﴿ من غير سوء ﴾ من غير برص في قول الجميع قالوا وكان موسى ادم اللون ففعل فخرجت يده كما قال الله ثم ردُّها فعادت إلى لونها الذي كانت عليه ﴿ آية أخرى ﴾ أي فنزيدك بها آية أخرى أو تخرج مبينة آية أخرى ﴿ لنريك من آياتنا ﴾ وحججنا ﴿ الكبرى ﴾ منها ولو قال الكبر على الجمع وصفاً لجميع الآيات لكان جائزاً وقيل معناه لنريك من دلالاتنا الكبرى سوى هاتين الدلالتين وقيل إنها هلاك فرعون وقومه فلما حمله سبحانه الرسالة وأراه المعجزات أمره بالتبليغ فقال ﴿ إذهب إلى فرعون ﴾ فادعه إلي ﴿ إنه طغى ﴾ أي تجبر وتكبر في كفره ﴿ قال ﴾ موسى عند ذلك ﴿ رب اشرح لي صدري ﴾ أي وسّع لي صدري حتى لا اضجر ولا أخاف ولا اغتم ﴿ ويسّر لي أمري ﴾ أي سهّل عليّ أداء ما كلفتني من الرسالة والدخول على الطاغي ودعائه إلى الحق ﴿ واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾ أي واطلق عن لساني العقدة التي فيه حتى يفقهوا كلامي وكان في لسان موسى (ع) رُتّه لا يفصح معها بالحروف شبه التمتمة[1] وقيل إن سبب تلك العقدة في لسانه جمرة طرحها في فيه وذلك لما أراد فرعون قتله لأنه أخذ بلحية فرعون ونتفها وهو طفل فقالت آسية بنت مزاحم لا تفعل فإنه صبي لا يعقل وعلامة جهله أنه لا يميز بين الدرة والجمرة فأمر فرعون حتى أحضر الدرة والجمرة بين يديه فأراد موسى أن يأخذ الدرة فصرف جبرائيل يده إلى الجمرة فأخذها ووضعها في فيه فاحترق لسانه عن سعيد بن جبير ومجاهد والسدي وقيل إنه إنحل ما كان بلسانه إلا بقية منه بدلالة قوله ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ عن الجبائي وقيل استجاب الله تعالى دعاءه فأحل العقدة عن لسانه عن الحسن وهو الصحيح لقوله سبحانه ﴿ أوتيت سؤلك يا موسى ﴾ ومعنى قوله ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ أي لا يأتي ببيان وحجة وإنما قالوا ذلك تمويهاً ليصرفوا الوجوه عنه ﴿ واجعل لي وزيراً ﴾ يؤازرني على المضي إلى فرعون ويعاضدني عليه وقيل اجعل لي معاوناً أتقوّى به

---

(١) تمتم تمتمة في الكلام : عجل فيه ولم يفهمه .

وبرأيه ومشاورته وقال ﴿ من أهلي ﴾ لأنه إذا كان الوزير من أهله كان أولى ببذل النصح له ثم بيّن الوزير وفسّره فقال ﴿ هارون أخي ﴾ وكان أخاه لأبيه وأمه وكان بمصر ﴿ أشدد به أزري ﴾ أي قوّ به ظهري واعنّي به ﴿ واشركه في أمري ﴾ أي اجمع بيني وبينه في النبوة ليكون أحرص على مؤآزرتي لم يقتصر على سؤال الوزارة حتى سأل أن يكون شريكه في النبوة ولولا ذلك لجاز أن يستوزره من غير مسألة وإنما سمي الوزير وزيراً لأنه يعين الأمير على ما هو بصدده من الأمور أخذ من المؤآزرة التي هي المعاونة وقيل إنما سمي وزيراً لأنه يتحمل الثقل عن الأمير من الوزر الذي هو الثقل وقيل لأنه يلتجيء الأمير إليه فيما يعرض له من الأمور من الوزر الذي هو الملجأ قالوا إن هارون كان أكبر من موسى بثلاث سنين وأتم طولاً وأبيض جسماً وأكثر لحماً وأفصح لساناً ومات قبل موسى بثلاث سنين ﴿كي نسبحك كثيراً﴾ أي ننزّهك عما لا يليق بك بيّن (ع) أنه إنما سأل هذه الحاجات ليتوصل بها إلى طاعة ربه وعبادته وتأدية رسالته لا للرياسة ﴿ ونذكرك كثيراً ﴾ أي نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نعمك ومننت به علينا من تحميل رسالتك ﴿ إنك كنت بنا بصيراً ﴾ أي بأحوالنا وأمورنا عالماً وقيل بصيراً بإحتياجنا في النبوة إلى هذه الأشياء ﴿ قال ﴾ الله سبحانه إجابة له ﴿ قد أوتيت سؤلك ﴾ أي قد أعطيت مناك وطلبتك ﴿ يا موسى ﴾ فيما سألته والسؤال المنى والمراد فيما يسأله الإنسان وقال الصادق حدّثني أبي عن جدّي عن أمير المؤمنين (ع) قال كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فإن موسى بن عمران خرج يقتبس لأهله ناراً فكلّمه الله عزّ وجلّ فرجع نبياً وخرجت ملكة سبأ كافرة فأسلمت مع سليمان وخرج سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مؤمنين .

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ
إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى
ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ

فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ
يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ
بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾
فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر ولتصنع بالجزم والباقون بكسر اللام والنصب وفي الشواذ قراءة أبي نهيك ولِتَصنع بكسر اللام وفتح التاء .

[الحجة] قوله ﴿ ولتصنع ﴾ بالجزم مثل قولهم ولتمن بحاجتي فالمأمور غائب غير مخاطب لأن العاني بالحاجة غير المخاطب وليس ذلك مثل قوله ﴿ فلتفرحوا ﴾ فإن المأمور هناك مخاطب به ولتصنع على عيني قال أحمد بن يحيى معناه لتكون حركتك وتصرفك على عين مني وقراءة الفراء ولِتُصنعَ على عيني بضم التاء وفتح العين معناه لتربى وتغذى بمرأى مني .

[اللغة] أصل المنّ القطع ومنه أجر غير ممنون وحبل منين أي منقطع فالمن نعمة تقطع لصاحبها من غيره والمرة الكرة الواحدة من المر والقذف الطرح واليم البحر والاصطناع إفتعال من الصنع والصنع إتخاذ الخير لصاحبه ووني في الأمر يني ونيا ووَنىً ذا افتر فهو وان ومتوان فيه قال العجاج :

فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غَفَرْ لَهُ الإِلَهُ مَا مَضَىٰ وَمَا غَبَرْ

[الإعراب] مرة ويحتمل أن يكون مصدراً ويحتمل أن يكون ظرفاً ويكون التقدير مرة أخرى أو وقتاً آخر . ما يوحى ما مصدرية وتقديره وأوحينا إلى أمك إيحاء وإن أقذفيه في موضع نصب بأنه مفعول أوحينا ولتصنع اللام يتعلق بألقيت أي لتربى ولتصنع وقوله على قدر في موضع النصب على الحال وتقديره جئت مقدراً ما قدر لك .

[المعنى] لمّا أخبر سبحانه موسى بأنه آتاه طلبته وأعطاه سؤله عدّد عقيبه ما تقدّم ذلك من نعمه عليه ومنته لديه فقال ﴿ ولقد منا عليك مرة أخرى ﴾ أي أنعمنا عليك من صغرك إلى كبرك جارية نعمتنا عليك متوالية فأجابتنا الآن دعاك تلوها ثم فسّر سبحانه تلك النعمة فقال ﴿ إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ﴾ أي حين أوحينا إلى أمك أي ألهمناها ما يلهم وهو ما

كان فيه سبب نجاتك من القتل حتى عنيت بأمرك وقيل كانت رأت في المنام عن الجبائي ثم فسّر ذلك الإيحاء فقال ﴿ أن أقذفيه في التابوت ﴾ أي إجعليه فيه بأن ترميه فيه ﴿ فاقذفيه في اليم ﴾ يريد النيل ﴿ فليلقه اليم بالساحل ﴾ وهو شط البحر لفظه أمر فكأنه أمر البحر كما أمر أم موسى والمراد به الخبر والمعنى حتى يلقيه البحر بالشط ﴿ يأخذه عدوٌّ لي وعدوٌّ له ﴾ يعني فرعون كان عدواً لله ولأنبيائه وعدواً لموسى خاصة لتصوره إن ملكه ينقرض على يده وكانت هذه المنة من الله سبحانه على موسى أن فرعون كان يقتل غلمان بني إسرائيل ثم خشي أن يفني نسلهم فكان يقتل بعد ذلك في سنة ولا يقتل في سنة فولد موسى في السنة التي كان يقتل الغلمان فيها فنجاه الله تعالى منه ﴿ وألقيت عليك محبة مني ﴾ أي جعلتك بحيث يحبّك من يراك حتى أحبّك فرعون فسلمت من شرّه وأحبّتك امرأته آسية بنت مزاحم فتبنتك وربتك في حجرها عن عكرمة وقيل معناه حببتك إلى عبادي فلا يلقاك أحد مؤمن ولا كافر إلا أحبّك عن ابن عباس وهذا كما يقال ألبسه الله جمالاً وألقى عليه جمالاً وقال قتادة ملاحة كانت في عين موسى فما رآه أحد إلا عشقه ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ أي لتربى وتغذى بمرأى مني أي يجري أمرك على ما أريد بك من الرفاهة في غذائك عن قتادة وذلك أن من صنع لإنسان شيئاً وهو ينظر إليه صنعه كما يحب ولا يتهيأ له خلافه وقيل لتربى ويطلب لك الرضاع على علم مني ومعرفة لتصل إلى أمك عن الجبائي وقيل لتربى وتغذى بحياطتي وكلاءتي وحفظي كما يقال في الدعاء بالحفظ والحياطة عين الله عليك عن أبي مسلم ﴿ إذ تمشي أختك فتقول ﴾ الظرف يتعلق بتصنع والمعنى ولتصنع على عيني قدرنا مشي أختك وقولها ﴿ هل أدلّكم على من يكفله ﴾ لأن هذا كان من أسباب تربية موسى على ما أراده الله وهو قوله ﴿ إذ تمشي أختك ﴾ يعني حين قالت لها أم موسى قصيّه فاتبعت موسى على أثر الماء وذلك أن أم موسى إتخذت تابوتاً وجعلت فيه قطناً ووضعته فيه وألقته في النيل وكان يشرع من النيل نهر كبير في باغ فرعون فبينا هو جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذ التابوت يجيء على رأس الماء فأمر بإخراجه فلما فتحوا رأسه إذا صبي به من أحسن الناس وجهاً فأحبّه فرعون بحيث لا يتمالك وجعل موسى يبكي ويطلب اللبن فأمر فرعون حتى أتته النساء اللاتي كُنَّ حول داره فلم يأخذ موسى من لبن واحدة منهن وكانت أخت موسى واقفة هناك إذا أمرتها أمها أن تتبع التابوت فقالت إني آتي بإمرأة ترضعه وذلك قوله ﴿ فتقول هل أدلكم على من يكفله ﴾ أي أدلّكم على امرأة تربيه وترضعه وهي ناصحة له فقالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله ﴿ فرجعناك إلى أمك كي تقرَّ عينها ﴾ برؤيتك وبقائك ﴿ ولا تحزن ﴾ من خوف قتله أو غرقه وذلك أنها حملته إلى بيتها امنة مطمئنة قد جعل لها

فرعون أجرة على الرضاع ﴿ وقتلت نفساً ﴾ كان قتل قبطيّاً كافراً عن ابن عباس وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال رحم الله أخي موسى قتل رجلاً خطأ وكان ابن إثنتي عشرة سنة ﴿ فنجيناك من الغم ﴾ أي من غم القتل وكربه لأنه خاف أن يقتصوا منه بالقبطي فالمعنى خلّصناك من غم القصاص وآمنّاك من الخوف ﴿ وفتناك فتوناً ﴾ أي إختبرناك إختباراً ومعناه أنا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للإصطفاء بالرسالة وكان هذا من أكبر نعمه سبحانه عليه وقيل معناه وخلصناك من محنة بعد محنة منها أنه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح الأطفال فيها ثم إلقاؤه في اليم ثم منعه من الرضاع إلا من ثدي أمه ثم جرّه لحية فرعون حتى همَّ بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الدرة فدرأ ذلك عنه قتل فرعون ثم مجيء رجل من شيعته يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتله عن ابن عباس فعلى هذا يكون المعنى وخلصناك من المحن تخليصاً وقيل معناه وشددنا عليك التعمد في أمر المعاش حتى رعيت لشعيب عشر سنين ثم بيَّن ذلك فقال ﴿ فلبثت سنين في أهل مدين ﴾ أي لبثت فيهم حين كنت راعياً لشعيب ﴿ ثم جئت على قدر يا موسى ﴾ أي في الوقت الذي قدر لإرسالك نبياً قال الشاعر :

نَالَ الخِلافَةَ أوْ كَانَتْ لَهُ قَدَراً كَمَا أتى رَبَّهُ مُوسىٰ عَلىٰ قَدَرِ(١)

وقيل معناه جئت على الوقت الذي يوحى فيه إلى الأنبياء وهو على رأس أربعين سنة وقيل على المقدار الذي قدَّره الله لمجيئك وكتبه في اللوح المحفوظ والمعنى جئت في الوقت الذي قدَّره الله لكلامك ونبوتك والوحي إليك ﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾ أي لوحيي ورسالتي عن ابن عباس والمعنى إخترتك واتخذتك صنيعتي وأخلصتك لتنصرف على إرادتي ومحبتي وإنما قال لنفسي لأن المحبة أخصُّ شيء بالنفس وتبليغه الرسالة وقيامه بأدائها تصرف على إرادة الله ومحبته وقيل معناه إخترتك لإقامة حجتي وجعلتك بيني وبين خلقي حتى صرت في التبليغ عني بالمنزلة التي أنا أكون بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم عن الزجاج ﴿ إذهب أنت وأخوك بآياتي ﴾ أي بحججي ودلالاتي وقيل بالآيات التسع عن ابن عباس ﴿ ولا تنيا في ذكري ﴾ أي ولا تضعفا في رسالتي عن ابن عباس وقيل ولا تفترا في أمري عن السدي وقيل ولا تقصرا عن محمد بن كعب أي لا يحملنكما خوف فرعون على أن تقصرا في أمري ﴿ إذهبا إلى فرعون ﴾ كرَّر الأمر بالذهاب للتأكيد وقيل إن في الأول خصَّ موسى بالأمر وفي الثاني أمرهما ليصيرا نبيّين وشريكين في الأمر ثم بيَّن من يذهبان إليه ﴿ أنه

(١) هذا البيت من قصيدة رائية لجرير بن عطية يمدح بها عمر بن عبد العزيز بن مروان .

طغى ﴾ أي جاوز الحدَّ في الطغيان ﴿ فقولا له قولاً ليناً ﴾ أي إرفقا به في الدعاء والقول ولا تغلظا له في ذلك عن ابن عباس وقيل معناه كنياه عن السدي وعكرمة وكنيته أبو الوليد وقيل أبو العباس وقيل أبو مرة وقيل إن القول اللين هو هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى عن مقاتل وقيل هو أن موسى أتاه فقال له تسلم وتؤمن برب العالمين على أن لك شبابك فلا تهرم وتكون ملكاً لا ينزع الملك منك حتى تموت ولا تنزع منك لذة الطعام والشراب والجماع حتى تموت فإذا متّ دخلت الجنة فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمراً دون هامان وكان غائباً فلما قدم هامان أخبره بالذي دعاه إليه وأنه يريد أن يقبل منه فقال هامان قد كنت أرى أن لك عقلاً وإن لك رأياً بيّناً أنت ربٌّ وتريد أن تكون مربوباً وبينا أنت تعبد وتريد أن تعبد فقلّبه عن رأيه وكان يحيى بن معاذ يقول هذا رفقك بمن يدعي الربوبية فكيف رفقك بمن يدعي العبودية ﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾ أي إدعواه على الرجاء والطمع لا على اليأس من فلاحه فوقع التعبد لهما على هذا الوجه لأنه أبلغ لهما في دعائه إلى الحق قال الزجاج والمعنى في هذا عند سيبويه إذهبا على رجائكما وطمعكما والعلم من الله قد أتى من وراء ما يكون وإنما يبعث الرسل وهم يرجون ويطمعون أن يقبل منهم والمراد بيان الغرض بالبعثة أي ليتذكر ما أغفل عنه من ربوبية الله تعالى وعبودية نفسه ويخشى العقاب والوعيد في قوله سبحانه ﴿ فقولا له قولاً ليناً ﴾ على دلالة وجواب يرفق في الدعاء إلى الله وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليكون أسرع إلى القبول وأبعد من النفور وقيل إن هارون كان بمصر فلما أوحى الله تعالى إلى موسى أن يأتي مصر أوحى إلى هارون أن يتلقى موسى فتلقاه على مرحلة ثم إئتمرا وذهبا إلى فرعون .

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا
نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ
أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن
كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ

أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ
ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا
يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا
سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ
شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى
ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ
تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾

[القراءة] قرأ نصر عن الكسائي خَلَقه بفتح اللام والباقون خَلْقه بسكون اللام وقرأ أهل الكوفة وروح وزيد عن يعقوب مَهداً والباقون مهاداً بالألف .

[الحجة] من قرأ أعطى كل شيء خَلْقه فالمعنى أعطى كل شيء صورته أي خلق كل حيوان على صورة أخرى ثم هداه ومن قرأ خَلَقه بفتح اللام فإنه جملة من الفعل والفاعل في موضع جرّ بأنه صفة شيء والمفعول الثاني لأعطى محذوف فكأنه أعطى كل شيء مخلوق ما أوجبه تدبيره ثم هداه السبيل والمهد مصدر كالفرش والمهاد كالفراش والبساط في قوله ﴿ جعل لكم الأرض فراشاً ﴾ وفي موضع آخر بساطاً ويجوز أن يكون المهد إستعمل إستعمال الأسماء فجمع كما يجمع فعل على فعال والأول أبين .

[اللغة] الفرط التقدم ومنه الفارط المتقدم إلى الماء قال « قَدْ فَرَطَ العجلُ عَلَيْنا وَعَجَل » ومنه الإفراط الإسراف لأنه تقدم بين يدي الحق والتفريط التقصير لأنه تأخر عما يجب فيه التقدم قال الزجاج القرن أهل كل عصر فيهم نبي أو إمام أو عالم يقتدى به فإن لم يكن واحد منهم لم يسم قرناً والنهي جمع نهية وإنما قيل لأولي العقول أولو النهى لأنهم ينهون الناس عن القبائح وقيل لأنه ينتهي إلى آرائهم .

[الإعراب] إسمع جملة في موضع الرفع بكونها خبراً بعد خبر ويجوز أن يكون في موضع النصب على الحال. علمها عند ربي في كتاب. علمها مبتدأ وفي كتاب خبره وعند

ربي معمول الخبر وتقديره علمها ثابت في كتاب عند ربي ويجوز أن يكون قوله ﴿ عند ربي ﴾ صفة لكتاب فلما تقدَّم إنتصب على الحال تقديره في كتاب ثابت عند ربي ويجوز أن يكون عند ربي الخبر وفي كتاب بدل منه ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر وقوله ﴿ لا يضل ربي ﴾ تقدير لا يضل ربي عنه فحذف الجار والمجرور كما حذف من قوله ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ﴾ أي فيه . الذي جعل لكم الأرض . يجوز أن يكون في موضع جرّ بأنه صفة ربي ويجوز أن يكون في موضع رفع بأن يكون خبر مبتدأ محذوف . من نبات في موضع نصب صفة لقوله ﴿ أزواجاً وشتى ﴾ صفة له أيضاً فهي صفة بعد صفة وتارة منصوبة على المصدر .

[المعنى] لمّا أمر الله سبحانه موسى وهارون أن يمضيا إلى فرعون ويدعواه إليه ﴿ قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا ﴾ أي نخشى أن يتقدم فينا بعذاب ويعجّل علينا ﴿ أو أن يطغى ﴾ أي يجاوز الحدَّ في الإساءة بنا وقيل معناه أنا نخاف أن يبادر إلى قتلنا قبل أن يتأمل حجتنا أو أن يزداد كفراً إلى كفره بردّنا ﴿ قال لا تخافا إنني معكما ﴾ بالنصرة والحفظ معناه أني ناصركما وحافظكما ﴿ اسمع ﴾ ما يسأله عنكما فأالهمكما جوابه ﴿ وأرى ﴾ ما يقصدكما به فأدفعه عنكما فهو مثل قوله ﴿ فلا يصلون إليكما ﴾ ثم فسَّر سبحانه ما أجمله فقال ﴿ فأتياه ﴾ أي فأتيا فرعون ﴿ فقولا انا رسولا ربك ﴾ أي أرسلنا إليك خالقك بما ندعوا إليه ﴿ فارسل معنا بني إسرائيل ﴾ أي أطلقهم وأعتقهم عن الاستعباد ﴿ ولا تعذبهم ﴾ بالإستعمال في الأعمال الشاقة ﴿ قد جئناك بآية من ربك ﴾ أي بدلالة واضحة ومعجزة لائحة من ربك تشهد لنا بالنبوة ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ قال الزجاج لم يرد بالسلام هنا التحية وإنما معناه إن من إتبع الهدى سلم من عذاب الله ويدل عليه قوله بعده ﴿ أنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾ أي إنما يعذب الله سبحانه من كذب بما جئنا به واعرض عنه فأما من إتبعه فأنه يسلم من العذاب وهاهنا حذف وهو فأتياه فقالا له ما أمرهما الله تعالى به ثم ﴿ قال ﴾ لهما فرعون ﴿ فمن ربكما ﴾ أي فمن ربك وربه ﴿ يا موسى ﴾ وإنما قال ربكما على تغليب الخطاب وقيل تقديره فمن ربكما يا موسى وهارون فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر إختصاراً ولتسوى رؤوس الآي وأراد به فمن أيّ جنس من الأجناس ربكما حتى أفهمه فبين موسى أنه تعالى ليس له جنس وإنما يعرف سبحانه بأفعاله ﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ﴾ معناه أعطى كل شيء خلقته أي صورتة التي قدَّرها له ﴿ ثم هدى ﴾ أي هداه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك من ضروب هدايته عن مجاهد وعطية ومقاتل وقيل معناه أعطى كل شيء مثل خلقه أي زوجه من جنسه ثم هداه لنكاحه عن ابن عباس

والسدي وقيل معناه أعطى خلقه كل شيء من النعم في الدنيا مما يأكلون ويشربون وينتفعون به ثم هداهم إلى طرق معايشهم وإلى أمور دينهم ليتوصلوا بها إلى نعم الآخرة عن الجبائي ﴿ قال ﴾ فرعون ﴿ فما بال القرون الأولى ﴾ أي فما حال الأمم الماضية فإنها لم تقرّ بالله وما تدعو إليه بل عبدت الأوثان ويعني بالقرون الأولى مثل قوم نوح وعاد وثمود ﴿ فقال ﴾ موسى ﴿ علمها عند ربي ﴾ أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازيهم بها والتقدير علم أعمالهم لها عند ربي ﴿ في كتاب ﴾ يعني اللوح المحفوظ والمعنى أن أعمالهم مكتوبة مثبتة عليهم وقيل المراد بالكتاب ما يكتبه الملائكة وقيل أيضاً أن فرعون إنما قال فما بال القرون الأولى حين دعاه موسى إلى الإقرار بالبعث أي فما بالهم لم يبعثوا ﴿ لا يضل ربي ﴾ أي لا يذهب عليه شيء وقيل معناه لا يخطىء ربي ﴿ ولا ينسى ﴾ من النسيان عن أبي مسلم أي لا ينسى ما كان من أمرهم بل يجازيهم بأعمالهم وقيل معناه لا يغفل ولا يترك شيئاً عن السدي ثم زاد في الأخبار عن الله تعالى فقال ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهداً ﴾ أي فرشاً ومهاداً أي فراشاً ﴿ وسلك لكم فيها سبلاً ﴾ والسلك إدخال الشيء في الشيء والمعنى أدخل لكم أي لأجلكم في الأرض طرقاً تسلكونها وقال ابن عباس سهل لكم فيها طرقاً ﴿ وأنزل من السماء ماء ﴾ يعني المطر وتم الإخبار عن موسى ثم أخبر الله سبحانه عن نفسه فقال موصولاً بما قبله من الكلام ﴿ فأخرجنا به ﴾ أي بذلك الماء ﴿ أزواجاً ﴾ أي أصنافاً ﴿ من نبات شتى ﴾ أي مختلفة الألوان أحمر وأبيض وأخضر وأصفر وكل لون منها زوج وقيل مختلفة الألوان والطعوم والمناقع فمنها ما يصلح لطعام الإنسان ومنها ما يصلح للتفكه ومنها ما يصلح لغير الإنسان من أصناف الحيوان ﴿ كلوا ﴾ أي مما أخرجنا لكم بالمطر من النبات والثمار ﴿ وارعوا انعامكم ﴾ أي واسيموا مواشيكم فيما أنبتناه بالمطر واللفظ للأمر والمراد الإباحة والتذكير بالنعمة ﴿ إن في ذلك ﴾ أي فيما ذكر ﴿ لآيات ﴾ أي دلالات ﴿ لأولي النهى ﴾ أي لذوي العقول الذين ينتهون عما حرّم الله عليهم عن الضحاك وقيل لذوي الورع عن قتادة وقيل لذوي التقى عن ابن عباس ﴿ منها خلقناكم ﴾ أي من الأرض خلقنا أباكم آدم (ع) ﴿ وفيها نعيدكم ﴾ أي وفي الأرض نعيدكم إذا امتناكم ﴿ ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ أي دفعة أخرى إذا حشرناكم ﴿ ولقد أريناه ﴾ يعني فرعون ﴿ آياتنا كلها ﴾ يعني الآيات التسع أي معجزاتنا الدالة على نبوة موسى ﴿ فكذّب ﴾ بجميع ذلك ﴿ وأبى ﴾ أن يؤمن به وقيل معناه فجحد الدليل وأبى القبول ولم يرد سبحانه بذلك جميع آياته التي يقدر عليها ولا كل آية خلقها وإنما أراد كل الآيات التي أعطاها موسى .

[النظم] ووجه اتصال قوله ﴿ فما بال القرون ﴾ الأولى بما قبله من الدعاء إلى

التوحيد أن فرعون لما ظهرت المعجزات ودلائل التوحيد على يد موسى تحيَّر وخاف الفضيحة فأقبل على نوع آخر من السؤال تلبيساً وكثيراً ما يفعل ذلك أهل البدع عند ظهور الحجة وقيل لمّا دعاه موسى إلى الإقرار بالبعث قال فما بال أولئك القرون لم يبعثوا .

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر لا نخلفه بالجزم والباقون بالرفع وقرأ أهل الحجاز وأبو عمرو والكسائي سِوى بكسر السين والباقون بضمها وقرأ يومَ الزينة بالنصب هبيرة عن حفص وهي قراءة الحسن والأعمش والثقفي والباقون يوم الزينة بالرفع وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر وروس فيُسحِتكم بضم الياء وكسر الحاء والباقون فيَسْحَتكم بفتح الياء والحاء وقرأ أبو عمرو

أن هذين وقرأ ابن كثير وحفص أن هذان خفيف وقرأ الباقون أنْ هذان وابن كثير وحده يشدد النون من هذان وقرأ أبو عمرو فأجمعوا بوصل الهمزة وفتح الميم والباقون فأجمعوا بقطع الهمزة وكسر الميم وقرأ ابن عامر وروح وزيد تخيل إليه بالتاء وهو قراءة الحسن والثقفي والباقون يخيل بالياء .

[الحجة والإعراب] فأما قوله ﴿ لا نخلفه ﴾ بالجزم فإنه يكون على جواب الأمر والقراءة المشهورة بالرفع على أن يكون لا نخلفه في موضع النصب بكونه صفة لقوله ﴿ موعداً ﴾ وهو الظاهر وأما قوله ﴿ سوى ﴾ فإنه المكان النصف فيما بين الفريقين قال موسى بن جابر :

وَجَدْنا أبانا كانَ حَلَّ ببَلْدَةٍ ... سِوى بَيْنَ قَيسٍ قَيسِ عَيْلانَ وَالْفِزْرِ[1]

قال أبو علي قوله ﴿ سوى ﴾ فِعَل من التسوية فكان المعنى مكاناً مستوياً مسافته على الفريقين فيكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر وهذا بناء يقل في الصفات ومثله قوم عِدى فأما فُعَل فهو في الصفات أكثر قالوا دليل خُتَع[2] ومال لُبَد ورجل حُطَم وأما إنتصاب قوله ﴿ مكاناً ﴾ فلا يخلو من أن يكون مفعولاً للموعد أما على أنه مفعول به أو على أنه ظرف له أو يكون منتصباً بأنه المفعول الثاني ولا يجوز الأول ولا الثاني لأن الموعد قد وصف بالجملة التي هي لا نخلفه نحن وإذا وصف لم يجز أن يعمل عمل الفعل لاختصاصه بالصفة ولأنه إذا عطف عليه لم يجز أن يتعلق به بعد العطف عليه شيء منه وكذلك إذا أخبر عنه لم يجز أن يقع بعد الخبر عنه شيء يتعلق بالمخبر عنه لم يجز سيبويه هذا ضارب ظريف زيداً ولا هذا ضويرب زيداً إذا حقر إسم الفاعل لأن التحقير في تخصيصه الاسم بمنزلة إجراء الوصف عليه وقد جاء من ذلك شيء في الشعر قال بشر بن أبي حازم :

إذا فاقِدٌ خَطْباءُ فَرْخَيْنِ رَجَّعَتْ ... ذَكَرْتُ سُلَيْمى فِي الْخَلِيطِ الْمُبايِنِ[3]

ويحتمل ذلك على إضمار فعل آخر كما ذهبوا إليه في نحو قول الشاعر :

---

(١) إبان : إسم جبل . والفزر : أبو قبيلة من تميم وهو سعيد بن زيد .

(٢) دليل ختع : ماهر بالدلالة . ومال لبد : كثير لا يخاف فناؤه كأنه التبد بعضه على بعض . ورجل حطم : لا يشبع لأنه يحطم كل شيء .

(٣) وفي رواية الأشموني « في الخليط المزايل » قوله « فاقد » المراد حمامة فقدت فرخها و « رجعت » أي صوتت وكررت صوتها و « سليمى » اسم ويقولون ضربته بين أذناه ومن يشتري الخفان وقيل انها لغة لبني الحرث بن كعب وهذا القول اختيار .

إنَّ الـعَـرارَةَ وَالـنَّـبُـوحَ لِـذارِمٍ وَالْمُسْتَخِفُّ أخُـوهُمُ الأثْـقـالا(١)

فإذا لم يجز ذلك كان مفعولاً ثانياً لقوله ﴿ فاجعل ﴾ فيكون بمنزلة قوله ﴿ جعلوا القرآن عضين ﴾ ونحوه وأما يوم الزينة فمن نصبه فعلى الظرف كما تقول قيامك يوم الجمعة فالموعد إذاً هنا مصدر والظرف بعده خبر عنه قال ابن جني وهو عندي على حذف المضاف أي إن إنجاز موعدنا إياكم في ذلك اليوم ألا ترى أنه لا يراد أنه في ذلك اليوم يعدكم لأن الموعد قد وقع الآن وإنما يتوقع إنجازه في ذلك اليوم لكن في قوله ﴿ وأن يحشر الناس ضحى ﴾ نظر وظاهر حاله أن يكون مجرور الموضع حتى كأنه قال إنتظروا موعدكم يوم الزينة وحشر الناس ضحى أي يوم هذا ولهذا فيكون أن يحشر معطوفاً على الزينة وقد يجوز أن يكون مرفوع الموضع عطفاً على الموعد فكأنه قال إنجاز موعدكم وحشر الناس ضحى في يوم الزينة أي هذان الفعلان في يوم الزينة وأما من رفع يوم الزينة فإن الموعد عنده ينبغي أن يكون زماناً فكأنه قال وقت وعدكم يوم الزينة كقولنا مبعث الجيوش شهر كذا أي وقت بعثها حينئذ والعطف عليه بقوله ﴿ وأن يحشر الناس ضحى ﴾ يؤكّد الرفع لأن أن لا يكون ظرفاً بل هو حرف موصول في معنى المصدر وينبغي أن يكون على حذف المضاف أي وقت وعدكم يوم الزينة ووقت حشر الناس ضحى كما أن قولك ورودك مقدم الحاج إنما هو على حذف المضاف أي وقت قدوم الحاج وأما قوله ﴿ فيسحتكم ﴾ فإن سحت وأسحت بمعنى قال الفرزدق :

وَعَضُّ زَمَـانٍ يَا ابْنَ مَـرْوَانَ لَمْ يَـدَعْ مِنَ الْمَـالِ إلاَّ مُسْحَتـاً أوْ مُجَلَّفُ(٢)

وفسّر لم يدع على أنه بمعنى لم يبق وأما قوله﴿إن هذان لساحران ﴾ فمن قرأ بتشديد النون من إن والألف من هذان فقد قيل فيه أقوال (أحدها) أن إنَّ بمعنى نعم وأنشدوا شعراً :

بَكَـرَ الـعَـوَاذِلُ فِـي الـضُّـحىٰ يَـلُحِـيـنَـنِـي وَأَلُـومَـهُـنَّـهْ
وَيَـقُـلْـنَ شَـيْـبٌ قَـدْ عَـلا كَ وَقَـدْ كَـبُـرْتَ فَـقُـلْـتُ إنَّـهْ

فعلى هذا يكون تقديره نعم هذان لساحران وهذا لا يصح لأن إنَّ إذا كانت بمعنى نعم

---

(١) قائله الأخطل والعرارة : الشدة والنبوح : العزو الكثرة . يمدح بني دارم بكثرة عددهم وحملهم الأمور الثقال التي يعجز غيرهم عن حملها وفي إعراب البيت خلاف ذكره ابن منظور في اللسان في « نبح » فراجع .

(٢) المجلف : الذي بقيت منه بقية . يريد إلا مسحتاً أو هو مجلف .

إرتفع ما بعدها بالإبتداء والخبر واللام لا يدخل على خبر مبتدأ جاء على أصله وأما ما أنشد في ذلك من قوله :

خَالِي لأَنْتَ وَمَنْ جُرَيْرٌ خَالُهُ يَنَلِ العَلاءَ وَيَكْرُمِ الأَخْوَالا

وقوله :

أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بِعَظْمِ الرَّقَبَهْ(١)

فمحمول على الشذوذ والضرورة وأيضاً فإن أبا علي قال ما قيل إن في الآية لا يقتضي أن يكون جوابه نعم لأنك إن جعلته جواباً لقول موسى (ع) ويلكم لا تفتروا على الله كذباً قالوا نعم هذان ساحران كان محالاً وإن جعلته على تقدير فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا نعم هذان لساحران كان محالاً أيضاً (وثانيها) ما قاله الزجاج أن تقديره نعم هذان لهما ساحران فاللام دخل على مبتدأ محذوف وهذا أيضاً مثل الأول لما قلناه ولأن سيبويه قال نعم عدة وتصديق وأن يصرف إلى الناصبة للإسم أولى وهو قراءة أبي عمرو وعيسى بن عمرو قال أبو علي هذا الذي قاله الزجاج لا يتجه لأمرين (أحدهما) أن الذي حمله النحويون على الضرورة لا يمتنع أن يستمر هذا التأويل فيه ولم يحمله مع ذلك عليه (والآخر) أن التأكيد باللام لا يتعلق به الحذف ألا ترى أن الأوجه في الزينة أن تتم الكلام ولا يحذف ثم يؤكد فليس باللائق في التدبر (وثالثها) ما قاله المتقدمون من النحويين إن التقدير أنه هذان لساحران فحذف ضمير القصة وهذا أيضاً فيه نظر من أجل دخول اللام في الخبر ولأن إضمار الهاء بعد إن إنما يأتي في ضرورة الشعر نحو قوله :

إِنَّ مَنْ لامَ فِي بَنِي بِنْتِ حَسَّانٍ أَلْمَهُ وَأَعْصِهِ فِي الْخُطُوبِ

وقوله :

إِنَّ مَنْ يَدْخُلِ الْكَنِيسَةَ يَوْماً يَلْقَ فِيهَا جَآذِراً وَظِبَاءَ(٢)

(ورابعها) ما قاله علي بن عيسى وهو أنّ إنَّ لما كانت مشبهة بالفعل وليست بأصل في العمل ألغيت هاهنا كما تلغى إذا خففت وهذا غير مستقيم أيضاً لأن الالغاء في إنَّ ما رأيناه في غير هذا الموضع وأيضاً فإنها قد أعملت مخففة في قوله تعالى ﴿ وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم ﴾ فكيف يجوز إلغاؤها في غير التخفيف وأيضاً فقد أعمل إسم الفاعل والمصدر

(١) والشاهد في دخول اللام على الخبر في البيتين وهو قوله لانت ـ في البيت الأول ـ ولعجوز ـ في البيت الثاني ـ مع أنها مختصة بالمبتدأ .

(٢) الجآذر جمع الجوذر : ولد البقرة الوحشية .

لشبههما بالفعل ولا يجوز الغاؤهما وايضاً فإن اللام يمنع من هذا التأويل لأن انَّ إذا الغيت ارتفع ما بعدها بالابتداء واللام لا يدخل على خبر المبتدأ على ما بيّناه (وخامسها) إن هذه الألف ليست بألف التثنية وإنما هي الف هذا زيدت عليها النون وهذا قول الفراء وهو غير صحيح فإنه لا يجوز أن يكون تثنية إلا ويكون لها علم ولو كان على ما زعم لم تنقلب هذه الالف ياء في حال الجر والنصب ويدلُّ على أن هذه الألف للتثنية أن الألف التي كانت في الواحد قد حذفت كما حذفت الياء من الذي والتي إذا قلت اللذان واللتان (وسادسها) وهو أجود ما قيل فيه أن يكون هذان اسم انَّ بلغة كنانة يقولون أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان قال بعض شعرائهم :

وَاهاً لِسَرَيَّا ثُمَّ وَاهاً وَاهاً يَا لَيْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَفَاهَا
وَمَوْضِعُ الْخَلْخَالِ مِنْ رِجْلَاهَا بِثَمَنٍ نُعْطِي بِهِ أَبَاهَا
إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا[1]

وقال آخر :

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذْنَاهُ طَعْنَةً دَعَتْهُ إِلَى هَابِي التُّرَابِ عَقِيمِ

وقال آخر :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا

ويقولون ضربته بين أذناه ومن يشتري الخفان وقيل أنها لغة لبني الحرث بن كعب وهذا القول إختيار أبي الحسن وأبي علي الفارسي ومن قرأ أن هذين لساحران فهو صحيح مستقيم وزيف الزجاج هذه القراءة مخالفتها المصحف وقيل أنه إحتج في مخالفته المصحف بما روى أنه من غلط الكاتب ويروون عن عثمان وعائشة أن في هذا القرآن غلطاً تستقيمه العرب بألسنتها وهذا غير صحيح عند أهل النظر فإن أبا عمرو ومن ذهب من القراء مذهبه لا يقرأ إلا بما أخذه من الثقات من السلف ولا يظن به مع علو رتبته أن يتصرف في كتاب الله من قبل نفسه فيغيّره ومن قرأ إن هذان بسكون النون من أن والألف فقد قال الزجاج يقوّي هذه القراءة قراءة أبيٍّ ما هذان إلا ساحران وروي عنه أيضاً أن هذان إلا ساحران وهذا يدل على أنه جعل اللام بمنزلة إلا والعجب أنه بصري المذهب والبصريون ينكرون مجيء اللام بمعنى إلا قالوا

(١) نسب جماعة هذه الأبيات إلى النجم العجلي منهم الشريف المرتضى (ره) في الأمالي ونسبها آخرون إلى رؤبة وقال بعض أنها لبعض أهل اليمن وفي بعض الروايات « لسلمى » .

لو كان كذلك لجاز أن تقول جاءني القوم لزيداً بمعنى إلا زيداً فالوجه الصحيح فيه أنه جعل أن هذه مخففة من الثقيلة وأضمر فيها إسمها ورفع ما بعدها على الإبتداء والخبر وجعل الجملة خبران وإذا كانت إن مخففة من الثقيلة لزمتها اللام ليكون فرقاً بينها وبين أن النافية وأماتشديد النون في قول ابن كثير ففيه وجهان (أحدهما) أن يكون عوضاً من ألف هذا التي سقطت من أجل حرف التثنية (والآخر) أن يكون للفرق بين النون التي تدخل على المبهم والنون التي تدخل على المتمكن وذلك أن هذه إنما وجدت مشددة مع المبهم وأما قوله ﴿ فاجمعوا كيدكم ﴾ قال أبو الحسن إنما يقولون بالقطع إذا قالوا إجمعوا على كذا فأما إذا قالوا أجمعوا أمركم وأجمعوا كيدكم فلا يقولون إلا بالوصل قال وبالقطع أكثر القراء قال فأما أن يكون لغة في هذا المعنى لأن باب فعلت وأفعلت كثير وأن يكون أجمعوا على كذا ثم قال كيدكم على أمر مستأنف قال أبو علي فإن قيل فقد تقدم ذكر قوله ﴿ فجمع كيده ﴾ فإذا قيل فأجمعوا كيدكم كان تكريراً قيل لا يكون كذلك لأن ذلك في قصة وهذا في أخرى ذاك إخبار عن فرعون في جمعه كيده وسحره وهذا فيما يتواصى به السحرة في جمع كيدهم ويشبه أن يكون ذلك على لغتين كما ظنه أبو الحسن قال الشاعر :

وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ زِيدُوا عَلَى مِائَةٍ ... فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ طُرّاً فَكِيدُونِي

فقوله ﴿ فأجمعوا أمركم ﴾ بمنزلة فأجمعوا كيدكم لأن كيدهم من أمرهم وأما قوله ﴿ يخيَّل إليه ﴾ فمن قرأ بالياء فإنه فعل فارغ وفاعله قوله ﴿ إنها تسعى ﴾ ومن قرأ بالتاء فعلى هذا يكون فاعله الضمير المستكن فيه العائد إلى الحبال والعصي وأنها تسعى في محل الرفع لأنه بدل من ذلك الضمير وهو بدل الإشتمال ويجوز أن يكون موضعه على هذه القراءة نصباً أيضاً على معنى يخيل إليه كونها ذات سعي .

[المعنى] ثم حكى سبحانه عن فرعون أنه نسب موسى إلى السحر تلبيساً على قومه بأن قال ﴿ اجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ﴾ أي من أرض مصر ﴿ فلنأتينك بسحر مثله ﴾ أي مثل ما أتيت به ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى﴾أي إضرب بيننا وبينك موعداً مكاناً يعد لحضورنا ذلك المكان لا يقع منا في حضوره خلاف ثم وصف المكان بأنه تستوي مسافته على الفريقين ومكاناً بدل عن موعد وقيل مكاناً سوى أي عدلاً بيننا وبينك عن قتادة وقيل منصفاً بكون النصف بيننا وبينك عن مجاهد﴿قال﴾موسى ﴿ موعدكم يوم الزينة ﴾ وكان يوم لهم فسمي يوم الزينة لأن الناس يتزيَّنون فيه ويُزينون به الأسواق عن مجاهد وقتادة والسدي ﴿ وأن يحشر الناس ضحى ﴾ يعني ضحى ذلك اليوم ويريد بالناس أهل مصر بقول يحشرون إلى العيد ضحى فينظرون إلى أمري وأمرك فيكون

ذلك أبلغ في الحجة وأبعد من الشبهة قال الفراء يقول إذا رأيت الناس يحشرون من كل ناحية ضحى فذلك الموعد قال وجرت عادتهم بحشر الناس في ذلك اليوم ﴿ فتولى فرعون ﴾ أي إنصرف وفارق موسى على هذا الوعد ﴿ فجمع كيده ﴾ أي حيلته ومكره وذلك جمع السحرة ﴿ ثم أتى ﴾ أي حضر الموعد ﴿ قال لهم موسى ﴾ أي قال للسحرة لأنهم أحضروا ما عملوا من السحر ليقابلوا بمعجزة موسى فوعظهم فقال ﴿ ويلكم ﴾ وهي كلمة وعيد وتهديد معناه ألزمكم الله الويل والعذاب ويجوز أن يكون على النداء نحو يا ويلتا فيكون الدعاء بالويل عليهم وقيل إن ويلكم كلمتان تقديرهما وي لكم فيكون مبتدأ وخبراً أو يكون ويلكم بمنزلة أتعجب لكم ﴿ لا تفتروا على الله كذباً ﴾ أي لا تشركوا مع الله أحداً عن ابن عباس وقيل لا تكذبوا على الله بأن تنسبوا معجزاتي إلى السحر وسحركم إلى أنه حق وبأن تنسبوا فرعون إلى أنه إله معبود ﴿ فيسحتكم ﴾ أي يستأصلكم ﴿ بعذاب ﴾ عن قتادة والسدي وقيل يهلككم عن ابن عباس والكلبي ومقاتل والجبائي وأصل السحت إستقصاء الخلق يقال سحت شعره إذا استأصله وسحته الله وأسحته إذا استأصله وأهلكه ﴿ وقد خاب من إفترى ﴾ أي خسر من كذب على الله ونسب إليه باطلاً عن قتادة إنقطع رجاء من كذب على الله عن ثوابه وجنته ﴿ فتنازعوا أمرهم بينهم ﴾ أي تشاور القوم وتفاوضوا في حديث موسى وهارون وفرعون وجعل كل واحد منهم ينازع لكلام صاحبه وقيل تشاورت السحرة فيما هيّئوه من الحبال والعصي وفيمن يبتدىء بالإلقاء ﴿ وأسرّوا النجوى ﴾ يعني أن السحرة أخفوا كلامهم وتناجوا فيما بينهم سرّاً من فرعون فقالوا إن غلبنا موسى اتبعناه عن الفراء والزجاج وقيل إن موسى لما قال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذباً قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر وأسرّ بعضهم إلى بعض يتناجون عن محمد بن إسحاق وقيل أسروا النجوى بأن قالوا إن كان هذا ساحراً فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمره عن قتادة وقيل تناجوا مع فرعون وأسروا عن موسى وهارون قولهم ﴿ إن هذان ﴾ لساحران عن الجبائي وأبي مسلم إن هذان يعني موسى وهارون ﴿ لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ﴾ قاله فرعون وجنوده للسحرة ويريدون بالأرض أرض مصر ﴿ ويذهبا بطريقتكم المثلى ﴾ هي تأنيث الأمثل وهو الأفضل وهو الأشبه بالحق يقال فلان أمثل قومه أي أشرفهم وأفضلهم والمعنى يريدان أن يصرفا وجوه الناس إليهما عن أمير المؤمنين علي (ع) وقيل إن طريقتهم المثلى بنو إسرائيل كانوا أكثر القوم عدداً وأموالاً أي يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهم عن قتادة وأكثر المفسرين وقيل يذهبا بطريقتكم التي أنتم عليها في السيرة والدين عن الجبائي وأبي مسلم وابن زيد ﴿ فاجمعوا كيدكم ﴾ أي لا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتم به ﴿ ثم إئتوا صفاً ﴾

أي مصطفين مجتمعين ليكون أنظم لأموركم وأشد لهيبتكم عن ابن عباس وأكثر المفسرين وقيل ثم إئتوا موضع الجمع ويسمى المصلى الصف عن أبي عبيدة والمعنى ثم إئتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعبدكم وصلاتكم ﴿ وقد أفلح اليوم من إستعلى ﴾ أي وقد سعد اليوم من غلب وعلا عن ابن عباس قال بعضهم إن هذا من قول فرعون للسحرة وقال آخرون بل هو قول بعض السحرة لبعض ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقي وأما أن نكون أول من ألقى ﴾ هذا قول السحرة خيّروه بين أن يلقوا أولاً ما معهم أو يلقي موسى عصاه ثم يلقون ما معهم ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ بل إلقوا ﴾ أنتم ما معكم أمرهم بالإلقاء أولاً ليكون معجزه أظهر إذا ألقوا ما معهم ثم يلقي هو عصاه فتبتلع ذلك وهاهنا حذف أي فألقوا ما معهم ﴿ فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ الضمير في إليه راجع إلى موسى وقيل إلى فرعون أي يرى الحبال من سحرهم أنها تسير وتعدو مثل سير الحيات وإنما قال يخيل إليه لأنها لم تكن تسعى حقيقة وإنما تحركت لأنهم جعلوا داخلها الزئبق فلما حميت الشمس طلب الزئبق الصعود فحركت الشمس ذلك فظن أنها تسعى .

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾
وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ
وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا
بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ
لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم
مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ
عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ
وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا

عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ
مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ
مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾
جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟
مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

[القراءة] قرأ ابن ذكوان تلقف بالرفع والباقون بالجزم إلا أن حفصاً يقرؤها خفيفة والآخرون مشددة وابن كثير برواية البزّي وابن فليح يشدّد التاء أيضاً وقرأ كيد سحر بغير ألف أهل الكوفة غير عاصم والباقون ساحر بالألف.

[الحجة] من قرأ تلقف بالرفع فإنه يرتفع لأنه في موضع الحال والحال يجوز أن يكون من الفاعل الملقى من المفعول الملقي فإن جعلته من الفاعل جعلته من المتلقف وان كان التلقف في الحقيقة للعصا لأن التلقف كان بالقائه فجاز أن ينسب إليه وإن جعلته من المفعول فإنه أنّث على المعنى لأن الذي في يمينه عصا ومثل ذلك في أن يكون مرة للخطاب ومرة للمؤنث قوله ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ فهذا يكون على تحدث انت أيها الإنسان وعلى أن الأرض تحدث وأما تلقف بالجزم فعلى أن يكون جواباً كأنه قال ان تلقه تَلْقَف وتَلَقَّف ومن شدَّد التاء فإنما أراد تتلقف وهذا يكون على تتلقف أنت أيها المخاطب وعلى تتلقف هي إلا أنه ادغم التاء الأولى في التاء الثانية والادغام في هذا ينبغي أن لا يكون جائزاً لأن المدغم يسكن وإذا سكن لزم أن يجلب له همزة الوصل كما جلبت في أمثلة الماضي نحو ادّرأتم وأزينت واطّيروا وهمزة الوصل لا تدخل على المضارع قال وسألت احمد بن موسى كيف يبتدىء من ادغم فقال كلاماً معناه أنه يصير بالإبتداء الى قول من خفف ويدع الادغام ومن قرأ كيد ساحر فلأن الكيد للساحر في الحقيقة وليس للسحر الا أن يريد كيد ذي سحر فيكون في المعنى مثل كيد ساحر والاختلاف بين القراء في آمنتم والوجه في ذلك ذكرناه في سورة الأعراف[1].

[اللغة] يقال لقفت الشيء وتلقفته والتقفته إذا أخذته بسرعة قال الكسائي الصبي في

(١) راجع ج ٢

الحجاز إذا جاء من عند معلمه قال جئت من عند كبيري والكبير في اللغة الرئيس ولهذا يقال للمعلم الكبير والايثار الاختيار والتزكي طلب الزكاء والزكاء النماء في الخير ومنه الزكاة لأن المال ينمو بها .

[الإعراب] إنّ مفصول من ما صنعوا لأن ما هاهنا موصولة وصنعوا صلته ويجوز أن يكون الموصول اسماً بمعنى الذي ويكون العائد من الصلة إلى الموصول محذوفاً ويجوز أن يكون حرفاً فيكون تقديره ان صنعهم والفرق بين آمنتم به وآمنتم له ان آمنتم به بالباء هو من الإيمان الذي هو ضد الكفر وآمنتم له بمعنى التصديق « من خلاف » يحتمل أن يكون من بمعنى عن أي عن خلاف ويحتمل ان يكون بمعنى على خلاف فيكون الجار والمجرور في موضع نصب على الحال « في جذوع النخل » في بمعنى على وإنما جاز ذلك لأن الجذع قد اشتمل عليهم وقد صاروا فيها قال الشاعر

هُمُ صَلَبُوا العَبْدي في جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلا عَطَسَتْ شَيْبانُ إلّا بِأَجْدَعا[1]

« أينا أشد عذاباً وأبقى » تعليق ومعنى التعليق ان عملت تعمل في المعنى ولا تعمل في اللفظ والذي فطرنا موضعه جرّ عطف على ما جاءنا « فاقض ما أنت قاض » يجوز أن يكون ما مصدرية في تقدير الظرف أي فاقض القضاء مدة كونك قاضياً ويجوز أن يكون ما مفعوله أي فاقض ما أنت قاضيه فحذف الهاء « إنما تقضي هذه الحياة الدنيا » حذف المضاف وتقديره إنما تقضي أمور هذه الحياة الدنيا ويجوز أن يكون تقديره إنما تقضي مدة هذه الحياة الدنيا وهذه على القول الأول منصوبة مفعول بها وعلى الثاني منصوبة على الظرف ويجوز أن يكون الواو للقسم . جنات عدن يجب ان يكون بدلاً من الدرجات ولا يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف لأن قوله خالدين فيها نصب على الحال من قوله لهم ذو الحال الضمير المجرور باللام فعلى هذا لا يجوز الوقف على الدرجات العلى والدرجات مرتفع بالظرف بلا خلاف بينهم لأن الظرف جرى خبراً على المبتدأ وهو أولئك واعتمد عليه فيرتفع ما بعده .

[المعنى] ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ معناه فأحسّ موسى ووجد في نفسه ما يجده الخائف ويقال أوجس القلب فزعاً أي اضمر والسبب في ذلك أنه خاف أن يلتبس على الناس أمرهم فيتوهموا انهم فعلوا مثل فعله ويظنّوا المساواة فيشكّوا ولا يتّبعونه عن الجبائي

(١) أي صار انفهم أجدع .

وقيل انه خوف الطباع إذا رأى الانسان أمراً فظيعاً فإنه يحذره ويخافه في أول وهلة وقيل انه خاف أن يتفرق الناس قبل القائه العصا وقبل أن يعلموا ببطلان السحرة فيبقوا في شبهة وقيل انه خاف لأنه لم يدر أن العصا إذا انقلبت حية هل تظهر المزية لأنه لا يعلم انها تتلقفها فكان ذلك موضع خوف لأنها لو انقلبت حية ولم تتلقف ما يأفكون ربما ادّعوا المساواة لا سيما والاهواء معهم والدولة لهم فلما تلقفت زالت الشبهة وتحقق عند الجميع صحة أمر موسى وبطلان سحره ﴿قلنا لا تخف انك انت الأعلى﴾ عليهم بالظفر والغلبة ﴿والق ما في يمينك﴾ يعني العصاء ﴿تلقف ما صنعوا﴾ أي تبتلع ما صنعوا فيه من الحبال والعصي لأن الحبال والعصي اجسام ليست من صنعهم قالوا ولما القى عصاه صارت حية وطافت حول الصفوف حتى رآها الناس كلهم ثم قصدت الحبال والعصي فابتلعتها كلها على كثرتها ثم أخذها موسى فعادت عصا كما كانت ﴿إنما صنعوا كيد ساحر﴾ أي ان الذي صنعوه او ان صنيعهم كيد ساحر أي مكره وحيلته ﴿ولا يفلح الساحر﴾ أي لا يظفر الساحر ببغيته إذ لا حقيقة للسحر ﴿حيث أتى﴾ أي حيث كان من الأرض وقيل لا يفوز الساحر حيث أتى بسحره لأن الحق يبطله ﴿فألقي السحرة سجداً﴾ هاهنا محذوف وهو فألقي عصاه وتلقف ما صنعوا فألقي السحرة سجداً أي سجدوا ﴿وقالوا آمنا برب هارون وموسى﴾ أضافوه سبحانه إليهما لدعائهما إليه وكونهما رسولين له ﴿قال﴾ فرعون للسحرة ﴿آمنتم له﴾ أي لموسى والمعنى قد صدقتم له ﴿قبل أن آذن لكم﴾ أي من غير اذني لأنه بلغ من جهله انه لا يعتقد دين إلا بإذنه والفرق بين الاذن والامر انّ في الأمر دلالة على إرادة الأمر الفعل المأمور به وليس في الاذن ذلك وقوله ﴿فإذا حللتم فاصطادوا﴾ اذن وقوله ﴿أقيموا الصلاة﴾ أمر ﴿إنه لكبيركم الذي علّمكم السحر﴾ معناه انه لأستاذكم وأنتم تلامذته وقد يعجز التلميذ عما يفعله الاستاذ وقيل انه لرئيسكم ومتقدمكم وأنتم اشياعه وأتباعه ما عجزتم عن معارضته ولكنكم تركتم معارضته احتشاماً له واحتراماً وإنما قال ذلك ليوهم العوام ان ما أتوا به إنما هو لتواطؤ من جهتهم ليصرفوا وجوه الناس إليهم ﴿فلأقطعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ أي أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ أي على جذوع النخل ﴿ولتعلمن﴾ أيها الحسرة ﴿أينا أشد عذاباً﴾ لكم ﴿وأبقى﴾ وأدوم انا على إيمانكم أم رب موسى على تركك الإيمان به ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات﴾ أي لن نفضلك ولن نختارك على ما أتانا من الادلة الدالة على صدق موسى وصحّة نبوته والمعجزات التي تعجز عنها قوى البشر ﴿والذي فطرنا﴾ أي وعلى الذي فطرنا أي خلقنا وقيل معناه لن نؤثرك والله الذي فطرنا على ما جاءنا من البينات وما ظهر لنا من الحق ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ أي فاصنع ما أنت صانعه

على اتمام واحكام وقيل معناه فاحكم ما أنت حاكم وليس هذا بأمر منهم ولكن معناه أي شيء صنعت فإنا لا نرجع عن الإيمان ﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ أي إنما تصنع بسلطانك أو تحكم في هذه الحياة الدنيا دون الآخرة فلا سلطان لك فيها ولا حكم وقيل معناه إنما تقضي وتذهب هذه الحياة الدنيا دون الحياة الآخرة ﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾ من الشرك والمعاصي ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ إنما قالوا ذلك لأن الملوك كانوا يجبرونهم على تعليم السحر كيلا يخرج السحر من أيديهم وقيل ان السحرة قالوا لفرعون أرنا موسى إذا نام فأراهم إياه فإذا هو نائم وعصاه تحرسه فقالوا ليس هذا بسحر ان الساحر إذا نام بطل سحره فأبى عليهم إلا ان يعملوا فذلك اكراههم عن عبد العزيز بن أبان ﴿والله خير وأبقى﴾ أي والله خير لنا منك وثوابه أبقى لنا من ثوابك وقيل معناه والله خير ثواباً للمؤمنين وأبقى عقاباً للعاصين منك وهذا جواب لقوله ولتعلمنّ أيُنا أشدُّ عذاباً وأبقى وهاهنا انتهى الاخبار عن السحرة ثم قال الله سبحانه ﴿إنه من يأت ربه مجرماً﴾ وقيل انه من قول السحرة قال ابن عباس في رواية الضحاك المجرم الكافر وفي رواية عطاء يعني الذي أجرم وفعل مثل ما فعل فرعون ﴿فإن له نار جهنم لا يموت فيها﴾ فيستريح من العذاب ﴿ولا يحيي﴾ حياة فيها راحة بل هو معاقب بأنواع العقاب ﴿ومن يأته مؤمناً﴾ مصدقاً بالله وبأنبيائه ﴿قد عمل الصالحات﴾ أي ادّى الفرائض عن ابن عباس ﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ يعني درجات الجنة وبعضها اعلى من بعض والعلى جمع العليا وهي تأنيث الأعلى ﴿جنات عدن﴾ أي إقامة ﴿تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ معناه ان الثواب الذي تقدَّم ذكره جزاء من تطهر بالإيمان والطاعة عن دنس الكفر والمعصية وقيل تزكى طلب الزكاء بارادة الطاعة والعمل بها .

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى
فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا
تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾
وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم
مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ

وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ
عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ
لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ * وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ
أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن
يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾

[القراءة] قرأ حمزة لا تخف جزماً والباقون لا تخاف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم قد أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم وقرأ الباقون قد أنجيناكم وواعدناكم ورزقناكم بالنون وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب وسهل ووعدناكم بغير الالف والباقون بالألف وقرأ الكسائي فيحل بضم الحاء ومن يحلل بضم اللام والباقون بالكسر في الموضعين .

[الحجة] قال أبو علي من رفع قوله لا تخاف فإنه حال من الفاعل في أضرب اي غير خائف ولا خاش ويجوز أن يقطعه من الأول اي أنت لا تخاف ومن قرأ لا تخف جعله جواب الشرط أي ان تضرب لا تخف دركاً ممن خلفك ولا تخش غرقاً بين يديك فأما من قال لا تخف دركاً ثم لا تخشى فيجوز أن يعطيه من الأول اي ان تضرب لا تخف وانت لا تخشى ولا يحمله على قول الشاعر « كَأَنْ لَمْ ترى قَبْلي أسِيراً يَمانِياً »[1] ولا على نحو « إذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقْ وَلَا تَرْضَيها وَلَا تملّق »[2] لأن ذلك إنما يجيء في ضرورة الشعر كما أن قوله

(١) قائله عبد يغوث بن وقاص وقبله « وتضحك مني شيخة عبشمية » والشاهد في قوله « لم ترى » حيث اثبت الشاعر الالف مع الجازم .

(٢) قائله رؤبة بن العجاج .

أَلَمْ يَأْتِيكَ والأَنْبَاءُ تَنْمي بِمَا لاَقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ[1]

كذلك ولكنك تقدر انك حذفت الألف المنقلبة عن اللام ثم اشبعت الفتحة لأنها في فاصلة فأثبت الألف الناشئة عن اشباع الفتحة ومثل هذا مما ثبت في الفاصلة قوله فأضلونا السبيلا وقد جاء اشباع هذه الفتحة في كلامهم قال

وَأَنْتَ عَنِ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاح

أي بمنتزح وحجة من قرأ وعدناكم ان ذلك يكون من الله سبحانه قال أبو الحسن زعموا أن واعدناكم لغة في وعدناكم فإذا كان كذلك فاللفظ لا يدل على ان الفعل من اثنين فيكون القراءة بوعد أحسن لأن واعد بمعنى وعد ويعلم من وعد أنه فعل واحد لا محالة وليس واعد كذلك فالأخذ بالأبين أولى ومن قرأ أنجيناكم وواعدناكم فحجته قوله ونزلنا عليكم المن والسلوى وحجة من قرأ يحل بكسر الحاء انه روي في زمزم إنه لِشاربٍ حل اي مباح له غير محظور عليه ولا ممنوع عنه فالحل والحلال في المعنى مثل المباح فهو خلاف الحظر والحجر والحرام والحرم فهذه الالفاظ معناها المنع والمباح من قولهم باح بالسر والامر يبوح به إذا لم يجعل دونه حظراً فمعنى يحل عليكم ينزل بكم وينالكم بعدما كان ذا حظر وحجر ومنع عنكم ووجه قراءة من قرأ يحلّ عليكم غضبي ان الغضب لما كان تتبعه العقوبة والعذاب جعله بمنزلة العذاب فقال يحل اي ينزل فجعله بمنزلة قولهم حلَّ بالمكان يحلّ وعلى هذا جاء يصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريباً من دارهم فكما ان هذا عذاب قد أخبر عنه بأنه يحل كذلك اخبر عن الغضب بمثله وجعله بمنزلته لأنه يتبعه ويتّصل به .

[اللغة] اليبس اليابس وجمعه ايباس وجمع اليبس بسكون الباء يبوس قال الكميت « فَمَا زِدْتُهُ إِلاَّ يُبُوساً وَمَا أرى لَهُمْ رَحِماً والْحَمْدُ لِلّهِ تُوصَلُ » قال أبو زيد حلَّ عليه أمر الله يحلُّ حلولاً وحلَّ الدار يحلّها ولا وحلّ العقدة يحلّها حلاً وحلَّ له الصوم يحلُّ حلاً وأحله الله احلالاً وحلّ عليه حقي يحلّ محلاً وأحلَّ الرجل من إحرامه احلالاً وحلّ يحلّ حلاً والأسف أشد الغضب ويكون أيضاً بمعنى الحزن .

[الإعراب] هم أولاء مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون أولاء بدلاً من هم ويكون على أثري في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون على أثري في موضع نصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة في أولاء ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر .

---

(١) قائله قيس بن زهير وكان قد طردا إبلاً للربيع بن زياد في قصة مشهورة .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن حال بني إسرائيل فقال ﴿ولقد أوحينا إلى موسى﴾ بعدما رأى فرعون من الآيات فلم يؤمن هو ولا قومه ﴿ان أسر بعبادي﴾ أي سر بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً﴾ أي اجعل لهم طريقاً في البحر يابساً بضربك العصا لينفلق البحر فعدّى الضرب إلى الطريق لما دخله هذا المعنى فكأنه قد ضرب الطريق كما يضرب الدينار ﴿لا تخف دركاً ولا تخشى﴾ أي لا تخاف ان يدركك فرعون من خلفك ولا تخشى من البحر غرقاً ومن قرأ لا تخف بالجزم فمعناه لا تخف ان يدركك فرعون وأنت لا تخشى شيئاً من أمر البحر مثل قوله يولّوكم الادبار ثم لا ينصرون ويجوز أن يكون في موضع الجزم على نحو ما ذكرناه في الحجة ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ معناه الحق جنوده بهم وبعث بجنوده خلفهم وفي أثرهم وفي الكلام حذف الهم فعلوا ذلك فدخل موسى وقومه البحر ثم اتبعهم فرعون بجنوده ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ أي جاءهم من البحر ما جاءهم ولحقهم منه ما لحقهم وفيه تعظيم للأمر ومعناه غشيهم الذي عرفتموه وسمعتم به ومثله قول ابي النجم « انا أبو النجم وشعري شعري » أي شعري الذي سمعت به وعلمته أي هلك فرعون ونجى موسى هذا كان عاقبة أمرهم فليعتبر المعتبرون بهم ﴿وأضل فرعون قومه وما هدى﴾ أي صرفهم عن الهدى والحق وما هداهم إلى الخير والرشد وطريق النجاة وإنما قال وما هدى بعد قوله أضلّ ليتبين انه استمر على ذلك وما زال يضلهم ولا يهديهم وحسن حذف المفعول لمكان رأس الآية وإنما قال سبحانه تكذيباً لقول فرعون لقومه وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ثم خاطب سبحانه بني إسرائيل وعدّد نعمه عليهم فقال ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم﴾ فرعون بمرأى منكم ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ وهو ان الله تعالى وعد موسى بعد ان أغرق فرعون ليأتي جانب الطور الأيمن فيؤتيه التوراة فيها بيان الشرائع والأحكام وما يحتاجون اليه ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ يعني في التيه وقد مرّ بيان ذلك في سورة البقرة[1] ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ صورته صورة الأمر والمراد به الاباحة ﴿ولا تطغوا فيه﴾ أي فلا تتعدوا فيه فتأكلوه على الوجه المحرم عليكم وقيل ان المعنى لا تتجاوزوا عن الحلال إلى الحرام وقيل معناه لا تتناولوا من الحلال للاستعانة به على المعصية ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ أي فيجب عليكم عقوبتي ومن ضم الحاء فالمعنى فينزل عليكم عقوبتي ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ أي هلك لأن من هوى من علو إلى سفل فقد هلك وقيل فقد هوى إلى النار قال الزجاج فقد صار إلى الهاوية ﴿وإني لغفار﴾ وهو فعال من المغفرة ﴿لمن تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن﴾ بالله ورسوله ﴿وعمل صالحاً﴾ أي

(١) راجع ج ١

أدّى الفرائض ﴿ثم اهتدى﴾ أي ثم لزم الإيمان إلى أن يموت واستمر عليه وقيل ثم لم يشكّ في إيمانه عن ابن عباس وقيل ثم أخذ بسنة النبي ﷺ ولم يسلك سبيل البدعة عن ابن عباس أيضاً والربيع بن انس وقال أبو جعفر الباقر (ع) ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت (ع) فوالله لو أنّ رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثم مات ولم يجيء بولايتنا لا كبّه الله في النار على وجهه رواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده وأورده العياشي في تفسيره من عدة طرق ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ قال ابن اسحاق كانت المواعدة ان يوافي الميعاد هو وقومه وقيل مع جماعته من وجوه قومه وهو متصل بقوله ﴿واعدناكم﴾ جانب الطور الأيمن فتعجل موسى من بينهم شوقاً الى ربه وخلفهم ليلحقوا به فقيل له ما أعجلك عن قومك يا موسى أي بأيّ سبب خلفت قومك وسبقتهم وجئت وحدك ﴿قال﴾ موسى في الجواب ﴿هم اولاء على أثري﴾ أي هؤلاء من ورائي يدركونني عن قريب وقيل معناه هم على ديني ومنهاجي عن الحسن وروي عنه أيضاً انه قال هم ينتظرون من بعدي ما الذي آتيهم به وليس يريد أنهم يتبعونه ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ أي سبقتهم إليك حرصاً على تعجيل رضاك أي لازداد رضا إلى رضاك ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فإنا قد فتنا قومك﴾ أي امتحنّاهم وشددنا عليهم التكليف بما حدث فيهم من أمر العجل فألزمناهم عند ذلك النظر ليعلموا أنه ليس بإله كما قال سبحانه ﴿الم﴾ أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴿من بعدك﴾ أي من بعد انطلاقك ﴿وأضلّهم السامريّ﴾ أي دعاهم إلى الضلال فقبلوا منه وضلوا عند دعائه فأضاف الضلال إلى السامري والفتنة الى نفسه ليدلّ سبحانه على ان الفتنة غير الضلال وقيل ان معنى فتنّا قومك عاملناهم معاملة المختبر المبتلي ليظهر لغيرنا المخلص منهم من المنافق فيوالي المخلص ويعادي المنافق ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾ أي رجع موسى من الميقات إلى بني إسرائيل شديد الغضب حزيناً عن ابن عباس وقيل جزءاً عن مجاهد وقيل متحسراً متلهفاً على ما فاته لأنه خشي ان لا يمكنه تدارك امر قومه عن الجبائي ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ أي صدقاً لايتاء الكتاب وهو التوراة لتعلموا ما فيه وتعلموا به فتستحقوا الثواب عن الجبائي وقيل الوعد الحسن هو ما وعدهم به من النجاة من فرعون ومجيئهم إلى جانب الطور ووعده بالمغفرة لمن تاب وقيل هو ما وعدهم به في الآخرة على التمسك بدينه في الدنيا عن الحسن ﴿أفطال عليكم العهد﴾ أي مدة مفارقتي إياكم ﴿أم أردتم ان يحل عليكم﴾ أي يجب عليكم ﴿غضب من ربكم﴾ بعبادتكم العجل والمعنى أم أردتم ان تصنعوا صنعاً يكون سبباً لغضب ربكم ﴿فأخلفتم موعدي﴾ أي ما وعدتموه لي من حسن الخلافة بعدي ويبيّن ذلك قوله بئسما خلفتموني من بعدي وقيل ان اخلافهم موعده انه

أمرهم اللحاق به فتركوا المسير على أثره للميقات وقيل هو أنه أمرهم أن يتمسكوا بطريقة هارون وطاعته ويعملوا بأمره الى ان يرجع فخالفوه .

﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ
فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا
لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ
أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ
قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ
الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ
حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ
ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ
بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾
قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة والكوفة وعاصم بمَلْكنا بالفتح وقرأ حمزة والكسائي وخلف بملكنا بضم الميم والباقون بملكنا بكسر الميم وقرأ ابن عامر وحفص ورويس حُمّلنا بالضم والتشديد والباقون حَمَلنا بفتح الحاء والتخفيف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم لم تبصروا بالتاء والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وأبي والحسن وقتادة وأبي رجاء ونصر بن عاصم

فقبصت قبصة بالصاد وروي عن الحسن أيضاً قبضة بضم القاف .

[الحجة] قال ابو علي في قوله بملكنا هذه ثلاث لغات والكسر اكثر والفتح لغة فيه والمعنى ما اخلفنا موعدك بملكنا الصواب ولكن لخطئنا فأضيف المصدر إلى الفاعل وحذف المفعول فأما من ضم الميم فإنه لا يخلو من أن يريد به مصدراً لِمَلِك أو يكون لغة في مصدر المالك فإن أريد الأول فالمعنى لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك لمكان ملكنا ويكون على هذا التقدير كقوله لا يسألون الناس الحافاً أي ليس منهم مسألة فيكون منهم الحاف فيها ليس انه أثبت ملكاً ما لم يثبت في قوله لا يسئلون الناس الحافاً مسألة منهم ومثل ذلك قول ابن ابي أحمر.

لا تُفْزِعُ الإرْنَبَ أهْوالُها ... وَلا تَرَى الضَّبَ بِها يَنْجَحِرْ

أي ليس بها ارنب فيفزع لهولها ومثله قول ذي الرمة :

لا تَشْتَكي سَقْطَةً مِنْها وَقَدْ رَقَصَتْ ... بِهَا الْمَفاوِزُ حَتّى ظَهْرُها حَدِبُ

أي ليس منها سقطة فتشتكي وقوله حملنا من حمل الأنسان الشيء وحملته إياه فمن قرأ حُمِّلنا فالمعنى جعلونا نحمل أوزار القوم ومن قرأ حَمَلنا اراد انهم فعلوا ذلك ومن قرأ بما لم يبصروا به بالياء فالمعنى بما لم يبصر به بنو اسرائيل ومن قرأ بالتاء صرف الخطاب إلى الجميع والقبض بالضاد باليد كلها وبالصاد باطراف الأصابع والقبضة بالضم القدر المقبوض والقبضة فعلك انت وقد ذكرنا الاختلاف في قوله يا ابن أم والوجه في ذلك في سورة الاعراف[1].

[اللغة] الوزر أصله الثقل ومنه الوزر الذنب لأن صاحبه قد حمل به ثقلاً والوزر الحمل والأوزار الأحمال والاثقال ومنه الأوزار للسلاح لأنها تثقل على لابسها والخوار الصوت المتردد الشديد التردد كصوت البقر ونحوه والعكوف الاقامة وملازمة الشيء ومنه الاعتكاف في المسجد ورقب يرقب رقباناً ورقبة انتظر والمرقب المكان العالي الذي يقف عليه الرقيب وارقبت فلاناً داري واعمرته والاسم الرقبى والعمرى وبصر بالشيء يبصر إذا صار عليماً به وأبصر يبصر إذا رأى .

[الاعراب] فكذلك القى السامري الكاف صفة مصدر محذوف لألقى تقديره القى

(١) راجع ج ٢

السامري القاء مثل القائنا، جسداً بدل من عجلٍ. أن لا يرجع تقديره أفلا يرون ان لا يرجع ويجوز أن ينصب يرجع بأن فيكون الناصبة للفعل ولا يكون أن المخففة من ان ضلوا جملة في موضع نصب على الحال وقد مضمرة ألاّ تتبعني في موضع جرّ بمن المحذوف أو في موضع نصب على الخلاف فيه تقديره ما منعك من اتباعي ولا زائدة كما في قوله ما منعك أن لا تسجد.

[المعنى] ﴿ قالوا ﴾ أي قال الذين لم يعبدوا العجل ﴿ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ أي ونحن نملك من أمرنا شيئاً والمعنى انا لم نطق ردّ عبدة العجل عن عظيم ما ارتكبوه للرهبة لكثرتهم وقلقنا وجاء في الرواية ان الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثني عشر الفاً والذين عبدوه كانوا ستمائة الف رجل ومن قرأ بملكنا بضم الميم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا أي لم نقدر على ردهم ﴿ولكنا حملنا اوزاراً من زينة القوم﴾ معناه ولكنا حملنا اثقالاً من حلي آل فرعون وهو ما استعادوه من حليهم حين أرادوا السير وقيل هو ما القاه البحر على الساحل من ذهبهم وفضتهم وحليهم بعد اغراقهم فأخذوه وقيل هو من اثقال الذنوب والآثام أي حملنا آثاماً من حلي القوم لأنهم استعاروا حلياً من القبط ليتزينوا بها في عيد كان لهم ثم لم يردوها عليهم عند الخروج من مصر مخافة ان يعلموا بخروجهم فحملوهم وكان ذلك ذنباً منهم إذ كانوا مستأمنين فيما بينهم وقيل انهم كانوا في حكم الاسراء فيما بينهم فكان يحل لهم أخذ اموالهم فعلى هذا لا يمكن حمله على الإثم ﴿فقذفناها﴾ أي القيناها في النار لتذوب ﴿فكذلك القى السامري﴾ أيضاً ليوهم انه منهم عن الجبائي وقيل معناه فمثل ما القينا نحن من هذا الحلي في النار القى السامري أيضاً فاتبعناه وقيل ان هذا كلام مبتدأ من الله حكى عنهم انهم القوا ثم قال وكذلك القى السامري عن أبي مسلم ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً﴾ أي اخرج لهم من ذلك عجلاً جسيماً ﴿له خوار﴾ أي صوت وقد ذكرنا صفة العجل في سورة الاعراف ﴿فقالوا هذا إلهكم وإله موسى﴾ أي قال السامري ومن تبعه من السفلة والعوام هذا العجل معبودكم ومعبود موسى ﴿فنسي﴾ فيه قولان (أحدهما) انه من قول السامري ومن تبعه اي نسي موسى انه إله وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي والضحاك وقيل معناه فنسي اي ضل وأخطأ الطريق وقيل معناه انه تركه هنا وخرج يطلبه (والثاني) انه قول الله تعالى اي فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الإيمان الذي بعث الله به موسى عن ابن عباس أيضاً وقيل معناه فنسي السامري الاستدلال على حدوث العجل وأنه لا يجوز ان يكون إلهاً وقيل فنسي السامري أي نافق وترك الإسلام ثم احتجّ سبحانه عليهم فقال ﴿أفلا يرون الا يرجع اليهم قولاً﴾ أي أفلا يرى بنو إسرائيل ان العجل الذي عبدوه واتخذوه إلهاً لا يرد عليهم جواباً ﴿ولا

يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾ ومن كان بهذه الصفة فإنه لا يصلح للعبادة قال مقاتل لما مضى من موعد موسى خمسة وثلاثون يوماً أمر السامري بني إسرائيل ان يجمعوا ما استعاروه من حلي آل فرعون وصاغه عجلاً في السادس والثلاثين والسابع والثامن ودعاهم إلى عبادته في التاسع فأجابوه وجاءهم موسى بعد استكمال الاربعين قال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كرمان وكان مطاعاً في بني إسرائيل وقيل كان من قرية يعبدون البقر فكان حب ذلك في قلبه وقيل كان من بني إسرائيل فلما جاوز البحر نافق فلما قالوا اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة اغتنمها واخرج لهم العجل ودعاهم إليه عن قتادة ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي من قبل عود موسى اليهم ﴿يا قوم إنما فتنتم به﴾ يعني أن الله تعالى شدد عليكم التعبد فاعلموا إلهكم واعبدوه ولا تعبدوا العجل موعظة ونصحاً ويحتمل ان يكون أراد فتنكم السامري به وأضلكم ﴿وإن ربكم الرحمن فاتبعوني﴾ أي اتبعوني فيما ادعوكم اليه ﴿وأطيعوا أمري﴾ في عبادة الله ولا تتبعوا السامري ولا تطيعوا امره في عبادة العجل ﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين﴾ معناه لا نزال مقيمين على عبادته ﴿حتى يرجع الينا موسى﴾ فننظر ايعبده كما عبدناه أم لا فاعتزلهم هارون في اثني عشر الفاً فلما رجع موسى (ع) وهو ممتلىء غيظاً منهم ومن عبادتهم العجل وسمع الصياح والجلبة إذ كانوا يرقصون حول العجل ويضربون الدفوف والمزامير واستقبله هارون فألقى الالواح وأخذ يعاتب هارون ﴿قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني﴾ أي هلا تتبعني بمن أقام على إيمانه عن ابن عباس وقيل معناه هلا قاتلتهم إذ علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم وقيل هلا لحقت بي حين رأيتهم ضلوا بعبادة العجل قبل استحكام الأمر والاصل ان لا مزيدة وتقديره ما منعك ان تتبعني ﴿أفعصيت أمري﴾ فيما أمرتك به يريد قوله اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما أقام معهم ولم يبالغ في منعهم نسبه إلى عصيانه وقيل ان صورته صورة الاستفهام والمراد به التقرير لأن موسى (ع) كان يعلم ان هارون لا يعصيه في أمره (سؤال) متى قيل ان الظاهر يقتضي ان موسى كان امره باللحاق به فعصى هارون امره قلنا يجوز ان يكون امره بذلك بشرط المصلحة ورأى هارون الإقامة اصلح والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ويجوز ان يكون لم يامره بذلك وإنما أمره بمجاهدتهم وزجرهم عن القبيح وإنما عاتبه مع ان اللوم توجه على القوم لأن أمره بمفارقتهم لوم عليهم وقيل ان موقع الذنب ممن عظمت رتبته اعظم فلما كان هارون اجل من خلفه موسى خصّه باللائمة وهذا إنما يتّجه إذا ثبت لهارون ذنب فأما وهو نقي الجيب من جميع الذنوب بريء الساحة من العيوب فالقول الأول هو الوجه ﴿قال﴾ هارون ﴿يابن أمي لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ قد فسرناه في سورة الاعراف وقيل كانت العادة جارية في القبض عليهما

ي ذلك الزمان كما ان العادة في زماننا هذا القبض على اليد والمعانقة وذلك مما تختلف العادة فيه بالازمنة والامكنة وقيل انه اجراه مجرى نفسه إذا غضب في القبض على لحيته لأنه لم يكن يتهم عليه كما لا يتهم على نفسه ثم بيّن (ع) عذره في مقامه معهم فقال ﴿إني خشيت ان تقول فرقت بين بني إسرائيل﴾ يعني اني لو فارقتهم او قاتلتهم لصاروا احزاباً وتفرقوا فرقاً ففريق يلحقون بك معي وفريق يقيمون مع السامري على عبادة العجل وفريق يتوقفون شاكين في أمره مع اني لم آمن ان تركتهم ان يصيروا بالخلاف الى تسافك الدماء وشدة التصميم والثبات على اتباع السامري فإنهم كانوا يمتنعون بعض الامتناع بمكاني فيهم وكنت اوجه اليهم من الانكار مقدار ما يتحمله الحال وذلك قوله يا قوم إنما فتنتم به فاعتذر بما يقبل مثله لأنه وجه واضح من وجوه الرأي وقوله ﴿ولم ترقب قولي﴾ معناه ولم تحفظ وصيتي ولم تعمل به حين قلت اخلفني في قومي واصلح ولما ظهرت براءة ساحة هارون اقبل على السامري ﴿قال﴾ له ﴿فما خطبك يا سامري﴾ أي ما شأنك وما دعاك إلى ما صنعت فكأنه قال ما هذا الخطب والأمر العظيم الذي احدثت وما حملك عليه ﴿قال﴾ السامري ﴿بصرت بما لم يبصروا به﴾ أي رأيت مالم يروه وقيل معناه علمت ما لم يعلموا من البصيرة ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ اي قبضت قبضة تراب من أثر قدم جبرائيل ﴿فنبذتها﴾ في العجل ﴿وكذلك﴾ أي وكما حدثتك يا موسى ﴿سولت لي نفسي﴾ اي زينت لي نفسي من اخذ القبضة والقائها في صورة العجل وقيل معناه حدثتني نفسي فأما حديث العجل وما الذي قبضه السامري وكيفية ذلك واختلافهم فيه فقد سبق ذكره.

﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ
فِي الْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَانظُرْ
إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى
الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ
شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ
ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ

ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾
يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ
فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأهل البصرة غير سهل لن تخلفه بكسر اللام وقرأ الضرير لن نخلفه بالنون وكسر اللام وهو قراءة الحسن وقرأ الباقون لن تخلفه بفتح اللام وقرأ أبو جعفر لنحرقنه بفتح النون وسكون الحاء وتخفيف الراء وهو قراءة علي (ع) وابن عباس وقرأ أبو عمرو يوم ننفخ في الصُّورِ بالنون والباقون ينفخ بالياء وفتح الفاء وفي الشواذ قراءة أبي حيوة لامَساس وقرأ مجاهد وقتادة وسع كل شيء علماً وقرأ ابن عياض في الصور بفتح الواو.

[الحجة] قال ابو علي اخلفت يتعدى الى مفعولين لن تخلفه مثل لن تعطاه لما اسندت الفعل الى أحد المفعولين فأقمته مقام الفاعل بقي الفعل متعدياً إلى مفعول واحد وفاعله الذي يخلف هو الله تعالى أو موسى ومعناه سيأتيك به ولن يتأخر عنك ولن تخلفه اي سيأتيه ولا مذهب لك عنه وقال ابن جني معناه لن تصادفه مخلفاً كقول الاعشى .

أَثْوى وَقَصَّرَ لَيْلَهُ لِيُزَوَّدا فَمضى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِداً[1]

وهو وعيد والمعنى في قراءة الأولى ابين وأما نخلفه بالنون فالمعنى لن نخلفك إياه اي لن ننقص منه ما عقدناه لك وقوله لنحرقنه من قولهم فلان يحرق عليَّ الأَرَم اي سحكَ اسنانه بعضها ببعض غيظاً عليَّ قال زهير:

أَبَي الضَّيْمَ وَالنُّعْمانُ يَحْرِقُ نابَهُ عَلَيْهِ فَأَفْصى وَالسُّيُوفُ مَعاقِلُه[2]

---

(١) أثوى بالمكان: أقام. وقتيلة: علم امرأة واخلف موعداً اي صادق سنها خلف المواعيد. ويروى « فمضت » كان « فمضى » ومعناه فمضت الليلة .

(٢) الضيم: الظلم. وأفصى: اي تخلص من الشر .

فكان لنحرقنه على هذا لنبردنه ولنحتنه حتاً يقال حرقت الحديد اي بردته فتحات وتساقط وقوله مساس مثل نزال وحذار قال ابن جني ولا يدخل على هذا الضرب من الكلام ما النافية بالنكرة فلا إذا في قوله لا مساس نفي للفعل كقولك لا امسك ولا أقرب منك فكأنه حكاية قول القائل مساس فكأنه قال لا أقول مساس قال الكميت « لا هَمام لي لا هَمامِ »[1] أي لا أقول همام ولا بد أن تكون الحكاية مقدرة الا ترى انه لا يجوز ان تقول لا اضرب فتنفي بلا لفظ الأمر لتنافي اجتماع لفظ الأمر والنهي فالحكاية اذا معتقدة مقدرة وأما قوله وسع كل شيء علماً فمعناه على ما قاله ابن جني انه خرق كل مصمت بعلمه لأنه بطن كل مخفي فصار لعلمه فضاء متسعاً بعدما كان متلاقياً مجتمعاً ومنه قوله تعالى ﴿إن السماوات والأرض كانتا رَتْقاً ففتقناهما﴾ وهذا في العمل وذاك في العلم والوجه في قوله ننفخ في الصور فنفخنا فيه من روحنا وقوله فيما بعده ونحشر الوجه في الياء قوله يوم ينفخ في الصور ونفخ في الصور وأما قوله في الصُوَر فإنه جمع صورة وقد يقال فيها صير وأصله صور قال

أَشْبَهْنَ مِنْ بَقَرِ الْخَلْصَاءِ أَعْيُنَهَا ... فَهُنَّ أَحْسَنُ مِنْ صيرانِهَا صِيَرا[2]

وصِوَراً أيضاً قال ابو عبيدة الصور جمع صورة ويقال الصور القرن ويقال فيه ثقب بعدد نفوس البشر فإذا نفخ فيه قام الناس من الارماس

[اللغة] ظلت أصله ظللت وللعرب فيها مذهبان فتح الظاء وكسرها فمن قال ظلت ترك الظاء على حالها ومن قال ظلت بالكسر نقل حركة اللام اليها للاشعار بأصلها ومثله مَست ومِست وفي مسست وهل أحست في أحسست قال الشاعر

خَلا إنَّ العِتاقَ مِنَ المَطايا ... أَحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إلَيْهِ شُوسُ[3]

لننسفنه يقال نسف فلان الطعام بالمنسف إذا ذراه ليطير عنه قشوره والصفصف الموضع المستوي الذي لا نبات به كأنه على صف واحد في استوائه والقاع الأرض الملساء وقيل مستنقع الماء وجمعه اقواع وقيعان وقيعة والأمت الاكمة ويقال مدَّ حبله حتى ما ترك فيه امتا وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه امتا اي انثناء قال الشاعر « ما في انجذاب سيره من امت ».

---

(١) هذا جزء من بيت له في مدح أهل البيت عليهم السلام وقبل هذا البيت قوله: «إن أمت لا أمت ونفسم نفسا ن من الشك في عمى أو تعام » وتمام البيت « عادلاً غيرهم من الناس طراً * بهم لا همام لي لا همام » ومعناه لا أهم بذلك وهو مبني على الكسر كقطام يقول لا اعدل بهم أحداً .

(٢) خلصاء: اسم موضع وصيران جمع صوار: قطيع البقر .

(٣) الشعر في جامع الشواهد .

[المعنى] ثم حكى سبحانه عن موسى (ع) ﴿قال﴾ للسامري ﴿فاذهب فإن لك في الحياة ان تقول لا مساس﴾ واختلف في معناه فقيل أنه أمر الناس بأمر الله ان لا يخالطوه ولا يجالسوه ولا يؤاكلوه تضييقاً عليه والمعنى لك أن تقول لا أمس ولا أمس ما دمت حياً قال ابن عباس لك ولولدك والمساس فعال من المماسة ومعنى لا مساس لا يمس بعضنا بعضاً فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع لا يمس احداً ولا يمسه أحد عاقبه الله تعالى بذلك وكان إذا لقي احداً يقول لا مساس اي لا تقربني ولا تمسني وصار ذلك عقوبة له ولولده حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك وان مس واحد من غيرهم واحداً منهم حم كلاهما في الوقت وقيل ان السامري خاف وهرب فجعل يهيم في البرية لا يجد احداً من الناس يمسه حتى صار لبعده عن الناس كالقائل لا مساس عن الجبائي ﴿وان لك موعداً لن تخلفه﴾ أي وعداً لعذابك يعني يوم القيامة لن تخلف ذلك الوعد ولن يتأخر عنك قال الزجاج المعنى يكافيك الله على ما فعلت يوم القيامة ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً﴾ معناه وانظر إلى معبودك الذي ظلت على عبادته مقيماً يعني العجل ﴿لنحرقنه﴾ بالنار ﴿ثم لننسفنّه في اليم نسفاً﴾ أي لنذرينه في البحر قال ابن عباس فحرقه ثم ذراه في البحر وهذا يدل على انه كان حيواناً لحماً ودماً وعلى القراءة الأخرى لنحرقنه اي لنبردنه بالمبرد يدل على أنه كان ذهباً وفضة.ولم يصر حيواناً ونبّه (ع) بذلك على ان ما يمكن سحقه أو احراقه لا يصلح للعبادة وقال الصادق (ع) ان موسى (ع) همّ بقتل السامري فأوحى الله سبحانه اليه لا تقتله يا موسى فإنه سخي ثم أقبل موسى على قومه فقال ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو﴾ أي هو الذي يستحق العبادة ﴿وسع كل شيء علماً﴾ أي يعلم كل شيء علماً تاماً وهي لفظة عجيبة في الفصاحة وفي ذلك دلالة على ان المعدوم يسمى شيئاً لكونه معلوماً ثم قال الله لنبيّه ﷺ ﴿كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق﴾ أي مثل ما قصصنا عليك يا محمد من نبأ موسى وقومه ونقص عليك من اخبار ما قد مضى وتقدم من الأمم والأمور ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكراً﴾ يعني القرآن لأن فيه ذكر كل ما يحتاج اليه من أمور الدين ثم اوعد سبحانه على الاعراض عنه وترك الإيمان به فقال ﴿مَنْ أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ أي حملاً ثقيلاً من الاثم يشقُّ عليه حمله لما فيه من العقوبة كما يشق حمل الثقيل ﴿خالدين فيه﴾ أي في عذاب ذلك الوزر وجزائه وهو الخلود في النار ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ تقديره ساء الحمل حملاً والحمل بمعنى المحمول أي بئس الوزر هذا الوزر لهم يوم القيامة قال الكلبي بئس ما حملوا على أنفسهم من المأثم كفرهم بالقرآن ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ هو بدل من يوم القيامة وقد سبق معناه ﴿نحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ قال ابن عباس يريد بالمجرمين الذين

اتخذوا مع الله إلهاً يحشرون زرق العيون سود الوجوه ومعنى الزرقة الخضرة في سود العيون كعين السنور والمعنى في هذا تشويه الخلق وقيل زرقاً عمياً ترى زرقاً وهي عمي عن الفراء وقيل عطاشاً في مظهر عيونهم كالزرقة مثل قوله ﴿ونسوق المجرمين الى جهنم﴾ ورداً عن الأزهري ﴿يتخافتون بينهم﴾ أي يتسارّون بينهم فيقول المجرمون بعضهم لبعض ﴿إن لبثتم الا عشراً﴾ أي ما لبثتم الا عشر ليال عن ابن عباس وقتادة يعني من النفخة الأولى الى الثانية وذلك انه يكفُّ عنهم العذاب فيما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما لبثتم في الدنيا ينسون من شدة هول ذلك اليوم مدة لبثهم في الدنيا وقيل في القبر يذهب عنهم طول لبثهم في قبورهم كأنهم كانوا نياماً فانتبهوا وقيل انهم يقللون لبثهم في الدنيا طول ما هم لابثون فيه من النار عن الحسن ثم قال سبحانه ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أي بما يتسارون بينهم ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أي أصلحهم طريقة وأوفرهم عقلاً وأصوبهم رأياً وقيل اكثرهم سداداً عند نفسه ﴿إن لبثتم الا يوماً﴾ أي ما لبثتم إلا يوماً في الدنيا وفي القبور انما قال ذلك لأن اليوم الواحد والعشرة إذا قوبلت بيوم القيامة وما لهم من الأيام في النار كان اليوم الواحد اقرب إليه وهو كقوله لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقيل انهم قالوا ذلك بعد انقطاع عذاب القبر عنهم لأن الله يعذّبهم ثم يعيدهم عن الجبائي ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ ﴿ويسئلونك﴾ أي ويسئلك منكرو البعث عند ذكر القيامة ﴿عن الجبال﴾ ما حالها ﴿فقل﴾ يا محمد ﴿ينفسها ربي نسفاً﴾ أي يجعلها ربي بمنزلة الرمل ثم يرسل عليها الرياح فيذريها كتذرية الطعام من القشور والتراب فلا يبقى على وجه الأرض منها شيء وقيل يصيرها كالهباء وقيل ان رجلاً من ثقيف سأل النبي ﷺ كيف تكون الجبال يوم القيامة مع عظمها فقال ان الله يسوقها بأن يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها ﴿فيذرها﴾ أي فيدع اماكنها من الأرض إذا نسفها ﴿قاعاً﴾ أي أرضاً ملساء وقيل منكشفة عن الجبائي ﴿صفصفاً﴾ أي أرضاً مستوية ليس للجبل فيها أثر وقيل القاع والصفصف بمعنى واحد وهو المستوى من الأرض الذي لا نبات فيه عن ابن عباس ومجاهد ﴿لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾ أي ليس فيها منخفض ولا مرتفع عن عكرمة عن ابن عباس قال الحسن العوج ما انخفض من الأرض والامت ما ارتفع من الروابي وقيل لا ترى فيها وادياً ولا رابية عن مجاهد .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ
لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ

لَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ * وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾
فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ
عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير فلا يخف بالجزم والباقون فلا يخاف بالالف وقرأ يعقوب ان نقضي بالنون وحيه بالنصب والباقون يقضي بضم الياء وحيه بالرفع .

[الحجة] من قرأ فلا يخف فإنه على النهي ومن قرأ فلا يخاف فإنه على الخبر وتقديره فهو لا يخاف وموضع الفاء مع ما بعدها في الموضعين مجزوم ولكونه في موضع جواب الشرط والمبتدأ محذوف ومراد بعد الفاء وهو مؤمن في موضع نصب على الحال والعامل في الحال يعمل وذو الحال الذكر الذي في يعمل العائد الى من ومن قرأ من قبل ان نقضي اليك وحيه فإنه أضاف القضاء الى الله وجعل الوحي مفعوله والمعنى في القراءتين واحد .

[اللغة] الهمز اخفاء الكلام والصوت الخفي قال الراجز

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيساً إِنْ يَصْدُقِ الطَّيْرُ نَبُكْ لَمِيساً

يعني صوت اخفاف الابل في سيرها والعنوة الخضوع والذل والعاني الاسير وأخذت

الشيء عنوة اي غلبة تذل المأخوذ منه وقد يكون العنوة عن تسليم وطاعة لأنه على طاعة الذليل للعزيز قال الشاعر

هَلْ أَنْتَ مُطِيعي أَيُّها القَلْبُ عَنْوَةً وَلَمْ تُلْحَ نَفْسٌ لَمْ تُلَمْ في احْتِيالِها

وقال آخر

فَما أَخَذوها عَنْوَةً عَنْ مَوَدَّةٍ وَلٰكِنْ بِضَرْبِ الْمَشْرفيّ اسْتفالها

والهضم النقص يقال هضمني حقي ويهضمني اي ينقصني وامرأة هضيم الحشا اي ضامرة الكشحين لنقصانه عن حدّ غيره ومنه هضمت المعدة الطعام أي نقصته مع تغييرها والعزم الإرادة المتقدمة لتوطين النفس على الفعل .

[الإعراب] يومئذ ظرف يتبعون ولا عوج له جملة في موضع الحال والتقدير يتبعون الداعي غير معوجين عن إجابه لأن معناه لا عوج لهم عن دعائه أي لا يقدرون على ان لا يتبعوه قرآناً منصوب على الحال وعربياً صفته وفي الحقيقة الحال قوله عربياً وانما ذكر قرآناً للبيان وكذلك الكاف في محل النصب بأنه صفة لمصدر محذوف .

[المعنى] ثم وصف سبحانه القيامة فقال ﴿ يومئذ يتبعون الداعي ﴾ أي يوم القيامة يتبعون صوت داعي الله الذي ينفخ في الصور وهو إسرافيل (ع) ﴿ لا عوج له ﴾ أي لدعاء الداعي ولا يعدل عن أحد بل يحشرهم جميعاً عن أبي مسلم وقيل معناه لا عوج لهم عن دعائه لا يميلون عنه ولا يعدلون عن ندائه أي يتبعونه سراعاً ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً عن الجبائي ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ﴾ أي خضعت الأصوات بالسكون لعظمه الرحمن عن ابن عباس ﴿ فلا تسمع إلاّ همساً ﴾ وهو صوت الأقدام عن ابن عباس وابن زيد أي لا تسمع من صوت أقدامهم إلا صوتاً خفياً كما يسمع من وطىء الإبل وقيل الهمس إخفاء الكلام عن مجاهد وقيل معناه إن الأصوات العالية بالأمر والنهي في الدنيا ينخفض ويذل أصحابها فلا تسمع منهم إلا الهمس ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً ﴾ أي لا تنفع ذلك اليوم شفاعة أحد في غيره إلا شفاعة من إذن الله له في أن يشفع ورضي قوله فيها من الأنبياء والأولياء والصالحين والصديقين والشهداء ثم قال سبحانه ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ الضمير يرجع إلى الذين يتبعون الداعي أي يعلم سبحانه جميع أقوالهم وأفعالهم قبل أن خلقهم وبعد أن خلقهم وما كان في حياتهم وبعد مماتهم لا يخفى عليه شيء من أمورهم تقدم أو تأخر عن أبي مسلم وقيل يعلم ما بين أيديهم من أحوال الآخرة

وماخلفهم من أحوال الدنيا ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ أي ولا يحيطون هم بالله علماً اي بمقدوراته ومعلوماته وقيل بكنه عظمته في ذاته وأفعاله وقيل لا يحيطون علماً بما بين أيديهم وما خلفهم إلا من أطلعه الله على ذلك عن الجبائي وقيل معناه ولا يدركونه بشيء من الحواس حتى يحيط علمهم به ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ أي خضعت وذلت خضوع الأسير في يد من قهره والمراد خضع أرباب الوجوه واستسلموا الحكم للحي الذي لم يمت ولا يموت وإنما أسند الفعل إلى الوجوه لأن أثر الذل يظهر عليها وقيل المراد بالوجوه الرؤساء والقادة والملوك أي يذلون وينسلخون عن ملكهم وعزهم وقد سبق معنى الحي القيوم في مواضع ﴿ وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ أي وقد خاب عن ثواب الله من حمل شركاً إلى يوم القيامة عن ابن عباس وقيل قد خسر الثواب من جاء يوم القيامة كافراً ظالماً ﴿ ومن يعمل من الصالحات ﴾ أي ومن يعمل شيئاً من الطاعات ﴿ وهو مؤمن ﴾ عارف بالله تعالى مصدق بما يجب التصديق به وإنما قال ذلك لأنه لا تنفع الطاعة من غير إيمان﴿فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ أي لهو لا يخاف أن يظلم ويزاد عليه في سيئاته ولا أن يهضم أي ينقص من حسناته عن ابن عباس وقيل لا يخاف أن يؤخذ بذنب لم يعمله ولا أن تبطل حسنة عملها عن الضحاك وقيل لا يخاف ظلماً بأن لا يجزى بعمله ولا هضماً بالانتقاص من حقه عن ابن زيد ومن قرأ فلا يخف على النهي فمعناه فليأمن ولا يخف الظلم والهضم والنهي عن الخوف أمر بالأمن وفي هذه الآية دلالة على بطلان التحابط ﴿ وكذلك ﴾ أي وكما أخبرناك بأخبار القيامة ﴿ أنزلناه ﴾ أي أنزلنا هذا الكتاب ﴿ قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد ﴾ أي كرّرنا فيه من الوعيد وذكرناه على وجوه مختلفة وبيّناه بألفاظ متفرقة ﴿ لعلهم يتقون ﴾ المعاصي وقيل ليتقي العرب من قبل أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك ﴿ أو يحدث لهم ذكراً ﴾ معناه أو يجدد القرآن لهم عظة واعتباراً أي يذكروا به عقاب الله للأمم فيعتبروا وقيل يحدث لهم شرفاً بإيمانهم به وإنما أضاف إحداث الذكر إلى القرآن لأنه يقع عنده كما قال وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ أي إرتفعت صفاته عن صفات المخلوقين فلا يشبهه أحد في صفاته لأنه أقدر من كل قادر وأعلم من كل عالم وكل عالم وقادر سواه محتاج إليه وهو غني عنه وكل قادر وعالم قادر على شيء عاجز عن شيء عالم بشيء جاهل بشيء وما هو عالم به يجوز أن ينساه أو يسهو عنه فهو معرض الزوال والله سُبحانه لم يزل عالماً قادراً ولا يزال كذلك والملك الذي يملك الدنيا والآخرة والحق الذي يحق له الملك وكل ملك سواه يملك بعض الأشياء ويبيد ملكه ويفنى ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾ فيه وجوه (أحدها) أن معناه لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرائيل (ع) من إبلاغه

فإنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ معه ويعجل بتلاوته مخافة نسيانه أي تفهم ما يوحى إليك إلى أن يفرغ الملك من قراءته ولا تقرأ معه ثم أقرأ بعد فراغه منه وهذا كقوله ﴿ لا تحرّك به لسانك لتعجل به ﴾ عن ابن عباس والحسن والجبائي (وثانيها) إن معناه ولا تقرأه لأصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه عن مجاهد وقتادة وعطية وأبي مسلم (وثالثها) إن معناه ولا تسأل إنزال القرآن قبل أن يأتيك وحيه لأنه تعالى إنما ينزله بحسب المصلحة وقت الحاجة ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ أي إستزد من الله سبحانه علماً إلى علمك روت عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إذا أتى عليَّ يوم لا ازداد فيه علماً يقرّبني إلى الله فلا بارك الله لي في طلوع شمسه وقيل معناه زدني علماً بقصص أنبيائك ومنازل أوليائك وقيل زدني قرآناً لأنه كلما إزداد من نزول القرآن عليه إزداد علماً عن الكلبي ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾ معناه أمرناه وأوصينا إليه أن لا يقرب الشجرة ولا يأكل منها فترك الأمر عن ابن عباس ولم نجد له عقداً ثابتاً وقيل معناه فنسى من النسيان الذي هو السهو ولم نجد له عزماً على الذنب لأنه أخطأ ولم يتعمد عن ابن زيد وجماعة وقيل ولم نجد له حفظاً لما أمر به عن عطية وقيل صبراً عن قتادة وروي عن ابن عباس أنه قال إنّما أخذ الإنسان من أنه عهد إليه فنسي ومن حمله على النسيان فما الذي نسيه فيه أقوال (أحدها) أنه نسي الوعيد بالخروج من الجنتان أكل (والثاني) أنه نسي قول الله سبحانه ﴿ إن هذا عدوّ لك ولزوجك ﴾ (والثالث) أنه نسي الاستدلال على أن النهي عن الجنس وقد نهى عن الجنس فنسي وظن أن النهي عن العين .

[النظم] وجه إتصال قوله ﴿ وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً ﴾ بما قبله أنه يتصل بقوله ﴿ كذلك نقص عليك ﴾ وقيل أنه يتصل بما قبله من قصة موسى أي كما أنزلنا التوراة على موسى أنزلنا عليك القرآن ووجه إتصال قوله ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم ﴾ الآية بما قبله أنه لما ذكر تصريف الآيات والقرآن وإنّ بها يتذكر أمره سبحانه بالتذكر وأن لا يكون مثل آدم في نسيان العهد وقيل إنه إتصل بقوله ﴿ ولا تعجل بالقرآن ﴾ أي لا تعجل خوف النسيان للفظه ولكن توكل على الله وسله التوفيق لحفظه فإن أباك آدم نسي ما عهد إليه وقيل أنه عطف على قوله ﴿ وكذلك نقص عليك ﴾ من أنباء ما قد سبق فقصّ عليه قصة آدم (ع) عن أبي مسلم .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾
فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ

ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ
قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا
مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ
ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ
عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ
فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا
يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا
وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ
كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

[القراءة] قرأ نافع وأبو بكر وإنك لا تظمؤا بالكسر والباقون إنك بالفتح وفي الشواذ قراءة أبان بن تغلب ونحشره بالجزم .

[الحجة] من قرأ بالفتح فتقديره أن لك أن لا تجوع فيها وأن لك أنك لا تظمأ ولا يجوز أن تقول أن أنك منطلق لكراهة اجتماع حرفين متقاربي المعنى فإذا فصل بينهما جاز ومن كسر فقال فإنك لا تظمأ قطع الكلام الأول واستأنف ومن قرأ نحشره فإنه عطفه على موضع قوله ﴿ فإن له معيشة ضنكاً ﴾ وموضعه جزم لكونه جواب الشرط .

[اللغة] ضحى الرجل يضحى ضحى إذا برز للشمس قال عمرو بن أبي ربيعة :

رَأَتْ رَجُلًا أَيْما إِذَا ٱلشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَىٰ وَأَيْما بِٱلْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ[1]

(١) الخصر : ألم البرد .

يعني أمّا والضنك الضيق الصعب يقال منزل ضنك وعيش ضنك لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث لأن أصله المصدر قال « وإذا هم نزلوا بضنك فانزل ».

[المعنى] ثم بيّن سبحانه تفصيل ما أجمله من قصة آدم (ع) فقال ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا دم فسجدوا إلا إبليس ﴾ قد مرّ تفسيره ﴿ أبى ﴾ أي إمتنع من أن يسجد ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك ﴾ حواء ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة ﴾ أي لا تطيعاه والمعنى لا يكونن سبباً لخروجكما من الجنة بغروره ووساوسه ﴿ فتشقى ﴾ أي فتقع في تعب العمل وكدّ الإكتساب والنفقة على زوجتك ونفسك ولذلك قال فتشقى ولم يقل فتشقيا وقيل لأن أمرهما في السبب واحد فاستوى حكمهما لاستوائهما في السبب والعلة وقيل لتستقيم رؤوس الآي قال سعيد بن جبير أنزل على آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويرشح العرق عن جبينه وذلك هو الشقاوة ﴿ إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ﴾ أي في الجنة لسعة طعام الجنة وثيابها ﴿ وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ أي لا تعطش ولا يصيبك حرّ الشمس عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة قالوا ليس في الجنة شمس وإنما فيها ضياء ونور وظل ممدود ويسأل هاهنا فيقال كيف جمع بين الجوع والعري وبين الظمأ والضحى والجوع من جنس الظمأ والعري من جنس الضحى وأجيب عن ذلك بجوابين (أحدهما) أن الظمأ أكثر ما يكون من شدة الحر والحر إنما يكون من الضحى وهو الإنكشاف للشمس فجمع بينهما لاجتماعهما في المعنى وكذلك الجوع والعري متشابهان من حيث أن الجوع عري في الباطن من الغذاء والعري للجسم في الظاهر (والثاني) إن العرب تلفُّ الكلامين بعضهما ببعض اتكالاً على علم المخاطب وأنه يرد كل واحد منهما إلى ما يشاكله كما قال امرؤ القيس :

كَأَنِّيَ لَمْ أَرْكَبْ جَواداً لِلَذَّةٍ ... وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالِ
وَلَمْ أَسْبَإِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ ... لِخَيْلِي كُرِّ كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ[1]

وكان حقه أن يقول كما قال عبد يغوث :

كَأَنِّيَ لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً وَلَمْ أَقُلْ ... لِخَيْلِيَ كُرِّي نَفِّسِي عَنْ رِجَالِيا
وَلَمْ أَسْبَإِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ ... لِأَيْسَارِ صِدْقٍ أَظْهِرُوا ضَوْءَ نَارِيا

وقد يؤوّل قول امرء القيس على الجواب الأول ﴿ فوسوس إليه الشيطان ﴾ قد تقدّم بيانه

(١) السبا : تجارة الخمر .

﴿ قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ﴾ أي على شجرة من أكل منها لم يمت ﴿ وملك لا يبلى ﴾ جديده ولا يفنى وهذا كقوله ﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة ﴾ الآية ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ هذا مفسر في سورة الأعراف ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ معناه خالف آدم ما أمره ربه به فخاب من ثوابه والمعصية مخالفة الأمر سواء كان الأمر واجباً أو ندباً قال الشاعر « أمرتك أمراً جازماً فعصيتني » ولا يمتنع أن يسمى تارك النفل عاصياً كما يسمى بذلك تارك الواجب يقولون فلان أمرته بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفني وإن لم يكن ذلك واجباً ولا شبهة إن لفظة غوى يحتمل الخيبة قال الشاعر .

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ ٱلنَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَ لا يَعْدِمْ عَلَى إِلْمَّيِّ لاَئِماً[1]

ويجوز أن يكون معناه فخاب مما كان يطمع فيه بأكل الشجرة من الخلود ﴿ ثم إجتباه ربه ﴾ أي إصطفاه الله تعالى واختاره للرسالة ﴿ فتاب عليه وهدى ﴾ أي قبل توبته وهداه إلى ذكره وقيل هداه للكلمات التي تلقاها منه ﴿ قال اهبطا منها جميعاً ﴾ يعني آدم وحواء ﴿ بعضكم لبعض عدو فأما يأتينكم مني هدى ﴾ قد فسّرنا جميعها في سورة البقرة ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ أي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة قال ابن عباس ضمن الله سبحانه لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية ﴿ ومن أعرض عن ذكري ﴾ أي ومن أعرض عن القرآن وعن الدلائل التي أنزلها الله تعالى لعباده وصدف عنها ولم ينظر فيها ﴿ فإن له معيشة ضنكاً ﴾ أي عيشاً ضيقاً عن مجاهد وقتادة والجبائي وهو أن يقتر الله عليه الرزق عقوبة له على إعراضه فإن وسع عليه فإنه يضيق عليه المعيشة بأن يمسكه ولا ينفقه على نفسه وإن أنفقه فإن الحرص على الجمع وزيادة الطلب يضيق المعيشة عليه وقيل هو عذاب القبر عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري والسدي ورواه أبو هريرة مرفوعاً وقيل هو طعام الضريع والزقوم في جهنم لأن مآله إليها وإن كان في سعة من الدنيا عن الحسن وابن زيد وقيل معناه أن يكون عيشه منغصاً بأن ينفق أنفاق من لا يوقن بالخلف عن ابن عباس وقيل هو الحرام في الدنيا الذي يؤدّي إلى النار عن عكرمة والضحاك وقيل عيشاً ضيقاً في الدنيا لقصرها وسائر ما يشوبها ويكدرها وإنما العيش الرغد في الجنة عن أبي مسلم ﴿ ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ أي أعمى البصر عن ابن عباس وقيل

(١) قاله يعني الفرزدق ونسبه بعض إلى المرقش يريدان من ظفر بمطلوبه حمده الناس ومن لم يظفر عابوه مع أنه لم يكن مقصراً .

أعمى عن الحجة عن مجاهد يعني أنه لا حجة له يهتدي إليها والأول هو الوجه لأنه الظاهر ولا مانع منه ويدل عليه قوله ﴿ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ﴾ قال الفراء يقال أنه يخرج من قبره بصيراً فيعمى في حشره وقد روى معاوية بن عمار قال سألت أبا عبد الله (ع) عن رجل لم يحجّ وله مال قال هو ممن قال الله ونحشره يوم القيامة أعمى فقلت سبحان الله أعمى قال أعماه الله عن طريق الحق فهذا يطابق قول من قال إن المعنى في الآية أعمى عن جهات الخير لا يهتدي لشيء منها .

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ
كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ
ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

[القراءة] قرأ الكسائي وأبو بكر ترضى بضم التاء والباقون بفتحها .

[الحجة] حجة من فتح التاء قوله ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ وحجة من ضم التاء أنه جاء في صفة بعض الأنبياء وكان عند ربه مرضياً وكان معنى تَرضى تَرضى لفعلك ما أمرت به من الأفعال التي يرضاها الله أو ترضى بما تعطاه من الدرجة الرفيعة وترضى بما يعطيكه الله من الدرجة العالية والرتبة المرضية .

[اللغة] آناء الليل ساعاته واحدها إنى قال السعيدي :

حُلْوٌ وَمُـرٌّ كَعَـطْفِ القِـدْحِ مِـرَّتُـهُ بِكُـلٍّ إنى قَضَـاهُ اللَّيْـلُ يَنْتَعِـلُ[1]

[الاعراب] أفلم يهد لهم فاعل يهد مضمر يفسّره كم أهلكنا والمعنى أفلم يهد لهم إهلاكنا من قبلهم من القرون وموضع كم نصب بأهلكنا .

[المعنى]﴿قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها﴾هذا جواب من الله سبحانه لمن يقول لم حشرتني أعمى ومعناه كما حشرناك أعمى جاءك محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والدلائل فأعرضت عنها وتعرضت لنسيانها فإن النسيان ليس من فعل الإنسان فيتوعد عليه ﴿ وكذلك اليوم تنسى ﴾ أي تصير بمنزلة من ترك كالمنسي بعذاب لا يفنى وقيل معناه كما حشرتك أعمى لتكون فضيحة كنت أعمى القلب فتركت آياتي ولم تنظر فيها وكما تركت أوامرنا فجعلتها كالشيء المنسي تترك اليوم في العذاب كالشيء المنسي ﴿ وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ﴾ أي وكما ذكرنا نجزي من أشرك وجاوز الحد في العصيان ولم يؤمن بآيات ربه أي لم يصدّق بحجج ربه وكتبه ورسله ﴿ ولعذاب الآخرة أشد ﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿ وأبقى ﴾ أي أدوم لأنه لا يزول وعذاب الدنيا وعذاب القبر يزول ﴿ أفلمْ يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون ﴾يعني كفار مكة والمعنى أفلم يبيّن لهم طريق الاعتبار كثرة إهلاكنا القرون قبلهم بتكذيبهم رسلنا فيعتبروا ويؤمنوا وقوله﴿يمشون في مساكنهم﴾ يريد أهل مكة كانوا يتّجرون إلى الشام فيمرون بمساكن عاد وثمود ويرون علامات الإهلاك وفي هذا تنبيه لهم وتخويف أي أفلا يخافون أن يقع بهم مثل ما وقع بأولئك ﴿ إن في ذلك ﴾ أي في إهلاكنا إياهم ﴿ لآيات ﴾ أي لعبراً ودلالات ﴿ لأولي النهى ﴾ أي لذوي العقول الذين يتدبّرون في أحوالهم ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة وهو قوله ﴿ لكان لزاماً وأجل مسمى ﴾ أي لكان العذاب لزاماً لهم واقعاً في الحال واللزام مصدر وصف به قال قتادة الأجل المسمى قيام الساعة وقال غيره هو الأجل الذي كتبه الله للإنسان أنه يبقيه إليه وقيل إن عذاب اللزام كان يوم بدر قتل الله فيه رؤوس الكفار ولولا ما قدر الله تعالى من آجال الباقين ووعدهم من عذاب الآخرة لكان ذلك القتل الذي نالهم يوم بدر لازماً لهم أبداً في سائر الأزمان ثم أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على أذاهم بأن قال ﴿ فاصبر على ما يقولون ﴾ من تكذيبك واذاهم إياك ﴿ وسبّح بحمد ربك ﴾ أي صل لربك بالحمد له والثناء عليه وقيل معناه سبّحه واحمده في

(١) نسبه في اللسان والسيرة إلى المتنخل الهذلي . والقدح السهم والمرة : القوة والشدة . وانتعل الرجل : ركب صلاب الأرض وحرارها وهذا البيت من قصيدة قالها في رثاء ابنه أثيلة .

هذه الأوقات ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ يعني صلاة الفجر ﴿ وقبل غروبها ﴾ يعني صلاة العصر ﴿ ومن آناء الليل ﴾ أي ساعاته قال ابن عباس هي صلاة الليل كله وقيل يريد أول الليل المغرب والعشاء الآخرة ﴿ فسبّح وأطراف النهار ﴾ يعني الظهر وسمي وقت صلاة الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني وهذا قول قتادة والجبائي ومن حمل التسبيح على الظاهر قال أراد بذلك المداومة على التسبيح والتحميد في عموم الأوقات ﴿ لعلك ترضى ﴾ بالشفاعة والدرجة الرفيعة وقيل بجميع ما وعدك الله به من النصر وإعزاز الدين في الدنيا والشفاعة والجنة في الآخرة .

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ
عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾
وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ
ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا
لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ
وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ
ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

[القراءة] قرأ يعقوب وسهل زهرة بفتح الهاء والباقون بسكونها وقرأ أهل المدينة والبصرة وقتيبة وحفص أو لم تأتهم بالتاء والباقون بالياء .

[اللغة] زهرة الحياة الدنيا حسنها ويجوز فتح العين فيها والزهرة النور الذي يروق عند الرؤية ومنه يقال لكل شيء مستنير زاهر ومنه الحديث في صفة النبي صلى الله عليه وآله

وسلم كان أزهر اللون أي نيّر اللون والزهراوان : البقرة وآل عمران ويوم الجمعة يوم أزهر .

[الإعراب] قال الزجاج زهرة منصوب بمعنى متعنا لأن معناه جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة لنفتنهم فيه أي لنجعل ذلك فتنة لهم ويجوز أن يكون حالاً من الهاء في به ويجوز أن يكون حالاً من ما متعنا به . ولو أنا أهلكناهم تقديره ولو ثبت إهلاكهم لأن لو يقتضي الفعل فيكون أنا أهلكناهم في موضع رفع بأنه فاعل الفعل المقدر ومن أصحاب الصراط السوي تعلق بقوله ﴿ فستعلمون ﴾ وهو مبتدأ وخبر وكذلك من إهتدى .

[النزول]قال أبو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضيف فبعثني إلى يهوديّ فقال قل إن رسول الله يقول بعني كذا وكذا من الدقيق أو أسلفني إلى هلال رجب فأتيته فقلت له فقال والله لا أبعه ولا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فقال والله لو باعني أو أسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء وأمين في الأرض إذهب بدرعي الحديد إليه فنزلت هذه الآية تسلية له عن الدنيا .

[المعنى] ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ﴾ وقد فسّرناه في سورة الحجر وقال أبي بن كعب في هذه الآية من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا ومن يتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه ولا يشفي غيظه ومن لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعمه ومشربه نقص علمه ودنا عذابه وروى أصحابنا عن أبي عبد الله (ع) أنه قال لما نزلت هذه الآية إستوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً ثم قال هذه الكلمات التي تقدمت ﴿ زهرة الحياة الدنيا ﴾ أي بهجتها ونضارتها وما يروق الناظر عند الرؤية وقال ابن عباس وقتادة زينة الحياة الدنيا ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ أي لنعاملهم معاملة المختبر بشدة التعبد في العمل بالحق في هذه الأمور وإداء الحقوق عنه وقيل لنفتنهم أي لنشدّد عليهم التعبد بأن نكلفهم متابعتك والطاعة لك مع كثرة أموالهم وقلة مالك وقيل معناه لنعذّبهم به لأن الله قد يوسّع الرزق على بعض أهل الدنيا تعذيباً له ولذلك قال (ع) لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء ﴿ ورزق ربك خير ﴾ أي ورزق ربك الذي وعدك به في الآخرة خير مما متعنا به هؤلاء في الدنيا ﴿ وأبقى ﴾ أي أدوم ﴿ وأمر أهلك بالصلاة ﴾ معناه وأمر يا محمد أهل بيتك وأهل دينك بالصلاة روى أبو سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي باب فاطمة وعليّ تسعة أشهر عند كل صلاة فيقول الصلاة رحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ورواه ابن عقدة بإسناده من طرق كثيرة عن أهل البيت (ع) وعن غيرهم مثل أبي برزة

وأبي رافع وقال أبو جعفر (ع) أمره الله تعالى أن يخص أهله دون الناس ليعلم الناس أن لأهله عند الله منزلة ليست للناس فأمرهم مع الناس عامة ثم أمرهم خاصة ﴿ واصطبر عليها ﴾ أي واصبر على فعلها وعلى أمرهم بها ﴿ لا نسألك رزقاً ﴾ لخلقنا ولا لنفسك بل كلفناك العبادة وأداء الرسالة وضمنّا رزق الجميع ﴿ نحن نرزقك ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به جميع الخلق أي نرزق جميعهم ولا نسترزقهم وننفعهم ولا ننتفع بهم فيكون أبلغ في الإمتنان عليهم ﴿ والعاقبة للتقوى ﴾ أي العاقبة المحمودة لأهل التقوى قال ابن عباس يريد الذين صدقوك واتبعوك واتقوني وفي الأثر أن عروة الزبير كان إذا رأى ما عند السلطان دخل بيته وقرأ ولا تمدن عينيك الآيات ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله ﴿ وقالوا ﴾ يعني الكفار ﴿ لولا يأتينا ﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ بآية من ربه ﴾ إقترحناها عليه كما أتى به الأنبياء ، نحو الناقة ﴿ أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ﴾ أي أو لم يأتهم في القرآن بيان ما في الكتب الأولى من إنباء الأمم التي أهلكناهم لما إقترحوا الآيات ثم كفروا بها فماذا يؤمنهم أن يكون حالهم في سؤال الآية كحال أولئك ﴿ ولو أنا أهلكناهم ﴾ يعني كفار قريش ﴿ بعذاب من قبله ﴾ أي من قبل بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن ﴿ لقالوا ﴾ يوم القيامة ﴿ ربنا لولا أرسلت إلينا ﴾ أي هلا أرسلت ﴿ رسولاً ﴾ يدعونا إلى طاعتك ويرشدنا إلى دينك ﴿ فنتبع آياتك ﴾ أي نعمل بما فيها ﴿ من قبل أن نذل ﴾ بالعذاب ﴿ ونخزى ﴾ في جهنم وقيل من قبل أن نذل في الدنيا بالقتل والأسر ونخزى في الآخرة بالعذاب فقطّعنا عذرهم بإرسال الرسول فلم يبق لهم متعلق ثم قال سبحانه لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ كل متربص ﴾ أي كل واحد منا ومنكم منتظر فنحن ننتظر وعد الله لنا فيكم وأنتم تتربصون بنا الدوائر ﴿ فتربصوا ﴾ أنتم أي إنتظروا وهذا على وجه التهديد ﴿ فستعلمون ﴾ أي فسوف تعلمون فيما بعد ﴿ من أصحاب الصراط السوي ﴾ أي أهل الدين المستقيم ﴿ ومن اهتدى ﴾ إلى طريق الحق أي أنحن أم أنتم وفي قوله سبحانه ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله ﴾ الآية دلالة على وجوب اللطف لأنه سبحانه بيّن أنه إنما بعث الرسول إليهم لطفاً لهم وأنه لو لم يبعثه لكان لهم الحجة عليه فكان في البعثة قطع العذر وإزاحة العلة وبالله التوفيق .

(٢١) سورة الأنبياء مكية وآياتها اثنتا عشرة ومائة

مكية كلها وهي مائة واثنتا عشرة آية كوفي وإحدى عشرة آية في الباقين . .

[إختلافها] آية واحدة ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم كوفي .

[فضلها] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة الأنبياء حاسبه الله حساباً يسيراً وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن وقال أبو عبد الله (ع) من قرأ سورة الأنبياء حُبّاً لها كان ممن رافق النبيين أجمعين في جنات النعيم وكان مهيباً في أعين الناس حياة الدنيا .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

[تفسيرها] ختم الله سبحانه سورة طه بذكر الوعيد وافتتح هذه السورة بذكر القيامة فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم
مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢
لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ

فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي وحفص قال ربي بالألف والباقون قل ربي .

[الحجة] من قرأ قال فإنه على إضافة القول إلى الرسول والخبر عنه ومن قرأ قل فإنه على الخطاب .

[الإعراب] من ذكر في موضع رفع ومن مزيدة . من ربهم صفة لذكر فيجوز أن يكون في موضع جر على لفظه ويجوز أن يكون في موضع رفع على محل الجار والمجرور . استمعوه في محل النصب على الحال باضمار قد وتقديره ماياتيهم ذكر رباني إلا مستمعاً . وهم يلعبون حال من الواو وفي استمعوه . لاهية قلوبهم حال من الواو في يلعبون وإن شئت كان حالاً بعد حال وقوله ﴿ واسروا النجوى الذين ظلموا ﴾ موضع الذين ظلموا يجوز أن يكون رفعاً على وجوه (أحدها) أن يكون على البدل من الواو في أسروا (والثاني) أن يكون مرفوعاً على الذم فيكون خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين ظلموا (والثالث) أن يكون فاعل أسروا على لغة من يقول أكلوني البراغيث وتكون الواو في أسروا حرفاً لعلامة الجمع كالتاء في قالت ولا يكون إسماً ويجوز أن يكون في موضع نصب على الذم بإضمار أعني .

[المعنى] ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ اقترب افتعل من القرب والمعنى اقترب للناس وقت حسابهم يعني القيامة كما قال ﴿ اقتربت الساعة ﴾ أي دنا وقت محاسبة الله إياهم ومسألتهم عن نعمه هل قابلوها بالشكر وعن أوامره هل إمتثلوها وعن نواهيه هل إجتنبوها وإنما وصف ذلك بالقرب لأنه آت وكل ما هو آت قريب ولأن أحد إشراط الساعة مبعث رسول الله ﷺ فقد قال بعثت أنا والساعة كهاتين وأيضاً فإن الزمان يقرب بكثرة ما مضى وقلة ما بقي فيكون يسيراً بالإضافة إلى ما مضى ﴿ وهم في غفلة ﴾ من دنوها وكونها ﴿ معرضون ﴾ عن التفكر فيها والتأهب لها وقيل عن الإيمان بها وتضمنت الآية الحث على الاستعداد ليوم القيامة ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم ﴾ يعني القرآن ﴿ محدث ﴾ أي محدث التنزيل مبتدأ التلاوة كنزول سورة بعد سورة وآية بعد آية ﴿ إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ﴾ أي لم يستمعوه استماع نظر وتدبر وقبول وتفكر وإنما استمعوه استماع لعب

واستهزاء وقال ابن عباس معناه يستمعون القرآن مستهزئين غافلة قلوبهم عما يراد بهم ﴿ وأسرّوا النجوى ﴾ أي تناجوا فيما بينهم يعني المشركين ثم بيّن من هم فقال ﴿ الذين ظلموا ﴾ أي أشركوا بالله ثم بيّن سبحانه سرّهم الذي تناجوا به فقال ﴿ هل هذا إلا بشر مثلكم ﴾ أي أنه آدمي مثلكم ليس مثل الملائكة ﴿ أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ﴾ أي أفتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر نفروا الناس عنه بشيئين (أحدهما) أنه بشر (والآخر) أن ما أتى به سحر وقيل إن أسروا معناه أظهروا هذا القول فإن هذا اللفظ مشترك بين الإخفاء والإظهار والأول أصح ثم أمر سبحانه نبيّه فقال ﴿قل﴾ يا محمد ﴿ ربي ﴾ الذي خلقني واصطفاني ﴿ يعلم القول في السماء والأرض ﴾ أي يعلم أسرار المتناجين لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿ وهو السميع ﴾ لأقوالهم ﴿ العليم ﴾ بأفعالهم وضمائرهم ﴿ بل قالوا إضغاث أحلام ﴾ بل للإضراب عما حكى سبحانه أنهم قالوه أولاً وللإخبار عما قالوه ثانياً أي قالوا إن القرآن تخاليط أحلام رآها في المنام عن قتادة ﴿ بل افْتراه ﴾ أي ثم قالوا لا بل افْتراه أي تخرصه وافتعله ﴿ بل هو شاعر ﴾ أي ثم قالوا بل هو شاعر وهذا قول المتحير الذي بهره ما سمع فمرة يقول سحر ومرة يقول شعر ومرة يقول حلم ولا يجزم على أمر واحد وهذه مناقضة ظاهرة ﴿ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ معناه فليأتنا بآية ظاهرة يستدركها الخاص والعام كما أتى بها الأولون من الأنبياء قال ابن عباس بآية مثل الناقة والعصا وقال الزجاج إقترحوا بالآيات التي لا يكون معها إمهال وفي قوله سبحانه ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ دلالة ظاهرة على أن القرآن محدث لأنه تعالى أراد بالذكر القرآن بدلالة قوله ﴿ وهذا ذكر مبارك أنزلناه ﴾ وقوله ﴿ أنا نحن نزلنا الذكر وآنا له لحافظون ﴾ وقد وصفه بأنه محدث ويوضحه قوله ﴿ ألا استمعوه ﴾.

﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ
يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟
أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ
فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ

إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ نوحي بالنون حفص عن عاصم والباقون يوحى وقد تقدّم ذكره في سورة يوسف (ع).

[الإعراب] أهلكناها في موضع الجر لأنه صفة قرية حسداً واحداً بمعنى الجمع أي وما جعلناهم أجساداً بمعنى ذوي أجساد ولذلك قال لا يأكلون وتقديره غير آكلين الطعام ومن نشاء في موضع نصب عطفاً على هم من قوله ﴿ فأنجيناهم ﴾ .

[المعنى] لمّا تقدّمت الحكاية عن الكفار بأنهم إقترحوا الآيات قال سبحانه مجيباً لهم ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها ﴾ أي لم يؤمن قبل هؤلاء الكفار من أهل قرية جاءتهم الآيات التي طلبوها فأهلكناهم مصرين على الكفر ﴿ أفهم يؤمنون ﴾ عند مجيئها هذا إخبار عن حالهم وإن سبيلهم سبيل من تقدّم من الأمم طلبوا الآيات فلم يؤمنوا بها وأهلكوا فهؤلاء أيضاً لو أتاهم ما إقترحوه لم يؤمنوا ولاستحقوا عذاب الاستئصال وقد حكم سبحانه في هذه الآية أن لا يعذبهم عذاب الاستئصال فلذلك لم يجبهم في ذلك وقيل ما حكم الله سبحانه بهلاك قرية إلا وفي المعلوم أنهم لا يؤمنون فلذلك لم يأت هؤلاء بالآيات المقترحة ﴿ وما أرسلنا قبلك ﴾ يا محمد ﴿ إلا رجالاً ﴾ هذا جواب لقولهم وما هذا إلا بشر مثلكم والمعنى لم نرسل قبلك يا محمد إلا رجالاً من بني آدم﴿نوحي إليهم﴾ لا ملائكة لأن الشكل إلى الشكل أميل وبه آنس وعنه أفهم ومن الأنفة منه أبعد ﴿ فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ إختلف في المعنى بأهل الذكر على أقوال فروي عن علي (ع) أنه قال نحن أهل الذكر وروي ذلك عن أبي جعفر (ع) ويعضده أن الله تعالى سمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكراً رسولاً في قوله ﴿ ذكراً رسولاً ﴾ وقيل أهل الذكر أهل التوراة والإنجيل عن الحسن وقتادة وقيل هم أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم وقيل هم أهل القرآن والذكر هو القرآن وهم العلماء بالقرآن عن ابن زيد ﴿ وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ﴾ أي باقين لا يموتون هذا ردٌّ لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ومعناه وما جعلنا الأنبياء قبلك أجساداً لا يأكلون الطعام ولا يموتون حتى يكون أكلك الطعام وشربك وموتك علة في ترك الإيمان بك فإنا لم نخرجهم عن حدّ البشرية بالوحي قال الكلبي الجسد المجسد الذي فيه الروح ويأكل ويشرب فعلى هذا يكون ما يأكل ويشرب جسماً وقال مجاهد الجسد ما لا يأكل ولا يشرب فعلى هذا يكون ما يأكل ويشرب نفساً ﴿ ثم

﴿ صدقناهم الوعد ﴾ أي صدقناهم الوعد بأن العاقبة الحميدة تكون لهم ومعناه أنجزنا ما وعدناهم به من النصر والنجاة والظهور على الأعداء وما وعدناهم به من الثواب ﴿ فأنجيناهم ومن نشاء ﴾ أي فأنجيناهم من أعدائهم وأنجينا معهم من نشاء من المؤمنين بهم ﴿ وأهلكنا المسرفين ﴾ على أنفسهم بتكذيبهم الأنبياء قال قتادة المسرفين هم المشركون وهذا تخويف لكفار مكة ثم ذكر نعمته عليهم بإنزال القرآن فقال ﴿ لقد أنزلنا إليكم ﴾ يا معشر قريش ﴿ كتاباً فيه ذكركم ﴾ أي فيه شرفكم إن تمسكتم به كقوله ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ وقيل هو خطاب للعرب لأنه أنزل القرآن بلغتهم وقيل هو خطاب لجميع المؤمنين لأن فيه شرفاً للمؤمنين كلهم وقيل إن معناه فيه ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم ودنياكم عن الحسن وقيل فيه ذكر مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال لتتمسكوا بها ﴿ أفلا تعقلون ﴾ ما فضلتم به على غيركم وقيل معناه أفلا تتدبرون فتعلمون أن الأمر على ما قلناه .

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ
كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا
بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَٱرْجِعُوٓا إِلَىٰ مَآ
أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا
كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا
خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾
لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾
بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ
ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ
عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ

اَلَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

[اللغة] القصم الكسر يقال قصمه يقصمه وهو قاصم الجبابرة والإنشاء الإيجاد ونظيره الإختراع والإبداع والركض العدو بشدة الوطىء وركض دابته ضربها برجله حتى تعدو وارتكاض الصبي اضطرابه في الرحم والترفة النعمة والمترفه المتنعم والزاهق من الأضداد يقال للهالك زاهق وللسمين من الدواب.زاهق وزهقت نفسه تزهق زهوقاً أي تلفت والدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ يقال دمغه بدمغة إذا أصاب دماغه ومنه في صفة النبي ﷺ الدامغ جيشات الاباطيل والاستحسار الانقطاع من الاعياء يقال بعير حسير أي معي وأصله من قولهم حسر عن ذراعيه فالمعنى انه كشف قوته باعياء وجمال حسري قال علقمة بن عبدة :

بِهَا جِيَفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ

[الإعراب] كم في موضع نصب بأنه مفعول قصمنا ومن قرية في موضع نصب على التمييز ويجوز أن يكون صفة لكم والتقدير كثيرا من القرى قصمنا . إذا ظرف مكان العامل فيه يركضون وتلك في موضع رفع إسم زالت ودعواهم في موضع نصب خبر زالت وجائز أن يكون دعواهم إسماً وتلك خبراً . إن كنا فاعلين أي ما كنا فاعلين ويجوز أن تكون أن للشرط أي إن كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله إتخذناه من لدنا ومن عنده مبتدأ ولا يستكبرون خبره ويجوز أن يكون ومن عنده معطوفاً على من في السماوات فيكون لا يستكبرون في موضع الحال فالمعنى غير مستكبرين وكذا لا يستحسرون ويسبحون ولا يفترون كلها أحوال على هذا .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه ما فعله بالمكذبين فقال ﴿ وكم قصمنا ﴾ أي أهلكنا ﴿ من قرية ﴾ عن مجاهد والسدي وقيل عذّبنا عن الكلبي ﴿ كانت ظالمة ﴾ أي كافرة يعني أهلها ﴿وأنشأنا﴾أي أوجدنا﴿بعدها﴾ أي بعد اهلاك أهلها﴿قوماً آخرين فلما أحسّوا﴾ أي فلما أدركوا بحواسهم ﴿بأسنا﴾ أي عذابنا ﴿إذا هم منها يركضون﴾ معناه إذا هم من القرية أو من العقوبة يهربون سراعاً هرب المنهزم من عدوّه ﴿ لا تركضوا ﴾ أي يقال لهم تقريعاً وتوبيخاً لا تهربوا ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم﴾ أي وارجعوا إلى ما نعمتم فيه وإلى مساكنكم التي كفرتم وظلمتم فيها وقيل إنهم لما أخذتهم السيوف انهزموا مسرعين فقالت لهم الملائكة بحيث سمعوا النداء لا تركضوا وارجعوا إلى ما خولتم ونعمتم فيه وارجعوا إلى

مساكنكم وقال ابن قتيبة معناه إلى نعمكم التي اترفتكم ومساكنكم لعلكم تسألون شيئاً من دنياكم والمعنى أن الملائكة استهزأت بهم فقالت لهم ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم ﴿ لعلكم تسألون ﴾ شيئاً من دنياكم فإنكم أهل ثروة ونعمة يقولون ذلك استهزاء بهم هذا قول قتادة وقيل لعلكم تسألون أي يسألكم رسولكم أن تؤمنوا كما سئل قبل نزول العذاب بكم وهذا استهزاء بهم أيضاً أي لا سبيل إلى هذا فتدبروا الأمر قبل حلوله وقيل لكي تسألوا عن أعمالكم وعن تنعمكم في الدنيا بغير الحق وعما استحققتم به العذاب عن الجباني وأبي مسلم ﴿قالوا﴾ على سبيل التندم لما رأوا العذاب ﴿ يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴾ لأنفسنا حيث كذّبنا رسل ربنا والمعنى انهم إعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب والويل الوقوع في الهلكة ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أي لم يزالوا يقولون ياويلنا وتلك دعواهم ﴿حتى جعلناهم حصيدا ﴾ أي محصوداً مقطوعاً ﴿ خامدين ﴾ ساكني الحركات ميتين كما تخمد النار إذا انطفأت والمعنى استأصلناهم بالعذاب وأهلكناهم عن الحسن وقيل بالسيف وهو قتل بخت نصر لهم عن مجاهد وقيل نزلت في قرية باليمن قتلوا نبياً لهم يقال له حنظلة فسلّط الله عليهم بخت نصر حتى قتلهم وسباهم ونكأ فيهم حتى خرجوا من ديارهم منهزمين فبعث الله ملائكة حتى ردّوهم إلى مساكنهم فقتل صغارهم وكبارهم حتى لم يبق لهم إسم ولا رسم ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ بل خلقناهما لغرض صحيح وهو أن يكون دلالة ونعمة وتعريضاً للثواب ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ﴾ اللهو المرأة عن الحسن ومجاهد وقيل هو الولد عن ابن عباس وقيل معناه اللهو الذي هو داعي الهوى ونازع الشهوة والمعنى لو اتخذنا نساء أو ولداً لاتخذناه من أهل السماء ولم نتخذه من أهل الأرض يريد لو كان ذلك جائزاً عليه لم يتخذه بحيث يظهر لهم ويسر ذلك حتى لا يطلعوا عليه وقد أحسن ابن قتيبة في شرح اللهو هنا فقال التفسيران في اللهو متقاربان لأن امرأة الرجل لهوه وولده لهوه ولذلك يقال امرأة الرجل وولده ريحانتاه وأصل اللهو الجماع كنى عنه باللهو كما كنى عنه بالسر ثم قيل للمرأة لهو لأنها تجامع قال امرؤ القيس :

أَلَا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ الْيَوْمَ أَنَّنِي كَبُرْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنُ اللَّهْوَ أَمْثَالِي

وتأويل الآية أن النصارى لما قالت في المسيح وأمه ما قالت قال الله عز وجل ﴿ لو أردنا أن نتخذ ﴾ صاحبة وولداً كما تقولون لاتخذنا ذلك من عندنا ولم نتخذ من عندكم لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره ﴿ إن كنا فاعلين ﴾ أي ما كنا فاعلين عن قتادة ومجاهد وابن جريج وقيل معناه إن كنا فاعلين ذلك لاتخذناه من عندنا

بحيث لا يصل عمله إليكم عن الجبائي ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل ﴾ معناه بل نورد الأدلة القاهرة على الباطل وقيل نرمي بالحجة على الشبهة وقيل بالإيمان على الكفر ﴿ فيدمغه ﴾ أي يعلوه ويبطله وقيل يهلكه ﴿ فإذا هو زاهق ﴾ أي هالك مضمحل عن قتادة وتأويله أن الله سبحانه يظهر الحق بأدلته ويبطل الباطل فكيف يفعل الباطل واللعب ﴿ ولكم الويل مما تصفون ﴾ أي الهلاك لكم يا معشر الكفار مما تصفون الله تعالى به من إتخاذ الصاحبة والولد ﴿ وله من في السماوات والأرض ﴾ ملكاً وملكاً وخلقاً وهذا ردٌّ أيضاً على من أثبت له الولد والشريك أي وكيف يجوز عليه إتخاذ الشريك والولد ﴿ ومن عنده ﴾ يعني الملائكة الذين لهم عند الله تعالى المنزلة كما يقال عند الأمير كذا وكذا من الجند وإن كانوا متفرقين في الأماكن ولا يراد بذلك قرب المسافة ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ﴾ أي لا يأنفون ولا يترفعون عن عبادته وأراد بذلك نفس النبوءة عنهم لأن أحداً لا يستعبد ابنه ﴿ ولا يستحسرون ﴾ أي لا يعيبون عن قتادة والسدي وقيل لا يملون عن ابن زيد وقيل لا ينقطعون مأخوذ من البعير الحسير المنقطع بالأعياء ﴿ يسبحون ﴾ أي ينزهون الله تعالى عن جميع ما لا يليق بصفاته على الدوام ﴿ الليل والنهار ﴾ أي في الليل والنهار ﴿ لا يفترون ﴾ أي لا يضعفون عنه قال كعب جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس في السهولة .

[النظم] إتصل قوله ﴿ وله من في السماوات والأرض ﴾ بما تقدَّم من ذكر هلاك الكفار فبيَّن سبحانه أنه لم يهلكهم إلا بالإستحقاق لأنه سبحانه تعالى خلقهم للعبادة فلما كفروا جازاهم بكفرهم ولولا ذلك لكان خلق السماوات والأرض وما بينهما لعباً لأن خلقهما إنما هو لأجل المكلفين وخلق المكلف إنما هو لتعريض الثواب ووجه اتصال قوله ﴿ من عنده لا يستكبرون عن عبادته ﴾ بما قبله أن هؤلاء الذين وصفتموهم بأنهم بنات الله هم عبيد الله على أتمّ وجوه العبودية وذلك يبطل معنى الولادة لأن الولادة لا تكون إلا مع المجانسة .

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ
يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ
رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ
يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ

هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
الْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ
إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ
الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ
وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ
إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ
إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾
أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا
فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر الا نوحي بالنون والباقون يوحي وقرأ ابن كثير ألم ير بغير واو وكذلك هو في مصاحف مكة والباقون أولم يروا بالواو وفي الشواذ قراءة الحسن وابن محيصن الحق بالرفع فهم معرضون وقراءة الحسن أيضاً وعيسى الثقفي رتقاً بفتح التاء .

[الحجة] وجه النون انه أشبه بما تقدّم من قوله وما أرسلنا والياء في المعنى كالنون والوجه في قراءة الحسن الحق بالرفع الاستئناف فإن الوقف في هذه القراءة على قوله لا يعلمون والتقدير هذا الحق أو هو الحق فيحذف المبتدأ ويوقف على الحق ثم يستأنف فيقال فهم معرضون لأن أكثرهم لا يعلمون والوجه في قوله رتقاً بفتح التاء أنه قد كثر مجيء المصدر على فعل واسم المفعول منه على فعل مفتوح العين وذلك كالنفض والنفض والطرد والطرد فالرتق على هذا يكون للشيء المرتوق كما أن النفض المنفوض والهدم المهدوم فقراءة الجماعة رتقاً بسكون التاء كأنه مما وضع من المصادر موضع اسم المفعول كالصيد بمعنى المصيد والخلق بمعنى المخلوق .

[الإعراب] ام اتخذوا ام هذه هي المنقطعة وليست المعادلة لهمزة الاستفهام في مثل قولك ازيد عندك أم عمرو وقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلا هذه صفة لآلهة وتقديره غير الله عما يفعل ما هذه الأجود أن تكون مصدرية ويحتمل أن تكون اسماً .

[المعنى] ثم عاد سبحانه إلى توبيخ المشركين فقال ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض﴾ هذا استفهام معناه الجحد أي لم يتخذوا آلهة من الأرض ﴿هم ينشِرون﴾ أي يحيون الأموات عن مجاهد يقال أنشر الله الموتى فنشروا أي أحياهم فحيوا وهو من النشر بعد الطي لأن المحيا كأنه كان مطوياً بالقبض عن الإدراك فانشر بالحياة والمعنى في ذلك أن هؤلاء إذا كانوا لا يقدرون على الاحياء الذي من قدر عليه قدر على أن ينعم بالنعم التي يستحق بها العبادة فكيف يستحقون العبادة قال الزجاج ومن قرأ يَنشرون بفتح الياء فمعناه لا يموتون أبداً ويبقون احياء أي لا يكون ذلك وأقول قد يجوز أن يكون يَنشرون ويُنشرون بمعنى يقال نشر الله الميت بمعنى أنشر ثم ذكر سبحانه الدلالة على توحيده وأنه لا يجوز أن يكون معه إلٰه سواه فقال ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ ومعناه لو كان في السماء والأرض آلهة سوى الله لفسدتا وما استقامتا وفسد من فيهما ولم ينتظم أمرهم وهذا هو دليل التمانع الذي بنى عليه المتكلمون مسألة التوحيد وتقرير ذلك أنه لو كان مع الله سبحانه إلٰه آخر لكانا قديمين والقدم من اخص الصفات فالاشتراك فيه يوجب التماثل فيجب أن يكونا قادرين عالمين حيين ومن حق كل قادرين أن يصح كون احدهما مريداً لضد ما يريده الآخر من اماتة واحياء او تحريك وتسكين او افقار وإغناء ونحو ذلك فإذا فرضنا ذلك فلا يخلو إما أن يحصل مرادهما وذلك محال واما أن لا يحصل مرادهما فينتقض كونهما قادرين واما ان يقع مراد أحدهما ولا يقع مراد الآخر فينتقض كون من لم يقع مراده من غير وجه منع معقول قادراً فإذا لا يجوز أن يكون الإلٰه إلا واحداً ولو قيل إنهما لا يتمانعان لأن ما يريده أحدهما يكون حكمة فيريده الآخر بعينه والجواب ان كلامنا في صحة التمانع لا في وقوع التمانع وصحة التمانع يكفي في الدلالة لأنه يدل على انه لا بدّ من أن يكون احدهما متناهي المقدور فلا يجوز أن يكون إلٰهاً ثم نزّه سبحانه نفسه عن أن يكون معه إلٰه فقال ﴿سبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ وإنما خصّ العرش لأنه اعظم المخلوقات ومن قدر على اعظم المخلوقات كان قادراً على ما دونه ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ معناه ان جميع افعاله حكمة وصواب ولا يقال للحكيم لم فعلت الصواب وهم يسألون لأنهم يفعلون الحق والباطل وقيل معناه أنه لا يسأل عن ادعاء الربوبية وهم مسؤولون إذا ادّعوها ويدل على هذا التأويل النظم والسياق وقيل معناه لا يحاسب على أفعاله وهم يحاسبون على أفعالهم وقيل معناه أنه لا يسأله الملائكة والمسيح

عن فعله وهو يسألهم ويجازيهم فلو كانوا آلهة لم يسألوا عن أفعالهم ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ وهذا استفهام انكار وتوبيخ أيضاً ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ أي قل لهم يا محمد هاتوا حجتكم على صحة ما فعلتموه لأنهم لا يقدرون على ذلك أبداً وفي هذا دلالة على فساد التقليد لأنه طالبهم بالحجة على صحة قولهم والبرهان هو الدليل المؤدّي الى العلم ﴿هذا ذكر من معي وذكر من قبلي﴾ أي وقل لهم يا محمد هذا القرآن ذكر من معي بما يلزمهم من الأحكام وذكر من قبلي من الأمم ممن نجا بالإيمان أو هلك بالكفر عن قتادة وقيل هذا ذكر من معي بالحق في اخلاص الألهية والتوحيد في القرآن وعلى هذا ذكر من قبلي في التوراة والانجيل عن الجبائي. قال لأن القرآن ذكر أتاه الله ومن معه والتوراة والانجيل ذكر تلك الأمم وقال أبو عبد الله (ع) يعني بذكر من معي من معه وما هو كائن ويذكر من قبلي ما قد كان وقيل ان معناه في القرآن خبر من معي على ديني ممن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر ما أنزل الله من الكتب قبلي فانظروا هل في واحد من الكتب ان الله أمر باتخاذ إله سواه فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود سواه من حيث الأمر به وقال الزجاج قل لهم هاتوا برهانكم بأن رسولاً من الرسل أتى أمته بأن لهم إلهاً غير الله فهل في ذكر من معي وذكر من قبلي إلا توحيد الله ويدل على صحة هذا قوله فيما بعد ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ فلمّا توجّهت الحجة عليهم ذمّهم سبحانه على جهلهم بمواضع الحق فقال ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ عن التأمل والتفكر واختصّ الاكثر منهم لأن فيهم من آمن ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ يا محمد ﴿من رسول﴾ أي رسولاً ومن مزيدة ﴿إلا نوحي اليه﴾ نحن أو يوحى اليه أي يوحي الله اليه ﴿بأنه لا إله﴾ أي لا معبود على الحقيقة ﴿إلا أنا فاعبدون﴾ أي فوجهوا العبادة إليّ دون غيري ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ يعني من الملائكة ﴿سبحانه﴾ نزّه نفسه عن ذلك لأن اتخاذ الولد لا يخلو أما أن يكون على سبيل التوالد وعلى سبيل التبني وكلاهما لا يجوز عليه لأن الأول يقتضي ان يكون من قبيل الاجسام والثاني وهو التبني يكون بأن يقيم غير ولده مقام ولده وإذا كان حقيقة الولد مستحيلاً منه فالمشبه به كذلك وليس ذلك كالخلة لأنه من الاختصاص وحقيقته جائزة عليه ﴿بل عباد مكرمون﴾ أي ليسوا اولاد الله كما يزعمون بل هم عباد مكرمون أكرمهم الله واصطفاهم ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ أي لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم فكل أقوالهم طاعة لربهم وناهيك بذلك جلالة قدرهم ﴿وهم بأمره يعملون﴾ ومن كان بهذه الصفة لا يوصف بأنه ولده ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي ما قدموا من أعمالهم وما أخّروا منها يعني ما عملوا وما هم عاملون ﴿ولا يشفعون إلا لمن

ارتضى﴾ الله دينه وقال مجاهد إلا لمن رضي الله عنه وقيل انهم أهل شهادة أن لا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل هم المؤمنون المستحقون للثواب وحقيقته انهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله ان يشفع فيه فيكون في معنى قوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴿وهم من خشيته﴾ أي من خشيتهم منه فأضيف المصدر إلى المفعول ﴿مشفقون﴾ خائفون وجلون من التقصير في عبادته ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه﴾ أي من يقل من هؤلاء الملائكة إني إله تحق لي العبادة من دون الله ﴿فذلك﴾ أي فذلك القائل ﴿نجزيه جهنم﴾ يعني إن حالهم مثل حال سائر العبيد في استحقاق الوعيد وقيل انه عنى به إبليس لأنه الذي دعا الناس إلى عبادته عن ابن جريج وقتادة وقيل إن هذا لا يصحّ لأن الله سبحانه علّق الوعيد بالشرط ولأن إبليس ليس من الملائكة عند الأكثرين ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ يعني المشركين الذين يصفون الله بما لا يليق به وفي هذه الآية دلالة على أن الملائكة ليسوا مطبوعين على الطاعات على ما قاله بعضهم وانهم مكلفون ﴿أو لم ير الذين كفروا﴾ استفهام يراد به التقريع والمعنى أولم يعلموا أنه سبحانه الذي يفعل هذه الأشياء ولا يقدر عليها غيره فهو الإله المستحق للعبادة دون غيره ﴿ان السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾ تقديره كانتا ذواتي رتق فجعلناهما ذواتي فتق والمعنى كانتا ملتزقتين منسدتين ففصلنا بينهما بالهواء عن ابن عباس والحسن والضحاك وعطاء وقتادة وقيل كانت السماوات مرتتقة مطبقة ففتقناها سبع سماوات وكانت الأرض كذلك ففتقناها سبع أرضين عن مجاهد والسدي وقيل كانت السماء رتقاً لا تمطر وكانت الأرض رتقاً لا تنبت ففتقنا السماء بالمطر والأرض بالنبات عن عكرمة وعطية وابن زيد وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ أي وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كل شيء حي وقيل وخلقنا من النطفة كل مخلوق حي عن أبي العالية والأول اصح وروى العياشي بإسناده عن الحسن بن علوان قال سئل أبو عبد الله (ع) عن طعم الماء فقال له سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً طعم الماء طعم الحياة قال الله سبحانه وجعلنا من الماء كل شيء حي وقيل معناه وجعلنا من الماء حياة كل ذي روح ونماء كل نام فيدخل فيه الحيوان والنبات والاشجار عن أبي مسلم ﴿أفلا يؤمنون﴾ أي أفلا يصدّقون بالقرآن وبما يشاهدون من الدليل والبرهان .

[النظم] وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انه سبحانه قال فاسألوا أهل الذكر هل أرسلنا قبلك إلا رجالاً وهل اتخذوا آلهة من الأرض أي من الحجر والمدر والخشب فإن كله من الأرض عن أبي مسلم وقيل إنه يتصل بقوله لو أردنا ان نتخذ لهواً والمعنى أنهم أضافوا إليه الولد وأضافوا إليه الشريك ووجه اتصال قوله لا يسأل عما يفعل بما قبله انه لما بيّن

التوحيد عطف عليه بيان العدل وقيل انه يتصل بقوله اقترب للناس حسابهم والحساب هو السؤال عما أنعم الله عليهم به وهل قابلوا نعمه بالشكر أم قابلوها بالكفر عن أبي مسلم ووجه اتصال قوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بما قبله أن ما قدّمنا ذكره من التوحيد والعدل مذكور في القرآن وفي الكتب السالفة .

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

[اللغة] الرواسي الجبال رَسَت تَرسُو رَسْواً إذا ثبتت بثقلها فهي راسية كما ترسُو السفينة إذا وقفت متمكنة في وقوفها والميد الاضطراب بالذهاب في الجهات والفج الطريق الواسع بين الجبلين والفلك اصله كل شيء دائر ومنه فلكة المغزل ويقال فلك ثدي المرأة تفليكاً إذا استدار والسباحة والعوم والسبح والجري بمعنى .

[الإعراب] أن تميد بكم في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة أن تميد بكم أو حذار ان تميد ومن قال أن لا هنا مضمرة والتقدير لأن لا تميد فلا وجه لقوله وسبلا بدل من فجاج لأن الفج هو السبيل كل في فلك يسبحون جملة اسمية في موضع الحال وفي يتعلق بيسبحون أفإن مت فهم الخالدون شرط وجزاء دخلت الفاء في الشرط وفي الجزاء وقوله فتنة مفعول له والمعنى للفتنة ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال اي نبلوكم فاتنين ويجوز ان يكون منصوباً على المصدر لأن البلاء بمعنى الفتنة .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه كمال قدرته وشمول نعمته بأن قال ﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت تمنع الأرض من الحركة والاضطراب ﴿ان تميد بهم﴾ أي تتحرك

وتميل وتضطرب بهم وقيل لتستقر عن قتادة ﴿وجعلنا فيها﴾ أي في الرواسي ﴿فجاجاً﴾ أي طرقاً واسعة بينها لولا ذلك لما امكن ان يهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار ثم بيّن الفجاج فقال ﴿سبلاً لعلهم يهتدون﴾ بها إلى طريق بلادهم ومواطنهم وقيل ليهتدوا بالاعتبار بها إلى دينهم ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ أي رفعنا السماء فوق الخلق كالسقف محفوظاً من الشياطين بالشهب التي ترمي بها كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم عن الجبائي وقيل محفوظاً من ان تسقط كما قال ان الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا الآية وقيل محفوظاً من ان يطمع احد في ان يتعرض لها بنقض أو أن يحلقها بلى أو هدم على طول الدهر عن الحسن ﴿وهم عن آياتها﴾ أي عن الاستدلال بما فيها من دلائل الحدوث والحاجة إلى المحدث ﴿معرضون﴾ أي أعرضوا عن التفكر فيها ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾ أي يجرون وقيل يدورون وأراد الشمس والقمر والنجوم لأن قوله الليل يدلّ على النجوم وقال ابن عباس يسبحون بالخير والشر بالشدة والرخاء وقيل معناه انه سبحانه جعل لكل واحد منهما فلكاً يدور فيه بسرعة كالسباحة وانما قال يسبحون لأنه أضاف اليها فعل العقلاء كما قال والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وقال النابغة الجعدي

تَمْزَجْتُها وَالدِّيكُ يَدْعُو صِبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعْشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا[1]

ثم قال سبحانه ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك﴾ يا محمد ﴿الخلد﴾ أي دوام البقاء في الدنيا ﴿أفإن مت﴾ أنت على ما يتوقعونه وينتظرونه ﴿فهم الخالدون﴾ أي أفهم يخلدون بعدك يعني مشركي مكة حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فقال لئن متّ فإنهم أيضاً يموتون فأيُّ فائدة لهم في تمني موتك ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ أي لا بدّ لكل نفس حية بحياة أن يدخل عليها الموت وتخرج عن كونها حية ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ أي نعاملكم معاملة المختبر بالفقر والغنى وبالضراء والسراء وبالشدة والرخاء عن ابن عباس وقيل بما تكرهون وما تحبّون ليظهر صبركم على ما تكرهون وشكركم فيما تحبُّون عن ابن زيد وروي عن أبي عبد الله (ع) أن أمير المؤمنين (ع) مرض فعاده أخوانه فقالوا كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال بشرّ قالوا ما هذا كلام مثلك قال إن الله تعالى يقول ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ فتنة فالخير الصحة والغنى والشر المرض والفقر وقال بعض الزهاد الشر غلبة الهوى على النفس والخير العصمة عن المعاصي ﴿فتنة﴾ أي ابتلاء واختبار أو شدة تعبد ﴿وإلينا ترجعون﴾ أي إلى حكمنا تردّون للجزاء بالأعمال حسنها وسيئها .

(١) التمزز: شرب الشراب قليلا قليلا. وتصوب ضد تصعد .

[النظم] يتصل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد بما ذكر سبحانه من خلق الأشياء فإنه بيّن انه لم يخلقها للخلود وإنما خلقها ليتوصل بها الى نعيم الآخرة فلا بدّ لكل انسان من الموت والرجوع الى الجزاء عن القاضي .

﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

[اللغة] الهزؤ اظهار خلاف الابطان لايهام النقص عن فهم القصد يقال هزأ منه يهزأ هزؤاً فهو هازىء ومثله السخرية ويقول العرب ذكرت فلاناً أي عبته قال عنترة

لَا تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ فَيَكُونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْدِ الأَجْرَبِ[1]

والعجلة تقديم الشيء قبل وقته وهو مذموم والسرعة تقديم الشيء في أقرب أوقاته وهو محمود والاستعجال طلب الشيء قبل وقته الذي حقّه ان يكون فيه دون غيره .

[الإعراب] وإذا رآك العامل في إذا اتخذوا وهو معنى قوله ﴿إن يتخذونك إلا هزواً﴾ لأن معناه اتخذوك هزواً وقوله ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ تقديره قائلين أهذا الذي يذكر آلهتكم فحذف قائلين وهو في موضع الحال كما حذف ذلك من قوله ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم﴾ أي قائلين ما نعبدهم والباء في قوله بذكر الرحمن يتعلق بقوله كافرون

(١) المهر: ولد الفرس .

له حين لا يكفُّون يجوز أن يكون مفعولاً به ليعلم ويجوز أن يكون ظرفاً له فيكون مفعول يعلم محذوفاً تقديره لو يعلمون الأمر حين لا يكفون وجواب لو محذوف وتقديره لانتهوا بغتة نصب على الحال من المفعول تقديره بل تأتيهم مبغوتين مفاجئين ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل وهو الضمير المستكن في تأتي والتقدير بل تأتيهم باغتة مفاجئة .

[المعنى] ثم خاطب نبيّه ﷺ وقال ﴿وإذا رآك﴾ أي إذا رآك يا محمد ﴿الذين كفروا﴾ وأنت تعيب آلهتهم وتدعوهم إلى التوحيد ﴿إن يتخذونك﴾ أي ما يتخذونك ﴿إلا هزواً﴾ أي سخرية يقول بعضهم لبعض ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أي يعيب آلهتكم وذلك قوله إنها جماد لا ينفع ولا يضرّ ﴿وهم بذكر الرحمن﴾ أي بتوحيده وقيل بكتابه المنزل ﴿هم كافرون﴾ أي جاحدون عجب الله سبحانه نبيّه ﷺ منهم حيث جحدوا الحي المنعم القادر العالم الخالق الرازق واتخذوا ما لا ينفع ولا يضرّ ثم ان من دعاهم الى تركها اتخذوه وهم أحق بالهزؤ عند من يدُّبر حالهم ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ قيل فيه قولان (أحدهما) ان المعني بالإنسان آدم ثم انه قيل في عجل ثلاث تأويلات منها أنه خلق بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة وهو آخر أيام السنة على سرعة معاجلاً به غروب الشمس عن مجاهد ومنها ان معناه في سرعة من خلقه لأنه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وإنما أنشأه انشاء فكأنه سبحانه نبّه بذلك على الآية العجيبة في خلقه ومنها ان آدم (ع) لما خلق وجعلت الروح في أكثر جسده وثب عجلان مبادراً إلى ثمار الجنة وقيل همَّ بالوثوب فهذا معنى قوله من عجل عن ابن عباس والسدي وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) والقول الثاني ان المعني بالإنسان الناس كلهم ثم اختلف في معناه على وجوه (أحدها) ان معناه خلق الإنسان عجولاً اي خلق على حب العجلة في أمره عن قتادة وأبي مسلم والجبائي قال يعني أنه يستعجل في كل شيء يشتهيه وللعرب عادة في استعمالهم هذا اللفظ عند المبالغة يقولون لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلق إلا من نوم وبكثرة وقوع الشر منه ما خلق إلا من شر ومنه قول الخنساء في وصف البقرة « فإنما هي إقبال وادبار » (وثانيها) انه من المقلوب والمعنى خلقت العجلة من الإنسان عن أبي عبيدة وقطرب وهذا ضعيف لأنه مع حمل كلامه تعالى على القلب يحتاج إلى تأويل فلا فائدة في القلب (وثالثها) ان العجل هو الطين عن أبي عبيدة وجماعة واستشهدوا بقول الشاعر

وَالنَّبْعُ يَنْبُتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَةً ... وَالنَّخْلُ تَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

ورواه ثعلب « والنَّبْعُ فِي الصُّخْرَةِ الصَّمَّاء مَنْبَتُهُ» فعلى هذا يكون كقوله وبدأ خلق

الإنسان من طين (ورابعها) ان معناه خلق الإنسان من تعجيل من الأمر لأنه تعالى قال إنما قولنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون عن أبي الحسن الأخفش ﴿سأريكم آياتي﴾ الدالة على وحدانيتي وعلى صدق محمد ﷺ فيما يوعدكم به من العذاب ﴿فلا تستعجلون﴾ في حلول العذاب بكم فإنه سيدرككم عن قريب قال ابن عباس في رواية عطاء يريد به النضر ابن الحرث وهو الذي قال ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر﴾ الآية ويريد بقوله ﴿سأريكم آياتي﴾ القتل يوم بدر ﴿ويقولون﴾ يعني ويقول المشركون للمسلمين ﴿متى هذا الوعد﴾ الذي تعدوننا يريدون وعد القيامة ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي ويقولون ان كنتم صادقين في هذا الوعد فمتى يكون ذلك ثم قال سبحانه ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفّون عن وجوههم النار﴾ أي لو علموا الوقت الذي لا يدفعون فيه عذاب النار عن وجوههم ﴿ولا عن ظهورهم﴾ يعني ان النار تحيط بهم من جميع جوانبهم ﴿ولا هم ينصرون﴾ وجواب لو محذوف وتقديره لعلموا صدق ما وعدوا به ولما استعجلوا ولا قالوا متى هذا الوعد ثم قال ﴿بل تأتيهم﴾ الساعة ﴿بغتة﴾ أي فجأة ﴿فتبهتهم﴾ أي فتحيّرهم ﴿فلا يستطيعون ردّها﴾ أي فلا يقدرون على دفعها ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي لا يؤخرون إلى وقت آخر ولا يمهلون لتوبة أو معذرة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾
قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم
مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ
نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم
بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر ولا تسمع بضم التاء الصم بالنصب والباقون ولا يسمع بفتح الياء الصم بالرفع .

[الحجة] الوجه في قراءة ابن عامر أنه وجّه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكأنه قال ولا تسمع أنت يا محمد الصم كما قال وما أنت بمسمع من في القبور لأن الله تعالى لما خاطبهم فلم يلتفتوا إلى ما دعاهم إليه صاروا بمنزلة الميت الذي لا يسمع ولا يعقل ووجه قراءة الباقين أنه جعل الفعل لهم ويقوّيه قوله ﴿ إذا ما ينذرون ﴾ .

[اللغة] الكلاءة الحفظ قال ابن هرمة :

إنَّ سُلَيْمىٰ وَاللهُ يَكْلَؤُهَا ضَنَّتْ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزَؤُهَا[1]

والفرق بين السخرية والهزء إن في السخرية معنى طلب الذلة لأن التسخير التذليل فأما الهزء فيقتضي طلب صغر القدر بما يظهر في القول .

[الإعراب] أم لهم آلهة أم هذه هي المنقطعة وتقديره بل لهم آلهة ولا يستطيعون جملة مستأنفة لأنها لا تستقيم أن تكون صفة لآلهة ولا حالاً عنها لأن الله وصفها بقوله ﴿ تمنعهم من دوننا ﴾ على زعمهم ولا يستطيعون ضدُّ هذه الصفة .

[المعنى] لمّا تقدَّم ذكر إستهزاء الكفار بالنبي والمؤمنين سلَّى الله سبحانه نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك بقوله ﴿ ولقد استهزىء برسل من قبلك ﴾ كما استهزأ هؤلاء ﴿ فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون ﴾ أي حلَّ بهم وبال إستهزائهم وسخريتهم وقوله ﴿ منهم ﴾ يعني من الرسل ﴿قل ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾ أي يحفظكم من بأس الرحمن وعذابه وقيل من عوارض الآفات وهو إستفهام معناه النفي تقديره لا حافظ لكم من الرحمن ﴿ بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴾ أي بل هم عن كتاب ربهم معرضون لا يؤمنون به ولا يتفكرون فيه وقيل معناه إنهم لا يلتفتون إلى شيء من المواعظ والحجج ثم قال على وجه التوبيخ لهم والتقريع ﴿ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا ﴾ تقديره أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا وعقوباتنا وتمَّ الكلام ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال ﴿ لا يستطيعون نصر أنفسهم ﴾ فكيف ينصروهم وقيل معناه إن الكفار لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا يقدرون على دفع ما ينزل بهم عن

---

(١) رزئه : نقصه .

نفوسهم ﴿ ولا هم منها يصحبون ﴾ أي ولا الكفار يجارون من عذابنا عن ابن عباس قال ابن قتيبة أي لا يجيرهم منا أحد لأن المجير صاحب الجار يقول العرب صحبك الله أي حفظك الله وأجارك وقيل يصحبون أي ينصرون ويحفظون عن مجاهد وقيل لا يصحبون من الله بخير عن قتادة ﴿ بل متعنا هؤلاء وآبائهم ﴾ في الدنيا بنعمها فلم نعاجلهم بالعقوبة ﴿ حتى طال عليهم العمر ﴾ أي طالت أعمارهم فغرّهم طول العمر وأسباب الدنيا حتى أتوا ما أتوا ﴿ أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ﴾ أي ألم يَرَ هؤلاء الكفار أن الأرض نأتيها أمرنا فننقصها بتخريبها وبموت أهلها وقيل بموت العلماء وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) قال نقصانها ذهاب عالمها وقيل معناه ننقصها من أطرافها بظهور النبي على من قاتله أرضاً فأرضاً وقوماً فقوماً فيأخذهم قراهم وأرضيهم عن الحسن وقتادة ومعناه أنا ننقصها من جانب المشركين ونزيدها في جانب المسلمين ﴿ أفهم الغالبون ﴾ أي أفهؤلاء الغالبون أم نحن ومعناه ليسوا بغالبين ولكنهم المغلوبون ورسول الله الغالب وقد تقدَّم تفسير هذه الآية في سورة الرعد ﴿ قل إنما أنذركم بالوحي ﴾ أي قل يا محمد إنما أنذركم من عذاب الله وأخوّفكم بما أوحى الله إليَّ ﴿ ولا يسمع الصم الدعاء ﴾ شبَّههم بالصم الذين لا يسمعون النداء إذا نودوا لأنهم لم ينتفعوا بالسمع والمعنى أنهم يستثقلون القرآن وسماعه وذكر الحق فهم في ذلك بمنزلة الأصم الذي لا يسمع ﴿ إذا ما ينذرون ﴾ أي يخوفون النظم إنما إتصل قوله أم لهم آلهة بقوله ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ وتقديره أفهم الخالدون أم لهم آلهة تمنع نفوسهم من الموت ومما ينزل الله بهم عن أبي مسلم وقيل إتصل بقوله ﴿ من يكلؤكم ﴾ أي أم لهم آلهة تكلؤهم وتمنعهم ووجه إتصال قوله ﴿ قل إنما أنذركم بالوحي ﴾ بما قبله إنه إتصل بقوله ﴿ قل من يكلؤكم ﴾ وتقديره لو تفكروا لعلموا أنه لا عاصم من الله وإنّ فيما أنذركم به من القرآن أعظم الآيات والحجج وقيل إنه اتصل بما تقدم من العظة بحال من مضى من الأمم والمعنى أن ذلك وجميع ما يعظمهم به من الوحي .

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ
نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ
الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ

ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر ونافع مثقال حبة بالرفع وفي لقمان مثله والباقون بالنصب وقرأ آتينا بها بالمدّ ابن عباس وجعفر بن محمد ومجاهد وسعيد بن جبير والعلاء بن سيابة والباقون أتينا بالقصر .

[الحجة] وجه النصب وإن كان الظلامة مثقال حبة وهذا أحسن لتقدّم قوله ﴿ فلا تظلم نفس شيئاً ﴾ فإذا ذكر تظلم فكأنه ذكر الظلامة كقولهم من كذب كان شراً له ووجه الرفع أنه أسند الفعل إلى مثقال كما أسند في قوله ﴿ وإن كان ذو عسرة ﴾ أي ذا عسرة وكذلك قول الشاعر « إذا كان يوم ذو كواكب أشهبا » ومن قرأ آتينا فهو فاعَلْنا فهو من آتى يوآتي موآتاة عن ابن جني وروي عن الصادق (ع) أنه قال معناه جازينا بها وعلى هذا فيجوز أن يكون من أفْعَلنا ويكون مفعول آتينا محذوفاً وتقديره آتيناها بها للجزاء .

[اللغة] النفحة الوقعة اليسيرة تقع بهم يقال نَفَح يَنْفَح نَفْحا ونفح الطيب ينفَح فله نفحة طيبة ونفحت الدابة إذا رمت بحافرها فضربت به ونفحه بالسيف إذا تناوله من بعيد وأما حديث شريح أنه أبطل النفح من نفح الدابة فالمعنى أنه كان لا يلزم صاحبها شيئاً والقسط العدل وهو مصدر يوصف به والتقدير ونضع الموازين ذوات القسط .

[الإعراب] شيئاً إنتصب على أنه مفعول ثان لتظلم ويجوز أن يكون منصوباً على المصدر أي لا تظلم نفس ظلماً ومن رفع مثقال حبة فإنْ كان تكون تامة ومن نصب فإنْ كان ناقصة واسمها الضمير المستكن فيها العائد إلى شيء وكفى بنا حاسبين قال الزجاج إنتصب قوله ﴿ حاسبين ﴾ على التمييز أو على الحال ودخلت الباء في بنا لأنه خبر في معنى الأمر والمعنى إكتفوا بالله حسيباً وقد روي عن ابن عباس أنه قرأ ضياء بغير واو ويكون على هذا منصوباً على الحال من الفرقان ويجوز أن يكون مفعولاً له وبالواو يكون عطفاً على الفرقان وتكون الواو داخلة على ضياء وإن كان صفة في المعنى دون اللفظ كما تدخل على الصفة التي هي صفة لفظاً قال سيبويه إذا قلت مررت بزيد وصاحبك وزيد هو الصاحب جاز ولو قلته بالفاء لم يجز كما جاز بالواو لأن الفاء يقتضي التعقيب وتأخير الإسم عن المعطوف عليه

بخلاف الواو والذين يخشون في محل جرّ لأنه صفة للمتقين ويجوز أن يكون في محل نصب أو رفع على المدح وبالغيب في محل النصب على الحال .

[المعنى] لمّا تقدّم الأنذار بالعذاب ذكر عقيبه ﴿ ولئن مستهم نفحة ﴾ أي أصابهم طرف عن ابن عباس وقيل قليل عن ابن كيسان وقيل نصيب عن ابن جريج وقيل بعض ما يستحقونه من العقوبة عن أبي مسلم ﴿ من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ﴾ أي يدعون بالويل والثبور عند نزوله ثم قال سبحانه ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ أي نضع الموازين ذوات القسط ليوم القيامة وقيل معناه نحضر الموازين التي لا جور فيها بل كلها عدل وقسط لأهل يوم القيامة أو في يوم القيامة وقال قتادة معناه نضع العدل في المجازاة بالحق لكل أحد على قدر إستحقاقه فلا يبخس المثاب بعض ما يستحقه ولا يفعل بالمعاقب فوق ما يستحقه وقد سبق الكلام في الميزان في سورة الأعراف ﴿ فلا تظلم نفس شيئاً ﴾ أي لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد في إساءة مسيء ﴿وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ﴾ أي جئنا بها والمراد احضرناها للمجازاة بها ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ أي عالمين حافظين وذلك إن من حسب شيئاً علمه وحفظه عن ابن عباس وقيل محصين والحسب العدّ عن السدي ﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ﴾ أي اعطيناهما التوراة يفرّق بين الحق والباطل عن مجاهد وقتادة وقيل البرهان الذي فرّق به بين حق موسى وباطل فرعون وقيل هو فلق البحر ﴿ وضياء ﴾ أي وآتيناهما ضياء وهو من صفة التوراة أيضاً مثل قوله ﴿ فيها هدى ونور ﴾ والمعنى أنهم استضاؤوا بها حتى اهتدوا في دينهم ﴿ وذكراً للمتقين ﴾ يذكرونه ويعملون بما فيه ويتعظون بمواعظه ثم وصف المتقين فقال ﴿ الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ أي في حال الخلوة والغيبة عن الناس وقيل في سرائرهم من غير رياء ﴿ وهم من الساعة ﴾ أي من القيامة وأهوالها ﴿ مشفقون ﴾أي خائفون ﴿ وهذا ذكر مبارك انزلناه ﴾أراد به القرآن انه ذكر ثابت نافع دائم نفعه إلى يوم القيامة وقيل سمّاه مباركاً لوفور فوائده من المواعظ والزواجر والامثال الداعية إلى مكارم الأخلاق والأفعال لمّا وصف التوراة اتبعه ذكر القرآن الذي آتاه نبيّنا ﷺ ﴿ أفأنتم له منكرون ﴾استفهام على معنى التوبيخ أي فلماذا تنكرونه وتجحدونه مع كونه معجزاً .

[النظم] وجه اتصال قصة موسى وهارون بما قبلها أنه لمّا تقدّم ذكر الوحي بيّن عقيبه إن إنزال القرآن على نبيّه ليس ببدع فقد أنزل على موسى وهارون التوراة وقيل إتّصل بقوله ﴿ ولقد استهزىء برسل من قبلك ﴾ والمعنى أن هؤلاء كما أنهم استهزؤوا بك مع أنا أنزلنا

إليك الكتاب فكذلك قد أنزلنا على موسى وهارون الكتاب فكذّبوهما واستهزؤوا بهما .

﴿ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ
رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ
مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾
قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟
مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾

[القراءة] قرأ الكسائي جِذاذا بكسر الجيم والباقون بضمها وفي الشواذ قراءة ابن عباس وأبي السماك بفتح الجيم .

[الحجة] قال أبو حاتم فيه لغات جُذاذا وجِذاذا وأجودها الضم كالحطام والرفات من جذذت الشيء إذا قطعته قال النابغة :

تَجِـذُّ السَّلُوقِيَّ المُضَـاعَفَ نَسْجُـهُ وَيُوْقِدْنَ بِـالصُّفاحِ نَـارِ الْحُبَاحِبِ[1]

(١) السلوقي : الدرع المنسوبة إلى سلوق : قرية باليمن . والصفاح : الحجر العريض . ونار الحباحب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة . قاله في وصف السيوف . وفي اللسان « تقد السلوقي » .

وقال جرير :

بَنُو الْمُهَلَّبِ جَدَّ اللهُ دابِرَهُمْ أمْسَوْا رِماداً فَلا أصْلٌ وَلا طَرَفُ

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدّم من قصة موسى وهارون بقصة إبراهيم (ع) فقال ﴿ ولقد آتينا ﴾ أي أعطينا ﴿ إبراهيم رشده ﴾ يعني الحجج التي توصله إلى الرشد من معرفة الله وتوحيده وقيل معناه هداه أي هديناه صغيراً عن قتادة ومجاهد وقيل هو النبوة ﴿ من قبل ﴾ أي من قبل موسى وقيل من قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن وقيل من قبل بلوغه ﴿ وكنّا به عالمين ﴾ أنه أهل لإيتاء الرشد وصالح للنبوة ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ﴾ حين رآهم يعبدون الأصنام ﴿ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾ والعامل في إذ قوله ﴿ آتينا ﴾ أي آتينا رشده في ذلك الوقت والتمثال إسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال وجمعه تماثيل وقيل إنهم جعلوها أمثلة لعلمائهم الذين انقرضوا وقيل إنهم جعلوها أمثلة للأجسام العلوية والمعنى ما هذه الصور التي أنتم مقيمون على عبادتها وروى العياشي بإسناده عن الأصبغ بن نباته أن علياً (ع) مرّ بقوم يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لقد عصيتم الله ورسوله ﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ فاقتدينا بهم إعترفوا بالتقليد إذ لم يجدوا حجة لعبادتهم إياها سوى إتباع الآباء ﴿ قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾ أي في ذهاب عن الحق ظاهر ذمّهم على تقليد الآباء ونسبهم في ذلك إلى الضلال ﴿ قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ﴾ معناه أجادٌّ أنت فيما تقول محقّ عند نفسك أم لاعب مازح وإنما قالوا ذلك لاستبعادهم إنكار عبادة الأصنام عليهم إذ ألفوا ذلك واعتادوه ﴿ قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن ﴾ أي بل إلهكم إله السماوات والأرض الذي خلقهنّ وابتدأهنّ فدلّ على الله سبحانه بصنعه ﴿ وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴾ ومعنى هذه الشهادة تحقيق الأخبار والشاهد الدال على الشيء عن مشاهدة فإبراهيم (ع) شاهد بالحق لأنه دالٌّ عليه بما يرجع إلى ثقة المشاهدة ثم أقسم إبراهيم (ع) فقال ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم ﴾ أي لأدبرن في بابهم تدبيراً خفياً يسؤكم ذلك وقيل إنما قال ذلك في سرٍّ من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل منهم فأفشاه عن قتادة ومجاهد ﴿ بعد أن تولّوا مدبرين ﴾ أي بعد أن تنطلقوا ذاهبين قالوا كان لهم في كل سنة مجمع وعيد إذا رجعوا منه دخلوا على الأصنام وسجدوا لها فقالوا لإبراهيم (ع) ألا تخرج معنا فخرج فلما كان ببعض الطريق قال اشتكي رجلي وانصرف ﴿ فجعلهم جذاذاً ﴾ أي فجعل أصنامهم قطعاً قطعاً عن

قتادة وقيل حطاماً عن ابن عباس ﴿ إلا كبيراً لهم ﴾ تركه على حاله ويجوز أن يكون كبيرهم في الخلقة ويجوز أن يكون أكبرهم عندهم في التعظيم قالوا جعل يكسرهم بفأس في يده حتى لم يبق إلا الصنم الكبير علّق الفأس في عنقه وخرج ﴿ لعلهم إليه يرجعون ﴾ أي لعلهم يرجعون إلى إبراهيم فيسألونه عن حال الأصنام لينبّههم على جهلهم وقيل لعلّهم يرجعون إلى الكبير فيسألونه وهو لا ينطق فيعلمون جهل من إتخذوه إلهاً وفي الكلام هاهنا حذف تقديره فلما رجع قومه من عيدهم فوجدوا أصنامهم مكسّرة ﴿ قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ﴾ من هذه الموصولة تقديره الذي فعل هذا بآلهتنا فإنه ظالم لنفسه لأنه يقتل إذا علم به وقيل إنهم قالوا من فعل هذا إستفهموا عمن صنع ذلك وأنكروا عليه فعله بقولهم نه لمن الظالمين إذ فعل ما لم يكن له أن يفعله ﴿ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ أي قال الرجل الذي سمع من إبراهيم قوله ﴿ لأكيدنّ أصنامكم ﴾ للقوم ما سمعه منه فقالوا سمعنا فتى يذكرهم بسوء وقيل إنهم قالوا سمعنا فتى يعيب آلهتنا ويقول إنها لا تضرُّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فهو الذي كسرها وعلى القول الأول فإنما قالوا سمعنا فتى وإن لم يسمعوه كما يقال سمعت الله يقول أو سمعت الرسول يقول إذا بلغك عنه رسالة على لسان ثقة صدوق وقوله يقال له إبراهيم إرتفع إبراهيم على وجهين (أحدهما) يقال له هو إبراهيم والمعروف به إبراهيم وعلى النداء أي يقال له يا إبراهيم عن الزجاج

﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾

قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

[اللغة] النكس هو أن يجعل أسفل الشيء أعلاه ومنه النكس في العلة وهو أن يرجع إلى أول حاله ومنه النكس وهو السهم فوقه فيجعل أعلاه أسفله ويقال للمائق أيضاً نكس تشبيهاً بذلك .

[الإعراب] على أعين الناس في موضع الحال أي مرئياً مشهوداً بل فعله كبيرهم هذا من وقف على فعله ففاعله مضمر وتقديره فعله من فعله وكبيرهم مبتدأ وهذا خبره ومن لم يقف على فعله فكبيرهم فاعله وهذا يكون صفة لكبيرهم أو بدلاً عنه وجواب الشرط الذي هو قوله إن كانوا ينطقون محذوف يدل عليه قوله بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم على الوجه الثاني ويقتضي أن يكون للشرط جزآن على هذا والجزاء الثاني معطوف على الأول التقدير إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا فسألوهم والمعنى إن لم يقدروا على النطق لم يقدروا على الفعل .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[المعنى] ثم ذكر سبحانه ما جرى بين إبراهيم ما جرى بين إبراهيم وقومه في أمر الأصنام بقوله ﴿ قالوا ﴾ يعني قوم إبراهيم ﴿ فأتوا به ﴾ أي فجيئوا به ﴿ على أعين الناس ﴾ أي بحيث يراه الناس ويكون بمشهد منهم ﴿لعلهم يشهدون ﴾ عليه بما قاله فيكون ذلك حجة عليه بما فعل عن الحسن وقتادة والسدي قالوا كرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة وقيل معناه لعلهم يشهدون عقابه وما يصنع به أي يحضرونه عن ابن إسحاق والضحاك ﴿ قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ﴾ المعنى فلما جاؤوا به قالوا له هذا القول مقررين له على ذلك فأجابهم إبراهيم (ع) بأن ﴿ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ اختلفوا في معناه وتقديره على وجوه (أحدها) أنه مقيّد بقوله ﴿ إن كانوا ينطقون ﴾ والتقدير فقد فعله كبيرهم إن نطقوا فسألوهم فقد علّق الكلام بشرط لا يوجد فلا يكون كذباً ويكون كقول القائل فلان صادق فيما يقول إن لم يكن فوقنا سماء (وثانيها) إنه خرج مخرج الخبر وليس بخبر إنما هو إلزام يدلُّ عليه الحال فكأنه قال ما ينكرون أن يكون فعله كبيرهم هذا والإلزام يأتي تارة بلفظ السؤال وتارة بلفظ الأمر وتارة بلفظ الخبر وربما يكون أحد هذه الأمور أبلغ فيه ووجه الإلزام إن هذه الأصنام إن كانت آلهة كما تزعمون فإنما فعل ذلك بهم كبيرهم لأن غير الإله لا يقدر أن يكسر الآلهة (وثالثها) إن تقديره فعله من فعله على ما تقدَّم ذكره وهو قول

الكسائي وأما ما ذكر فيه أنه أراد به الخبر عن الكبير وقال أنه غضب من أن يعبد معه الصغار فكسرهنَّ وما روي في ذلك من أن إبراهيم (ع) كذب ثلاث كذبات قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله في سارة لما أراد الجبار أخذها وكانت زوجته أنها أختي فمما لا يعوّل عليه فقد دلّت الأدلة العقلية التي لا تحتمل التأويل على أن الأنبياء لا يجوز عليهم الكذب وإن لم يقصدوا به غروراً ولا ضرراً كما لا يجوز عليهم التعمية في الأخبار ولا التقية لأن ذلك يؤدّي إلى التشكك في إخبارهم وكلام إبراهيم.(ع) يجوز أن يكون من المعاريض فقد أبيح ذلك عند الضرورة وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل وقد قيل في تفسير قوله إني سقيم إن معناه أني سأسقم لأنه لمانظر إلى بعض علم النجوم وقت نوبة حمى كانت تأتيه فقال إني سأسقم وقيل معناه إني سقيم عندكم فيما ادعوكم إليه وسنذكر الكلام فيه في موضعه وأما قوله في سارة أنها اختي فإنما أراد في الدين قال سبحانه إنما المؤمنون أخوة وقد دلَّ الدليل العقلي على أن الكذب قبيح لكونه كذباً فلا يحسن على وجه من الوجوه ﴿ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴾ معناه فرجع بعضهم إلى بعض وقال بعضهم لبعض أنتم الظالمون حيث تعبدون ما لا يقدر على الدفع عن نفسه وما نرى الأمر إلا كما قال وقيل معناه فرجعوا إلى عقولهم وتدبروا في ذلك إذ علموا صدق إبراهيم فيما قاله وحاروا عن جوابه فأنطقهم الله بالحق فقالوا إنكم أنتم الظالمون هذا الرجل في سؤاله وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها ﴿ ثم نكسوا على رؤوسهم ﴾ إذ تحيَّروا وعلموا أنها لا تنطق ثم إعترفوا بما هو حجة عليهم فقالوا ﴿ لقد علمت ﴾ يا إبراهيم ﴿ ما هؤلاء ينطقون ﴾ فكيف نسألهم فأجابهم إبراهيم بعد اعترافهم بالحجة ﴿ قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ﴾ أي أفتوجّهون عبادتكم إلى الأصنام التي لا تنفعكم شيئاً إن عبدتموها ولا تضركم إن تركتموها لأنها لو قدرت على نفعكم وضرّكم لدفعت عن أنفسها من دون الله سبحانه الذي يقدر على ضرركم ونفعكم على أنه ليس كل من قدر على الضر والنفع إستحقَّ العبادة وإنما يستحقها من قدر على أصول النعم التي هي الحياة والشهوة والقدرة وكمال العقل وقدر على الثواب والعقاب ثم قال إبراهيم (ع) مهجِناً لأفعالهم مستقذراً لها ﴿ أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله ﴾ قال الزجاج معنى أف لكم تباً لأعمالكم وأفعالكم وقد ذكرنا إختلاف القراء فيه وما قيل في تفسيره في سورة بني إسرائيل ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أي أفلا تتفكرون بعقولكم في أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ﴿ قالوا حرّقوه ﴾ والمعنى فلما سمعوا منه هذا القول قال بعضهم لبعض حرّقوه بالنار ﴿ وانصروا آلهتكم ﴾ أي وادفعوا عنها

وعظّموها ﴿ إن كنتم فاعلين ﴾ أي إن كنتم ناصريها والمعنى فلا تنصرونها إلا بتحريقه بالنار قال ابن عمر ومجاهد إن الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار رجل من أكراد فارس فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وقال وهب إنما قاله نمرود وفي الكلام حذف قال السدي فجمعوا الحطب حتى أن الرجل منهم ليمرض فيوصي بكذا وكذا من ماله فيُشترى به حطب وحتى أن المرأة لتغزل فتشتري به حطباً حتى بلغوا من ذلك ما أرادوا فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار لم يدروا كيف يلقونه فجاء إبليس فدلهم على المنجنيق وهو أول منجنيق صنعت فوضعوه فيها ثم رموه ﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ معناه فلما جمعوا الحطب وألقوه في النار قلنا للنار ذلك وهذا مثل فإن النار جماد لا يصح خطابه والمراد أنا جعلنا النار برداً عليه وسلامة لا يصيبه من أذاها شيء كما قال سبحانه وتعالى ﴿ كونوا قردة خاسئين ﴾ والمعنى أنه صيّرهم كذلك لا أنه خاطبهم وأمرهم بذلك وقيل يجوز أن يتكلم الله سبحانه بذلك ويكون ذلك صلاحاً للملائكة ولطفاً لهم وذكر في كون النار برداً على إبراهيم وجوه (أحدها) إن الله سبحانه أحدث فيها برداً بدلاً من شدة الحرارة التي فيها فلم تؤذه (وثانيها) إن الله سبحانه حال بينها وبينه فلم تصل إليه (وثالثها) إن الإحراق إنما يحصل بالاعتمادات التي في النار صعداً فيجوز أن يذهب سبحانه تلك الاعتمادات وعلى الجملة فقد علمنا إن الله سبحانه منع النار من إحراقه وهو أعلم بتفاصيله قال أبو العالية لو لم يقل سبحانه وسلاماً لكانت تؤذيه من شدة بردها ولكان بردها أشد عليه من حرها فصارت سلاماً عليه ولو لم يقل على إبراهيم لكان بردها باقياً على الأبد وقال أبو عبدالله (ع) لما أجلس إبراهيم في المنجنيق وأرادوا أن يرموا به في النار أتاه جبرائيل (ع) فقال السلام عليك يا إبراهيم ورحمة الله وبركاته ألك حاجة فقال أما إليك فلا فلما طرحوه دعا الله فقال يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فحسرت النار عنه وأنه لمحتبٍ ومعه جبرائيل (ع) وهمايتحدثان في روضة خضراء وروى الواحدي بالإسناد مرفوعاً إلى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن نمرود الجبار لما ألقى إبراهيم (ع) في النار نزل إليه جبرائيل (ع) بقميص من الجنة وطنفسة[1] من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدّثه تمام الخبر وقال كعب ما أحرقت النار من إبراهيم (ع) غير وثاقه وقيل إن إبراهيم (ع) ألقي في النار وهو ابن ست عشرة سنة ﴿ وأرادوا به كيداً ﴾ معناه إن الكفار أرادوا بإبراهيم (ع) كيداً أي شرّاً وتدبيراً في إهلاكه ﴿ فجعلناهم الأخسرين ﴾ قال ابن عباس هو أن سلّط الله على نمرود وخيله البعوض حتى

(١) الطنفسة : البساط . الحصير .

أخذت لحومهم وشربت دماءهم ووقعت واحدة في دماغه حتى أهلكته والمعنى أنهم كادوه أرادوا أن يكيدوه بسوء فانقلب عليهم ذلك .

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

[اللغة] النافلة العطية الخاصة والنفل الذي يجر الحمد فيما زاد على حد الواجب ومنها النافلة للصلاة وهي الفضل على الفرائض وقيل النافلة الغنيمة قال « لله نافلة الأعز الأفضل »[1] .

[الإعراب] نافلة نصب على الحال من يعقوب وقيل أنه نصب على المصدر من وهبنا وتقديره وهبنا له هبة ويهدون صفة لائمة ومفعولاه محذفان تقديره يهدون الناس الطريق وحذف التاء من إقامة لأن الإضافة عوض عنها ولا يجوز ذلك في غير الإضافة لا يقال أقام إقاماً كما يقال إقامة ولوطاً منصوب بفعل مضمر يفسّره هذا الظاهر تقديره وآتينا لوطاً آتيناه إلا أنه إذا ذكر المحذوف لم يذكر الموجود والنصب في لوطاً أحسن لتكون الجملة فعلية معطوفة على جملة فعلية وفاسقين يجوز أن يكون منصوباً بكونه صفة لقوم سوء ويجوز أن يكون خبر لكان ويكون خبراً بعد خبر .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه تمام نعمته على إبراهيم (ع) فقال ﴿ ونجيناه ﴾ أي من

(١) هذا عجز بيت للبيد بن ربيعة .

نمرود وكيده والمعنى ورفعناه ﴿ ولوطاً ﴾ من الهلكة وهو ابن أخي إبراهيم فآمن به ﴿ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ اختلف فيها فقيل هي أرض الشام أي نجينا من كُوثى إلى الشام عن قتادة قال وإنما قال باركنا فيها لأنها بلاد خصب وقيل إلى أرض بيت المقدس لأن بها مقام الأنبياء عن الجبائي وقيل نجاهما إلى مكة كما قال إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركاً عن ابن عباس ﴿ ووهبنا له إسحاق ﴾ أي وهبنا لإبراهيم إسحاق حين سأل الولد فقال رب هب لي من الصالحين ﴿ ويعقوب نافلة ﴾ قال ابن عباس وقتادة نافلة راجع إلى يعقوب فإنه زاده من غير دعاء فهو نافلة وقيل إنه راجع إلى إسحاق ويعقوب جميعاً لأنه أعطاهما إياه من غير جزاء ولا استحقاق عن مجاهد ﴿ وكلا جعلنا صالحين ﴾ أي وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب صالحين للنبوة والرسالة وقيل معناه حكمنا بكونهم صالحين وهو غاية ما يوصف به من الثناء الجميل ﴿ وجعلناهم أئمة ﴾ يقتدى بهم في أفعالهم وأقوالهم يهدون الخلق إلى طريق الحق وإلى الدين المستقيم ﴿ بأمرنا ﴾ فمن إهتدى بهم في أقوالهم وأفعالهم فالنعمة لنا عليه ﴿ وأوحينا إليهم فعل الخيرات ﴾ قال ابن عباس شرائع النبوة ﴿ وإقام الصلاة ﴾ أي إقامة الصلاة ﴿ وإيتاء الزكاة ﴾ أي إعطاء الزكاة ﴿ وكانوا لنا عابدين ﴾ أي مخلصين في العبادة ﴿ ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ﴾ ومعناه وأعطينا لوطاً حكمة وعلماً وقيل الحكم النبوة وقيل هو الفصل بين الخصوم بالحق أي جعلناه حاكماً وعلّمناه ما يحتاج إلى العلم به ﴿ ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث ﴾ وهي قرية سدوم على ما روي والخبائث التي كانوا يعملونها هي أنهم كانوا يأتون الذكران في إدبارهم ويتضارطون في أنديتهم وقيل هي ما حكى الله تعالى أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر وغير ذلك من القبائح وأراد بالقرية أهلها ثم ذمّهم فقال ﴿ إنهم كانوا قوم سوء فاسقين ﴾ أي خارجين عن طاعة الله تعالى ﴿ وأدخلناه في رحمتنا ﴾ أي في نعمتنا ومنتنا ﴿ إنه من الصالحين ﴾ أي بسبب أنه من الصالحين الذين أصلحوا أفعالهم فعملوا بما هو الحسن منها دون القبيح وقيل أراد بكونه من الصالحين أنه من الأنبياء .

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ

إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ
شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا
وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ
شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم وروح وزيد عن يعقوب لتحصنكم بالتاء وقرأ أبو بكر عن عاصم ورويس عن يعقوب لنحصنكم بالنون والباقون ليحصنكم بالياء .

[الحجة] من قرأ بالياء فيجوز أن يكون الفاعل إسم الله لتقدم قوله علمناه ويجوز أن يكون اللباس لأن اللبوس بمعنى اللباس ويجوز أن يكون داود ومن قرأ بالتاء حمله على المعنى لأنه الدرع مؤنث ومن قرأ بالنون فلتقدم قوله علمناه .

[اللغة] النفش بفتح الفاء وسكونها أن تنتشر الإبل والغنم بالليل فترعى بلا راع وإبل نفاش واللبوس إسم للسلاح كله عند العرب درعاً أو جوشنا أو سيفاً أو رمحاً قال الهذلي يصف رمحاً .

وَمَعِي لَبُوسٌ لِلْبَئِيسِ كَأَنَّهُ رَوْقٌ بِجَبْهَةِ ذِي نِعَاجٍ مُجْفِلِ (١)

وقيل هو كل ما يلبس من ثياب ودرع وقيل هو الدرع وأصل اللباس من الإختلاط ومنه سميت المرأة لباساً وسمي الليل لباساً لأنه يباشر الناس بظلمته والإحصان الإحراز وأصله من المنع .

[الإعراب] ونوحاً معطوف على قوله ﴿ إذ نفشت ﴾ ظرف لقوله ﴿ يحكمان ﴾ وقوله ﴿ وكنا لحكمهم شاهدين ﴾ يجوز أن يكون في موضع الجر بالعطف على يحكمان أي وقت حكمهما في الحرث وكوننا شاهدين له ويجوز أن يكون في موضع النصب على الحال وكلا

(١) الروق : القرن من كل ذي قرن . والمجفل : المسرع شبه رمحه بقرن الثور الوحشي .

منصوب لأنه مفعول أول لآتينا وحكماً مفعول ثان له يسبّحن في موضع نصب على الحال من الجبال والطير عطف على الجبال ويجوز أن يكون مفعولاً معه وتقديره يسبحن مع الطير فيكون الواو بمعنى مع .

[المعنى] ثم عطف سبحانه قصة نوح وداود على قصة إبراهيم (ع) ولوط فقال ﴿ ونوحاً إذ نادى ﴾ أي دعا ربه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا وقال إني مغلوب فانتصر وغير ذلك ﴿من قبل﴾ أي من قبل ابراهيم ولوط ﴿فاستجبنا له﴾ أي اجبناه إلى ما التمسه ﴿ فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾ أي من الغم الذي يصل حرّه إلى القلب وهو ما كان يلقاه من الأذى طول تلك المدة وتحمل الإستخفاف من السقاط من أعظم الكرب ﴿ ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أي منعناه منهم بالنصرة حتى لم يصلوا إليه بسوء وقيل معناه نصرناه على القوم ومِنْ بمعنى عَلى عن أبي عبيدة ﴿ انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ﴾ صغارهم وكبارهم وذكورهم وإناثهم ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم ﴾ أي وآتينا داود وسليمان حكماً وعلماً إذ يحكمان وقيل تقديره واذكر داود وسليمان حين يحكمان في الحرث في الوقت الذي نفشت فيه غنم القوم أي تفرّقت ليلاً ﴿ وكنا لحكمهم شاهدين ﴾ أي بحكمهم عالمين لم يغب عنا منه شيء وإنما جمع في موضع التثنية لإضافة الحكم إلى الحاكم وإلى المحكوم لهم وقيل لأن الإثنين جمع فهو مثل قوله ﴿ إن كان له إخوة ﴾ وهو يريد أخوين واختلف في الحكم الذي حكما به فقيل أنه زرع وقعت فيه الغنم ليلاً فأكلته عن قتادة وقيل كان كرماً وقد بدت عَنَاقِيدُه فحكم داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبي الله قال وما ذاك قال يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ويدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان ثم دفع كل واحد منهما إلى صاحبه ماله عن ابن مسعود وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وقال الجبائي أوحى الله تعالى إلى سليمان بما نسخ به حكم داود الذي كان يحكم به قبل ولم يكن ذلك عن اجتهاد لأنه لا يجوز للأنبياء أن يحكموا بالاجتهاد وهذا هو الصحيح المعوّل عليه عندنا وقال علي بن عيسى والبلخي يجوز أن يكون ذلك عن اجتهاد لأن رأي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من رأي غيره فإذا جاز التعبد بإلتزام حكم غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طرق الاجتهاد فكيف يمنع من حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الوجه والذي يدلُّ على صحة القول الأول أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يوحى إليه وله طريق إلى العلم بالحكم فلا يجوز أن يحكم بالظن على أن الحكم بالظن والإجتهاد والقياس قد بيّن أصحابنا في كتبهم أنه لم

يتعبد بها في الشرع إلا في مواضع مخصوصة ورد النص بجواز ذلك فيها نحو قِيَم المتلفات وأروش الجنايات وجزاء الصيد والقبلة وما جرى هذا المجرى وأيضاً فلو جاز للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يجتهد لجاز لغيره أن يخالفه كما يجوز للمجتهدين أن يختلفا ومخالفة الأنبياء تكون كفراً هذا وقد قال الله سبحانه ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ فأخبر سبحانه أنه إنما ينطق عن جهة الوحي ويقوّي ما ذكرناه قوله تعالى ﴿ **ففهمناها سليمان** ﴾ أي علّمناه الحكومة في ذلك وقيل إن سليمان قضى بذلك وهو ابن إحدى عشر سنة وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قضى بحفظ المواشي على أربابها ليلا وقضى بحفظ الحرث على أربابه نهاراً ﴿ **وكلا آتينا حكماً وعلماً** ﴾ أي وكل واحد من داود وسليمان أعطيناه حكمة وقيل معناه النبوة وعلم الدين والشرع ﴿ **وسخرنا مع داود الجبال يسبِّحن والطير** ﴾ قيل معناه سيَّرنا الجبال مع داود حيث سار فعبَّر عن ذلك بالتسبيح لما فيه من الآية العظيمة التي تدعو إلى تسبيح الله وتعظيمه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به وكذلك تسخير الطير له تسبيح يدل على إن مسخرها قادر لا يجوز عليه مما يجوز على العباد عن الجبائي وعلي بن عيسى وقيل إن الجبال كانت تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير يسبح معه بالغداة والعشي معجزة له عن وهب ﴿ **وكنا فاعلين** ﴾ أي قادرين على فعل هذه الأشياء ففعلناها دلالة على نبوته ﴿ **وعلمناه صنعة لبوس لكم** ﴾ أي علّمناه كيف يصنع الدرع قال قتادة أول من صنع الدرع داود (ع) وإنما كانت صفائح جعل الله سبحانه الحديد في يده كالعجين فهو أول من سردها وحلقها فجمعت الخفة والتحصين وهو قوله ﴿ **لتحصنكم من بأسكم** ﴾ أي ليحرزكم ويمنعكم من وقع السلاح فيكم عن السدي وقيل معناه من حربكم أي في حالة الحرب والقتال فإن البأس في اللغة هو شدة القتال ﴿ **فهل أنتم شاكرون** ﴾ لنعم الله تعالى عليكم وعلى أنبيائه قبلكم وهذا تقرير للخلق على شكره فإن إنعامه على الأنبياء إنعام على الخلق وقيل إن سبب إلانة الحديد لداود (ع) أنه كان نبيّاً ملكاً وكان يطوف في ولايته متنكراً يتعرف أحوال عماله ومتصرفيه فاستقبله جبرائيل ذات يوم على صورة آدمي فسلّم عليه فردّ عليه السلام وقال ما سيرة داود فقال نعمت السيرة لولا خصلة فيه قال وما هي قال أنه يأكل من بيت مال المسلمين فتنكره وأثنى عليه وقال لقد أقسم داود أنه لا يأكل من بيت مال المسلمين فعلم الله سبحانه صدقه فألان له الحديد كما قال وألّنا له الحديد وروي أن لقمان الحكيم حضره فرآه يفعل ذلك فصبر ولم يسأله حتى فرغ من ذلك فقام ولبس وقال نعمت الجنة للحرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله .

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى
ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ
ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا
لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ
وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ
وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ
لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[اللغة] الريح هو الجو يشتدُّ تارة ويضعف تارة وهي جسم لطيف منفش يمتنع بلطفه من القبض عليه ويظهر للحس بحركته والعصوف شدة حركة الريح عصفت تعصف عصفاً وعصوفاً إذا اشتدت والعصف التبن لأن الريح تعصفه بتطييرها له .

[الاعراب] ولسليمان اللام يتعلق بسخرنا والتقدير وسخرنا لداود الجبال وسخرنا لسليمان الريح عاصفة نصب على الحال تجري بأمره في موضع الحال أيضاً فهو حال بعد حال ويحتمل أن يكون حالاً عن الحال التي هي عاصفة ومن يغوصون له عطف على الريح ومن الشياطين في موضع نصب على الحال من سخرنا وذو الحال من يغوصون له ويجوز أن يكون حالاً من يغوصون له وذو الحال الواو ومعهم في موضع نصب على أنه صفة بعد صفة تقديره وأهلاً مثلهم كائنين معهم وانتصب رحمة بأنه مفعول له .

[المعنى] ثم عطف سبحانه بقصة سليمان على ما تقدَّم فقال ﴿ ولسليمان الريح ﴾ أي وسخَّرنا لسليمان الريح ﴿ عاصفة ﴾ أي شديدة الهبوب قال ابن عباس إذا أراد أن تعصف الريح عصفت وإذا أراد أن ترخي أرخيت وذلك قوله رخاء حيث أصاب ﴿ تجري بأمره ﴾ أي بأمر سليمان ﴿ إلى الأرض التي باركنا فيها ﴾ وهي أرض الشام لأنها كانت مأواه وقد سبق

ذكرها في هذه السورة وقيل كانت الريح تجري في الغداة مسيرة شهر وفي الرواح كذلك وكان يسكن بعلبك ويبني له بيت المقدس ويحتاج إلى الخروج إليها وإلى غيرها وقال وهب وكان سليمان يخرج إلى مجلسه فتعكف عليه الطير ويقوم له الجن والأنس حتى يجلس على سريره ويجتمع معه جنوده ثم تحمله الريح إلى حيث أراد ﴿ وكنا بكل شيء عالمين ﴾ فإنما أعطيناه ما أعطيناه لما علّمناه من المصلحة ﴿ ومن الشياطين من يغوصون له ﴾ أي وسخّرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر فيخرجون له الجواهر واللآلىء والغوص النزول إلى تحت الماء﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ أي سوى ذلك من الأبنية كالمحاريب والتماثيل وغيرهما ﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ لئلا يهربوا منه ويمتنعوا عليه وقيل يحفظهم الله من أن يفسدوا ما عملوه عن الفراء والزجاج ﴿ وأيوب إذ نادى ربه ﴾ أي واذكر يا محمد أيوب حين دعا ربه لما امتدت المحنة به ﴿ إني مسني الضر ﴾ أي نالني الضرُّ وأصابني الجهد ﴿ وأنت أرحم الراحمين ﴾ أي ولا أحد أرحم منك وهذا تعريض منه بالدعاء لإزالة ما به من البلاء وهو من لطيف الكنايات في طلب الحاجات ومثله قول موسى رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴿ فاستجبنا له ﴾ أي أجبنا دعاءه ونداءه ﴿ فكشفنا ما به من ضر ﴾ أي أزلنا ما به من الأوجاع والأمراض﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾قال ابن عباس وابن مسعود ردَّ الله سبحانه عليه أهله الذين هلكوا بأعيانهم وأعطاه مثلهم معهم وكذلك ردَّ الله عليه أمواله ومواشيه بأعيانها وأعطاه مثلها معها وبه قال الحسن وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقيل أنه خُيِّر أيوب فاختار إحياء أهله في الآخرة ومثلهم في الدنيا فأوتي على ما إختار عن عكرمة ومجاهد قال وهب وكان له سبع بنات وثلاثة بنين وقال ابن يسار سبعة بنين وسبع بنات ﴿ رحمة من عندنا ﴾ أي نعمة منّا عليه ﴿ وذكرى للعابدين ﴾ أي موعظة لهم في الصبر والإنقطاع إلى الله تعالى والتوكل عليه لأنه لم يكن في عصر أيوب أحد أكرم على الله منه فابتلاه بالمحن العظيمة فأحسن الصبر عليها فينبغي لكل عاقل إذا أصابته محنة أن يصبر عليها ولا يجزع ويعلم أن عاقبة الصبر محمودة ﴿ وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ﴾ أي واذكر هؤلاء الأنبياء وما أنعمت عليهم من فنون النعمة ثم قال ﴿ كل من الصابرين ﴾ صبروا على بلاء الله والعمل بطاعته فأما إسماعيل فإنه صبر ببلد لا زرع به ولا ضرع وقام ببناء الكعبةوأما إدريس فإنه صبر على الدعاء إلى الله وكان أول من بعث إلى قومه فدعاهم إلى الدين فأبوا فأهلكهم الله تعالى ورفعه إلى السماء السادسة وأما ذو الكفل فاختلف فيه فقيل أنه كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً ولكنه تكفل لنبي بصوم النهار وقيام الليل وأن لا يغضب ويعمل بالحق فوفى بذلك فشكر الله ذلك له عن أبي موسى الأشعري وقتادة ومجاهد وقيل هو نبي إسمه ذو

الكفل عن الحسن قال ولم يقص الله خبره مفصلاً وقيل هو الياس عن ابن عباس وقيل كان نبياً وسمي ذا الكفل بمعنى أنه ذو الضعف فله ضعف ثواب غيره ممن هو في زمانه لشرف عمله عن الجبائي وقيل هو اليسع بن خطوب الذي كان مع إلياس وليس اليسع الذي ذكره الله في القرآن تكفل لملك جبار إن هو تاب دخل الجنة ودفع إليه كتاباً بذلك فتاب الملك وكان اسمه كنعان فسمي ذا الكفل والكفل في اللغة هوالخط وفي كتاب النبوة بالإسناد عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال كتبت إلى أبي جعفر (ع) أسأله عن ذي الكفل وما اسمه وهل كان من المرسلين فكتب (ع) أن الله بعث مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي المرسلين منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وإن ذا الكفل منهم وكان بعد سليمان بن داود (ع) وكان يقضي بين الناس كما يقضي داود (ع) ولم يغضب قطُّ إلا لله تعالى وكان اسمه عدويا بن ادارين ﴿ وأدخلناهم في رحمتنا ﴾ أي وأدخلنا هؤلاء الذين ذكرناهم من الأنبياء في نعمتنا وأراد غمرناهم بالرحمة ولو قال رحمناهم لما أفاد ذلك بل أفاد أنه فعل بهم الرحمة ﴿ إنهم من الصالحين ﴾ أي إنما أدخلناهم في رحمتنا لأنهم كانوا ممن صلحت أعمالهم .

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

[القراءة] قرأ يعقوب فظن أن لن يُقْدَرَ بضم الياء والباقون نقدر بالنون وكسر الدال وقرأ ابن عامر وأبو بكر نجي بنون واحدة وتشديد الجيم والباقون ننجي بالنونين .

[الحجة] قوله إن لن نقدر عليه إن هذه مخففة من الثقيلة وتقديره ظن أنه لن نقدر

عليه أي لن نضيق عليه ومن قرأ لن يقدر عليه فهو مثل الأول في المعنى بني الفعل للمفعول به وأقيم الجار والمجرور مقام الفاعل ومن قرأ نجي المؤمنين بنون واحدة قال أبو بكر السراج هو وهم لأن النون لا تدغم في الجيم وإنما خفيت لأنها ساكنة تخرج من الخياشيم فحذفت في الكتابة وهي في اللفظ ثابتة قال أبو علي والقول في ذلك إن عاصماً ينبغي أن يكون قرأ بنونين وأخفى الثانية فظن السامع أنه مدغم وكذلك غيره .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه قصة يونس (ع) فقال ﴿وذا النون﴾ أي واذكر ذا النون والنون الحوت وصاحبها يونس بن متى ﴿ إذ ذهب ﴾ أي حين ذهب ﴿ مغاضباً ﴾ لقومه عن ابن عباس والضحاك أي مراغماً لهم من حيث أنه دعاهم إلى الإيمان مدة طويلة فلم يؤمنوا حتى أوعدهم الله بالعذاب فخرج من بينهم مغاضباً لهم قبل أن يؤذن له ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ أي لن نضيق عليه عن عطا وجماعة من المفسرين وقيل ظن أن لن نقضي عليه ما قضيناه والقدر بمعنى القضاء عن مجاهد وقتادة والكلبي والجبائي قال الجبائي ضيّق الله عليه الطريق حتى ألجأه إلى ركوب البحر ثم قذف فيه فابتلعته السمكة ومن قال أنه خرج مغاضباً لربه وأنه ظن أن لن يقدر الله على أخذه بمعنى أنه يعجز عنه فقد أساء الثناء على الأنبياء فإن مغاضبة الله كفرٌ أو كبيرة عظيمة وتجويز العجز على الله سبحانه كذلك فكيف يجوز ذلك على نبيّ من أنبياء الله تعالى وقال ابن زيد إنه إستفهام معناه التوبيخ وتقديره فظنّ إن لن نقدر عليه وأنكره علي بن عيسى وقال لا يجوز حذف الاستفهام من غير دليل عليه وقد جاء في كلام العرب حذفه على خلاف ما قاله أنشد النحويون قول عمر بن أبي ربيعة :

ثُمَّ قَالُوا تَحِبُّهَا قُلْتُ بَهْراً عَدَدَ القَطْرِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ[1]

أي أتحبها ﴿ فنادى في الظلمات ﴾ قيل إنها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت عن ابن عباس وقتادة وقيل كان حوت في بطن حوت عن سالم بن أبي الجعد ﴿ إن لا إله إلا أنت سبحانك ﴾ لما أراد السؤال والدعاء قدّم ذكر التوحيد والعدل ثم قال ﴿ إني كنت من الظالمين ﴾ أي من الذين يقع منهم الظلم وإنما قاله على سبيل الخشوع والخضوع لأن جنس البشر لا يمتنع منه وقوع الظلم قال الجبائي لم يكن يونس في بطن الحوت على جهة العقوبة من الله تعالى لأن العقوبة عداوة للمعاقب لكن كان ذلك على وجه التأديب والتأديب يجوز للمكلف وغير المكلف كتأديب الصبي وغيره وبقاؤه في بطن الحوت حيّاً

(١) قوله « بهراً » أي بهرني بهرا بمعنى غلبني غلبة أي أحبها حباً بهرني بهراً .

معجزة له ﴿ فاستجبنا له ونجّيناه من الغم ﴾ أي من بطن الحوت ﴿ وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ أي ننجيهم إذا دعونا به كما أنجينا ذا النون ثم قال سبحانه ﴿ وزكريا ﴾ أي واذكر زكريا ﴿ إذ نادى ربه ﴾ ودعاه يا ﴿ ربّ لا تذرني فرداً ﴾ بغير وارث ولا ولد يعينني على أمر الدين والدنيا في حياتي ويرثني بعد وفاتي ﴿ وأنت خير الوارثين ﴾ هذا ثناء على الله سبحانه بأنه الباقي بعد فناء خلقه وأنه خير من بقي حيّاً بعد ميت وإن الخلق كلهم يموتون ويبقى هو سبحانه ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ﴾ روى الحرث بن المغيرة قال قلت لأبي عبد الله (ع) إني من أهل بيت قد انقرضوا وليس لي ولد فقال إدع وأنت ساجد رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين قال ففعلت فولد لي علي والحسين ﴿ وأصلحنا له زوجه ﴾ بأن كانت عقيمة فجعلناها ولوداً عن قتادة وقيل كانت هرمة فرددنا عليها شبابها عن أبي مسلم وقيل كانت سيئة الخلق فجعلناها حسنة الخلق ﴿ أنهم ﴾ يعني زكريا ويحيى وقيل معناه أن الأنبياء الذين تقدم ذكرهم ﴿ كانوا يسارعون في الخيرات ﴾ أي يبادرون إلى الطاعات والعبادات ﴿ ويدعوننا رغباً ورهباً ﴾ أي للرغبة والرهبة رغبة في الثواب ورهبة من العقاب وقيل راغبين وراهبين عن الضحاك وقيل رغباً ببطون الأكف ورهباً بظهور الأكف ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾ أي متواضعين عن ابن عباس وقيل الخشوع المخافة الثابتة في القلب عن الحسن وقيل معناه أنهم قالوا حال النعمة اللهم لا تجعلها إستدراجاً وحال السيئة اللهم لا تجعلها عقوبة بذنب سلف منا وفي قوله سبحانه ﴿ يسارعون في الخيرات ﴾ دلالة على أن المسارعة إلى كل طاعة مرغب فيها وعلى أن الصلاة في أول الوقت أفضل .

﴿ وَالَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ۖ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وحِرْم بكسر الحاء بغير ألف والباقون وحرام وهو قراءة الصادق (ع) وفي الشواذ قراءة الحسن وابن أبي إسحاق أمة واحدة بالرفع وقرأ ابن عباس وقتادة وحَرِم وفي رواية أخرى عن ابن عباس وحَرَم وهي قراءة عكرمة وأبي العالية .

[الحجة] قال أبو علي حِرْم وحرام لغتان وكذلك حل وحلال وكل واحد من حرم وحرام إن شئت رفعته بالإبتداء لاختصاصه بما جاء بعده من الكلام وخبره محذوف وتقديره وحرام على قرية أهلكناها بأنهم لا يرجعون مقضي أو ثابت أو محكوم عليه وإن شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف وجعلت لا زائدة والمعنى حرام على قرية أهلكناها رجوعهم كما قال فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعونَ وإن شئت جعلته خبر مبتدأ وأضمرت مبتدأ كما ذكرت ويكون المعنى حرام على قرية أهلكناها بالاستئصال رجوعهم لأنهم لا يرجعون وتكون لا غير زائدة والمعنى حرام عليهم أنهم ممنوعون من ذلك وقال الزجاج تقديره وحرام على قرية أهلكناها أن يتقبل منهم عمل لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون أبداً كما قال سبحانه ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾ الآية فعلى هذا يكون حرام خبر مبتدأ محذوف وهو قوله ﴿ أن يتقبل منهم عمل وأنهم لا يرجعون ﴾ في موضع نصب لأنه مفعول له فأما من قرأ حرِم على قرية فإنه من حرم فهو حرم أي قمر ماله قال زهير :

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ يَقُولُ لا غَائِبٌ مَالِي وَلا حَرِمٌ(١)

وأما حَرَم فمعناه ظاهر ومن قرأ أمة بالرفع جعله بدلاً من أمتكم ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر وأمة منصوبة على الحال والعامل فيها معنى الإشارة وذو الحال الأمة الأولى وفي الحقيقة الحال الأولى قوله ﴿ واحدة ﴾ التي هي صفة الأمة كقوله تعالى ﴿ قرآناً عربياً ﴾ والتقدير ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة ﴾ أي مجتمعة غير متفرقة .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدّم بقصة عيسى (ع) فقال ﴿ والتي أحصنت فرجها ﴾ يعني مريم ابنة عمران أي واذكر مريم التي حفظت فرجها وحصنته وعفت وامتنعت من الفساد ﴿ فنفخنا فيها من روحنا ﴾ أي أجرينا فيها روح المسيح كما يجري الهواء بالنفخ فأضاف الروح إلى نفسه على وجه الملك تشريفاً له في الاختصاص بالذكر وقيل إن معناه أمرنا جبرائيل فنفخ في جيب درعها فخلقنا المسيح في رجمها ﴿ وجعلناها وابنها آية

(١) قوله « خليل » يعني به المحتاج الفقير المختل الحال . و « مسغبة » بمعنى المجاعة . يصف رجلاً بالجود .

للعالمين﴾إنما قال آية ولم يقل آيتين لأنه في موضع دلالة فلا يحتاج إلى أن تثنى الآيةفيهما أنها جاءت به من غير فحل فتكلم في المهد بما يوجب براءة ساحتها من العيب ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة ﴾ أي هذا دينكم دين واحد عن ابن عباس ومجاهد والحسن وأصل الأمة الجماعة التي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماعهم بها على مقصد واحد وقيل معناه جماعة واحدة في أنها مخلوقة مملوكة لله تعالى أي فلا تكونوا إلا على دين واحد وقيل معناه هؤلاء الذين تقدّم ذكرهم من الأنبياء فريقكم الذي يلزمكم الإقتداء بهم في حال اجتماعهم على الحق كما يقال هؤلاء أمتنا أي فريقنا وموافقونا على مذهبنا ﴿ وأنا ربكم ﴾ الذي خلقكم ﴿فاعبدوني﴾ ولا تشركوا بي شيئاً ثم ذكر اليهود والنصارى بالإختلاف فقال ﴿ وتقطّعوا أمرهم بينهم ﴾ أي فرّقوا دينهم فيما بينهم يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض عن الكلبي وابن زيد والتقطع هذا بمنزلة التقطيع ثم قال مهدداً لهم ﴿ كل إلينا راجعون ﴾ أي كل ممن اجتمع وافترق راجع إلى حكمنا في الوقت الذي لا يقدر على الحكم سوانا فنجازيهم بأعمالهم ﴿ فمن يعمل من الصالحات ﴾ التقدير فمن يعمل من الصالحات شيئاً مثل صلة الرحم ومعونة الضعيف ونصر المظلوم والتنفيس عن المكروب وغير ذلك من أنواع الطاعات ﴿ وهو مؤمن ﴾ شرط الإيمان لأن هذه الأشياء لو فعلها الكافر لم ينتفع بها عند الله تعالى ﴿ فلا كفران لسعيه ﴾ أي فلا جحود لإحسانه في عمله بل يشكر ويثاب عليه ﴿ وإنا له كاتبون ﴾ أي نأمر ملائكتنا أن يكتبوا ذلك ويثبتوه فلا يضيع منه شيء وقيل كاتبون أي ضامنون جزاءه حتى نوفر على عاملها مجموعة ومنه الكتيبة لأنه ضم رجال إلى رجال ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ إختلف في معناه على وجوه (أحدها) أن لا مزيدة والمعنى حرام على قرية مهلكة بالعقوبة أن يرجعوا إلى دار الدنيا عن الجبائي وقيل إن معناه واجب عليها إنها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها عن قتادة وعكرمة والكلبي قال عطا يريد حتم مني والمراد إن الله تعالى كتب على من أهلك أن لا يرجع إلى الدنيا قضاء منه حتماً وفي ذلك تخويف لكفار مكة بأنهم إن عذّبوا وأهلكوا لم يرجعوا إلى الدنيا كغيرهم من الأمم المهلكة وقد جاء الحرام بمعنى الواجب في شعر الخنساء :

وَإِنَّ حَـرَاماً لَا أَرَى الدَّهْرَ بَاكِياً عَلَى شَجْوَةٍ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى صَخْرِ[1]

(وثانيها) إن معناه حرام على قرية وجدناها هالكة بالذنوب أن يتقبل منهم عمل لأنهم

---

(١) الشجوة : الحزن . وفي نسخة مخطوطة وكذا في اللسان « على عمرو » مكان « على صخر » ونسب البيت في اللسان إلى عبد الرحمن المحاربي .

لا يرجعون إلى التوبة (وثالثها) إن معناه حرام أن لا يرجعوا بعد الممات بل يرجعون أحياء للمجازاة عن أبي مسلم وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) أنه قال كل قرية أهلكها الله بعذاب فإنهم لا يرجعون .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد والباقون بالتخفيف وقد ذكرنا إختلافهم في يأجوج ومأجوج في سورة الكهف وفي الشواذ قراءة ابن مسعود من كل حدث وقراءة ابن السميفع حصب جهنم ساكنة الصاد وقراءة ابن عباس حضب بالضاد مفتوحة وقراءة علي (ع) وعائشة وابن الزبير وأبي بن كعب وعكرمة حطب بالطاء .

[الحجة] من خففّ فتحت فلأن الفعل في الظاهر مسند لى هذين الإسمين وأراد فتح سدّ يأجوج ومأجوج ومن شدّد حمله على الكثرة فهو مثل مفتحة لهم الأبواب والجدث القبر بلغة الحجاز والجدف بالفاء بلغة تميم وفي الحطب لغات وحطب وحصب بالصاد وخضب

بالضاد ولا يقال حصب بالصاد إلا إذا أُلقي في التنور أو في الموقد وقال أحمد بن يحيى أصل الحصب الرمي حطباً كان أو غيره قال الأعشى :

فَلا تَكُ فِي حَرْبِنا مُحْصِباً لِتَجْعَلَ قَوْمَكَ شَتّى شُعُوباً[1]

فأما الحصب ساكناً بالصاد والضاد فالطرح فهو مصدر وقع موقع اسم المفعول كالخلق والصيد بمعنى المخلوق والمصيد .

[اللغة] الحدب الإرتفاع من الأرض بين الإنخفاض والحدبة خروج الظهر ورجل أحدب والنسول الخروج عن الشيء الملابس يقال نسل ينسِل وينسَل قال امرؤ القيس :

فَإِنْ يَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِي[2]

ونسل ريش الطائر إذا سقط وقيل النسول الخروج بإسراع نحو نسلان الذئب قال :

نَسَلانُ الذِّئْبِ أَمْسَى قَارِباً بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلْ

وشخص المسافر شخوصاً إذا خرج من منزله وشخص من بلد إلى بلد وشخص بصره إذا نظر إليه كأنه خرج إليه والحسيس والحيس الحركة .

[الإعراب] واقترب الوعد قال الفراء معنى الواو الطرح والمعنى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق قال الزجاج الواو لا يجوز أن يطرح عند البصريين وجواب إذا عندهم قوله ﴿ يا ويلنا ﴾ وها هنا قول محذوف أي قالوا يا ويلنا وقوله ﴿ فإذا هي شاخصة ﴾ إذاً ظرف مكان والعامل فيه شاخصة وهي ضمير القصة في محل رفع بالإبتداء وأبصار الذين كفروا مبتدأ آخر وشاخصة خبر مقدم والجملة خبر هي وقيل أنَّ تمام الكلام عند قوله هي وتقديره فإذاً هي بارزة واقعة يعني أنها من قربها كأنها وقعت ثم ابتدأ فقال ﴿ شاخصة أبصار الذين كفروا ﴾ على تقديم الخبر على المبتدأ .

[المعنى] لمّا تقدَّم أنهم لا يرجعون إلى الدنيا وعدهم بالرجوع إلى الآخرة وبيَّن علامة ذلك فقال ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ أي فتحت جهتهم والمعنى انفرج سدّ يأجوج ومأجوج بسقوط أو هدم أو كسر وذلك من إشراط الساعة ﴿ وهم من كل حدب

(١) الاحصاب : إثارة الحصباء وهو كناية عن إثارة الفتنة .

(٢) كان امرؤ القيس مفركاً لا تحبه النساء ولا تكاد امرأة تصبر معه ، يخاطب في هذا البيت امرأة ويقول لها إن سائك خلقي فانزعي نفسي من نفسك .

ينسلون ﴾ أي وهم يريد يأجوج ومأجوج من كل نشز من الأرض يسرعون عن قتادة وابن مسعود والجبائي وأبي مسلم يعني أنهم يتفرقون في الأرض فلا ترى أكمة إلا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين وقيل إن قوله هم كناية عن الخلق يخرجون من قبورهم إلى الحشر عن مجاهد وكان يقرأ من كل جدث يعني القبر ويدل عليه قوله ﴿ فإذا هم من الأجداث ﴾ إلى ربهم ينسلون ﴿ واقترب الوعد الحق ﴾ أي الموعود الصدق ومعناه اقترب قيام الساعة ﴿ فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ﴾ معناه فإذا القصة أن أبصار الذين كفروا تشخص في ذلك اليوم أي لا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهو له ينظرون إلى تلك الأهوال عن الكلبي ﴿ يا ويلنا ﴾ أي يقولون يا ويلنا ﴿ قد كنّا في غفلة من هذا ﴾ اشتغلنا بأمور الدنيا وغفلنا عن هذا اليوم فلم نتفكر فيه ﴿ بل كنا ظالمين ﴾ بأن عصينا الله تعالى وعبدنا غيره ثم قال سبحانه ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله ﴾يعني الأصنام ﴿ حصب جهنم ﴾ أي وقودها عن ابن عباس وقيل حطبها عن مجاهد وقتادة وعكرمة وأصل الحصب الرمي فالمراد أنهم يرمون فيها كما يرمى بالحصباء عن الضحاك وأبي مسلم ويسأل على هذا فيقال أن عيسى (ع) قد عُبد والملائكة قد عبدوا والجواب أنهم لا يدخلون في الآية لأن ما لما لا يعقل ولأن الخطاب لأهل مكة وإنما كانوا يعبدون الأصنام فإن قيل فأي فائدة في إدخال الأصنام النار وقيل يعذب بها المشركون الذين عبدوها فتكون زيادة في حسرتهم وغمهم ويجوز أن يرمى بها في النار توبيخاً للكفار حيث عبدوها وهي جماد لا تضرّ ولا تنفع وقيل إن المراد بقوله ﴿ وما يعبدون من دون الله الشياطين ﴾ دعوهم إلى عبادة غير الله فأطاعوهم كما قال يا أبت لا تعبد الشيطان ﴿ أنتم لها واردون ﴾ خطاب للكفار أي أنتم في جهنم داخلون وقيل إن معنى لها إليها لقوله ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ أي إليها ﴿ لو كان هؤلاء ﴾ الأصنام والشياطين ﴿ إلهة ﴾ كما تزعمون ﴿ ما وردوها ﴾ أي ما دخلوا النار ولامتنعوا منها ﴿ وكل ﴾ من العابد والمعبود ﴿ فيها ﴾ أي في النار ﴿ خالدون ﴾ دائمون ﴿ لهم فيها زفير ﴾أي صوت كصوت الحمار وهو شدة تنفسهم في النار عند إحراقها لهم ﴿ وهم فيها لا يسمعون ﴾ أي لا يسمعون ما يسرُّهم ولا ما ينتفعون به وإنما يسمعون صوت المعذّبين وصوت الملائكة الذين يعذّبونهم ويسمعون ما يسوءهم عن الجبائي وقيل يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم إنّ في النار أحداً يعذّب غيره عن عبد الله بن مسعود قالوا ولما نزلت هذه الآية أتى عبد الله بن الزبعري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فال يا بمحمد ألست تزعم أن عزيراً رجل صالح وإن عيسى (ع) رجل صالح وإن مريم امرأة صالحة قال بلى قال فإن هؤلاء يعبدون من دون الله فهم في النار فأنزل الله هذه الآية ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴾

أي الموعدة بالجنة وقيل الحسنى السعادة عن ابن زيد وكأنه يذهب إلى الكلمة بأنه سيسعد أو إلى العدة لهم على طاعتهم فأنث الحسنى ﴿ أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها ﴾ أي يكونون بحيث لا يسمعون صوتها الذي يحس ﴿ وهم فيما اشتهت أنفسهم ﴾ من نعيم الجنة وملاذها ﴿ خالدون ﴾ أي دائمون والشهوة طلب النفس اللذة يقال إشتهى شهوة وقيل إن الذين سبقت لهم منا الحسنى عيسى وعزير ومريم والملائكة الذين عبدوا من دون الله وهم كارهون إستثناهم من جملة ما يعبدون من دون الله عن الحسن ومجاهد وقيل إن الآية عامة في كل من سبقت له الموعدة بالسعادة ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر ﴾ أي الخوف الأعظم وهو عذاب النار إذا أطبقت على أهلها عن سعيد بن جبير وابن جريج وقيل هو النفخة الأخيرة لقوله ﴿ ونفخ في الصور ﴾ ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله عن ابن عباس وقيل هو حين يؤمر بالعبد إلى النار عن الحسن وقيل هو حين يذبح الموت على صورة كبش أملح وينادى يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ثلاثة على كثبان من مسك لا يحزنهم الفزع الأكبر ولا يكترثون للحساب رجل قرأ القرآن محتسباً ثم أمّ به قوماً محتسباً ورجل أذّن محتسباً ومملوك أدّى حق الله عزّ وجلّ وحق مواليه ﴿ وتتلقاهم الملائكة ﴾ أي تستقبلهم الملائكة بالتهنئة يقولون لهم ﴿ هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ في الدنيا فأبشروا بالأمن والفوز .

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا
أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي
الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾
إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ
أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ
أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ

ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ
عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر تطوى بالتاء والضم السماء بالرفع والباقون نطوى بالنون السماء بالنصب وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر للكتب على الجمع والباقون للكتاب وقرأ حفص قال رب والباقون قل ربي وقرأ أبو جعفر رب إحكم بضم الباء وقرأ زيد عن يعقوب ربي إحكم وهو قراءة ابن عباس وعكرمة والجحدري وابن محيصن والباقون رب إحكم وفي الشواذ قراءة الحسن كطي السجل بسكون الجيم وقراءة أبي زرعة بن عمرو السجل بضم السين والجيم وتشديد اللام وقراءة أبي السماك السجل بفتح السين وسكون الجيم .

[الحجة] من قرأ يوم تطوى السماء فبنى الفعل للمفعول به ومن قرأ يوم نطوي السماء فالفاعل هو الله سبحانه والمعنى واحد وفي إن إنتصاب يوم وجهان عند أبي علي (أحدهما) أن يكون بدلاً من الهاء المحذوفة من الصلة ألا ترى إن المعنى هذا يومكم الذي توعدونه والآخر أن يكون منتصباً بنعيده والمعنى نعيد الخلق إعادة كإبتدائه أي كإبتداء الخلق ومثله في المعنى كما بدأكم تعودون وتقديره كما بدأ خلقكم يعود خلقكم فحذف المضاف في الموضعين وأقام المضاف إليه مقامه والمعنى يعود لخلقكم عوداً كبدئه ومثله في المعنى كما بدأنا أول خلق نعيده ومن أفرد الكتاب ولم يجمع فإنه واحد يراد به الكثرة ومن قرأ للكتب فإن المراد به الجمع ومن قرأ قال رب أراد قال الرسول ومن قرأ قل فهو على قل أنت يا محمد وقراءة أبي جعفر رب إحكم معناه يا رب إحكم وهي ضعيفة عند النحويين البصريين وقد جاء مثله في المثل وهو قولهم : أصبح ليل وأطرق كرا وافتد مخنوق أي يا ليل ويا كروان ويا مخنوق وقد جاء في الشعر وهو :

عَجِبْتُ لِعَطَّارٍ أَتَانَا يَسُومُنَا ... بِدِسْكِرَةِ المَرَّانِ دُهْنَ الْبَنَفْسَجِ (١)
فَقُلْتُ لَهُ عَطَّارُ هَلاَّ أَتَيْتَنَا ... بِنَوْرِ الخَزَامى أَوْ بِخَوْصَةِ عَرْفَجِ

(١) الدسكرة : بناء على هيئة القصر فيه بناء للخدم والحشم . ومران : موضع . وخزامى : نبت طيب الريح كذا العرفج .

أراد يا عطار ومن قرأ رب إحكم فالمعنى ظاهر .

[الإعراب] الكاف في قوله ﴿ كطي السجل ﴾ في محل النصب لأنه صفة مصدر محذوف تقديره نطوي السماء طيّاً مثل طيّ السجل فإن كان السجل إسماً للصحيفة فالمصدر الذي هو طي مضاف إلى المفعول في المعنى وإن كان إسم ملك أو كاتب فهو مضاف إلى الفاعل في المعنى فإن كان مفعولاً كان اللام بمعنى من أجل وإن كان فاعلاً كان اللام للإختصاص وعدا علينا منصوب على المصدر قال الزجاج لأن قوله ﴿ نعيده ﴾ بمعنى قد وعدنا ذلك والأجود أن يقدّر عاملاً محذوفاً لأن القرّاء يقفون على قوله ﴿ نعيده ﴾ قال جامع العلوم الكاف في كما بدأنا من صلة نعيده وإن كان متقدماً ومثله كما علّمه الله فليكتب رحمة للعالمين نصب على الحال أو على أنه مفعول له وإنما إلٰهكم إلٰه واحد في محل رفع بإسناد يوحي إليه وقيامه مقام الفاعل وعلى سواء في موضع نصب على الحال من الفاعلين والمفعولين والتقدير أذنتكم واستوينا نحن وأنتم فيكون الحال من الفريقين ماتوعدون في موضع رفع بأنه فاعل قريب لأنه اعتمد على همزة الاستفهام فهو كقولهم أقائم أخوك ويجوز أن يكون مبتدءاً وقريب خبره وعلى الوجهين فهما مفعولا أدري أي أعلم علقتهما همزة الاستفهام والتقدير أقريب ما توعدون أم بعيد فبعيد عطف على قريب والنية فيه التأخير . وأن أدري لعله فتنة لكم مفعول أدري محذوف والتقدير ما أدري كيف يكون الحال .

[المعنى]﴿يوم نطوي السماء﴾المراد بالطي هنا هو الطي المعروف وأن الله سبحانه يطوي السماء بقدرته وقيل إن طي السماء ذهابها عن الحس ﴿ كطي السجل للكتب ﴾ والسجل صحيفة فيها الكتب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والكلبي وعلى هذا فمعناه نطويها كما تطوى الصحيفة المجعولة للكتاب ويجوز أن يكون المراد بالكتاب المكتوب وقيل أن السجل ملك يكتب أعمال العباد عن أبي عمرو والسدي وقيل هو ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه عن عطا وقيل هو إسم كاتب كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس في رواية ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلاً[1] كذلك نعيدهم روي ذلك مرفوعاً وقيل معناه نبعث الخلق كما ابتدأناه أي قدرتنا إلى الإعادة كقدرتنا على الابتداء عن الحسن والزجاج وقيل معناه نهلك كل شيء كما كان أول مرة عن ابن عباس ﴿ وعداً علينا ﴾ أي وعدناكم ذلك وعداً ﴿ إنا كنا فاعلين ﴾ ما وعدناكم من ذلك ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) أن الزبور كتب الأنبياء ومعناه كتبنا

(١) الغرل جمع الأغرل : الأقلف وهو الذي لم يختن .

في الكتب التي أنزلناها على الأنبياء من بعد كتابته في الذكر أي أم الكتاب الذي في السماء وهو اللوح المحفوظ عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد وهو إختيار الزجاج قال لأن الزبور والكتاب بمعنى واحد وزبرت كتبت (وثانيها) أن الزبور الكتب المنزلة بعد التوراة والذكر هوالتوراة عن ابن عباس والضحاك (وثالثها) أن الزبور زبور داود والذكر توراة موسى عن الشعبي وروي عنه أيضاً أن الذكر القرآن وبعد بمعنى قبل﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ قيل يعني أرض الجنة يرثها عبادي المطيعون عن ابن عباس وسعيد بن جبير وابن زيد فهو مثل قوله ﴿ وأورثنا الأرض ﴾ وقوله ﴿ الذين يرثون الفردوس ﴾ وقيل هي الأرض المعروفة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالفتوح بعد إجلاء الكفار كما قال صلى الله عليه وآله وسلم زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها عن ابن عباس في رواية أخرى وقال أبو جعفر عليه السلام هم أصحاب المهدي (ع) في آخر الزمان ويدل على ذلك ما رواه الخاص والعام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً صالحاً من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما قد ملئت ظلماً وجوراً وقد أورد الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتاب البعث والنشور أخباراً كثيرة في هذا المعنى حدثنا بجميعها عنه حافده أبو الحسن عبيد الله بن محمد ابن أحمد في شهور سنة ثماني عشرة وخمسمائة ثم قال في آخر الباب فأما الحديث الذي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن محمد بن خالد الجندي عن إبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الناس إلا شحاً ولا الدنيا إلا إدباراً ولا تقوم الساعة إلا على أشرار الناس ولا مهدي إلا عيسى بن مريم فهذا حديث تفرّد به محمد بن خالد الجندي قال أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن خالد رجل مجهول واختلف عليه في إسناده فرواه مرة عن إبان بن صالح عن الحسن عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومرة عن إبان بن أبي عياش وهو متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو منقطع والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي (ع) أصحُّ إسنادا وفيها بيان كونه من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا لفظه ومن جملتها ما حدثنا أبو الحسن حافده عنه قال أخبرنا أبو علي الروذباري قال أخبرنا أبو بكر بن داسة قال حدثنا أبو داود السجستاني في كتاب السنن عن طرق كثيرة ذكرها ثم قال كلهم عن عاصم المقري عن زيد عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً منّي أو من أهل بيتي وفي بعضها يواطىء إسمه إسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما

ملئت ظلماً وجوراً وبالإسناد قال حدثنا أبو داود قال حدثنا أحمد بن إبراهيم قال حدثني عبد الله بن جعفر الرقي قال حدثني أبو المليح الحسن بن عمر عن زياد بن بيان عن علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة (ع) ﴿ إن في هذا ﴾ يعني إن في الذي أخبرناكم به مما توعدنا به الكفار من النار والخلود فيها وما وعدنا به المؤمنين من الجنة والكون فيها وقيل معناه إن في هذا القرآن ودلائله ﴿ لبلاغاً ﴾ أي كفاية ووصلة إلى البغية والبلاغ سبب الوصول إلى الحق ﴿ لقوم عابدين ﴾ لله مخلصين له قال كعب هم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين يصلّون الصلوات الخمس ويصومون شهر رمضان سمّاهم عابدين ﴿ وما أرسلناك ﴾ يا محمد ﴿ إلا رحمة للعالمين ﴾ أي نعمة عليهم قال ابن عباس رحمة للبرّ والفاجر والمؤمن والكافر فهو رحمة للمؤمن في الدنيا والآخرة ورحمة للكافر بأن عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والمسخ وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبرائيل لما نزلت هذه الآية هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم إني كنت أخشى عاقبة الأمر فآمنت بك لما أثنى الله عليّ بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين وقد قال إنما أنا رحمة مهداة وقيل إن الوجه في أنه نعمة على الكافر أنه عرضه للإيمان والثواب الدائم وهداه وإن لم يهتد كمن قدم الطعام إلى جائع فلم يأكل فإنه منعم عليه وإن لم يقبل وفي الآية دلالة على بطلان قول أهل الجبر في أنه ليس لله على الكافر نعمة لأنه سبحانه بيّن أنّ في إرسال محمد صلى الله عليه وآله وسلم نعمةعلى العالمين وعلى كل من أرسل إليهم ثم قال له(ع)﴿قل إنما يوحى إليّ إنما إلٰهكم إلٰه واحد فهل أنتم مسلمون ﴾ أي مستسلمون منقادون لذلك بأن تتركوا عبادة غير الله وقيل معناه الأمر أي أسلموا كقوله ﴿ فهل أنتم مُنتهون﴾ أي انتهوا ﴿ فإن تولوا ﴾ أي أعرضوا ولم يسلموا ﴿ فقل آذنتكم ﴾ أي أعلمتكم بالحرب ﴿ على سواء ﴾ أي إيذاناً على سواء إعلاماً نستوي نحن وأنتم في علمه لا إستيذاناً به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم ومثله قوله ﴿ فانبذ إليهم على سواء ﴾ وقيل معناه أعلمتكم بما يجب الإعلام به على سواء في الإيذان لم أبين الحق لقوم دون قوم ولم أكتمه لقوم دون قوم وفي هذا دلالة على بطلان قول أصحاب الرموز وإن للقرآن بواطن خصّ بالعلم بها أقوام ﴿ وأن أدري ﴾ أي وما أدري ﴿ أقريب أم بعيد ما توعدون ﴾ يعني أجل يوم القيامة فإنّ الله تعالى هو العالم بذلك وقيل معناه أذنتكم بالحرب ولا أدري متى أؤذن فيه ﴿ إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ﴾ أي إن الله يعلم السر والعلانية ﴿ وإن أدري ﴾ أي وما أدري ﴿ لعله ﴾ كناية عن غير مذكور ﴿ فتنة لكم ﴾ أي لعل ما أذنتكم به اختيار لكم وشدة تكليف ليظهر صنيعكم عن الزجاج وقيل لعل

هذه الدنيا فتنة لكم عن الحسن وقيل لعل تأخير العذاب محنة واختبار لكم لترجعوا عما أنتم عليه ﴿ ومتاع إلى حين ﴾ أي تتمتعون به إلى وقت انقضاء آجالكم ﴿ قل رب إحكم بالحق ﴾ أي فوّض أمورك يا محمد إلى الله وقل يا رب إحكم بيني وبين من كذّبني بالحق قال قتادة كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا شهد قتالاً قال رب إحكم بالحق أي افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع وقيل معناه احكم بحكمك الحق وهو إظهار الحق على الباطل ﴿ وربنا الرحمن ﴾ الذي يرحم عباده ﴿ المستعان ﴾ الذي يعينهم في أمورهم فجمع بين الرحمة والمعونة اللتين تضمنتا أصول النعم ﴿ على ما تصفون ﴾ من كذبكم وباطلكم في قولكم هل هذا إلا بشر مثلكم وقولكم اتخذ الرحمن ولداً وقيل معناه وربنا الرحمن المستعان على دفع ما تصفون .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(٢٢) سورة الحج مدنية وآياتها ثمان وسبعون

مكية عن ابن عباس وعطا إلا آيات قال الحسن هي مدنية غير آيات نزلت في السفر وقال بعضهم غير ست آيات وقال بعضهم غير أربع .

[عدد آيها] ثمان وسبعون آية كوفي سبع مكي وست مدني خمس بصري أربع شامي .

[إختلافها] خمس آيات الحميم والجلود كلاهما كوفي وعاد وثمود غير الشامي وقوم لوط حجازي كوفي سماكم المسلمين مكي .

[فضلها] أبي بن كعب قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجُّها وعمرة اعتمرها بعدد من حجَّ واعتمر فيما مضى وفيما بقي وقال أبو عبد الله (ع) من قرأها في كل ثلاثة أيام لم يخرج من سنة حتى يخرج إلى بيت الله الحرام وإن مات في سفره دخل الجنة .

[تفسيرها] لما ختم الله سورة الأنبياء بالدعاء إلى التوحيد والإعلام بأن نبيَّه رحمة للعالمين إفتتح هذه السورة بخطاب المكلفين ليّتقوا الشرك ومخالفة الدين فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾
يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ

حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ
شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ
إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ
ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن
مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم
مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ
عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ
وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم سَكرى وما هم بسَكرى والباقون سكارى في الموضعين وفي الشواذ قراءة الأعرج والحسن بخلاف سُكرى بضم السين وقرأ أبو جعفر وربأت بالهمزة هاهنا وفي حم والباقون وربت .

[الحجة] قالوا رجل سكران وامرأة سكرى والجمع سُكارى وسكارى بضم السين وفتحها إلا أن القراءة بالضم وأما سَكرى في الجمع فهو مثل صرعى وجرحى وذلك لأن السكر كأنه علة لحقت عقولهم كما أن الصرع والجرح علة لحقت أجسامهم وفعلى مختص في الجمع بالمبتلين كالمرضى والسقمى والهلكى وأما سُكرى بالضم فيجوز أن يكون إسماً مفرداً على فعلى بمعنى الجمع وأما قوله ﴿ ربت ﴾ فهو من ربا يربو إذا زاد وأما الهمز فيمن ربأت القوم إذا أشرفت عليهم عالياً لتحفظهم وهذا كأنه ذهب إلى علو الأرض لما فيها من إفراط الربو فإذا وصف علوها دلّ على أن الزيادة شاعت فيها .

[اللغة] الزلزلة والزلزال شدة الحركة على الحال الهائلة وقيل إن أصله زل فضوعف للمبالغة وأثبته البصريون قالوا إن زل ثلاثي وزلزل رباعي وإن اتفق بعض الحروف في الكلمتين لأنه لا يمتنع مثل هذا ألا ترى أنهم يقولون دمث ودمثر وسبط وسبطر وليس أحدهما مأخوذاً من الآخر وإن كان معناهما واحداً لأن الزاي ليست من حروف الزيادة والزلزال بالفتح الإسم قال الشاعر :

يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الْمُضَلَّلُ أَنَّ الـ ـدَّهْرَ فِيهِ النُّكْرَاءُ وَالزِّلْزَالُ

والذهول الذهاب عن الشيء دهشاً وحيرة يقال ذهب عنه يذهلَ ذهُولاً وذَهْلا بمعنى والذهل السلو قال « صَحا قَلْبُهُ يا عِزَّ أَوْ كادَ يَذْهَلُ »[1] والحمل بفتح الحاء ما كان في بطن أو على رأس شجرة والحمل بكسر الحاء ما كان على ظهر أو على رأس والمريد المتجرد للفساد وقيل إن أصله الملاسة فكأنه متملس من الخير ومنه صخرة مرداء أي ملساء ومنه الأمرد والممرد من البناء المتطاول المتجاوز والمضغة مقدار ما يمضغ من اللحم والهمود الدروس والدثور قال الأعشى :

قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِباً وَأَرَى ثِيَابَكَ بَالِيَاتٍ هُمَّداً[2]

والبهيج الحسن الصورة .

[الإعراب] العامل في يوم ترونها قوله ﴿ تذهل ﴾ أي تذهل كل مرضعة في هذا اليوم عما أرضعته ويجوز أن يكون ما مصدرية فيكون التقدير تذهل كل مرضعة في هذا اليوم عن إرضاعها ولدها ومفعول أرضعت محذوف على الوجهين ومرضعة جار على الفعل يقال امرأة مرضع أي ذات إرضاع أرضعت ولدها أو أرضعته غيرها ومرضعة ترضع قال امرؤ القيس :

وَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ[3]

وسكارى نصب على الحال وإن جعلت ترى بمعنى الظن فهو المفعول الثاني له كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله الهاء في عليه يعود إلى الشيطان والهاء في أنه يحتمل وجهين أن يكون ضمير الأمر والشأن وأن يكون عائداً إلى الشيطان وإنما فتحت أن في قوله ﴿ فأنه

(١) « عز » مرخم عزة : علم امراه .

(٢) الشاحب : المتغير اللون من هزل أو مرض أو سفر .

(٣) هذا بيت من معلقته المشهورة . يقول فرب امرأة حبلى وامرأة ذات رضيع أتيتها ليلاً فشغلتها عن ولدها الذي علقت عليه العود وقد أتى عليه حول كامل فخدعت مثلهما مع اشتغالهما بأنفسهما فكيف تتخلصين عني ؟

يضله ﴾ على أحد وجهين أن يكون عطفاً على الأولى للتأكيد والمعنى كتب عليه أنه من تولاه يضله وتأويله كتب على الشيطان إضلال متوليه وهدايتهم إلى عذاب السعير وهذا قول الزجاج وفيه نظر لأن الأصل في التوكيد أن لا يدخل حرف العطف بين المؤكد والمؤكد فالقول الصحيح فيه أن يكون على معنى فالشأن أنه يضله فيكون مبنياً على مبتدأ مضمر ونقر مرفوع بالعطف على خلقناكم أو للإستئناف ويكون خبر مبتدأ محذوف أي ونحن نقر . وما نشاء يجوز أن يكون مفعول نقر ويجوز أن يكون ظرف زمان ويكون مفعول نقر محذوفاً وتقديره ونقر في الأرحام الولد مدة مشيئتنا وطفلاً منصوب على الحال ثم لتبلغوا أي لأن تبلغوا والجار والمجرور معطوف على محذوف تقديره لترضعوا وتشبوا ثم لتبلغوا أشدكم لكيلا يعلم إذا إجتمع اللام بمعنى كي مع كي فالحكم للام وكي يكون بمعنى أنْ واللام يتعلق بِنُقِرّ .

[النزول] قال عمران بن الحصين وأبو سعيد الخدري نزلت الآيتان من أول السورة ليلاً في غزاة بني المصطلق وهم حيٌّ من خزاعة والناس يسيرون فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحثّوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام والناس من بين باك أي جالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتدرون أيّ يوم ذاك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذاك يوم يقول الله تعالى لآدم أبعث بعث النار من ولدك فيقول آدم من كم وكم فيقول الله عز وجل من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا فمن ينجو يا رسول الله فقال أبشروا فإن معكم خليقتين يأجوج ومأجوج ما كانتا في شيء إلا كثرتاه ما أنتم في الناس إلا كشعرة بيضاء في الثور الأسود أو كرقم في ذراع البكر أو كشامة في جنب البعير ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبّروا ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبّروا ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون منها أمتي ثم قال ويدخل من أمتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب وفي بعض الروايات أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله سبعون ألفاً قال نعم ومع كل واحد سبعون الفاً فقام عكاشه بن محصن فقال يا رسول الله إدع الله أن يجعلني منهم فقال اللهم إجعله منهم فقام رجل من الأنصار فقال إدع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم سبقك بها عكاشة قال ابن عباس كان الأنصاري منافقاً فلذلك لم يدع له .

[المعنى] خاطب الله سبحانه جميع المكلفين فقال ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾

معناه يا أيها العقلاء المكلفون اتقوا عذاب ربكم واخشوا معصية ربكم كما يقال إحذر الأسد والمراد إحذر افتراسه لا عينه ﴿ إن زلزلة الساعة ﴾ أي زلزلة الأرض يوم القيامة عن ابن عباس والحسن والسدي والمعنى أنها تقارن قيام الساعة وتكون معها وقيل إن هذه الزلزلة قبل قيام الساعة وإنما أضافها إلى الساعة لأنها من إشراط ظهورها وآيات مجيئها عن علقمة والشعبي ﴿ شيء عظيم ﴾ أي أمر عظيم هائل لا يطاق وقيل معناه أن شدة يوم القيامة أمر صعب وفي هذا دلالة على أن المعدوم يسمى شيئاً فإن الله سبحانه سمّاها شيئاً وهي معدومة ﴿ يوم ترونها ﴾ معناه يوم ترون الزلزلة أو الساعة ﴿ تذهل كل مرضعة عما أرضعت ﴾ أي تشغل كل مرضعة عن ولدها وتنساه وقيل تسلو عن ولدها ﴿ وتضع كل ذات حمل حملها ﴾ أي تضع الحبالى ما في بطونها وفي هذا دلالة على أن الزلزلة تكون في الدنيا فإن الرضاع ووضع الحمل إنما يتصور في الدنيا قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام ومن قال إن المراد به يوم القيامة قال أنه تهويل لأمر القيامة وتعظيم لما يكون فيه من الشدائد أي لو كان ثم مرضعة لذهلت أو حامل لوضعت وإن لم يكن هناك حامل ولا مرضعة ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ من شدة الخوف والفزع ﴿ وما هم بسكارى ﴾ من الشراب وقيل معناه كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمرُّ بهم لأنهم يضطربون أضطراب السكران ثم علَّل سبحانه ذلك فقال ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ فمن شدته يصيبهم ما يصيبهم ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴾ هذا إخبار عن المشركين الذين يخاصمون في توحيد الله سبحانه ونفي الشرك عنه بغير علم منهم بل للجهل المحض وقيل إن المراد به النضر بن الحرث فإنه كان كثير الجدال وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين وينكر البعث ﴿ ويتّبع كل شيطان مريد ﴾ يغويه عن الهدى ويدعوه إلى الضلال وإن كان المراد بالآية النضر بن الحرث فالمراد بالشيطان المريد شيطان الإنس لأنه كان يأخذ من الأعجام واليهود ما يطعن به على المسلمين ﴿ كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ﴾ معناه أنه يتبع كل شيطان كتب الله على ذلك الشيطان في اللوح المحفوظ أنه يضل من تولاه فكيف يتبع مثله ويعدل بقوله عمن دعاه إلى الرحمة وقيل معناه كتب على الشيطان أنه من تولاه أضلّه الله تعالى وقيل معناه كتب على المجادل بالباطل إن من اتبعه وولاه يضله عن الدين﴿ويهديه إلى عذاب السعير﴾ثم ذكر سبحانه الحجة في البعث لأن أكثر الجدال كان فيه فقال ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب ﴾ أي في شك ﴿ من البعث ﴾ والنشور والريب أقبح الشك ﴿ فإنا خلقناكم من تراب ﴾ معناه فالدليل على صحته أنا خلقنا أصلكم وهو آدم (ع) من تراب فمن قدر على أن يصير التراب بشراً سوياً حيّاً في الإبتداء

قدر على أن يحيي العظام ويعيد الأموات ﴿ ثم من نطفة ﴾ معناه ثم خلقنا أولاده ونسله من نطفة في أرحام الأمهات وهي الماء القليل يكون من الذكر والأنثى وكل ماء صاف فهو نطفة قلَّ أم كثر ﴿ ثم من علقة ﴾ بأن تصير النطفة علقة وهي القطعة من الدم الجامد ﴿ ثم من مضغة ﴾ أي شبه قطعة من اللحم ممضوغة فإن معنى المضغة مقدار ما يمضغ من اللحم ﴿ مخلّقة وغير مخلقة ﴾ أي تامة الخلق وغير تامة عن ابن عباس وقتادة وقيل مصورة وغير مصورة وهي ما كان سقطاً لا تخطيط فيه ولا تصوير عن مجاهد ﴿ لنبيّن لكم ﴾ معناه لندلُّكم على مقدورنا بتصريفكم في ضروب الخلق أو لنبيّن لكم أن من قدر على الإبتداء قدر على الإعادة أو لنبيّن لكم ما يزيل ريبكم فحذف المفعول ﴿ ونقرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾ معناه ونبقي في أرحام الأمهات ما نشاء إلى وقت تمامه عن مجاهد وقيل ونقرّ من قدرنا له أجلاً مسمى في رحم أمه إلى أجله ﴿ ثم نخرجكم طفلاً ﴾ أي نخرجكم من بطون أمهاتكم وأنتم أطفال والطفل الصغير من الناس وإنما وحّد والمراد به الجمع لأنه بمعنى المصدر كقولهم رجل عدل ورجال عدل وقيل أراد ثم نخرج كل واحد منكم طفلاً ﴿ ثم لتبلغوا أشدكم ﴾ وهو حال اجتماع العقل والقوة وتمام الخلق وقيل هو وقت الاحتلام والبلوغ وقد سبق تفسير الأشد واختلاف العلماء في معناه ﴿ ومنكم من يتوفى ﴾ أي قبل بلوغ الأشد أي يقبض روحه فيموت في حال صغره أو شبابه ﴿ ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر ﴾ أي أسوأ العمر وأخبثه عند أهله وقيل أحقره وأهونه وهي حال الخوف وإنما صار أرذل العمر لأن الإنسان لا يرجو بعده صحة وقوة وإنما يرتقب الموت والفناء بخلاف حال الطفولية والضعف الذي يرجى له الكمال والتمام بعدها ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ أي لكيلا يستفيد علماً وينسى ما كان به عالماً وقيل معناه لكي يصير إلى حال ينعدم عقله أو يذهب عنه علومه هرماً فلا يعلم شيئاً مما كان علمه وإذا ذهب أكثر علومه جاز أن يطلق عليه ذهاب الجميع قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة واحتجَّ بقوله ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي قرأوا القرآن ثم ذكر سبحانه دلالة أخرى على البعث فقال ﴿ وترى الأرض هامدة ﴾ يعني هالكة عن مجاهد أي يابسة دارسة من أثر النبات ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء ﴾ وهو المطر ﴿ اهتزت ﴾ أي تحركت بالنبات والاهتزاز شدة الحركة في الجهات ﴿ وربت ﴾ أي زادت أي أضعفت نباتها وقيل انتفخت لظهور نباتها عن الحسن ﴿ وأنبتت ﴾ يعني الأرض ﴿ من كل زوج ﴾ أي من كل صنف ﴿ بهيج ﴾ مؤنق للعين حسن الصورة واللون .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ

وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ
عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ
لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾

[الإعراب] ثاني عطفه منصوب على الحال تقديره ثانياً عطفه له في الدنيا خزي له خزي مبتدأ وخبر وفي يتعلق بما يتعلق به اللام والمبتدأ وخبره في محل الرفع بأنه خبر . من يجادل خبر بعد خبر . ذلك بأن الله هو الحق وذلك بما قدمت يداك يجوز أن يكون ذلك مبتدءاً والجار والمجرور في موضع الخبر ويجوز أن يكون التقدير الأمر ذلك فيكون ذلك خبر مبتدأ محذوف .

[المعنى] لمّا قدّم سبحانه ذكر الأدلة عقّبه بما يتصل به فقال ﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾ معناه ذلك الذي سبق ذكره من تصريف الخلق على هذه الأحوال وإخراج النبات بسبب أن الله هو الحق أي ليعلموا أنه الذي يحقّ له العبادة دون غيره وقيل هو الذي يستحق صفات التعظيم ﴿ وأنه يحيي الموتى ﴾ لأن من قدر على إنشاء الخلق فإنه يقدر على إعادته ﴿ وإنه على كل شيء قدير ﴾ أما المعدومات فيقدر على إيجادها وأما الموجودات فيقدر على إفنائها وإعادتها ويقدر على جميع الأجناس ومن كل جنس على ما لا نهاية له ﴿ وإن الساعة آتية لا ريب فيها ﴾ أي وليعلموا أن القيامة آتية لا شك فيها ﴿ وإن الله يبعث من في القبور ﴾ أي يحييهم للجزاء لأن ما ذكرناه يدل على البعث على الوجه الذي بيّناه ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴾ سبق تفسيره ﴿ ولا هدى ﴾ أي لا يرجع فيما يقوله إلى علم ولا دلالة ﴿ ولا كتاب منير ﴾ أي مضيء له نور يؤدّي من تمسك به إلى الحق والمعنى أنه لا يتبع أدلة العقل ولا أدلة السمع وإنما يتبع الهوى والتقليد وفي هذا دلالة على أن الجدال بالعلم صواب وبغير العلم خطأ لأن الجدال بالعلم يدعو إلى اعتقاد الحق وبغير العلم يدعو إلى

إعتقاد الباطل ﴿ ثاني عطفه ﴾ أي متكبراً في نفسه عن ابن عباس يقول العرب ثنى فلان عطفه إذا تكبر وتجبّر وعطفا الرجل جانباه من عن يمين أو شمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان أي يلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء وقيل معناه لاوي عنقه إعراضاً وتكبّراً عن الله ورسوله عن قتادة ومجاهد ﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾ أي ليضلّ الناس عن الدين ومن فتح الياء أراد ليضل هو عن طريق الحق المؤدّي إلى توحيد الله ﴿ له في الدنيا خزي ﴾ أي هوان وذل وفضيحة بما يجري له على ألسنة المؤمنين من الذم وبالقتل وغير ذلك ﴿ ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴾ أي النار التي تحرقهم ﴿ ذلك ﴾ أي يقال له ذلك العذاب ﴿ بما قدمت يداك ﴾ أي بما كسبت يداك ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ في تعذيبه لأن الله لا يظلم ولا يعاقب إبتداء ولا يزيد على الجزاء وفي هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة الذين ينسبون كل ظلم في العالم إلى الله تعالى .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

[القراءة] قرأ روح وزيد عن يعقوب خاسر الدنيا والآخرة بالجر وهو قراءة مجاهد وحميد بن قيس والباقون خسر بغير ألف والآخرة بالنصب وقرأ أهل البصرة وابن عامر وورش

ثم ليقطع بكسر اللام والباقون بسكونها وكذلك ثم ليقضوا وزاد ابن عامر وليوفوا وليطوّفوا بالكسر فيهما أيضاً وقرأ أبو بكر وليوفوا بتشديد الفاء والأعشى عنه بكسر اللام أيضاً والباقون وليوفوا ساكنة الواو خفيفة الفاء .

[الحجة] من قرأ خسر الدنيا والآخرة فإن هذه الجملة تكون بدلاً من قوله ﴿ إنقلب على وجهه ﴾ فكأنه قال وإن أصابته فتنة خسر الدنيا والآخرة ومثله قول الشاعر :

إنْ يَجْبُنُوا أَوْ يَغْدِرُوا أَوْ يَبْخَلُوا لا يَحْفِلُوا يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجِّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

فقوله ﴿ يغدوا عليك ﴾ بدل من لا يحفلوا ومن قرأ خاسر الدنيا والآخرة فإنه منصوب على الحال وأما قوله ﴿ ثم ليقطع ﴾ فإن أصل هذه اللام الكسر فإذا دخلها الواو والفاء أو ثم فمن أسكنها مع الفاء والواو فإن الفاء والواو يصيران كشيء واحد في نفس الكلمة لأن كل واحد منهما لا ينفرد بنفسه فصار بمنزلة كتف وفخذ فأما ثم فهو منفصل عن الكلمة وليست كالواو والفاء فمن أسكن اللام معها شبّه الميم في ثم بالفاء والواو وجعله كقولهم أراك مُنْتَفْخاً كقول العجاج (أَرَاكَ مُنْتَصْباً وَمَا تَكَرْدَسا) ومثل ذلك قولهم وَهْيَ فَهْيَ .

[اللغة] الحرف والطرف والجانب نظائر والإطمئنان التمكن والفتنة هاهنا المحنة والإنقلاب الرجوع والعشير الصاحب المعاشر أي المخالط والنصرة المعونة وقيل إن النصرة هاهنا الرزق تقول العرب من ينصرني نصره الله أي من أعطاني أعطاه الله قال الفقعسي[1] .

وَإِنَّكَ لا تُعْطِي امْرِءاً فَوْقَ حَظِّهِ وَلا تَمْلِكُ الشَّقَ الَّذِي الْغَيْثُ نَاصِرُهُ

أي معطيه وجائده ويقال نصر الله أرض فلان أي جاد عليها بالمطر والسبب كل ما يتوصل به إلى الشيء ومنه قيل للحبل سبب وللطريق سبب وللباب سبب .

[الإعراب] يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه قال الزجاج إختلف الناس في تفسير هذه اللام فقال البصريون والكوفيون معنى هذه اللام التأخير والتقدير يدعو من لضرّه أقرب من نفعه ولم يشرحوه قال وشرحه أن اللام لليمين والتوكيد فحقها أن تكون في أول الكلام فقدمت لتجعل في حقها وإن كان أصلها أن يكون في آخره كما أن لام أن حقها أن تكون في الإبتداء فلما لم يجز أن تلي إن جعلت في الخبر مثل قولك أن زيداً لقائم فهذا قول وقالوا أيضاً أن يدعو معه هاء مضمرة وإن ذلك في موضع رفع ويدعو في موضع الحال المعنى ذلك

(١) ونسبه الشريف المرتضى في الأمالي إلى مضرس بن ربعي .

هو الضلال البعيد يدعوه أي في حال دعائه إياه ويكون لمن ضره أقرب مستأنفاً مرفوعاً بالابتداء وخبره لبئس المولى ولبئس العشير وفيه وجه آخر أغفله الناس وهو أن يكون ذلك في تأويل الذي وهو في موضع نصب لوقوع يدعو عليه ويكون لمن ضرّه مستأنفاً وهو مثل قوله وما تلك بيمينك يا موسى ومعناه وما التي بيمينك وقال أبو علي ان اللامات التي هي حروف دالة على معان سوى الجارة والتي للأمر على أربعة أضرب (أحدها) تدخل على خبر ان إذا خففت أو على غير خبرها ليفصل بين أن النافية والمؤكدة مثل قوله وإن كانوا ليقولون وإن كاد ليضلنا (والثاني) يختص بالدخول على الفعل المضارع والماضي ويكون جواباً للقسم نحو قوله ﴿ لأملئن جهنم ﴾ وقول امرىء القيس « لَنَامُوا فَمَا إن مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِ »[1] (والثالث) يدخل في الشرط إذا كان جزاؤه معتمداً على قسم نحو قوله ﴿ ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلّوا ﴾ (والرابع) يختص بالدخول على الأسماء المبتدأة وهي التي تدخل على خبر أن ويدخل على الفعل لمضارع إذا كان للحال وكان خبراً لأن وهو أحد جهتي مضارعة الفعل المضارع للاسم وقد تدخل هذه اللام في ضرورة الشعر على خبر المبتدأ في غير أن وذلك كقوله « أُمُّ الحُلَيْس لَعَجُوزٌ شَهْرَبَة »[2] وكما حكى أبو الحسن في حكاية نادرة أن زيداً وجهه لحسن فإذا كان هذه اللام حقّها أن تدخل على المبتدأ أو على إسم أن أو خبرها من حيث أدخلها على المبتدأ وكان دخولها على خبر المبتدأ ضرورة مع أنه المبتدأ في المعنى فدخوله في الموصول والمراد به الصلة ينبغي أن لا يجوز لأن الصلة ليست بالموصول كما أن خبرَ المبتدأ المبتدأ فمن زعم أن اللام في لمن ضرّه حكمها أن تكون في المبتدأ الذي في الصلة ثم قدّم على الموصول كان مخطئاً وأيضاً فإن اللام إذا كان حكمه أنه يكون في الصلة ثم قدّم على الموصول فذلك غير سائغ كما أن سائر ما يكون في الصلة لا يتقدّم على الموصول قال والوجه في ذلك أن يجعل قوله ﴿ يدعو ﴾ تكراراً للفعل الأول على جهة تكثير هذا الفعل الذي هو الدعاء من فاعله ولا تجعلها متعدية إذ قد تعدت مرّة ويجوز أن تجعل مع يدعو هاء مضمرة ويكون في موضع نصب على الحال من ذلك فكأنه قال ذلك هو الضلال البعيد مدعواً ويجوز أن تجعل ذلك هو الضلال البعيد مفعول يدعو على أن يكون ذلك في معنى الذي يكون هو الضلال البعيد صلته كما قال أبو إسحاق أيضاً فتكون اللام في هذه الوجوه داخلة على اسم مبتدأ موصول ولا موضع للجملة التي هي لمن ضرّه أقرب من نفعه

(١) وقبله « حلفت لها بالله حلفة فاجر » والشعر بتمامه في جامع الشواهد .

(٢) وبعده « ترضى من اللحم بعظم الرقبة » والشعر في جامع الشواهد .

الآية لأنها لا تقع موقع مفرد ويكون اللام في قوله ﴿ لبئس المولى ولبئس العشير ﴾ في موضع رفع لوقوعه خبر المبتدأ وتكون هذه اللام لليمين فهذا ما يجب أن تحمل الآية عليه وأقول إن إعرابه على الوجه الأول أن يكون ما لا يضرُّه مفعول يدعو وما لا ينفعه معطوفاً عليه وذلك مبتدأ وهو الضلال البعيد خبره ويدعو تكراراً للفعل الأول وعلى الوجه الثاني يكون يدعو حالاً من معنى الإشارة في ذلك وعلى الوجه الثالث يكون ذلك إسماً موصولاً بمعنى الذي والجملة صلته والموصول والصلة في موضع نصب بأنه المفعول ليدعو واللام في لمن ضره لام الابتداء والموصول والصلة في موضع رفع بالإبتداء ولبئس المولى جواب القسم والقسم والمقسم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والعائد إلى المبتدأ هو الضمير المحذوف من الجملة لأن التقدير لبئس المولى هو ولبئس العشير هو قال الزجاج وفيه وجه آخر وهو أن يكون يدعو في معنى يقول ويكون من في موضع رفع وخبره محذوف ويكون المعنى لمن ضره أقرب من نفعه هو مولاي ومثله قول عنترة :

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الأَدْهَمِ (١)

أي يقولون يا عنتر ويجوز أن يكون يدعو في معنى يسمى كما قال ابن أحمر :

أَهْوَى لَهَا مِشْقَصاً حَشْراً فَشَبْرَقَهَا وَكُنْتُ أَدْعُو قَذَاهَا الإِثْمِدَ الفَرِدَ (٢)

وأقول إنما قال خبر المبتدأ هنا محذوف لأن من يعبد الصنم لا يقول لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى فلذلك قدر الخبر محذوفاً .

[النزول] قيل نزلت هذه الآية ومن الناس من يعبد الله على حرف في جماعة كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة فكان أحدهم إذا صحَّ جسمه ونتجت فرسه وولدت امرأته غلاماً وكثرت ماشيته رضي به واطمأن إليه وإن أصابه وجع في المدينة وولدت امرأته جارية قال ما أصبت في هذا الدين إلا شرّاً عن ابن عباس .

[المعنى] لمّا تقدّم ذكر الكفار وما تعاطوه من الجدال ذكر سبحانه بعده حال مقلدة الضلال والدعاة إلى الضلال فقال ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أي على ضعف في العبادة كضعف القائم على حرف أي طرف حبل أو نحوه عن علي بن عيسى قال وذلك

(١) هذا بيت من المعلقة . الشطن : الحبل الذي يستقى به واللبان الصدر شبه النصل الطويل .

(٢) وسنان حشر أي دقيق . وشبرقها أي مزقها . والأثمد : حجر يكتحل به . والقذى : ما يقع في العين من تبنة وغيرها .

من اضطرابه في طريق العلم إذا لم يتمكن من الدلائل المؤدّية إلى الحق فينقاد لأدنى شبهة لا يمكنه حلّها وقيل على حرف أي على شك عن مجاهد وقيل معناه انه يعبد الله بلسانه دون قلبه عن الحسن قال الدين حرفان أحدهما اللسان والثاني القلب فمن اعترف بلسانه ولم يساعده قلبه فهو على حرف ﴿فإن أصابه خير اطمأن به﴾ أي أصابه رخاء وعافية وخصب وكثرة مال اطمأنَّ على عبادة الله بذلك الخير ﴿وإن أصابته فتنة﴾ أي اختبار بجدب وقلة مال ﴿انقلب على وجهه﴾أي رجع عن دينه إلى الكفر والمعنى انصرف إلى وجهه الذي توجّه منه وهو الكفر﴿خسر الدنيا والآخرة﴾أي خسر الدنيا بفراقه وخسر الآخرة بنفاقه﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ أي الضرر الظاهر لفساد عاجله وآجله وقيل خسر في الدنيا العز والغنيمة وفي الآخرة الثواب والجنة ﴿يدعو من دون الله ما لا يضرُّه وما لا ينفعه﴾ أي يدعو هذا المريد بعبادته سوى الله ما لا يضرُّه إن لم يعبده وما لا ينفعه إن عبده ﴿ذلك﴾ الذي فعل ﴿هو الضلال البعيد﴾ عن الحق والرشد يدعوه على الوجه الآخر معناه ﴿يدعو﴾ الذي هو الضلال البعيد ﴿لمن ضره أقرب من نفعه﴾ قال السدي يعني الذي ضرّه في الآخرة بعبادته إياه أقرب من النفع وإن كان لا نفع عنده ولكن العرب تقول لما لا يكون هذا بعيد ونفع الصنم بعيد لأنه لا يكون فلما كان نفعه بعيداً قيل لضره انه أقرب من نفعه على معنى أنه كائن ﴿لبئس المولى﴾ أي لبئس الناصر هو ﴿ولبئس العشير﴾ أي الصاحب المعاشر المخالط هو يعني الصنم يخالطه العابد ويصاحبه ولما ذكر الشاك في الدين بالخسران ذكر ثواب المؤمنين على الإيمان فقال ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا﴾ بالله وصدَّقوا رسله ﴿وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد﴾ بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة وبأعدائه وأهل معصيته من الإهانة لا يدفعه دافع ولا يمنعه مانع ثم قال ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله﴾ الهاء في ينصره عائدة إلى النبي ﷺ عن ابن عباس وقتادة والمعنى من كان يظن أن الله لن ينصر نبيّه محمداً ﷺ ولا يعينه على عدوّه ﴿في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء﴾ أي فليشدد حبلاً في سقفه ﴿ثم ليقطع﴾ أي ليمدد ذلك الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً والمعنى فليختنق غيظاً حتى يموت فإن الله ناصره ولا ينفعه غيظه وهو قوله ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾ أي صنعه وحيلته ﴿ما يغيظ﴾ ما بمعنى المصدر أي هل يذهبن كيده غيظه عن قتادة وأكثر المفسرين وقيل فليمدد بسبب إلى السماء معناه فليطلب شيئاً يصل به إلى السماء المعروفة ثم ليقطع نصر الله ووحي الله عن محمد ﷺ وليزل بكيده ما يغيظه من نصر الله له ونزول الوحي عليه أي لا يتهيأ له ذلك ولا سبيل له إليه فليتجرع ما يغيظه وإنما قال سبحانه ذلك على وجه التبعيد أي كما لا يتهيأ لهم الوصول إلى السماء كذلك لا يتهيأ لهم ازالة ما يغيظهم من أمر رسول الله ونصره على أعدائه دائماً وإنما ذكر السماء لأن النصر يأتيه من قبل السماء ومن

الملائكة عن أبي علي الجبائي وقيل ان الهاء في ينصره عائدة إلى من عن مجاهد والضحاك وأبي مسلم ثم اختلف في معناه فقيل من كان يظن من الناس أن الله لا ينصره فليجهد جهده وليصعد السماء ثم ليقطع المسافة فلينظر هل ينفعه كيده في ازالة غيظه لما يدعى إليه من دين الله فإن الذي حكم الله به لا يبطل بكيد الكائد عن أبي مسلم وقيل المراد بالنصر الرزق ويقال أرض منصورة أي ممطورة والمعنى من ظنَّ أن الله لا يرزقه في الدنيا والآخرة فليختنق نفسه أي لا يمكنه تكثير رزقه أي كما لا يقدر أن يزيد فيما رزقه الله بهذا النوع من الكيد كذلك لا يقدر عليه بسائر انواع الكيد وهذا مثل ضربه الله لهذا الجاهل الذي يسخط لما أعطاه الله أي مثله مثل من فعل بنفسه هذا .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟
إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ
وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾

[الإعراب] خبر ان الأولى جملة الكلام مع ان الثانية وزعم الفراء ان قولك ان زيداً انه لقائم وروى ان هذه الآية إنما صلحت في الذي قال الزجاج لا فرق بين الذي وغيره في باب ان ان قلت ان زيداً انه قائم كان جيداً قال جرير

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرْبَلَهُ سِرْبَالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ

[المعنى] ثم بيَّن سبحانه أنه نزل الآيات حجة على الخلق فقال ﴿وكذلك﴾ أي ومثل

ما تقدَّم من آيات القرآن ﴿أنزلناه﴾ يعني القرآن ﴿آيات بينات﴾ أي حججاً واضحات على التوحيد والعدل والشرائع ﴿وإن الله يهدي من يريد﴾ أي وأنزلنا إليك أن الله يهدي إلى الدين من يريد وقيل إلى النبوة وقيل إلى الثواب وقيل يهدي من يهتدى بهداه ﴿إن الذين آمنوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿والذين هادوا﴾ وهم اليهود ﴿والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا﴾ ظاهر المعنى ﴿ان الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ أي يبيّن المحق من المبطل بما يضطر إلى العلم بصحة الصحيح فيبيض وجه المحقّ ويسودُّ وجه المبطل والفصل التمييز بين الحق والباطل ﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾ أي عليم مطّلع على ما من شأنه أن يشاهد بعلمه قبل أن يكون لأنه علام الغيوب ثم خاطب النبي ﷺ والمراد به جميع المكلفين فقال ﴿ألم تر﴾ أي ألم تعلم ﴿إن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض﴾ من العقلاء ﴿والشمس﴾ أي ويسجد الشمس ﴿والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ وصف سبحانه هذه الأشياء بالسجود وهو الخضوع والذل والانقياد لخالقها فيما يريد منها ﴿وكثير من الناس﴾ يعني المؤمنين الذين يسجدون لله تعالى وانقطع ذكر الساجدين ثم ابتدأ فقال ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ أي ممن أبى السجود ولا يوحّده سبحانه قال الفراء قوله وكثير حق عليه العذاب يدل على أن المعنى وكثير أبى السجود لأنه لا يحق عليه العذاب إلا بتركه السجود ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾ معناه من يهنه الله بأن يشقيه ويدخله جهنم فما له من مكرم بالسعادة أي بادخاله الجنة لأنه لا يملك العقوبة والمثوبة سواه ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ من الإنعام والانتقام بالفريقين من المؤمنين والكافرين .

﴿ * هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ
فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ
رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾
وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ
غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ

فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا
إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة وعاصم ولؤلؤاً بالنصب وفي سورة فاطر مثله والباقون بالجر في الموضعين الا يعقوب فإنه قرأ هاهنا بالنصب وفي فاطر بالجر وترك أبو جعفر وأبو بكر وشجاع الهمزة الأولى منه في جميع القرآن وفي الشواذ قراءة ابن عباس يحلون بفتح الياء وتخفيف اللام .

[الحجة] قال أبو علي وجه الجر في لؤلؤ انهم يحلون فيها من أساور من ذهب ومن لؤلؤ ووجه النصب انه على ويحلون لؤلؤاً ويجوز أن يكون عطفاً على موضع الجار والمجرور لأن المعنى في يحلون فيها من أساور يحلون أساور وقال ابن جني يحلون من حلي يحلى يقال لم أحل منه بطائل أي لم أظفر ويجوز أن يكون من قولهم امرأة حالية أي ذات حلى .

[اللغة] الخصم يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والأنثى يقال رجل خصم ورجلان خصم ورجال خصم ونساء خصم وقد يجوز في الكلام هذان خصمان اختصموا وهؤلاء خصم اختصموا قال الله تعالى ﴿وهل اتيك نبأ الخصم﴾ إذ تصوروا المحراب وهكذا حكم المصادر إذا وصف بها أو أخبر بها نحو عدل ورضى وصوم وفطر وزور وحري وقمن وما أشبه ذلك وإنما قال في الآية خصمان لأنهما جمعان وليسا برجلين ومثله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والحميم الماء المغلي والصهر الإذابة يقال صهرته فانصهر قال

تَرْوِي لَقَىً أَلْقِيَ فِي صَفْصَفٍ تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ فَمَا يَنْصَهِرْ[1]

يعني ولدها والمقامع جمع مقمعة وهي مدقة الرأس من قمعه قمعاً إذا ردعه والحريق بمعنى المحرق كالأليم والأساور جمع اسوار وفيه ثلاث لغات اسوار بالألف وسِوار وسُوار بالكسر والضم والجمع اسورة .

[النزول] قيل نزلت الآية هذان خصمان اختصموا في ستة نفر من المؤمنين والكفار تبارزوا يوم بدر وهم حمزة بن عبد المطلب قتل عتبة بن ربيعة وعلي بن أبي طالب (ع) قتل

(١) قائله ابن احمر يصف فرخ قطاة . قوله « تروى » اي تسوق اليه الماء اي تصير له كالراوية . والصفصف الفلاة . وقوله « تصهره الشمس . . » أي تذيبه الشمس فيصبر على ذلك .

الوليد بن عتبة وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب قتل شيبة بن ربيعة عن أبي ذر الغفاري وعطا وكان أبو ذر يقسم بالله تعالى انها نزلت فيهم ورواه البخاري في الصحيح وقيل نزلت في أهل القرآن وأهل الكتاب عن ابن عباس وقيل في المؤمنين والكافرين عن الحسن ومجاهد والكلبي وهذا قول أبي ذر إلا أن هؤلاء لم يذكروا يوم بدر .

[المعنى] لمّا تقدّم ذكر المؤمنين والكافرين بيّن سبحانه ما أعدّه لكل واحد من الفريقين فقال هذان خصمان أي جمعان فالفرق الخمسة الكافرة خصم والمؤمنون خصم وقد ذكروا في قوله ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين﴾ الآية ﴿اختصموا في ربهم﴾ أي في دين ربهم فقالت اليهود والنصارى للمسلمين نحن أولى بالله منكم لأن نبينا قبل نبيكم ودينا قبل دينكم وقال المسلمون بل نحن احق بالله منكم آمنّا بكتابنا وكتابكم ونبيّنا ونبيكم وكفرتم انتم بنبيّنا حسداً فكان هذا خصومتهم وقيل ان معنى اختصموا اقتتلوا يوم بدر ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ قال ابن عباس حين صاروا إلى جهنم لبسوا مقطعات النيران وهي الثياب القصار وقيل يجعل لهم ثياب نحاس من نار وهي أشد ما تكون حرّاً عن سعيد بن جبير وقيل أن النار تحيط بهم كإحاطة اللباب التي يلبسونها بهم ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ أي الماء المغلي فيذيب في ما بطونهم من السحوم وتساقط الجلود وفي خبر مرفوع أنه يصب على رؤوسهم الحميم فينفذ إلى أجوافهم فيسلت ما فيها ﴿يصهر به ما في بطونهم والجلود﴾ أي يذاب وينضج بذلك الحميم ما فيها من الأمعاء وتذاب به الجلود ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ قال الليث المقمعة شبه الجرز من الحديد يضرب بها الرأس وروى أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ في قوله ولهم مقامع من حديد لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض وقال الحسن إن النار ترميهم بلهبها حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرّون ساعة فذلك قوله ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها﴾ أي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفسهم حين ليس لها مخرج ردّوا اليها بالمقامع ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أي ويقال لهم ذوقوا والذوق طلب ادراك الطعم والحريق الاسم من الاحتراق قال الزجاج هذا لأحد الخصمين وقال في الخصم الذين هم المؤمنون ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا﴾ بالله وأقرّوا بوحدانيته ﴿وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من تحت ابنيتها وأشجارها ﴿يحلون فيها﴾ أي يلبسون الحلي فيها ﴿من أساور﴾ وهي حلي اليد ﴿من ذهب ولؤلؤاً﴾ أي ومن لؤلؤ ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ أي ديباج حرّم الله سبحانه لبس

الحرير على الرجال في الدنيا وشوّقهم إليه في الآخرة فأخبر أن لباسهم في الجنة حرير ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ أي أرشدوا في الجنة إلى التحيات الحسنة يحيّي بعضهم بعضاً ويحيّيهم الله وملائكته بها وقيل معناه ارشدوا إلى شهادة أن لا إله إلا الله والحمد لله عن ابن عباس وزاد ابن زيد والله أكبر وقيل ارشدوا إلى القرآن عن السدي وقيل إلى القول الذي يلتذونه ويشتهونه وتطيب به نفوسهم وقيل إلى ذكر الله فهم به يتنعمون ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ والحميد هو الله المستحق للحمد المستحمد إلى عباده بنعمه عن الحسن أي الطالب منهم أن يحمدوه وروي عن النبي ﷺ انه قال ما أحد أحبُّ إليه الحمد من الله عزّ ذكره وصراط الحميد هو طريق الإسلام وطريق الجنة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ
لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ
نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ
أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ
يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ
فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا
وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ
وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ
خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ

فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ حفص عن عاصم وروح وزيد عن يعقوب سواء بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة ابن عباس وأبي مجلز ومجاهد وعكرمة والحسن رجالاً بالتشديد والضم وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقراءة ابن أبي إسحاق والزهري والحسن بخلاف رجالاً بالضم والتخفيف .

[الحجة] قال أبو علي وجه الرفع في سواء أنه خبر مبتدأ مقدم والمعنى العاكف فيه والبادي سواء ليس أحدهما بأحق به من صاحبه وهذا يدل على أن أرض الحرم لا تملك ولو ملكت لم يستويا فيها وصار العاكف فيها أولى بها من البادي لحق ملكه ولكن سبيلها سبيل المساجد التي من سبق إليها كان أولى بها ومن نصب سواء اعمل المصدر اعمال اسم الفاعل فرفع العاكف به كما يرفع بمستوى لو قال جعلناه مستوياً العاكف فيه والبادي ووجه اعماله أن المصدر قد يقوم مقام اسم الفاعل في الصفة في نحو قولهم رجل عدل فيصير عدل كعادل ويجوز في نصب سواء وجه آخر وهو ان تنصبه على الحال فإذا نصبته عليها وجعلت قوله للناس مستقراً جاز أن يكون حالاً يعمل فيها معنى الفعل وذو الحال الذكر الذي في المستقر ويجوز أن يكون حالاً من الفعل الذي هو جعلناه فإن جعلتها حالاً من الضمير المتصل بالفعل كان الضمير ذا الحال والعامل فيها الفعل وجواز كون للناس مستقراً على أن يكون المعنى أنه جعل للناس ونصب لهم منسكاً ومتعبداً كما قال إن أول بيت وضع للناس وأما قوله رجّالاً فهو جمع راجل مثل طالب وطلاب وكاتب وكتاب واما رُجالا بتخفيف الجيم فهو غريب في الجمع فهو نحو ظُؤار وعُراق ورُخال في جمع ظئر وعرق ورخل .

[اللغة] العاكف المقيم الملازم للمكان والبادي أصله من بدا يبدو إذا ظهر والبدو خلاف الحضر سمي بذلك لظهوره والبادي في الآية الطارىء والمكان ما يتمكن عليه الشيء قيل هو اسم لما احاط بالشيء والمكان والموضع والمستقر نظائر والرجال جمع راجل مثل صحاب وقيام وفي جمع صاحب وقائم والضامر المهزول اضمره السير والعميق البعيد قال الراجز « يقطعن بعد النازح العميق » والبائس الذي به ضرّ الجوع والفقير الذي لا شيء له يقال بؤس فهو بائس أي صار ذا بؤس وهو الشدة قال الأزهري لا يعرف التفث في لغة العرب إلا من قول ابن عباس وأهل التفسير وقال النضر بن شميل هو اذهاب الشعث .

[الإعراب] خبر ان الذين كفروا محذوف يدل عليه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من

عذاب أليم فالمعنى ان الذين كفروا نذيقهم العذاب الأليم ومن يرد فيه بالحاد الباء فيه زائدة تقديره ومن يرد فيه الحاداً والباء في قوله بظلم للتعدية وما جاءت الباء فيه مزيدة قول الشاعر

بِوَادٍ يَمَانٍ يُنْبِتُ الشُّثَّ صَدْرُهُ وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ والشُّبُهَانِ[1]

وقول الأعشى

ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيَالِنا أَرْمَاحُنا مِلْءَ الْمَرَاجِلِ والصَّرِيحَ الأَجْرَدا[2]

وقول امرىء القيس

أَلا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ بِأَنَّ امْرَءَ الْقَيْسِ بْنَ تَمْلِكَ بَيْقَرا[3]

وقال الزجاج والذي يذهب إليه أصحابنا ان الباء ليست بملغاة والمعنى عندهم ومن ارادته فيه بأن يلحد بظلم وهو مثل قوله

أُرِيدُ لأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلَ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

والمعنى أريد وارادتي لهذا على كل ضامر في موضع نصب على الحال أي يأتوك رجالاً وركباناً ويأتين في موضع جرّ لأن المعنى في قوله وعلى كل ضامر على ابل ضامرة آتية من كل فج عميق وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قرأ يأتون فعلى هذا يعود الضمير في يأتون إلى الناس.

[المعنى] ثم بيّن سبحانه حال الكفار فقال ﴿إن الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله﴾ عطف بالمضارع على الماضي لأن المراد بالمضارع أيضاً الماضي ويقوّيه قوله الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ويجوز أن يكون المعنى أن الذين كفروا فيما مضى وهم الآن يصدّون الناس عن طاعة الله ﴿والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس﴾ أي مستقراً ومنسكاً ومتعبداً وقيل معناه خلقناه للناس كلهم لم يخصّ به بعض دون بعض قال الزجاج جعلناه للناس وقف تام ثم قال ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ أي العاكف المقيم فيه والباد الذي يتنابه[4] من غير اهله مستويان في سكناه والنزول به فليس أحدهما احق بالمنزل يكون فيه من

---

(١) الشث: شجر طيب الريح مر الطعم يدبغ به. والمرخ والشبهان: نوعان من الشجر.

(٢) المراجل: ضرب من الثياب. والصريح الأجرد أراد به اللبن الخالص الذي لا رغوة فيه.

(٣) قال في اللسان: بيقر الرجل. وقول امرىء القيس (في هذا البيت) يحتمل جميع ذلك.

(٤) أي يقصده ويأتيه.

الآخر غير أنه لا يخرج احد من بيته عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير قالوا ان كراء دور مكة وبيعها حرام والمراد بالمسجد الحرام على هذا الحرم كله كقوله اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام وقيل المراد بالمسجد الحرام عين المسجد الذي يصلى فيه عن الحسن ومجاهد والجبائي والظاهر يدل عليه وعلى هذا يكون المعنى في قوله جعلناه للناس أي قبلة لصلاتهم ومنسكاً لحجهم فالعاكف والباد سواء في حكم النسك وكان المشركون يمنعون المسلمين عن الصلاة في المسجد الحرام والطواف به ويدّعون أنهم أربابه وولاته ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ والالحاد العدول عن القصد واختلف في معناه هاهنا فقيل هو الشرك وعبادة غير الله تعالى عن قتادة فكأنه قال ومن يرد فيه ميلاً عن الحق بأن يعبد غير الله ظلماً وعدواناً وقيل هو الاستحلال للحرام والركوب للآثام عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وابن زيد وقيل هو كل شيء نهى عنه حتى شتم الخادم لأن الذنوب هناك أعظم وقيل هو دخول مكة بغير احرام عن عطاء ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ أي نعذبه عذاباً وجيعاً وقيل ان الآية نزلت في الذين صدّوا رسول الله ﷺ عن مكة عام الحديبية ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ معناه واذكر يا محمد إذ وطأنا لابراهيم مكان البيت وعرفناه ذلك بما جعلنا له من العلامة قال السدي ان الله تعالى لما أمره ببناء الكعبة لم يدر أين يبني فبعث الله ريحاً خجوجاً[1] فكنست له ما حول الكعبة عن الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل أن رفع أيام الطوفان وقال الكلبي بعث الله سبحانه على قدر البيت فيها رأس تتكلم فقامت بحيال الكعبة وقالت يا إبراهيم إبن على قدري وقيل ان المعنى جعلنا البيت مثوبة ومسكنة عن ابن الانباري ﴿أن لا تشرك بي شيئاً﴾ أي وأوحينا اليه ان لا تعبد غيري قال المبرد كأنه قال وحدّني في هذا البيت لان معنى لا تشرك بي شيئاً وحدّني ﴿وطهر بيتي﴾ من الشرك وعبادة الأوثان عن قتادة ﴿للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ مفسر بسورة البقرة والمراد بالقائمين المقيمين بمكة وقيل القائمين في الصلاة عن عطا ﴿ وأذّن في الناس بالحج﴾ أي ناد في الناس وأعلمهم بوجوب الحج واختلف في المخاطب به على قولين (أحدهما) انه إبراهيم عن علي وابن عباس واختاره أبو مسلم قال ابن عباس قام في المقام فنادى يا أيها الناس ان الله دعاكم الى الحج فأجابوا بلبيك اللهم لبيك (والثاني) ان المخاطب به نبينا محمد عليه أفضل الصلوات اي واذن يا محمد في الناس بالحج فأذن صلوات الله عليه في حجة الوداع أي أعلمهم بوجوب الحج عن الحسن والجبائي وجمهور المفسرين على القول الأول وقالوا اسمع الله

---

(١) الخجوج من الرياح: الشديدة .

تعالى صوت ابراهيم كل من سبق علمه بأنه يحج إلى يوم القيامة كما اسمع سليمان مع ارتفاع منزلته وكثرة جنوده حوله صوت النملة مع خفضه وسكونه وفي رواية عطا عن ابن عباس قال لما أمر الله سبحانه إبراهيم ان ينادي في الناس بالحج صعد أبا قبيس ووضع اصبعه في أذنيه وقال يا أيها الناس أجيبوا ربكم فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال وأول من أجابه أهل اليمن ﴿يأتوك رجالاً﴾ أي مشاة على أرجلهم ﴿وعلى كل ضامر﴾ أي ركباناً قال ابن عباس يريد الابل ولا يدخل بعير ولا غيره الحرم إلا وقد هزل وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال لبنيه يا بني حجوا من مكة مشاة حتى ترجعوا إليها مشاة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف حسنة ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ أي طريق بعيد وروي مرفوعاً عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله تعالى يباهي بأهل عرفات الملائكة يقول يا ملائكتي انظروا الى عبادي شعثاً غبراً أقبلوا يضربون إليّ من كل فجّ عميق فأشهدكم أني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيأهم لمحسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم فإذا أفاض القوم إلى جَمْع ووقفوا وعادوا في الرغبة والطلب إلى الله يقول يا ملائكتي عبادي وقفوا وعادوا من الرغبة والطلب فأشهدكم اني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيأهم لمحسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألني وكفلت عنهم بالتبعات التي بينهم وقوله ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ قيل يعني بالمنافع التجارات عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل التجارة في الدنيا والأجر والثواب في الآخرة عن مجاهد وقيل هي منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة عن سعيد بن المسيب وعطية العوفي وهو المروي عن أبي جعفر الباقر (ع) ويكون المعنى ليحضروا ما ندبهم الله إليه مما فيه النفع لهم في الآخرة ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ اختلف في هذه الأيام وفي الذكر فيها فقيل هي أيام العشر وقيل لها معلومات للحرص على علمها من أجل وقت الحج في آخرها والمعدودات أيام التشريق عن الحسن ومجاهد وقيل هي أيام التشريق يوم النحر وثلاثة بعده والمعدودات أيام العشر عن ابن عباس وهو المروي عن أبي جعفر (ع) واختاره الزجاج قال لأن الذكر هاهنا يدل على التمسية على ما ينحر لقوله ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي على ذبح ونحر ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم وهذه الأيام تختص بذلك وقيل ان الذكر فيها كناية عن الذبح لأن صحة الذبح لما كان بالتسمية سمي باسمه توسعاً وقيل هو التكبير قال أبو عبد الله التكبير بمنى عقيب خمس عشرة صلاة أولها صلاة الظهر من يوم النحر يقول الله أكبر الله أكبر لا إله

إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا والله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام والبهيمة أصلها من الإبهام وذلك أنها لا تفصح كما يفصح الحيوان الناطق والانعام الابل واشتقاقها من النعمة وهي اللين سميت بذلك للين اخفافها وقد يجتمع معها البقر والغنم فيسمى الجميع انعاماً اتساعاً وان انفردا لم يسميا انعاماً ﴿فكلوا منها﴾ أي من بهيمة الأنعام وهذا اباحة وندب وليس بواجب ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ فالبائس الذي ظهر عليه اثر البؤس من الجوع والعري وقيل البائس الذي يمدّ يده بالسؤال ويتكفف للطلب امر سبحانه أن يعطى هؤلاء من الهدي ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ أي ليزيلوا اشعث الاحرام من تقليم ظفر وأخذ شعر وغسل واستعمال طيب عن الحسن وقيل معناه ليقضوا مناسك الحج كلها عن ابن عباس وابن عمر قال الزجاج قضاء التفث كناية عن الخروج من الاحرام الى الإحلال ﴿وليوفوا نذورهم﴾ أي وليتموا نذورهم بقضائها ولم يقل بنذورهم لأن المراد بالايفاء الإتمام قال ابن عباس هو نحر ما نذروا من البدن وقيل هو ما نذروا من اعمال البرّ في أيام الحج وربما نذر الانسان ان يتصدق إن رزقه الله الحج وان كان على الرجل نذور مطلقة فالأفضل ان يفي بها هناك ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ هذا أمر وظاهره يقتضي الوجوب وقيل اراد به طواف الزيارة لأنه من أركان افعال الحج بلا خلاف وقيل انه طواف الصدر[1] لأنه سبحانه أمر به عقيب المناسك كلها وروى اصحابنا أن المراد به طواف النساء الذي يستباح به وصل النساء وذلك بعد طواف الزيارة فإنه إذا طاف طواف الزيارة حلّ له كل شيء إلا النساء فإذا طاف طواف النساء حلت له النساء والبيت العتيق هو الكعبة وإنما سمي عتيقاً لأنه اعتق من أن يملكه العبيد عن مجاهد وسفيان بن عيينة وأبي مسلم وقيل إنما سمي عتيقاً لأنه أعتق من أن تصل الجبابرة إلى تخريبه وما قصده جبار قبل نبينا ﷺ إلا أهلكه الله تعالى وإنما لم يهلك الحجاج حين نقضه وبناه ثانياً ببركة نبينا ﷺ فإن الله سبحانه أمن ببركته هذه الأمة من عذاب الاستئصال عن مجاهد وقيل سمي به لأنه أعتق من الطوفان فغرقت الأرض كلها إلا موضع البيت وقيل سمي به لأنه قديم فهو أول بيت وضع للناس بناه آدم (ع) ثم جدّده إبراهيم (ع) عن ابن زيد ﴿ذلك﴾ قيل ههنا وقف ومعناه الأمر ذلك اي هكذا أمر الحج والمناسك ﴿ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾ أي فالتعظيم خير له عند ربه أي في الآخرة والحرمة ما لا يحل انتهاكه وقال الزجاج الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وهي في هذه الآية ما نهي عنها ومنع من الوقوع فيها

(١) قال الطريحي: طواف الصدر: طواف الرجوع من منى.

وتعظيمها ترك ملامستها واختار أكثر المفسرين في معنى الحرمات هنا انها المناسك لدلالة مايتصل بها من الآيات على ذلك وقيل معناها ههنا البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام عن ابن زيد قال ويدل عليه قوله والحرمات قصاص ﴿وأحلت لكم الأنعام﴾ أي الإبل والبقر والغنم ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ يعني في سورة المائدة من الميتة والمنخنقة والموقوذة ونحوها ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ من هنا للتبيين والتقدير فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان وروى اصحابنا ان اللعب بالشطرنج والنرد وسائر أنواع القمار من ذلك وقيل انهم كانوا يلطخون الاوثان بدماء قرابينهم فسمي ذلك رجساً ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ يعني الكذب وقيل هو تلبية المشركين لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك وروى أصحابنا انه يدخل فيه الغناء وسائر الأقوال الملهية وروى ايمن بن خريم عن رسول الله ﷺ انه قام خطيباً فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾ يريد أنه قد جمع في النهي بين عبادة الوثن وشهادة الزور .

﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء مشدداً والباقون فتخطفه بسكون الخاء

والتخفيف وقرأ منسكاً بالكسر اهل الكوفة غير عاصم والباقون منسكاً بالفتح وفي الشواذ قراءة الحسن وابن أبي إسحاق والمقيمي الصلاة بالنصب .

[الحجة] تَخَطَّف تَتَخَطَّف فحذف تاء التفعل وهما في كلا القراءتين حكاية حال تكون والمعنى في ذلك انه في مقابلة قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها فالمشرك بعكس هذا الوصف فلم يستمسك لكفره بما فيه أمان من الخرور ونجاة من الهوى واختطاف الطير فصار كمن خرَّ من السماء فهوت به الريح فلم يكن له معتصم والأصل في المنسك الفتح لأنه لا يخلو من أن يكون مصدراً أو مكاناً وكلاهما مفتوح العين من باب يفعل الا أنه قد جاء اسم المكان منه في كلمات على المفعل نحو المطلع والمسجد شاذاً عن القياس ومن قرأ والمقيمي الصلاة فإنه حذف النون تخفيفاً لا لتعاقبها الاضافة وشبَّه ذلك بالذين واللذان في قول الشاعر

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاءُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ(١)

وقول الأخطل

أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَّيَ اللَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَا الْأَغْلَالَا

ونحوه بيت الكتاب

وَالْحَافِظُو عَوْرَةَ الْعَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمُ مِنْ وَرَائِهِمْ وَكَفُ(٢)

وقال آخر

قَتَلْنَا نَاجِياً بِقَتِيلِ عَمْرٍو وَخَيْرُ الطَّالِبِي التِّرَةَ الْغَشُومُ(٣)

[اللغة] الخطف والاخطاف الاستلاب والسحيق البعيد والسحوق النخلة الطويلة والشعائر علامات مناسك الحج التي تشعر بما جعلت له وأشعرت البدن اعلمتها بما يشعر أنها هدي والمنسك موضع العبادة والنسك العبادة يقال نسك ينسك وينسك أي تعبد وقيل هو عبادة الذبح والنسيكة الذبيحة يقال نسكت الشاة ذبحتها والاخبات الخضوع والطمأنينة وأصله من الخبت وهو المكان المطمئن وقيل المنخفض .

[المعنى] قال سبحانه ﴿حنفاء لله﴾ أي مستقيمي الطريقة على أمر الله مائلين عن سائر الأديان وهي نصب على الحال ﴿غير مشركين به﴾ أي حجاجاً مخلصين وهم

(١) حان الرجل: هلك. وفلج: اسم بلد . (٢) الوكف: العيب . (٣) الترة: الثأر. ورجل غشوم: أي ظالم .

مسلمون موحدون لا يشركون في تلبية الحج به احداً ثم ضرب سبحانه مثلاً لمن أشرك فقال ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء﴾ أي سقط من السماء ﴿فتخطفه الطير﴾ أي تأخذه بسرعة قال ابن عباس يريد تخطف لحمه ﴿أو تهوي به الريح﴾ أي تسقطه ﴿في مكان سحيق﴾ أي بعيد مفرط في البعد قال الزجاج اعلم الله سبحانه ان بعد من أشرك به من الحق كبعد من خرّ من السماء فذهب به الطير أو هوت به الريح في مكان بعيد وقال غيره شبّه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة فهو هالك لا محالة ﴿ذلك﴾ أي الأمر ذلك الذي ذكرنا ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ أي معالم دين الله والاعلام التي نصبها لطاعته ثم اختلف في ذلك فقيل هي مناسك الحج كلها عن ابن زيد وقيل هي البدن وتعظيمها استسمانها واستحسانها عن مجاهد وعن ابن عباس في رواية مقسم والشعائر جمع عشيرة وهي البدن إذا أشرعت أي اعلمت عليها بأن يشق سنامها من الجانب الأيمن ليعلم انها هدي فالذي يهدي مندوب الى طلب الاسمن والأعظم وقيل شعائر الله دين الله كله وتعظيمها التزامها عن الحسن ﴿فإنها﴾ أي فإن تعظيمها لدلالة تعظيم عليه ثم حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه فقال فإنها ﴿من تقوى القلوب﴾ أضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب وقيل أراد صدق النية ﴿لكم فيها﴾ أي في الشعائر ﴿منافع﴾ فمن تأول ان الشعائر الهدي قال ان منافعها ركوب ظهورها وشرب ألبانها إذا احتيج اليها وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وهو قول عطاء بن أبي رباح ومذهب الشافعي وعلى هذا فقوله إلى أجل مسمى معناه الى أن ينحر وقيل ان المنافع من رسلها ونسلها وركوب ظهورها وأصوافها وأوبارها ﴿إلى أجل مسمى﴾ أي إلى ان يسمى هدياً وبعد ذلك تنقطع المنافع عن مجاهد وقتادة والضحاك والقول الأول أصح لأن قبل ان تسمي هدياً لا تسمى شعائر ومن قال ان الشعائر مناسك الحج قال المراد بالمنافع التجارة إلى أجل مسمى إلى أن يعود من مكة ومن قال ان الشعائر دين الله قال لكم فيها منافع أي الأجر والثواب والأجل المسمى القيامة ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ ومن قال ان شعائر الله هي البدن قال معناه ان محل الهدي والبدن الكعبة وقيل محله الحرم كله وقال أصحابنا ان كان الهدي للحج فمحله منى وان كان للعمرة المفردة فمحله مكة قبالة الكعبة بالجزورة ومحلها حيث يحل نحرها ومن قال ان الشعائر مناسك الحج قال معناه ثم محل الحج والعمرة والطواف بالبيت العتيق وان منتهاها الى البيت العتيق لأن التحلل يقع بالطواف والطواف يختص بالبيت ومن قال ان الشعائر هي الدين كله فيحتمل ان يكون معناه ان محل ما اختص منها بالاحرام هو البيت العتيق وذلك الحج والعمرة في القصد له والصلاة في التوجه إليه ويحتمل ان يكون معناه ان

أجرها على رب البيت العتيق ﴿ولكل امة جعلنا منسكاً﴾ أي لكل جماعة مؤمنة من الذين سلفوا جعلنا عبادة في الذبح عن مجاهد وقيل قرباناً احل لهم ذبحه وقيل متعبداً وموضع نسك يقصده الناس وقيل منهاجاً وشريعة عن الحسن ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أي تعبدناهم بذلك ليذكروا اسم الله على ما رزقناهم من بهيمة الأنعام وبهيمة غير الأنعام لا يحل ذبحها ولا التقرب بها وفي هذا دلالة على ان الذبائح غير مختصة بهذه الأمة وان التسمية على الذبح كانت مشروعة قبلنا ﴿فإلهكم إله واحد﴾ أي معبودكم الذي توجهون اليه العبادة واحد لا شريك له والمعنى فلا تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده ﴿فله اسلموا﴾ أي انقادوا وأطيعوا ﴿وبشر المخبتين﴾ أي المتواضعين المطمئنين الى الله عن مجاهد وقيل الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون كأنهم اطمأنوا إلى يوم الجزاء ثم وصفهم فقال ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي إذا خوفوا بالله خافوا ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من البلايا والمصائب في طاعة الله ﴿والمقيمي الصلاة﴾ في أوقاتها يؤدُّونها كما أمرهم الله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي يتصدّقون من الواجب وغيره عن ابن عباس .

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا
لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا
صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ
وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ
لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ
لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ
يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾
ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ

وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ لن تنال الله ولكن تناله بالتاء يعقوب وقرأ الأول بالتاء أبو جعفر وقرأ الباقون بالياء فيهما وقرأ ابن كثير وأهل البصرة ان الله يدفع بغير الف والباقون يدافع بالألف وقرأ أهل المدينة ويعقوب ولولا دفاع الله بالألف والباقون دفع الله بغير الف وقرأ اهل المدينة وحفص أذن بضم الألف يقاتلون بفتح التاء وقرأ أبو بكر وأبو عمرو ويعقوب أذن بضم الألف يقاتلون بكسر التاء وقرأ ابن عامر اذن بفتح الالف يقاتلون بفتح التاء والباقون اذن فتح الألف يقاتلون بكسر التاء وقرأ أهل الحجاز لهدمت خفيفة الدال والباقون بالتشديد وأظهر التاء عاصم ويعقوب وأدغمه الآخرون وقرأ ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وابو جعفر الباقر (ع) وقتادة وعطاء والضحاك صوافن بالنون وقرأ الحسن وشقيق وأبو موسى الأشعري وسليمان التيمي صوافي وقرأ جعفر بن محمد (ع) وصلوات بضم الصاد واللام وقرأ الجحدري والكلبي وصلوات بضم الصاد وفتح اللام.

[الحجة] التأنيث في تنال للجماعة وللفظ التقوى والتذكير لمعنى الجمع لأن التقوى بمعنى الاتقاء والدفع مصدر دفع والدفاع مصدر دافع وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو طارقت النعل وعاقبت اللص واما قوله اذن للذين يقاتلون فالقراءات فيها متقاربة والمأذون لهم في القتال اصحاب رسول الله ﷺ وما ظلموا به ان المشركين أخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة ثم هاجروا إلى المدينة فمن قرأ اذن على بناء الفعل للفاعل فلما تقدم من ذكر الله سبحانه وقوله للذين يقاتلون في موضع نصب ومن قرأ يقاتلون فالمعنى انهم يقاتلون عدوهم الظالمين لهم ومن قرأ أذن على بناء الفعل للمفعول به فالمعنى على أن الله سبحانه اذن لهم في القتال والجار والمجرور في موضع رفع وقوله لهدمت بالتخفيف وانما جاز لأن ذلك قد يكون للقليل والكثير تقول ضربت زيداً ضربة وضربته الف ضربة فاللفظ في القلة والكثرة على حالة واحدة وهدمت بالتشديد يختص بالكثرة قال الشاعر

مَا زِلْتُ أَفْتَحُ أَبْوَاباً وَأُغْلِقُهَا حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا عَمْرِو بْنِ عَمَّارِ

فأما من قال صوافن فمثل الصافنات وهي الجياد من الخيل إلا أنه استعمل هنا في

الابل والصافن الرافع احدى رجليه معتمداً منها على سنبكها[١] قال عمرو بن كلثوم

تَرَكْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَاً

والصوافي الخوالص لوجه الله واما صَلَوات وصُلُوات فيمكن ان يكون جمع صلاة وإن كانت غير مستعملة فيكون مثل حجرة وحُجُرات وحَجَرات .

[اللغة] البدن جمع بدنة وهي الابل المبدنة بالسمن قال الزجاج تقول بدنت الابل أي سمنتها وقيل اصل البدن الضخم وكل ضخم بدن وبدن بَدْنا وبُدْنا إذا ضخم وبدن تبديناً إذا اسن وثقل لحمه بالاسترخاء وفي الحديث اني قد بدنت فلا تبادروني بالركوع والسجود وقال (وكُنْتُ خِلْتُ الشَّيْبَ والتَّبْدِينا)[٢] والوجوب الوقوع يقال وجبت الشمس اذا وقعت في المغيب للغروب ووجب الحائط وقع ووجب القلب اضطرب بأن وقع ما يوجب اضطرابه ووجب الفعل إذا وقع ما يلزم به ووجب البيع إذا وقع وجوباً والصواف المصطفة الأزهري عن ابن الاعرابي قال قنعت بما رزقت بالكسر وقنعت الى فلان خضعت له بالفتح والمعتر والمعتري واحد وروي عن الحسن وأبي رجاء وعمرو بن عبيد انهم قرأوا المعتري يقال عراه واعتراه وعرَّه واعترَّه كله بمعنى أتاه وقصده قال طرفة

فِي جِفَانٍ تَعْتَرِي نَادِيَتَا وَسَدِيفٍ حِينَ هَاجَ الصَّنَبَرُ[٣]

ويقال قنع الرجل الى فلان قنوعاً إذا سأل قال الشماخ

لِمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي مَفَاقِرَهُ أَعَفُّ مِنَ الْقُنُوعِ

والصومعة أصلها من الانضمام ومنه الأصمع للاصق الاذنين وكل منضم فهو متصمع قال ابو ذؤيب يصف صائداً

فَرَمَى فَأَنْفَذَ مِنْ نُحُوصٍ عَائِطٍ سَهْماً فَخَرَّ وَرِيشُهُ مُتَصَمِّعُ[٤]

والبيع كنائس اليهود .

---

(١) السنبك : طرف الحافر .

(٢) قائله حميد الأرقط وبعده « والهم مما يذهل القرينا » .

(٣) النادي : المجلس والسديف : لحم السنام وقيل شحمه . والصنبر : برد الشتاء .

(٤) النحوص : الاتان الوحشية . والعائط من النوق : التي لم تحمل اول سنة يطرقها الفحل . والمتصمع من السهام : المنضم الريش من الدم .

[الإعراب] والبدن منصوب باضمار فعل تقديره وجعلنا البدن جعلناها صواف منصوب على الحال الذين أخرجوا من ديارهم في محل الجر بأنه من الذين يقاتلون ويجوز أن يكون في موضع الرفع على تقديرهم الذين أخرجوا وفي محل النصب على المدح على تقدير أعني الذين أخرجوا بغير حق في موضع نصب على الحال ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف وتقديره اخرجوا اخراجاً بهذه الصفة إلا أن يقولوا ربنا الله الا هاهنا لنقض النفي وتقديره إلا بأن يقولوا أي بقولهم وبعضهم منصوب على البدل من الناس وهو بدل البعض من الكل والتقدير دفع الله بعض الناس ببعض .

[المعنى] ثم عاد إلى ذكر الشعائر فقال ﴿والبدن﴾ وهي الابل العظام وقيل الناقة والبقرة مما يجوز في الهدي والاضاحي عن عطاء والسدي ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي من اعلام دينه وقيل من علامات مناسك الحج والمعنى جعلناها لكم فيها عبادة الله من سوقها إلى البيت واشعارها وتقليدها ونحرها والاطعام منها ﴿لكم فيها خير﴾ أي نفع في الدنيا والآخرة وقيل أراد بالخير ثواب الآخرة وهو الوجه لأنه الغرض المطلوب ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أي في حال نحرها وعبَّر به عن النحر قال ابن عباس هو أن يقول الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك ولك ﴿صوافّ﴾ أي قياماً مقيدة على سنة محمد ﷺ عن ابن عباس وقيل هو أن تعقل احدى يديها وتقوم على ثلاثة تنحر كذلك فيسوي بين أوظفتها لئلا يتقدم بعضها على بعض عن مجاهد وقيل هو أن تنحر وهي صافة أي قائمة ربطت يديها ما بين الرسغ والخف إلى الركبة عن أبي عبد الله (ع) هذا في الإبل فأما البقر فإنه يشدّ يداها ورجلاها ويطلق ذنبها والغنم يشد ثلاث قوائم منها ويطلق فرد رجل منها ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي سقطت إلى الأرض وعبّر بذلك عن تمام خروج الروح منها ﴿فكلوا منها﴾ وهذا اذن وليس بأمر لأن أهل الجاهلية كانوا يحرّمونها على نفوسهم وقيل ان الأكل منها واجب إذا تطوع بها ﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾ اختلف في معناهما فقيل ان القانع الذي يقنع بما أعطي أو بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يتعرض لك ان تطعمه من اللحم ويسأل عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة وإبراهيم وقيل القانع الذي يسأل والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل عن الحسن وسعيد بن جبير وقال أبو جعفر (ع) وأبو عبد الله (ع) القانع الذي يقنع بما أعطيته ولا يسخط ولا يكلح ولا يلوي شدقه غضباً والمعتر المادّ يده لتطعمه وفي رواية الحلبي عن أبي عبد الله (ع) قال القانع الذي يسأل فيرضى بما أعطي والمعتر الذي يعتري رجاءه ممن لا يسأل وروي عن ابن عباس انه قال في جواب نافع بن الأزرق لما سأله عن ذلك القانع الذي يقنع بما أعطي والمعتر الذي يعتري الأبواب أما سمعت قول زهير

عَلَىٰ مُكْثِرِيهِمْ حَقُّ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ

وروي عنهم (ع) أنه ينبغي أن يطعم ثلثه ويعطي القانع والمعتر ثلثه ويهدي لأصدقائه الثلث الباقي ﴿كذلك﴾ أي مثل ما وصفناه ﴿سخّرناها لكم﴾ أي ذلّلناها لكم حتى لا تمنع عما تريدون منها من النحر والذبح بخلاف السباع الممتنعة ولتنتفعوا بركوبها وحملها ونتاجها نعمة منا عليكم ﴿لعلكم تشكرون﴾ ذلك ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ أي لن تصعد إلى الله لحومها ولا دماؤها وإنما يصعد إليه التقوى عن الحسن وهذا كناية عن القبول وذلك إنما يقبله الإنسان يقال قد ناله ووصل إليه فخاطب الله سبحانه عباده بما اعتادوه في مخاطباتهم وكانوا في الجاهلية إذا ذبحوا الهدي استقبلوا الكعبة بالدماء فنضحوها حول البيت قربة إلى الله وقيل معناه لن تبلغوا رضا الله بذلك وإنما تبلغونه بالتقوى ﴿كذلك سخّرها لكم﴾ تقدّم تفسيره ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أي على ما بيّن لكم وأرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وقيل هو ان يقول الله أكبر على ما هدانا ﴿وبشر المحسنين﴾ أي الموحدين عن ابن عباس وقيل الذين يعملون أعمالاً حسنة ولا يسيئون إلى غيرهم ثم بيّن سبحانه دفعه عن المؤمنين بشارة لهم بالنصر فقال ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ غائلة المشركين بأن يمنعهم منهم وينصرهم عليهم ﴿إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ وهم الذين خانوا الله بأن جعلوا معه شريكاً وكفروا نعمه عن ابن عباس وقيل من ذكر اسم غير الله وتقرب إلى الأصنام بذبيحته فهو خوان كفور عن الزجاج ثم بيّن سبحانه أذنه لهم في قتال الكفار بعد تقدم بشارتهم بالنصرة فقال ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ اي بسبب انهم ظلموا وقد سبق معناه في الحجة وكان المشركون يؤذون المسلمين ولا يزال يجيء مشجوج ومضروب إلى رسول الله ﷺ ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ فيقول لهم صلوات الله عليه وآله اصبروا فإني لم اؤمر بالقتال حتى هاجر فأنزل الله عليه هذه الآية بالمدينة وهي أول آية نزلت في القتال وفي الآية محذوف وتقديره أذن للمؤمنين أن يقاتلوا أو بالقتال من أجل أنهم ظلموا بأن أخرجوا من ديارهم وقصدوا بالايذاء والاهانة ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ وهذا وعد لهم بالنصر معناه أنه سينصرهم ثم بيّن سبحانه حالهم فقال ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ يحتمل معناه أن يكون أراد أخرجوا إلى المدينة فتكون الآية مدنية ويحتمل إلى الحبشة فتكون الآية مكية وذلك بأنهم تعرضوا لهم بالأذى حتى اضطروا إلى الخروج وقوله بغير حق معناه من غير أن استحقوا ذلك عن الجبائي أي لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم ربنا الله وحده وقال أبو جعفر (ع) نزلت في المهاجرين وجرت في آل محمد عليهم السلام الذين أخرجوا من ديارهم واخيفوا ﴿ولولا

دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ قد تقدَّم الكلام في هذا ﴿لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد﴾ أي صوامع في أيام شريعة عيسى وبيع في أيام شريعة موسى ومساجد في أيام شريعة محمد ﷺ عن الزجاج والمعنى ولولا أن دفع الله بعض الناس ببعض لهدم في كل شريعة بناء المكان الذي يصلي فيه وقيل البيع للنصارى في القرى والصوامع في الجبال والبراري ويشترك فيها الفرق الثلاث والمساجد للمسلمين والصلوات كنيسة اليهود عن أبي مسلم وقال ابن عباس والضحاك وقتادة الصلوات كنائس اليهود يسمونها صلوتا فعرّبت وقال الحسن اراد بذلك عين الصلاة وهدم الصلاة بقتل فاعليها ومنعهم من اقامتها وقيل أراد بالصلوات المصلّيات كما قال لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى وأراد المساجد ﴿يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ الهاء تعود إلى المساجد وقيل إلى جميع المواضع الذي تقدمت لأن الغالب فيها ذكر الله ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ هذا وعد من الله بأنه سينصر من ينصر دينه وشريعته ﴿إن الله لقوي عزيز﴾ أي قادر قاهر .

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾

[القراءة] قرأ أهل البصرة اهلكتها بالتاء والباقون اهلكناها والمعنى واحد .

[اللغة] يقال خوت الدار خواء ممدوداً فهي خاوية وخوى جوف الإنسان من الطعام خوى مقصوراً فهو خوى والتعطيل ابطال العمل بالشيء ولهذا يقال للدهري معطل لأنه أبطل

اعمل بالعلم على مقتضى الحكمة والمشيد المرتفع من الأبنية شاد الرجل بناه يشيده وشيده ويشيّده قال عدي بن زيد

شَادَهُ مَرْمَراً وجَلَّلَهُ كِلْساً فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ[1]

وقال امرؤ القيس

وتَيْماءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ وَلَا أُطُماً إلَّا مَشِيداً بِجَنْدَلِ[2]

وقيل المشيد المجصص والمبني بالشيد والشيد الجص والجيار والجيار الصاروج .

[المعنى] ثم وصف سبحانه من ذكرهم من المهاجرين فقال ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ والتمكين اعطاء ما يصحُّ معه الفعل فإن كان الفعل لا يصح الا بآلة فالتمكين اعطاء تلك الآلة لمن فيه القدرة وكذلك ان كان لا يصح الفعل إلا بعلم ونصب ودلالة واضحة وسلامة ولطف وغير ذلك فالتمكين اعطاء جميع ذلك وإن كان الفعل يكفي في صحة وجوده مجرد القدرة فخلق القدرة التمكين فالمعنى الذين أعطيناهم ما به يصحُّ الفعل منهم وسلّطناهم في الأرض أدّوا الصلاة بحقوقها وأعطوا ما افترض الله عليهم من الزكاة ﴿وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ وهذا يدلُّ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمعروف هو الحق لأنه يعرف صحته والمنكر هو الباطل لأنه لا يمكن معرفة صحته قال الزجاج هذه صفة مَنْ في قوله من ينصره وقال الحسن وعكرمة هم هذه الأمة وقال أبو جعفر (ع) نحن هم والله ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ هو كقوله وإلى الله ترجع الأمور ومعناه انه يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور اليه بلا مانع ولا منازع ثم عزى سبحانه نبيّه ﷺ عن تكذيبهم إياه وخوف مكذّبيه بذكر من كذبوا أنبيائهم فأهلكوا فقال ﴿وإن يكذبوك﴾ يا محمد ﴿فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين﴾ كل أمة من هؤلاء الأمم فقد كذبت نبيّها ثم قال ﴿وكذب موسى﴾ ولم يقل وقوم موسى لأن قومه بنو إسرائيل وكانوا آمنوا به وإنما كذّبه فرعون وقومه ﴿فأمليت للكافرين﴾ أي أخّرت عقوبتهم وأمهلتهم يقال املى الله لفلان في العمر إذا أخّر عنه أجله

(١) الكلس: مثل الصاروج يبنى به . والذرى جمع الذروة: أعلى الشيء . والوكور جمع الكثير الموكر: عش الطائر وان لم يكن فيه . وهذا البيت من قصيدة لعدي بن زيد قالها في ذم الدنيا ومن هذه القصيدة قوله « اين كسرى كسرى الملوك انوشر ● وان أم اين قبله سابور » .

(٢) الاطم الحصون والجندل: الحجارة .

﴿ثم أخذتهم﴾ أي بالعذاب ﴿فكيف كان نكير﴾ استفهام معناه التقرير أي فكيف انكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب فأبدلتهم بالنعمة نقمة وبالحياة هلاكاً قال الزجاج المعنى ثم أخذتهم فأنكرت ابلغ انكار ثم ذكر سبحانه كيف عذّب المكذبين فقال ﴿فكأين من قرية أهلكناها﴾ أي وكم من قرى اهلكناها وأخذناها والاختيار التاء وذلك لقوله فأمليت ﴿وهي ظالمة﴾ أي وأهلها ظالمون بالتكذيب والكفر ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ أي خالية من أهلها ساقطة على سقوفها ﴿وبئر معطلة﴾ عطف على قوله من قرية أي وكم من بئر بار أهلها وغار ماؤها وتعطلت من دلائها فلا مستقى منها ولا وارد لها ﴿وقصر مشيد﴾ أي وكم من قصر رفيع محصص تداعى الخراب بهلاك أهله فلم يبق فيه داع ولا مجيب وأصحاب الآبار ملوك البدو وأصحاب القصور ملوك الحضر وفي تفسير أهل البيت (ع) في قوله وبئر معطلة ان المعنى وكم من عالم لا يرجع إليه ولا ينتفع بعلمه وقال الضحاك هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضور انزل بها أربعة آلاف ممن آمن بصالح ومعهم صالح فلما حضروا مات صالح فسمي المكان حضرموت ثم انهم كثروا فكفروا وعبدوا الأصنام فبعث الله اليهم نبياً يقال له حنظلة فقتلوه في السوق فأهلكهم الله فماتوا عن آخرهم وعطلت بئرهم وخرب قصر ملكهم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأهل الكوفة غير عاصم مما يعدون بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بالتشديد وفي سبا أيضاً في موضعين والباقون معاجزين بالألف في السورتين .

[الحجة] حجة من قرأ يعدون بالياء ان قبله يستعجلونك وحجة من قرأ بالتاء ان ذلك أعم وقوله معاجزين أي ظانين ومقدرين ان يعجزونا لأنهم ظنّوا ان لا بعث ولا نشور فهو كقوله ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ومعجزين ينسبون من تبع النبي ﷺ إلى العجز نحو جهلته نسبته إلى الجهل وروي عن مجاهد انه فسّر معجزين مثبطين اي يثبطون الناس عن النبي ﷺ .

[المعنى] ثم حثّ سبحانه على الاعتبار بحال من مضى من القرون المكذبة لرسلهم فقال ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ أي أولم يسر قومك يا محمد في أرض اليمن والشام عن ابن عباس ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ أي يعلمون بها ما يرون من العبر والمعنى فيعقلون بقلوبهم ما نزل بمن كذب قبلهم ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ اخبار الأمم المكذبة ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ الهاء في أنها ضمير القصة والجملة بعدها تفسيرها قال الزجاج وقوله التي في الصدور من التوكيد الذي يريده العرب في الكلام كقوله عشرة كاملة وقوله يقولون بأفواههم وقوله يطير بجناحيه وقيل انه انما ذكر ذلك لئلا يتوهم إلى غير معنى القلب نحو قلب النخلة فيكون أنفى للبسّ بتجوز الاشتراك وكذلك قوله يقولون بأفواههم لأن القول قد يكون بغير الفم والمعنى ان الأبصار وإن كانت عمياء فلا تكون في الحقيقة كذلك إذا كان أصحابها عارفين بالحق وإنما يكون العمى عمي القلب الذي يقع معه الجحود بوحدانية الله ﴿ويستعجلونك﴾ يا محمد ﴿بالعذاب﴾ أن ينزل بهم ويستبطئونه ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ أي في انزال العذاب بهم قال ابن عباس يعني يوم بدر ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ اختلف في معناه على وجوه (أحدها) أن يوماً من أيام الآخرة يكون كألف سنة من أيام الدنيا عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن زيد وفي رواية اخرى عن ابن عباس أنه أراد أن يوماً من الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض كألف سنة ويدل عليه ما روي ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام ويكون المعنى على هذا انهم يستعجلون العذاب وان يوماً من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة (وثانيها) ان المعنى وأنّ يوماً عند ربك وألف سنة في قدرته واحد فلا فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وبين تأخّره في القدرة إلا أنه سبحانه تفضل بالامهال إذ لا

يفوته شيء عن الزجاج وهو معنى قول ابن عباس في رواية عطا (وثالثها) ان يوماً واحداً كألف سنة في مقدار العذاب لشدته وعظمته كمقدار عذاب ألف سنة من أيام الدنيا على الحقيقة وكذلك نعيم الجنة لأنه يكون في مقدار يوم من أيام الجنة من النعيم والسرور مثل ما يكون في ألف سنة من أيام الدنيا لو بقي منعم فيها ثم الكافر يستعجل ذلك العذاب لجهله عن الجبائي وهذا كما يقال في المثل « أيام السرور قصار وأيام الهموم طوال » وقال الشاعر

يَطُولُ الْيَوْمَ لا أَلْقَاكَ فِيهِ ... وَحَوْلٌ تَلْتَقِي فيهِ قَصِيرٌ

وقال

تَطَاوَلْنَ أَيَّامُ مَعْنٍ بِنَا ... فَيَوْمٌ كَشَهْرَيْنِ إِذْ يُسْتَهَلّ

وقال جرير « وَيَوْمٌ كَأَبْهَامِ الْحُبَارَى لهوْتُهُ »[1] ثم اعلم سبحانه انه أخذ قوماً بعد الاملاء والامهال فقال ﴿وكأين من قرية أمليتَ لها وهي ظالمة﴾ مستحقة لتعجيل العقاب ﴿ثم أخذتها﴾ أي أهلكتها ﴿وإليّ المصير﴾ لكل احد ثم خاطب نبيَّه ﷺ فقال ﴿قل﴾ لهم ﴿يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين﴾ أي مخوّف عن معاصي الله مبيّن لكم ما يجب عليكم فعله وما يجب عليكم تجنبه ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ من الله لمعاصيهم ﴿ورزق كريم﴾ يعني نعيم الجنة فإنه أكرم نعيم في أكرم دار ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ أي بذلوا الجهد في ابطال آياتنا وبالغوا في ذلك وأصل السعي الاسراع في المشي ﴿معاجزين﴾ أي مغالبين عن ابن عباس والمعاجزة محاولة عجز المغالب وقيل مقدرين انهم يسبقوننا والمعاجزة المسابقة وقيل ظانين ان يعجزوا الله أي يفوتوه ولن يعجزوه عن قتادة وهذا مثل ما تقدم ومن قرأ معجزين فمعناه مثبطين لمن أراد اتباع النبي ﷺ عن مجاهد وقيل قاصدين تعجيز رسولنا وقيل ناسبين من تبعه إلى العجز ﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾ أي الملازمون للجحيم أي النار .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن
قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ

(١) الحبارى: طائر اكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقاً منه وهو على شكل الاوزة، برأسه وبطنه غبرة. وفي المثل: أقصر من ابهام الحبارى .

فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾
وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ
لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾
وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً
أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

[النزول] روي عن ابن عباس وغيره ان النبي ﷺ لما تلا سورة والنجم وبلغ إلى قوله أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في تلاوته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترجى فسرَّ بذلك المشركون فلما انتهى إلى السجدة سجد المسلمون وسجد أيضاً المشركون لما سمعوا من ذكر آلهتهم بما أعجبهم فهذا الخبر ان صحَّ محمول على أنه كان يتلو القرآن فلما بلغ إلى هذا الموضع وذكر اسماء آلهتهم وقد علموا من عادته ﷺ انه كان يعيبها قال بعض الحاضرين من الكافرين تلك الغرانيق العلى وألقى ذلك في تلاوته توهم ان ذلك من القرآن فأضافه الله سبحانه إلى الشيطان لأنه إنما حصل باغوائه ووسوسته وهذا أورده المرتضى قدس الله روحه في كتاب التنزيه وهو قول الناصر للحق من أئمة الزيدية وهو وجه حسن في تأويله .

[المعنى] ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ من هنا مزيدة والتقدير ما أرسلنا قبلك رسولاً ولا نبياً وإنما ذكر اللفظين لاختلاف فائدتهما فالرسول الذي أرسله الله تعالى ولا يحمل عند الاطلاق على غير رسول الله ﷺ والنبي الذي له الرفعة والدرجة العظيمة بالإرسال وقيل ان بينهما فرقاً فالرسول الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي والنبي الذي يوحى إليه في منامه فكلُّ رسول نبي وليس كل نبي رسولاً وقيل بل الرسول هو المبعوث إلى أمة والنبي هو الذي لا يبعث إلى أمة عن قطرب وقيل ان الرسول هو المبتدىء بوضع الشرائع والأحكام والنبي الذي يحفظ شريعة غيره عن الجاحظ والقول هو الأول لأن الله سبحانه خاطب

بينا ﷺ مرة بالنبي ومرة بالرسول فقال يا أيها الرسول ويا أيها النبي فالرسول والنبي واحد لأن الرسول يعمُّ الملائكة والبشر والنبي يختص البشر فجمع بينهما هنا وفي قوله وكان رسولاً نبياً ﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ قال المرتضى لا يخلو التمني في الآية من ان يكون معناه التلاوة كما قال حسان بن ثابت

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ وَآخِرَهُ لاَقَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ

أو يكون تمني القلب فإن كان المراد التلاوة فالمعنى ان من أرسل قبلك من الرسل كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه حرَّفوا عليه وزادوا فيما يقوله ونقصوا كما فعلت اليهود وأضاف ذلك إلى الشيطان لأنه يقع بغروره ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾ أي يزيله ويدحضه بظهور حججه وخرج هذا على وجه التسلية للنبي ﷺ لما كذب المشركون عليه وأضافوا إلى تلاوته من مدح آلهتهم ما لم يكن فيها وان كان المراد تمني القلب فالوجه ان الرسول متى تمنى بقلبه بعض ما يتمناه من الأمور وسوس اليه الشيطان بالباطل يدعوه إليه وينسخ الله ذلك ويبطله بما يرشده إليه من مخالفة الشيطان وترك استماع غروره قال وأما الأحاديث المروية في هذا الباب فهي مطعونة ومضعفة عند أصحاب الحديث وقد تضمنت ما ينزه الرسل (ع) عنه وكيف يجوز ذلك على النبي ﷺ وقد قال الله سبحانه كذلك لنثبت به فؤادك وقال سنقرؤك فلا تنسى وان حمل ذلك على السهو فالساهي لا يجوز ان يقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقة لوزن السورة ونظمها ثم لمعنى ما تقدمها من الكلام لأنا نعلم ضرورة ان الساهي لو انشأ قصيدة لم يجز أن يسهو حتى يتفق منه بيت شعر في وزنها وفي معنى البيت الذي تقدمه وعلى الوجه الذي تقتضيه فائدته ويمكن أن يكون الوجه فيه ما ذكرناه في النزول لأن من المعلوم انهم كانوا يلقون عند قراءته طلباً لتغليطه ويمكن ان يكون كان هذا في الصلاة لأنهم كانوا يلقون في قراءته وقيل أيضاً انه كان إذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الآيات وأتى بكلام على سبيل الحجاج لهم فلما تلا الآيات قال تلك الغرانيق العلى على سبيل الانكار عليهم وعلى ان الأمر بخلاف ما قالوه وظنّوه وليس يمتنع ان يكون هذا في الصلاة لأن الكلام في الصلاة حينئذ كان مباحاً وإنما نسخ من بعد وقيل ان المراد بالغرانيق الملائكة وقد جاء ذلك في بعض الحديث فتوهم المشركون انه يريد آلهتهم وقيل ان ذلك كان قرآناً منزلاً في وصف الملائكة فلما ظنَّ المشركون ان المراد به آلهتهم نسخت تلاوته وقال البلخي ويجوز أن يكون النبي ﷺ سمع هاتين الكلمتين من قومه وحفظهما فلما قرأ ألقاها الشيطان في ذكره فكاد أن يجريها على لسانه فعصمه الله ونبَّهه ونسخ وسواس الشيطان وأحكم آياته

بأن قرأها النبي ﷺ محكمة سليمة مما أراد الشيطان ويجوز أن يكون النبي ﷺ لما انتهى إلى ذكر اللات والعزى قال الشيطان هاتين الكلمتين رافعاً بهما صوته فألقاهما في تلاوته في غمار الناس فظنَّ الجهال ان ذلك من قول النبي ﷺ فسجدوا عند ذلك والغرانيق جمع غرنوق وهو الحسن الجميل يقال شاب غرنوق وغرانق إذا كان ممتلياً ريا ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ أي يبقي آياته ودلائله وأوامره محكمة لا سهو فيها ولا غلط ﴿والله عليم﴾ بكل شيء ﴿حكيم﴾واضع للأشياء مواضعها ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾ أي ليجعل ذلك تشديداً في التعبد وامتحاناً عن الجبائي والمعنى انه شدَّد المحنة والتكليف على الذين في قلوبهم شك وعلى الذين قست قلوبهم من الكفار فتلزمهم الدلالة على الفرق بين ما يحكمه الله وبين ما يلقيه الشيطان ﴿وان الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ أي في معاداة ومخالفة بعيدة عن الحق ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ بالله وبتوحيده وبحكمته ﴿إنه الحق من ربك﴾ أي ان القرآن حق لا يجوز عليه التبديل والتغيير ﴿فيؤمنوا به﴾ أي فيثبتوا على إيمانهم وقيل يزدادوا إيماناً إلى إيمانهم ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ أي تخشع وتتواضع لقوة إيمانهم ﴿وان الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾ أي طريق واضح لا عوج فيه أي يثبتهم على الدين الحق وقيل يهديهم ربهم بإيمانهم إلى طريق الجنة ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ أي في شك من القرآن عن ابن جريج وهذا خاص فيمن علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون من الكفار ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ أي فجأة وعلى غفلة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ قيل انه عذاب يوم بدر عن قتادة ومجاهد وسمّاه عقيماً لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه ومثله قول الشاعر

عَقَمَ النِّسَاءُ فَلَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ لَعَقِيمُ

وقيل إنما سمى ذلك اليوم عقيماً لأنه لم يكن فيه للكفار خير فهو كالريح العقيم التي لا تأتي بخير عن الضحاك واختاره الزجاج وقيل المراد به يوم القيامة والمعنى حتى تأتيهم علامات الساعة أو عذاب يوم القيامة وسمّاه عقيماً لأنه لا ليلة له عن عكرمة والجبائي .

[النظم] اتصلت الآية الأولى بما تقدم من ذكر الكفار وما متّعوا به من نعيم الدنيا ولما رأى النبي ﷺ ما مني به أصحابه من الاقتار تمنى لهم الدنيا فبيَّن سبحانه ان ذلك التمني من وساوس الشيطان وان ما أعدَّه لهم من نعيم الآخرة خير وقيل اتصل بقوله إنما انا لكم نذير مُبين فبيَّن سبحانه أنه بشر وأن حاله كحال الرسل قبله .

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ
هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا
وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ * ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ
ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل المدينة مدخلاً بالفتح والباقون بضم الميم وقد سبق ذكره

[المعنى] لمّا تقدّم ذكر القيامة بيّن صفته فقال ﴿ الملك يومئذ لله ﴾ لا يملك أحد سواه شيئاً بخلاف الدنيا ﴿ يحكم بينهم ﴾ أي يفصل بين المؤمنين والكافرين ثم بيّن حكمه فقال ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ﴾ يتنعمون فيها ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين ﴾ يهينهم ويذلهم ﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ﴾ أي فارقوا أوطانهم وخرجوا من مكة إلى المدينة ﴿ ثم قتلوا ﴾ في الجهاد ﴿ أو ماتوا ﴾ في الغربة ﴿ ليرزقنهم الله رزقاً حسناً ﴾ وهو رزق الجنة عن الحسن والسدي والرزق الحسن ما إذا رآه لا تمتدّ عينه إلى غيره وهذا لا يقدر عليه غير الله تعالى ولذلك قال ﴿ وإن الله لهو خير الرازقين ﴾ وقيل بل هو مثل قوله ﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ﴿ ليدخلنهم مدخلاً يرضونه ﴾ لأنه لهم فيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين والمدخل يجوز أن يكون بمعنى المكان وبمعنى المصدر ﴿ وإن الله لعليم ﴾ بأحوالهم ﴿ حليم ﴾ عن معاجلة الكفار بالعقوبة ﴿ ذلك ﴾ أي الأمر ذلك الذي قصصنا عليك ﴿ ومن عاقب بمثل ما عوقب به ﴾ أي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه قال الحسن معناه قاتل المشركين كما قاتلوه والأول لم يكن عقوبة ولكن كقولهم الجزاء بالجزاء لازدواج الكلام ﴿ ثم بغي عليه ﴾

أي ظلم بإخراجه من منزله يعني ما فعله المشركون من البغي على المسلمين حتى أخرجوهم إلى مفارقة ديارهم ﴿ لينصرنه الله ﴾ يعني المظلوم الذي بغي عليه ﴿ إن الله لعفو غفور ﴾ روي أن الآية نزلت في قوم من مشركي مكة لقوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يقاتلون في هذا الشهر فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبوا فأظفر الله المسلمين بهم .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ
ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ
هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ
خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ
ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ
وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۚ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى
ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾

[القراءة] قرأ أهل العراق غير أبي بكر ما يدعون هنا وفي لقمان بالياء والباقون بالتاء .

[الحجة] من قرأ تدعون بالتاء فعلى الخطاب للمشركين وحجته قوله يا أيها الناس ضرب مثل ومن قرأ بالياء فعلى الحكاية وحجته قوله يكادون يسطون .

[الإعراب] فتصبح الأرض إنما رفع لأنه لم يجعله جواباً للاستفهام والمراد به الخبر

ومثله قول الشاعر :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْقَدِيمَ فَيَنْطِقُ وَهَلْ يُخْبِرَنْكَ الْيَوْمَ بَيْدَاءُ سَمْلَقُ(١)

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك النصر ﴿ بأن الله يولجُ الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ أي يدخل ما انتقص من ساعات الليل في النهار وما إنتقص من ساعات النهار في الليل ﴿ وأن الله سميع ﴾ لدعاء المؤمنين ﴿ بصير ﴾ بهم ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك الذي فعل من نصر المؤمنين ﴿ بأن الله هو الحق ﴾ أي ذو الحق في قوله وفعله وقيل معناه إنه الواحد في صفات التعظيم التي من إعتقده عليها فهو محق ﴿ وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ﴾ لأنه ليس عنده نفع ولا ضر ﴿ وإن الله هو العلي ﴾ عن الأشياء ﴿ الكبير ﴾ الذي كل شيء سواه يصغر مقداره عن معناه ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ﴾ أي مطراً ﴿ فتصبح الأرض مخضرة ﴾ بالنبات ﴿ إن الله لطيف ﴾ بإرزاق عباده من حيث لا يحتسبون ﴿ خبير ﴾ بما في قلوبهم وقيل اللطيف المحيط بتدبير دقائق الأمور الذي لا يتعذر عليه شيء يتعذر على غيره ﴿ له ما في السماوات وما في الأرض ﴾ أي له التصرف في جميع ذلك ﴿ وأن الله لهو الغني الحميد ﴾ الغني الحي الذي ليس بمحتاج الحميد المحمود بصفاته وأفعاله ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض ﴾ من الحيوان والجماد ﴿ والفلك تجري في البحر بأمره ﴾ أي وسخّر لكم الفلك في حال جريها ﴿ ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴾ أي يمنع السماء من وقوعها على الأرض إلا بإرادته والمعنى إلا إذا أذن الله في ذلك بأن يريد إبطالها وإعدامها ﴿ إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ برأفته ورحمته بهم فعل هذا التسخير وأمسك السماء من الوقوع .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ
وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ
فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

(١) قائله جميل والسملق : القاع المستوى الأملس والأجرد لا شجر فيه .

فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

[المعنى] ثم ذكر سبحانه دلالة أخرى على وحدانيته فقال ﴿ وهو الذي أحياكم ﴾ بعد أن كنتم نطفاً ميتة ﴿ ثم يميتكم ﴾ عند إنتهاء آجالكم ﴿ ثم يحييكم ﴾ للبعث والحساب وفيه بيان أن من قدر على ابتداء الاحياء قدر على إعادة الاحياء ﴿ إن الإنسان لكفور ﴾ أي جحود فإنه مع هذه الأدلة الدالة على الخلق يجحد الخالق ﴿ لكل أمة ﴾ أي لكل قرن مضى ﴿ جعلنا منسكا هم ناسكوه ﴾ أي شريعة هم عاملون بها عن ابن عباس وقيل مكاناً يألفونه وموضعاً يعتادونه لعبادة الله ومناسك الحج من هذا لأنها مواضع العبادات فيه فهي متعبدات الحج وقيل موضع قربان أي متعبد في إراقة الدماء مني أو غيره عن مجاهد وقتادة ﴿ فلا ينازعنك في الأمر ﴾ هذا نهي لهم عن منازعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل نهي له لأن المنازعة تكون من إثنين فإذا وجّه النهي إلى من ينازعه فقد وجّه إليه ومنازعتهم قولهم أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة أي فلا يخاصمنك في أمر الذبح وقيل معناه ليس لهم أن ينازعوك في شريعتهم وقد نسخت هذه الشريعة الشرائع المتقدمة ﴿ وادع إلى ربك ﴾ أي لا تلتفت إلى منازعتك وادع إلى توحيد ربك وإلى دينه ﴿ إنك لعلى هدى مستقيم ﴾ أي على دين قيم ﴿ وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون ﴾ أي إن خاصموك في أمر الذبيحة فقل الله أعلم بتكذيبكم فهو يجازيكم به وهذا قبل الأمر بالقتال وقيل معناه وإن جادلوك على سبيل المراء والتعنت بعد لزوم الحجة فلا تجادلهم على هذا الوجه وادفعهم بهذا القول وقيل معناه وإن نازعوك في نسخ الشريعة فحاكمهم إلى الله ﴿ الله يحكم بينكم يوم القيامة ﴾ أي يفصل بينكم ﴿ فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ أي فيما تذهبون فيه إلى خلاف ما يذهب ثم قال لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم والمراد جميع المكلفين ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض ﴾ من قليل وكثير لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿ إن ذلك في كتاب ﴾ أي مثبت في الكتاب المحفوظ عن الجبائي ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾ أي كتبته في اللوح المحفوظ على الله يسير لا يحتاج إلى معالجة خطوط وحروف وإنما يقول كن فيكون وقيل إن الحكم بينكم يسير على الله .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ۗ وَمَا

لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ
فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۚ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ
فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟
ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ
ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[القراءة] قرأ يعقوب وسهل إن الذين يدعون بالياء والباقون بالتاء .

[اللغة] السطوة إظهار الحال الهائلة للإخافة يقال سطا عليه يسطو سطوة وسطا به والإنسان مسطو به والسطوة والبطشة بمعنى .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن حال الكفار فقال ﴿ ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً ﴾ أي حجة ﴿ وما ليس لهم به علم ﴾ إنها آلهة وإنما قال ذلك لأن الإنسان قد يعلم أشياء من غير حجة ودليل كالضروريات ﴿ وما للظالمين من نصير ﴾ أي وما للمشركين من مانع من العذاب ثم أخبر سبحانه عن شدة عنادهم فقال ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ يعني من القرآن وغيره من حجج الله ﴿ بينات ﴾ أي واضحات لمن تفكر فيها وهي منصوبة على الحال ﴿ تعرف ﴾ يا محمد ﴿ في وجوه الذين كفروا المنكر ﴾ أي الإنكار وهو مصدر يريد أثر الإنكار من الكراهة والعبوس ﴿ يكادون يسطون ﴾ أي يقعون ويبطشون من شدة الغيظ ﴿ بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ والمعنى يكادون يبسطون إليهم أيديهم بالسوء يقال سطا عليه وسطا به إذا تناوله بالبطش ﴿ قل ﴾ يا محمد لهم ﴿ أفأنبئكم بشر من ذلكم ﴾ وأكره إليكم

من هذا القرآن الذي تستمعون وأشدّ عليكم منه ثم فسّر ذلك فقال ﴿ النار ﴾ أي هو النار ﴿ وعد الله الذين كفروا وبئس المصير ﴾ أي المرجع والمأوى ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ﴾ قال الأخفش إن قيل فأين المثل الذي ذكر الله في قوله ضرب مثل قيل ليس هاهنا مثل والمعنى أن الله قال ضرب لي مثل أي شبه في الأوثان ثم قال فاستمعوا لهذا المثل الذي جعلوه مثلي وقال القتيبي هاهنا مثل لأنه ضرب مثل هؤلاء الذين يعبدون الأصنام بمن عبد من لا يخلق ذباباً وقيل معناه أثبت حديثاً يتعجب منه فاستمعوا له لتقفوا على جهل الكفار من قولك ضربت خيمة أي نصبتها وأثبتها وقيل معناه جعل ذلك كالشيء اللازم الثابت من قولك ضرب السلطان الجزية على أهل الذمة ﴿ إن الذين يدعون من دون الله ﴾ يعني الأصنام وكان ثلثمائة وستين صنماً حول الكعبة ﴿ لن يخلقوا ذباباً ﴾ في صغره وقلته ﴿ ولو اجتمعوا له وأن يسلبهم الذباب شيئاً ﴾ مما عليهم قال ابن عباس كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران فيجف فيأتي الذباب فيختلسه ﴿ لا يستنقذوه منه ﴾ أي لا يقدرون على استنقاذه منه ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ الطالب الذباب والمطلوب الصنم عن ابن عباس وروي عنه على العكس من هذا وهو أن الطالب الصنم والمطلوب الذباب فعلى هذا يكون معناه ضعف السالب والمسلوب وقيل إن معناه راجع إلى العابد والمعبود أي جهل العابد والمعبود وقهر العابد والمعبود عن الضحاك وهو معنى قول السدي الطالب الذي يطلب إلى هذا الصنم بالتقرب إليه والصنم المطلوب إليه ﴿ ما قدروا الله حق قدره ﴾ أي ما عظموه حق عظمته حيث جعلوا هؤلاء الأصنام شركاء له عن الحسن والفراء وقيل معناه ما عرفوه حق معرفته عن الأخفش وقيل ما وصفوه حق صفته عن قطرب ﴿ إن الله لقوي عزيز ﴾ أي قادر لا يقدر أحد على مغالبته ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ﴾ يعني جبرائيل وميكائيل ﴿ ومن لناس ﴾ يعني النبيين ﴿ إن الله سميع بصير ﴾ سميع بأقوالهم بصير بضمائرهم وأفعالهم .

[النظم] إنما إتصل قوله ﴿ ويعبدون من دون الله ﴾ بقوله ﴿ إنك على صراط مستقيم ﴾ أي ومن خالفك على الكفر والضلال وإنما إتصل قوله ﴿ يا أيها الناس ﴾ ضرب مثل بقوله ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا حجة لهم فيه ﴾ والمعنى أن من لا يقدر على خلق ذباب مع صغره وإذا سلبه الذباب شيئاً لا يقدر على استرداده فكيف يستحق أن يعبد ثم قال ما قدروا الله حق قدره أي من أشرك غيره معه في العبادة مع كمال قدرته فما عرفه حق معرفته ثم قال الله يصطفي من الملائكة رسلاً ليعلم أنه سبحانه إنما إصطفاهم لعبادتهم إياه فمن

جعل الملائكة والأنبياء أولاداً فإنه لم يعظمه حق عظمته ولم يعرفه حق معرفته إذ جعل من يعبده سبحانه معبوداً .

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ ۖ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

[الإعراب] حق جهاده منصوب على المصدر لأنه مضاف إلى المصدر من حرج من مزيدة أي ما جعل عليكم حرجاً ملة أبيكم منصوبة بإضمار فعل تقديره واتبعوا والزموا ملة أبيكم لأن قبله جاهدوا في الله حق جهاده قال المبرد عليكم ملة أبيكم وقال الزجاج وجائز أن يكون منصوباً على تقدير وافعلوا الخير فعل أبيكم .

[المعنى] لمّا وصف الله سبحانه نفسه بأنه سميع بصير عقّبه بقوله ﴿ يعلم ما بين أيديهم ﴾ يعني ما بين أيدي الخلائق من القيامة وأحوالها وما يكون في مستقبل أحوالهم ﴿ وما خلفهم ﴾ أي وما يخلفونه من دنياهم وقيل يعلم ما بين أيديهم أي أول أعمالهم وما خلفهم آخر أعمالهم عن الحسن وقيل معناه يعلم ما كان قبل خلق الملائكة والأنبياء وما يكون بعد خلقهم عن علي بن عيسى ﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾ يوم القيامة فلا يكون لأحد أمر ولا نهي ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ﴾ أي

صلّوا ﴿ واعبدوا ربكم ﴾ بفعل ما تعبدكم به من العبادات ﴿ وافعلوا الخير ﴾ قال ابن عباس يريد صلة الرحم ومكارم الأخلاق ومعناه لا تقتصروا على فعل الصلاة والواجبات من العبادات وافعلوا غيرها من أنواع البر من إغاثة الملهوف وإعانة الضعيف وبرّ الوالدين وما جانسها ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أي لكي تفلحوا وتسعدوا ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ أكثر المفسرين حملوا الجهاد هاهنا على جميع أعمال الطاعة وقالوا حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى وقال السدي هو أن يطاع فلا يعصى وقال الضحاك معناه جاهدوا بالسيف من كفر بالله وإن كانوا الآباء والأبناء وروي عن عبد الله بن المبارك أنه قال هو مجاهدة الهوى والنفس ﴿ هو اجتباكم ﴾ أي اختاركم واصطفاكم لدينه ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ أي من ضيق لا مخرج منه ولا مخلص من عقابه بل جعل التوبة والكفارات وردّ المظالم مخلصاً من الذنوب فليس في دين الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من العقاب به فلا عذر لأحد في ترك الإستعداد للقيامة وقيل معناه أن الله سبحانه لم يضيّق عليكم أمر الدين فلن يكلّفكم ما لا تطيقون بل كلف دون الوسع فلا عذر لكم في تركه وقيل أنه يعني الرخص عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة عن الكلبي ومقاتل واختاره الزجاج ﴿ ملة أبيكم إبراهيم ﴾ أي دينه لأن ملة إبراهيم داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإنما سماه أباً للجميع لأن حرمته على المسلمين كحرمة الوالد على الولد كما قال وأزواجه أمهاتهم عن الحسن وقيل إن العرب من ولد إسماعيل وأكثر العجم من ولد إسحاق وهما إبنا إبراهيم فالغالب عليهم أنهم أولاده ﴿ هو سماكم المسلمين ﴾ أي الله سمّاكم المسلمين عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو كناية عن إبراهيم عن ابن زيد قال ويدل عليه قوله ﴿ ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ ﴿ من قبل ﴾ أي من قبل إنزال القرآن ﴿ وفي هذا ﴾ أي وفي هذا القرآن ﴿ ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ أي ليكون محمد صلى الله عليه وآله وسلم شهيداً عليكم بالطاعة والقبول فإذا شهد لكم به صرتم عدولاً تشهدون على الأمم الماضية بأن الرسل قد بلّغوهم رسالة ربهم وأنهم لم يقبلوا فيوجب لكافرهم النار ولمؤمنهم الجنة بشهادتكم وهذا من أشرف المراتب وهو مثل قوله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ الآية وقيل معناه ليكون الرسول شهيداً عليكم في إبلاغ رسالة ربه إليكم وتكونوا شهداء على الناس بعده بأن تبلغوا إليهم ما بلغه الرسول إليكم ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ قال قتادة فريضتان واجبتان إفترضهما الله عليكم فأدّوهما إلى الله وروى عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تقبل الصلاة إلا بالزكاة ﴿ واعتصموا بالله ﴾ أي تمسكوا بدين الله عن الحسن وقيل معناه امتنعوا بطاعته عن معصيته وقيل امتنعوا بالله من

أعدائكم أي أجعلوه عصمة لكم مما تحذرون وقيل ثقوا بالله وتوكلوا عليه عن مقاتل ﴿ هو مولاكم ﴾ أي وليكم وناصركم والمتولي لأموركم ومالككم ﴿ فنعم المولى ﴾ هو لمن تولاه ﴿ ونعم النصير ﴾ هو لمن استنصره وقيل فنعم المولى إذ لم يمنعكم الرزق حين عصيتموه ونعم النصير إذا أعانكم لما أطعتموه .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



[عدد آيها] مائة وثماني عشرة آية كوفي تسع عشرة في الباقين .

[إختلافها] آية واحدة وأخاه هارون غير الكوفي .

[فضلها] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة يوم القيامة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وقال أبو عبد الله (ع) من قرأ سورة المؤمنين ختم الله له بالسعادة إذا كان يدمن قراءتها في كل جمعة وكان منزله في الفردوس الأعلى مع النبيين والمرسلين .

[تفسيرها] ختم الله سورة الحج بأمر المكلفين في العبادة وأفعال الخير على طريق الإجمال وافتتح هذه السورة بتفصيل تلك الجملة وبيان تلك الأفعال فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ
ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ

وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير لأمانتهم على الواحد هنا وفي المعارج والباقون لأماناتهم على الجمع وقرأ على صلاتهم بالأفراد أهل الكوفة غير عاصم والباقون على صلواتهم على الجمع .

[الحجة] قال أبو علي وجه الأفراد في الأمانة أنه مصدر واسم جنس فيقع على الكثرة ووجه الجمع قوله إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ومما أفردت فيه الأمانة والمراد به الكثرة ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من الأمانة أن أؤتمنت المرأة على فرجها يريد تفسير قوله ﴿ ولا يحل لهنّ أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ﴾ ووجه الأفراد في الصلاة أنها مصدر ووجه الجمع أنها صارت بمنزلة الإسم لاختلاف أنواعها والجمع فيه أقوى لأنه صار إسماً شرعياً لانضمام ما لم يكن في أصل اللغة إليها .

[المعنى] ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ أي فاز بثواب الله الذين صدّقوا بالله وبوحدانيته وبرسله وقيل معنى أفلح بقي أي قد بقيت أعمالهم الصالحة وقيل معناه قد سعد قال لبيد « ولقد أفلح من كان عقل » قال الفراء يجوز أن يكون قد هاهنا لتأكيد الفلاح للمؤمنين ويجوز أن يكون تقريباً للماضي من الحال ألا تراهم يقولون قد قامت الصلاة قبل حال قيامها فيكون المعنى في الآية إن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه في الحال ثم وصف هؤلاء المؤمنين بأوصاف فقال ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ أي خاضعون متواضعون متذللون لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته فقال أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وفي هذا دلالة على أن الخشوع في الصلاة يكون بالقلب وبالجوارح فأما بالقلب فهو أن يفرغ قلبه بجمع الهمة لها والأعراض عما سواها فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود وأما بالجوارح فهو غض البصر والإقبال عليها وترك الالتفات والعبث قال ابن عباس خشع فلا يعرف من على يمينه ولا من على يساره وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يرفع بصره إلى السماء في صلاته فلما نزلت الآية طأطأ رأسه ورمى ببصره إلى الأرض

﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ اللغو في الحقيقة هو كل قول أو فعل لا فائدة فيه يعتدّ بها فذلك قبيح محظور يجب الإعراض عنه وقال ابن عباس اللغو الباطل وقال الحسن هو جميع المعاصي وقال السدي هو الكذب وقال مقاتل هو الشتم فإن كفار مكة كانوا يشتمون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فنهوا عن إجابتهم وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال هو أن يتقول الرجل عليك بالباطل أو يأتيك بما ليس فيك فتعرض عنه لله وفي رواية أخرى أنه الغناء والملاهي ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ أي مؤدّون فعبّر عن التأدية بالفعل لأنه فعل قال أمية بن أبي الصلت « المطعمونَ الطَّعامَ فِي السَّنَةِ الأَزْمَةِ وَالْفاعِلُونَ لِلزَّكَواتِ »[1] قال ابن عباس للصدقة الواجبة مؤدّون ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ قال الليث الفرج إسم لجميع سوءات الرجال والنساء والمراد بالفروج هاهنا فروج الرجال بدلالة قوله ﴿ إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم ﴾ قال الزجاج المعنى أنهم يلامون في إطلاق ما حظر عليهم وأمروا بحفظه إلا على أزواجهم ودلّ على المحذوف ذِكر اللوم في قوله ﴿ فإنهم غير ملومين ﴾ وملك اليمين في الآية المراد به الإماء لأن الذكور من المماليك لا خلاف في وجوب حفظ الفرج منهم وإنما قيل للجارية ملك يمين ولم يقل في الدار ونحوها ملك يمين لأن ملك الجارية أخص منه إذ يجوز له نقض بنية الدار وليس له نقض بنية الجارية وله عارية الدار وليس له عارية الجارية للوطء حتى توطأ بالعارية وإنما أطلق سبحانه إباحة وطء الأزواج والإماء وإن كانت لهن أحوال يحرم وطؤهن فيها كحال الحيض والعدة للجارية من زوج لها وما أشبه ذلك لأن الغرض بالآية بيان جنس من يحل وطؤها دون الأحوال التي لا يحل فيها الوطء ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك ﴾ أي طلب سوى الأزواج والولائد المملوكة ﴿ فأولئك هم العادون ﴾ أي الظالمون المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ أي حافظون وافون والأمانات ضربان أمانات الله تعالى وأمانات العباد فالأمانات التي بين الله تعالى وبين عباده هي العبادات كالصيام والصلاة والإغتسال وأمانات العباد هي مثل الودائع والعوارى والبياعات والشهادات وغيرها وأما العهد فعلى ثلاثة أضرب أوامر الله تعالى ونذور الإنسان والعقود الجارية بين الناس فيجب على الإنسان الوفاء بجميع ضروب الأمانات والعهود والقيام بما يتولاه منها ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ أي يقيمونها في أوقاتها ولا يضيعونها وإنما أعاد ذكر الصلاة تنبيهاً على عظم قدرها وعلو رتبتها عنده تعالى ﴿ أولئك هم الوارثون ﴾ معناه إن من كانوا بهذه الصفات

---

(١) الأزمة : الشدة والقحط .

واجتمعت فيهم هذه الخلال هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ما منكم من أحد إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فأن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وقيل إن معنى الميراث هنا أنهم يصيرون إلى الجنة بعد الأحوال المتقدمة وينتهي أمرهم إليها كالميراث الذي يصير الوارث إليه ثم وصف الوارثين فقال ﴿ الذين يرثون الفردوس ﴾ وهو إسم من أسماء الجنة عن الحسن ولذلك أنث فقال ﴿ هم فيها خالدون ﴾ وقيل هو إسم لرياض الجنة عن مجاهد وأبي علي الجبائي وقيل هو جنة مخصوصة ثم اختلف في أصله فقيل إنه إسم رومي فعرب وقيل هو عربي وزنه فعلول وهو البستان الذي فيه كرم قال جرير « يَا بُعْدَ يَبْرِينَ مِنْ بَابِ الْفَرَادِيس »[1] وقال الجبائي معنى الوراثة هنا أن الجنة ونعيمها يؤول إليهم من غير اكتساب كما يؤول المال إلى الوارث من غير اكتساب .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾
ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً
فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ
لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ
إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾
وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ
ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾

(١) وقبله « فقلت للركب إذ جد الرحيل بنا » ويبرين موضع من أصقاع بحرين .

[القراءة] قرأ ابن عامر وأبو بكر عَظْماً فكسونا العَظْم على الأفراد وقرأ زيد عن يعقوب عَظْماً فكسونا العظام والباقون على الجمع في الموضعين .

[الحجة] قال أبو علي الجمع أشبه بما جاء في التنزيل إذا كنا عظاماً ورفاتاً إذا كنا عظاماً نخرة من يحيي العظام والأفراد لأنه إسم جنس فأفرد كما يفرد المصادر وغيرها من الأجناس نحو الدرهم والإنسان وليس ذلك على حد قوله :

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصُ[1]

ولكنه على ما أنشده أبو زيد :

لَقَدْ تَعَلَّلْتُ عَلى أيَانِقٍ صُهْبٍ قَلِيلاتِ القُرادِ اللَّازِقِ[2]

فالقراد يراد به الكثرة لا محالة .

[اللغة] السلالة إسم لما يسل من الشيء كالكساحة إسم لما يكسح وتسمى النطفة سلالة والولد سلالة وسليلة والجمع سلالات وسلائل فالسلالة صفوة الشيء التي يخرج منها كالسلافة قال الشاعر :

وَهَلْ كُنْتَ إلاَّ مُهْرَةً عَرَبِيَّةً سَلِيلَةَ أفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلُ[3]

والنطفة الماء القليل وقد يقال للماء الكثير أيضاً ومنه قول أمير المؤمنين عليه أفضل الصلوات مصارعهم دون النطفة يريد النهر وأن يعني الخوارج ومنه الحديث حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جوراً يعني بحر المشرق وبحر المغرب .

[الإعراب] في قرار في موضع الصفة لنطفة وعلقة حال من النطفة بعد الفراغ من الفعل وكذلك القول في مضغة وعظام ولحماً مفعول ثان لكسونا وخلقاً مصدر أنشأنا من غير لفظه من نخيل وأعناب صفة لجنات وكذلك قوله لكم فيها فواكه كثيرة .

[المعنى] ثم قال سبحانه على وجه القسم ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من

---

(١) زمن خميص أي شديد .

(٢) تعلل بالأمر : تشاغل . وإياتق جمع أينق وهي جمع الناقة . والأصهب من الإبل : الذي يخالط بياضه حمرة . والقراد : دويبة تعض الإبل . ومعنى قليلات : إن جلودها ملس لا يثبت عليها قراد الأرنق لأنها سمان ممتلئة .

(٣) المهرة : ولد الفرس . وقال بعضهم لأن قوله « بغل » تصحيف ، وإن صوابه نغل بالنون ، وهو الخسيس من الناس والدواب لأن البغا لانسان .

﴿ طين ﴾ المراد بالإنسان ولد آدم (ع) وهو إسم الجنس فيقع على الجميع عن ابن عباس ومجاهد وأراد بالسلالة الماء يسل من الظهر سلا من طين أي من طين آدم لأنها تولدت من طين خلق آدم منه قال الكلبي يقول من نطفة سلت تلك النطفة من طين وقيل أراد بالإنسان آدم (ع) لأنه إستل من أديم الأرض عن قتادة ﴿ ثم جعلناه ﴾ يعني ابن آدم الذي هو الإنسان ﴿ نطفة في قرار مكين ﴾ يعني الرحم مكن فيه الماء بأن هُيِّأَ لاستقراره فيه إلى بلوغ أمَده الذي جعل له ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ﴾ مفسّر في سورة الحج ﴿ فخلقنا المضغة عظاماً ﴾ أي جعلنا تلك المضغة من اللحم عظاماً ﴿ فكسونا العظام لحماً ﴾ أي فأنبتنا اللحم على العظام كاللباس . بيّن سبحانه تنقل أحوال الإنسان في الرحم حتى استكمل خلقه ليَنبّه على بدائع حكمته وعجائب صنعته وكمال نعمته ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾ أي نفخنا فيه الروح عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي والضحاك وقيل هو نبات الشعر والأسنان وإعطاء الفهم عن قتادة وقيل يعني ثم أنشأناه ذكراً وأنثى عن الحسن ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ أي تعالى الله ودام خيره وثبت وقيل معناه استحق التعظيم بأنه قديم لم يزل ولا يزال لأنه مأخوذ من البروك الذي هو الثبوت وقال أحسن الخالقين لأنه لا تفاوت في خلقه وأصل الخلق التقدير يقال خلقت الأديم إذا قسته لتقطع منه شيئاً وقال حذيفة في هذه الآية تصنعون ويصنع الله وهو خير الصانعين وفي هذا دليل على أن اسم الخلق قد يطلق على فعل غير الله تعالى إلا أن الحقيقة في الخلق لله سبحانه فقط فإن المراد من الخلق إيجاد الشيء مقدراً تقديراً لا تفاوت فيه وهذا إنما يكون من الله سبحانه وتعالى ودليله قوله ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ وروي أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما بلغ إلى قوله ﴿ خلقاً آخر ﴾ خطر بباله فتبارك الله أحسن الخالقين فلما أملاها رسول الله كذلك قال عبد الله إن كان نبياً يوحى إليه فأنا نبيٌّ يوحى إليّ فلحق بمكة مرتداً ولو صحَّ هذا فإن هذا القدر لا يكون معجزاً ولا يمتنع أن يتفق ذلك من الواحد منا لكن هذا الشقي إنما اشتبه عليه أو شبّه على نفسه لما كان في صدره من الكفر والحسد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ ثم أنكم بعد ذلك ﴾ أي بعدما ذكرنا من تمام الخلق ﴿ لميتون ﴾ عند إنقضاء آجالكم ﴿ ثم أنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ أي تحشرون إلى الموقف والحساب والجزاء أخبر الله سبحانه أن هذه البنية العجيبة المبنية على أحسن إتقان وإحكام تنقض بالموت لغرض صحيح وهو البعث والإعادة وهذا لا يمنع من الإحياء في القبور لأن إثبات البعث في القيامة لا يدل على نفي ما عداه ألا ترى أن الله سبحانه أحيا الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف وأحيا قوم موسى على الجبل بعد ما أماتهم وفي الآية

دلالة على فساد قول النظام في أن الإنسان هو الروح وقول معمر إن الإنسان شيء لا ينقسم وأنه ليس بجسم ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ﴾ أي سبع سماوات كل سماء طريقة وسميت بذلك لتطارقها وهو أن بعضها فوق بعض وقيل لأنها طرائق الملائكة عن الجبائي وقيل الطرائق الطباق وكل طبقة طريقة عن ابن زيد وقيل إن ما بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام وكذلك ما بين السماء والأرض عن الحسن ﴿ وما كنا عن الخلق غافلين ﴾ إذ بنينا فوقهم سبع سماوات أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل معناه ما خلقناهم عبثاً بل خلقناهم عالمين بأعمالهم وأحوالهم عن الجبائي وفي هذا دلالة على أنه عالم بجميع المعلومات وفيه زجر عن السيئات وترغيب في الطاعات ﴿ وأنزلنا من السماء ماء ﴾ أي مطراً وغيثاً ﴿ بقدر ﴾ أي بقدر الحاجة لا يزيد على ذلك فيفسد ولا ينقص عنه فيهلك بل على ما توجبه المصلحة ﴿ فأسكناه في الأرض ﴾ أي جعلنا له الأرض مسكناً جمعناه فيه لينتفع به يريد ما يبقى في المستنقعات والدحلان[1] أقرَّ الله الماء فيها لينتفع الناس بها في الصيف عند إنقطاع المطر وقيل معناه جعلنا عيوناً في الأرض وروى مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم وذلك قوله ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر ﴾ الآية ﴿ وإنا على ذهاب به لقادرون ﴾ أي ونحن على إذهابه قادرون ولو فعلناه لهلك جميع الحيوانات نبَّه سبحانه بذلك على عظيم نعمته على خلقه بإنزال الماء من السماء ﴿ فأنشأنا لكم ﴾ أي أحدثنا وخلقنا لنفعكم ﴿ به ﴾ أي بسبب هذا الماء ﴿ جنات من نخيل وأعناب لكم ﴾ يا معاشر الخلق ﴿ فيها فواكه كثيرة ﴾ تتفكهون بها ﴿ ومنها تأكلون ﴾ وإنما خصَّ النخل والأعناب لأنها ثمار الحجاز من المدينة والطائف فذكرهم سبحانه بالنعم التي عرفوها .

[النظم] وجه إتصال الآيات بما قبلها أنه سبحانه لما ذكر نعمته على المؤمنين بما أعدَّ لهم في الآخرة ابتدأ بذكر نعمه عليهم في مبتدء خلقه تنبيهاً لهم على النظر فيها وترغيباً في التمسك بالحسنات المذكورة ولمّا بيَّن أحوال الآخرة بيَّن متى يكون البعث ودلَّ بذلك على أن من قدر على خلق الإنسان في هذا الترتيب والتركيب العجيب قدر على الإعادة ثم أبان عن قدرته على البعث بقدرته على خلق السماوات ثم بيَّن أنه لا يغفل عن عباده إذ لا يشغله

---

(١) الدحلان جمع الدحل : المصنع يجمع الماء .

فعل عن فعل ثم بيّن أنه قادر لذاته حيث أنزل من السماء الماء وأسكنه في الأرض بأن فرّقه في البحار والأنهار والعيون ثم بيّن سبحانه أنه قادر على إذهابه دلالة على أن هذه النعمة وقعت باختياره ثم ذكر تفصيل النعمة .

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ
مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ
فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ
كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ
مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو طور سيناء بكسر السين والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب عن روح تنبت بالدهن بضم التاء والباقون تنبت بفتح التاء وضم الباء وفي الشواذ قراءة الحسن والزهري والأعرج تنبت بضم التاء وفتح الباء وقد ذكرنا إختلافهم في نسقيكم في سورة النحل .

[الحجة] قال أبو عمرو من قرأ سيناء بفتح السين لم ينصرف الإسم عنده في معرفة ولا نكرة لأن الهمزة في هذا البناء لا تكون إلا للتأنيث ولا تكون للإلحاق لأن فعلال لا يكون إلا في المضاعف فلا يجوز أن يلحق به شيء فهذا إذاً كموضع أو بقعة تسمى بطرفاء أو صحراء ومن قرأ سيناء بالكسر فالهمزة فيها منقلبة عن الياء كعلباء وسيساء[1] وهي الياء التي

(١) العلباء : عصبة في صفحة العنق . والسيساء : منتظم فقار الظهر .

أظهرت في نحو دِرْحايَة[١] وإنما لم ينصرف على هذا القول وإن كان غير مؤنث لأنه جعل اسم بقعة فصار بمنزلة امرأة سميت بجعفر ومن قرأ تُنْبِتُ بالدهن احتمل وجهين (أحدهما) أن يجعل الجار زائداً يريد تنبت الدهن كما في قوله ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ وقد زيدت هذه الباء مع الفاعل كما زيدت مع المفعول به في نحو قوله :

أَلَمْ يَـأْتِـيـكَ وَالأَنْـبَـاء تَـنْـمـي بِمـا لاَقَـتْ لَـبُـونَ بَـنِي زِيَـادِ[٢]

وقد زيدت مع هذه الكلمة بعينها في قوله :

بِـسـوادِ يَمـانٍ تَنْبُتُ الشَّثُّ حَـوْلَـهُ وَاسْـفَلُهُ بِـالْمَـرْخِ وَالـشَّـبُـهَـانِ[٣]

حملوه على ينبت أسفله المرخ ويجوز أن تكون الباء متعلقاً بغير هذا الفعل الظاهر ويقدر مفعولا محذوفاً تقديره تنبت جناها أي ثمرتها وفيها دهن وصبغ كما تقول خرج بثيابه وركب بسلاحه ومن قرأ تَنبت بالدهن جاز أن يكون الجار فيه للتعدي أنبته ونبت به ويجوز أن يكون الباء في موضع حال كما كان في الوجه الأول ولا يكون للتعدي ولكن تنبت وفيها دهن وقد قالوا انبت بمعنى نبت فكان الهمزة في انبت مرة للتعدي ومرة لغيرها ويكون من باب أخال واجرب واقطف أي صار ذا خال وجرب[٤] ومن قرأ تُنْبَت فهو على معنى تنبت وفيها دهنها وتؤكد ذلك قراءة عبدالله تخرج بالدهن أي تخرج من الأرض ودهنها معها قال ابن جني ذهبوا في بيت زهير حتى إذا أنبت البقل»[٥] إلى انه في معنى نبت وقد يجوز أن يكون محذوف المفعول بمعنى حتى إذا انبت البقل ثمره قال ومن ذهب إلى زيادة الباء في قوله تنبت بالدهن فمضعوف المذهب لأنه يزيد حرفاً لا حاجة له إلى اعتقاد زيادته .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء ﴾ أي وأنشأنا لكم بذلك المطر شجرة يعني شجرة الزيتون وخصَّت بالذكر لما فيها من العبرة بأنه لا يتعاهدها إنسان بالسقي وهي تخرج الثمرة التي يكون منها الدهن الذي تعظم به المنفعة وسيناء إسم المكان الذي به هذا الجبل في أصح الأقوال وهي نبطية في قول الضحاك وحبشية في قول عكرمة وهي إسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها عن مجاهد

(١) الدرحاية من الرجال : القصير السمين البطين .

(٢) مضى البيت في صفحة ٣٦ من هذا الجزء فراجع .

(٣) مضى البيت في صفحة ١٤٠ من هذا الجزء فراجع .

(٤) [وقطف].

(٥) هذا جزء من بيت تمامه

« رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقل »

وقيل سيناء البركة فكأنه قيل جعل البركة عن ابن عباس وقتادة وقيل طور سيناء الجبل المشجر أي كثير الشجر عن الكلبي وقيل هو الجبل الحسن عن عطاء وهو الجبل الذي نودي منه موسى (ع) وهو ما بين مصر وايلة عن ابن زيد ﴿ تنبت بالدهن ﴾ أي تنبت ثمرها بالدهن لأنه يعصر من الزيتون الزيت ﴿ وصبغ للآكلين ﴾ والصبغ ما يصطبغ به من الأدم وذلك أن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه والاصطباغ بالزيت الغمس فيه للائتدام به والمراد بالصبغ الزيت عن ابن عباس فإنه يدهن به ويؤتدم جعل الله في هذه الشجرة أدماً ودهناً فالأدم الزيتون والدهن الزيت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال الزيت شجرة مباركة فأتدموا به وادّهنوا ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة ﴾ أي دلالة تستدلون بها على قدرة الله تعالى ﴿ نسقيكم مما في بطونها ﴾ أراد به اللبن ومن قرأ بضم النون أراد إنا جعلنا ما في ضروعها من اللبن سقياً لكم ومن فتح النون جعل ذلك مختصاً بالسقاة وهو مفسر في سورة النحل ﴿ ولكم فيها منافع كثيرة ﴾ في ظهورها وألبانها وأوبارها وأصوافها وأشعارها ﴿ ومنها تأكلون ﴾ أي من لحومها وأولادها والتكسب بها ﴿ وعليها ﴾ يعني على الإبل خاصة ﴿ وعلى الفلك تحملون ﴾ وهذا كقوله ﴿وحملناهم في البر والبحر﴾ أما في البر فالإبل وأما في البحر فالسفن ولما قدّم سبحانه ذكر الأدلة الدالة على كمال قدرته فأتبعها بذكر شمول نعمته على كافة خليقته عقّب ذلك بذكر إنعامه عليهم بإرسال الرسل فقال ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ قيل إنما سمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه عن ابن عباس وقيل في سبب نوحه أنه كان يدعو على قومه بالهلاك وقيل هو مراجعته ربه في شأن ابنه ﴿ فقال يا قوم اعبدوا الله ﴾ أي أطيعوه ووحّدوه ﴿ ما لكم من إله غيره ﴾ بدأ بالتوحيد لأنه الأهم ﴿ أفلا تتقون ﴾ عذاب الله في ترك الإيمان به ﴿ فقال الملأ ﴾ أي الأشراف ﴿ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ﴾ أي يتشرف ويترأس عليكم بأن يصير متبوعاً وأنتم له تبع فيكون له الفضل عليكم ﴿ ولو شاء الله ﴾ أن لا يعبد شيء سواه ﴿ لأنزل ملائكة ﴾ ولم يرسل بشراً آدمياً ﴿ ما سمعنا بهذا ﴾ الذي يدعونا إليه نوح من التوحيد ﴿ في آبائنا الأولين ﴾ أي في الأمم الماضية ﴿ إن هو إلا رجل به جنة ﴾ أي حالة جنون ﴿ فتربصوا به حتى حين ﴾ أي انتظروا موته فتستريحوا منه وقيل فانتظروا أفاقته من جنونه فيرجع عما هو عليه وقيل معناه احبسوه مدة ليرجع عن قوله .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى
بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا

فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ أبو بكر عن عاصم مَنزِلاً بفتح الميم وكسر الزاي والباقون مُنزَلاً بضم الميم وفتح الزاي .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ مُنزَلاً بالضم جاز أن يكون مصدراً وأن يكون موضعاً للإنزال فعلى الوجه الأول جاز أن يعدّى الفعل إلى مفعول آخر وعلى الوجه الثاني قد تعدى إلى مفعولين ومن قرأ منزلاً أمكن أن يكون مصدراً وأن يكون موضع نزول ودل أنزلني على نزلت .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه أن نوحاً لما نسبه قومه إلى الجنون ولم يقبلوا منه ﴿ قال رب أنصرني بما كذبوني ﴾ أي بتكذيبهم إياي والمعنى أنصرني بإهلاكهم ﴿ فأوحينا إليه أن أصنع الفلك بأعيننا ﴾ أي بحيث نراها كما يراها الرائي من عبادنا بعينه وقيل معناه بأعين أولياثنا من الملائكة والمؤمنين فإنهم يحرسونك من كل من يمنعك منه ﴿ ووحينا ﴾ أي بأمرنا وإعلامنا إياك كيفية فعلها ﴿ فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها ﴾ أي فادخل في السفينة ﴿ من كل زوجين إثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ﴾ مفسر في سورة هود ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ أي لا تكلمني في شأنهم ﴿ إنهم مغرقون ﴾ أي هالكون ﴿ فإذا استويت أنت ﴾ يا نوح ﴿ ومن معك على الفلك ﴾ أي السفينة ﴿ فقل الحمد الله الذي نجانا ﴾ أي خلصنا ﴿ من القوم الظالمين ﴾ لنفوسهم بجحدهم توحيد الله ﴿ وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً ﴾ أي إنزالاً مباركاً أو نزولاً مباركاً بعد الخروج من السفينة وذلك تمام النجاة عن مجاهد وقيل المنزل المبارك هو السفينة عن الجبائي قيل لأنه سبب النجاة وقيل معناه أنزلني

مكاناً مباركاً بالماء والشجر عن الكلبي وقيل معنى البركة أنهم توالدوا وكثروا عن مقاتل ﴿ وأنت خير المنزلين ﴾ لأنه لا يقدر أحد على أن يصون غيره من الآفات إذا أنزله منزلاً ويكفيه جميع ما يحتاج إليه إلا أنت قال الحسن كان في السفينة سبعة أنفس من المؤمنين ونوح ثامنهم وقيل ثمانون ﴿ إن في ذلك ﴾ أي في أمر نوح والسفينة وهلاك أعداء الله ﴿ لآيات ﴾ أي دلالات للعقلاء يستدلّون بها على التوحيد ﴿ وإن كنا لمبتلين ﴾ معناه وإن كنا مختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره ومتعبدين عبادنا بالاستدلال بتلك الآيات على قدرتنا ومعرفتنا .

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر هيهاتِ هيهاتِ بالكسر والباقون بالفتح وفي الشواذ قراءة

عيسى بن عمر هيهاتٍ هيهاتٍ بالتنوين والكسر وقراءة أبي حَيْوَة هيهاتٌ هيهاتٌ بالرفع والتنوين وقراءة عيسى الهمداني هيهات هيهات مرسلة التاء .

[الحجة] قال ابن جني أما الفتح وهو قراءة العامة فعلى أنه واحد وهو اسم سمي به الفعل في الخبر وهو اسم بعد كما انّ شتّان اسم افترق وأُفّ اسم أتضجر ومن كسر فقال هيهاتٍ منوّناً أو غير منوّن فهو جمع هيهاة وأصلها هيهيات فحذف الألف لأنه في آخر اسم غير متمكن كما حذفت ياء الذي وألف ذا في التثنية إذا قلت اللذان وذان ومن نوّن ذهب إلى التنكير أي بُعداً بُعداً ومن لم ينوّن ذهب إلى التعريف أراد البعد البعد ومن فتح وقف بالهاء لأنها كهاء ارطاة ومن كسر كتبها بالتاء لأنها جماعة ومن قال هيهاتٌ بالتنوين والرفع فإنه يكتبها بالهاء ويكون اسماً معرباً فيه معنى البعد وقوله لما توعدون خبر عنه فكأنه قال البعد لوعدكم وأما هيهات ساكنة التاء فينبغي ان تكون جماعة وتكتب بالتاء وأجريت في الوقف مجراها في الوصل وتقول العرب هيهات لما تبغي وهيهات منزلك قال جرير

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقَ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلٌّ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُه(١)

ويروى ايهات واختار الفراء الوقف على هيهات بالتاء لأن قبلها ساكناً فصارت كتأنيث اخت وقال أبو علي إنما كرر هيهات في الآية وفي البيت للتأكيد وأما اللتان في الآية ففي كل واحدة منهما ضمير مرتفع يعود إلى إلى الاخراج إذ لا يجوز خلوه من الفاعل والتقدير هيهات اخراجكم لأن قوله إنكم مخرجون بمعنى الاخراج أي بعد اخراجكم للوعد إذ كان الوعد اخراجكم بعد موتكم استبعد اعداء الله اخراجهم لما كانت العدة به بعد الموت ففاعل هيهات هو الضمير العائد إلى انكم مخرجون الذي هو بمعنى الاخراج واما في البيت ففي هيهات الأول ضمير العقيق وفسّر ذلك ظهوره مع الثاني .

[الإعراب] اختلفوا في أن الثانية من قوله سبحانه ﴿أيعدكم أنكم إذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون﴾ وكذلك قوله ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم﴾ وقوله ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم﴾ فقال سيبويه إن الثانية في هذه المواضع الثلاث بدل من الأولى وقال أبو عمرو الجرمي وأبو العباس المبرد أنها مكررة للتأكيد وطول الكلام وقال أبو الحسن إنها مرتفع بالظرف واختاره أبو علي الفارسي وزيف القولين الأولين وأقول أن انّ الأولى في

(١) العقيق: اسم موضع وفي اللسان « نحاوله » بدل « نواصله » .

قوله أيعدكم انكم مع اسمها وخبرها في موضع نصب على أنه المفعول الثاني من الوعد ويكون تقديره على مذهب سيبويه أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أي أيعدكم كونكم مخرجين بعد موتكم وكونكم تراباً وعظاماً وأما على مذهب من جعله للتكرير فتقديره أيعدكم أنكم بعد موتكم مخرجون وأما على مذهب أبي الحسن وأبي علي فتقديره أيعدكم أنكم إذا متّم اخراجكم واتقوا انكم وقت موتكم أو بعد موتكم اخراجكم فقوله انكم مخرجون في موضع رفع بالظرف الذي هو قوله إذا متّم وقوله إذا متّم مع ما بعده رفع لكونه جملة واقعة موقع خبر ان الأولى وموضع اذا نصب كما انتصب يوم في قولك يوم الجمعة القتال والعامل في الظرف في الأصل الفعل المحذوف أو معنى الفعل مثل قولك يحدث أو حادث أو يكون أو كائن ولا يجوز ان يكون العامل فيه الاخراج نفسه إذ لو كان كذلك لكان الكلام غير تام ولا يكون له خبر ثم يحذف هذا المضمر لدلالة الظرف عليه وقيامه مقامه ويصير الذكر الذي كان في المضمر من المحدث عنه في الظرف وذلك الذكر مرتفع بالظرف كما كان يرتفع بالفعل كما في نحو قولك زيد ذهب وزيد ذاهب فلما قام الظرف مقام الفعل متأخراً عن الاسم قام مقامه أيضاً مبتدأ فرفع الاسم الظاهر كما رفعه الفعل فكذلك إذا في الآية تقديره في الأصل إذا متم اخراجكم كائن أو حادث أو يكون أو يحدث ثم اختزل الفعل او معنى الفعل على ما قاله أبو علي فانتصب إذا بذلك كما ينتصب غداً في قولك غداً الرحيل وحذف الخبر كما حذف من غد ثم قام إذا مقام الفعل فرفع قوله إنكم مخرجون كما رفع قولك غدا الرحيل وعلى هذا فيجوز ان نقول هنا ان موضع اذا نصب بحادث أو يحدث المضمر في قولك اذا متم اخراجكم يحدث أو حادث ويجوز أن نقول ان الاسم الذي هو انكم مخرجون واقع موقع جواب شرط إذا ويرفع بفعل مضمر تقديره أيعدكم إذا متم يعاد اخراجكم او يحدث اخراجكم ويكون موضع إذا نصب بذلك الفعل فأما تقدير ارتفاع ان الثانية بالظرف في الآيتين الأخيرتين فقد تقدّم بيانه في موضعيهما من هذا الكتاب فلا معنى لإعادته فقد أجاز أبو عثمان وغيره اضمار الظرف وأعماله كما قالوا في انتصاب مثلهم في بيت الفرزدق

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللّٰهُ نِعْمَتَهُمْ إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مِثْلَهُمْ بَشَرٌ(١)

انه على ظرف مضمر .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على قصة قوم نوح فقال ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أي

(١) هذا البيت من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز. وضمائر الجمع مرجعها قريش .

أحدثنا وخلقنا من بعد قوم نوح ﴿قرناً آخرين﴾ أي جماعة آخرين من الناس والقرن أهل العصر على مقارنة بعضهم لبعض قيل يعني عاد أقوم هود لأنه المبعوث بعد نوح وقيل يعني ثمود لأنهم أهلكوا بالصيحة عن الجبائي ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ سبق تفسيره ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة﴾ أي بالبعث والجزاء ﴿وأترفناهم في الحياة الدنيا﴾ أي نعمناهم فيها بضروب الملاذ ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ من الاشربة فليس هو أولى بالرسالة منا ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم﴾ فيما يدعوكم اليه ﴿إنكم اذا لخاسرون﴾ باتباعه ﴿أيعدكم﴾ هذا الرسول ﴿إنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً﴾ وصرتم بعد الموت رميماً ﴿إنكم مخرجون﴾ من قبوركم احياء ﴿هيهات﴾ فيه ضمير مرتفع عائد إلى قوله انكم مخرجون والمعنى هيهات هو أي بُعَد اخراجكم جِدّاً حتى امتنع ﴿هيهات لما توعدون﴾ قال ابن عباس بعداً بعداً لما توعدون وقال الكلبي بعيد بعيد ما يعدكم ليوم البعث ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ أي ليس الحياة إلا الحياة التي نحن فيها القريبة منا ﴿نموت ونحيا﴾ أي يموت قوم منا ويحيا قوم ولا نبعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء عن الكلبي وقيل يموت قوم ويولد قوم ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ بعد ذلك ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً﴾ أي اختلق كذباً ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾ أي بمصدّقين فيما يقول ﴿قال رب انصرني بما كذبوني﴾ تقدّم بيانه ﴿قال﴾ أي قال الله سبحانه ﴿عما قليل﴾ أي عن قليل من الزمان والوقت يعني عند الموت لو عند نزول العذاب وما ها هنا مزيدة ﴿ليصبحن نادمين﴾ هذا وعيد لهم واللام للقسم .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ
فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ
قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ
أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا
بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾
ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ

فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ
لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ
ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾
وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ
وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر تترى بالتنوين والباقون بغير تنوين ومن نوّن وقف بالألف لا غير ومن لم ينوّن ومذهبه الامالة وقف بالياء وهي ألف ممالة والباقون بالألف وقد ذكرنا اختلافهم في ربوة في سورة البقرة .

[الحجة] قال أبو علي تترى فعلى من المواترة ان يتبع الخبر الخبر والكتاب الكتاب فلا يكون بينهما فصل كثير والأقيس ان لا يصرف لإنّ المصادر قد يلحق أواخرها ألف التأنيث كالدعوى والعدوى والذكرى والنشورى ولم نعلم شيئاً من المصادر لحق آخرها الياء للالحاق فمن قال تترى امكن ان يريد به فعلى من المواترة فيكون الألف بدلاً من التنوين وان كان في الخط بالياء كان للالحاق والالحاق في غير المصادر ليس بالقليل نحو ارطى ومعزى ولزم ان يحمل على فعل دون فعلى ومن قال تترى وأراد به فعلى فحكمه ان يقف بالألف مفخمة ولا يمليها ومن جعل للالحاق أو للتأنيث امال الألف إذا وقف عليها .

[المعنى] لمّا قال سبحانه إن هؤلاء الكفار يصبحون نادمين على ما فعلوه عقّبه بالأخبار عن اهلاكهم فقال ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صاح بهم جبرائيل صيحة واحدة ماتوا عن آخرهم ﴿بالحق﴾ أي باستحقاقهم العقاب بكفرهم ﴿فجعلناهم غثاء﴾ وهو ما جاء به السيل من نبات قد يبس وكل ما يحمله السيل على رأس الماء من قصب وعيدان شجرة فهو غثاء والمعنى فجعلناهم هلكى قد يبسوا كما يبس الغثاء وهمدوا ﴿فبعداً﴾ أي الزم الله بعداً من الرحمة ﴿للقوم الظالمين﴾ المشركين المكذّبين ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ اي من بعد هؤلاء ﴿قروناً آخرين﴾ اي أمماً وأهل اعصار آخرين ﴿ما تسبق من أمة اجلها وما يستأخرون﴾ هذا وعيد للمشركين معناه ما تموت امة قبل اجلها المضروب لها ولا تتأخر عنه وقيل عنى بالعذاب الموعود لهم على التكذيب انه لا يتقدّم على الوقت المضروب لهم لذلك ولا يتأخر

عنه والأجل هو الوقت المضروب لحدوث امر من الأمور والأجل المحتوم لا يتأخر ولا يتقدم والأجل المشروط بحسب الشرط والمراد بالأجل المذكور في الآية الأجل المحتوم ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ أي متواترة يتبع بعضهم بعضاً عن ابن عباس ومجاهد وقيل متقاربة الأوقات وأصله الاتصال لاتصاله بمكانه من القوس ومنه الوتر وهو الفرد عن الجمع المتصل قال الأصمعي يقال واترت الخبر اتبعت بعضه بعضاً وبين الخبرين هنيهة ﴿كلما جاء امة رسولها كذبوه﴾ ولم يقرُّوا بنبوته ﴿فاتبعنا بعضهم بعضاً﴾ يعني في الإهلاك أي أهلكنا بعضهم في أثر بعض ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ أي يتحدث بهم على طريق المثل في الشر وهو جمع احدوثة ولا يقال هذا في الخير والمعنى إنا صيَّرناهم بحيث لم يبق بين الناس منهم إلا حديثهم ﴿فبعداً لقوم لا يؤمنون﴾ ظاهر المعنى ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا﴾ أي بدلائلنا الواضحة ﴿وسلطان مبين﴾ أي وبرهان ظاهر بيّن ﴿إلى فرعون وملئه﴾ خصَّ الملأ وهم الأشراف بالذكر لأن الآخرين كانوا أتباعاً لهم ﴿فاستكبروا﴾ أي تجبَّروا وتعظَّموا عن قبول الحق ﴿وكانوا قوماً عالين﴾ أي متكبرين قاهرين قهروا أهل أرضهم واتخذوهم خولاً ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ أي أنُصدِّق لانسانين خلقهم مثل خلقنا ويسمى الانسان بشراً لانكشاف بشرته وهي جلدته الظاهرة حتى احتاج إلى لباس يكنُّه وغيره من الحيوان مغطى البشرة بصوف أو ريش أو غيره لطفاً من الله سبحانه بخلقه إذ لم يكن هناك عقل يدبّر امره مع حاجته إلى ما يكنُّه والانسان يهتدي إلى ما يستعين به في هذا الباب ﴿وقومهما لنا عابدون﴾ أي مطيعون طاعة العبد لمولاه قال الحسن كان بنو إسرائيل يعبدون فرعون وفرعون يعبد الأوثان ﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ أي فكذَّبوا موسى وهارون فكان عاقبة تكذيبهم ان أهلكهم الله وغرقهم ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أي التوراة ﴿لعلهم يهتدون﴾ أي لكي يهتدوا إلى طريق الحق والصواب ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ وهذا مثل قوله وجعلناها وابنها آية للعالمين أي حجة على قدرتنا على الاختراع وآية عيسى انه خلق من غير ذكر وآية مريم انها حملت من غير فحل ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ أي جعلنا مأواهما مكاناً مرتفعاً مستوياً واسعاً يقال أوى إليه يأوي أوياً وأواه غيره يؤويه ايواء أي جعله مأوى له والربوة التي أويا اليها هي الرملة من فلسطين عن أبي هريرة وقيل دمشق عن سعيد بن المسيب وقيل مصر عن ابن زيد وقيل بيت المقدس عن قتادة وكعب قال كعب وهي أقرب الأرض إلى السماء وقيل هي حيرة الكوفة وسوادها والقرار مسجد الكوفة والمعين الفرات عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وقيل ﴿ذات قرار ومعين﴾ معناه أي ذات موضع قرار أي هي أرض مستوية يستقر عليها ساكنوها عن الضحاك وسعيد وقيل ذات ثمار عن قتادة ذهب إلى أنه لأجل الثمار

يستقرُّ فيها ساكنوها ومعين ماء جار ظاهر العيون مفعول من عِنْتُهُ أعينه ويجوز ان يكون فعيلاً من معن يمعن معانة والماعون الشيء القليل في قول الزجاج قال الراعي

قَوْمٌ عَلَى الإِسْلامِ لَمَّا يَمْنَعُوا ... مَا عُونَهُمْ وَيُبَدِّلُوا التَّنْزِيلا

قالوا معناه رفدهم وقيل زكاتهم وقال عبيد بن الأبرص

وَاهِيَةٌ أَوْ مَعِينٌ مُمْعِنٌ ... أَوْ هَضْبَةٌ دُونَهَا لُهُوبُ[1]

واللهب شق في الجبل ممعن مارٌ والمعن الشيء السهل الذي ينقاد ولا يعتاص وامعن بحقه وأذعن أي أقرّ قال ابن الأعرابي سالت معانه أي مسائله ومجاريه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة وإنَّ هذه بالكسر وقرأ ابن عامر وأنْ بالفتح والتخفيف والباقون وأنَّ هذه بالفتح .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ وأنَّ هذه بالفتح فالمعنى على قول الخليل وسيبويه انه محمول على الجار والتقدير لأن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون أي اتقوني لهذا ومثل ذلك عندهم قوله وانَّ المساجد أي ولأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً وكذلك عندهما لايلاف قريش فكأنه قال فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش أي ليقابلوا هذه النعمة

(١) الوهي: الشق في الشيء والهضبة: الجبل المنبسط .

بالشكر والعبادة للمنعم بها وعلى هذا التقدير يحمل قراءة ابن عامر ألا ترى ان إذا خففت اقتضت ما يتعلق بها اقتضاءها وهي غير مخففة وقال بعض النحويين موضع ان المفتوحة جر عطفاً على قوله بما تعملون وأمة واحدة نصب على الحال والكوفيون يسمونه قطعاً ومن كسر لم يحملها على الفعل كما يحملها من فتح ولكن يجعلها كلاماً مستأنفاً .

[المعنى] لما أخبر الله سبحانه عن ايتائه الكتاب للاهتداء ثم عما أولاه من سايغ النعماء خاطب الرسل بعد ذلك فقال ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ قيل هو خطاب للرسل كلهم وأمر لهم ان يأكلوا من الحلال عن السدي وروي عن النبي ﷺ أنه قال إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وأنه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وقيل أراد به محمداً ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد مخاطبة الجمع عن الحسن ومجاهد وقتادة والكلبي ويتضمن هذا أن الرسل جميعاً كذا أمروا قال الحسن أما والله ما عني به اصفركم ولا أحمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكنه قال انتهوا الى الحلال منه ﴿واعملوا صالحاً﴾ أي ما أمركم الله به وقيل انه خطاب عيسى (ع) خاصة ﴿إني بما تعملون عليم﴾ هذا بيان السبب الداعي إلى اصلاح العمل فإن العاقل إذا عمل لمن يعلم عمله ويجازيه على حسب ما يعمل من عمله وبقدر استحقاقه أصلح العمل ﴿وإن هذه امتكم أمة واحدة﴾ أي دينكم دين واحد عن الحسن وابن جريج ويعضده قوله انا وجدنا آبائنا على امة أي على دين قال النابغة

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِي رِيبَةً وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهْوَ طَائِعٌ

وقيل هذه جماعتكم وجماعة من قبلكم واحدة كلكم عباد الله تعالى عن الجبائي ﴿وأنا ربكم فاتقون﴾ أي لهذا فاتقوا ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ تفسير الآيتين قد تقدَّم في سورة الأنبياء ﴿زبراً﴾ أي كتباً وهو جمع زبور عن الحسن وقتادة ومجاهد والمعنى تفرَّقوا في دينهم وجعلوه كتباً دانوا بها وكفروا بما سواها كاليهود وكفروا بالإنجيل والقرآن والنصارى كفروا بالقرآن وقيل معناه احدثوا كتباً يحتجون بها لمذهبهم عن ابن زيد ومن قرأ زُبَراً وهو ابن عامر فمعناه جماعات مختلفة فهي جمع زبرة أي تفرقوا احزاباً وانتصب زُبُراً على الحال من أمرهم والعامل فيه تقطع وقال الزجاج معناه جعلوا دينهم كتباً مختلفة على قراءة من قرأ زبراً فعلى هذا يكون زبراً مفعولاً ثانياً ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ أي كل فريق بما عندهم من الدين راضون يرون انهم على الحق ثم خاطب نبيَّه ﷺ فقال ﴿فذرهم﴾ يا محمد ﴿في غمرتهم﴾ أي جهلهم وضلالتهم وقيل في حيرتهم وقيل في غفلتهم وهي متقاربة ﴿حتى

حين﴾ أي وقت الموت وقيل وقت العذاب ثم قال ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات﴾ معناه أيظن هؤلاء الكفار أن ما نعطيهم ونزيدهم من اموال وأولاد انما نعطيهم ثواباً ومجازاة لهم على اعمالهم أو لرضانا عنهم ولكرامتهم علينا ليس الأمر كما يظنون بل ذلك املاء لهم واستدراج لهوانهم علينا وللابتلاء في التعذيب لهم ونظيره وقوله فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمني وروى السكوني عن أبي عبد الله (ع) عن أبيه عن آبائه قال قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى يقول يحزن عبدي المؤمن إذا اقترت عليه شيئاً من الدنيا وذلك أقرب له مني ويفرح إذا بسطت له الدنيا وذلك أبعد له مني ثم تلا هذه الآية إلى قوله ﴿بل لا يشعرون﴾ ثم قال إن ذلك فتنة لهم ومعنى نسارع نسرع ونتعجل وتقديره نسارع لهم به في الخيرات فحذف به للعلم بذلك كما حذف الضمير من قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه بدرهم والخيرات المنافع التي يعظم شأنها ونقيضها الشرور وهي المضار التي يشتدُّ أمرها والشعور العلم الذي يدق معلومه وفهمه على صاحبه كدقة الشعر وقيل هو العلم من جهة المشاعر وهن الحواس ولهذا لا يوصف القديم سبحانه به .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة النبي ﷺ وعائشة وابن عباس وقتادة والأعمش يأتون ما أتوا مقصوراً .

[الحجة] معنى قوله يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم يعطون الشيء ويشفقون ان لا يقبل منهم ومعنى يأتون ما آتوا انهم يعملون العمل وهم يخافونه ويخافون لقاء الله .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه حال الأخيار الأبرار بعد بيانه احوال الكفار الفجار فقال ﴿إن

الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ أي من خشية عذاب ربهم خائفون فيفعلون ما أمرهم به وينتهون عما نهاهم عنه والخشية انزعاج النفس يتوهم المضرة ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ أي بآيات الله وحججه من القرآن وغيرها يصدّقون ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ أي لا يشركون بعبادة الله تعالى غيره من الأصنام والأوثان لأن خصال الإيمان لا تتم إلا بترك الاشراك ﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ أي يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقة وقيل أعمال البرّ كلها ﴿وقلوبهم وجلة﴾ أي خائفة عن قتادة وقال الحسن المؤمن جمع احساناً وشفقة والمنافق جمع اساءة وأمناً وقال أبو عبد الله معناه خائفة أن لا يقبل منهم وفي رواية اخرى يؤتى ما آتى وهو خائف راج وقيل أن في الكلام حذفاً واضماراً وتأويله قلوبهم وجلة ان لا يقبل منهم لعلمهم ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾ أي لأنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى الله تعالى يخافون أن لا يقبل منهم وإنما يخافون ذلك لأنهم لا يأمنون التفريط ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ معناه الذين جمعوا هذه الصفات وكملت فيهم هم الذين يبادرون إلى الطاعات ويسابقون اليها رغبة منهم فيها وعلماً بما ينالون بها من حسن الجزاء ﴿وهم لها سابقون﴾ أي وهم لأجل تلك الخيرات سابقون إلى الجنة وقيل معناه وهم اليها سابقون وقال الكلبي سبقوا الأمم إلى الخيرات قال ابن عباس يسابقون فيها أمثالهم من أهل البرّ والتقوى .

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ

بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾

[القراءة] قرأ نافع تُهجرون بضم التاء وكسر الجيم والباقون تَهجُرون بفتح التاء وضم الجيم وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وابن عباس وعكرمة سَمراً تهجرون وقراءة ابن محيصن سُمَّراً وقراءة يحيى ولو اتبع بضم الواو .

الحجة] قال أبو علي من قال تهجرون فالمعنى انكم كنتم تهجرون آياتي وما يتلى عليكم من كتابي فلا تنقادون له وتكذبون به وتهجرون تأتون بالهجر والهذيان وما لا خير فيه من الكلام وقال ابن جني قوله تهجرون معناه تكثرون من الهجر أو هجر النبي ﷺ أو كتابه أو تُكثرون من الاهجار وهو الافحاش في القول لأن فعّل للتكثير والسُمّر جمع سامر والسامر القوم يسمرون أي يتحدثون ليلاً قال ذو الرمة :

وَكَمْ عَرَّسَتْ بَعْدَ السُّرىٰ مِنْ مُعَرَّسٍ بِهِ مِنْ عَزِيفِ الْجِنِّ أَصْوَاتُ سَامِرِ[1]

قال قطرب السامر قد يكون واحداً أو جماعة وقيل أنه أخذ من السُمرة وهي اللون الذي بين السواد والبياض فقيل لحديث الليل السمر لأنهم كانوا يقعدون في ظل القمر يتحدثون وقيل ان السمر ظل القمر .

[اللغة] الوسع الحال التي يتسع بها السبيل إلى الفعل والوسع دون الطاقة والتكليف تحميل ما فيه المشقة بالأمر والنهي والاعلام مأخوذ من الكلفة في الفعل والله سبحانه يكلّف عباده تعريضاً اياهم للنفع الذي لا يحسن الابتداء بمثله وهو الثواب وأصل الغمرة الستر والتغطية يقال غمرت الشيء إذا سترته وغمرات الموت شدائده وكل شدة غمرة قال الغمرات ثم ينجلينا ثم يذهبن فلا يجينا والجؤار الاستغاثة ورفع الصوت بها والنكوص رجوع القهقرى وهو المشي على الأعقاب إلى خلف وهو أقبح مشية مثل بها اقبح حال وهي الاعراض عن الداعي إلى الحق .

---

(١) التعريس: نزول القوم في السفر في آخر الليل للاستراحة . والسرى: سير الليل . وعزيف الجن: صوته .

[الإعراب] وسعها مفعول ثان لنكلف « بالحق » ان جعلت الحق مصدراً فالباء مزيدة والتقدير ينطق الحق وان جعلته صفة محذوفاً فالتقدير ينطق بالحكم الحق ومفعول ينطق محذوف، هم لها عاملون جملة في موضع رفع لأنها صفة لأعمال مستكبرين منصوب على الحال من قوله تنكصون وذو الحال وتنكصون خبر كان وسامراً اسم للجمع منصوب لأنه حال .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه أنه لا يكلف احداً إلا دون الطاقة بعد ان أخبر عن حال الكافرين والمؤمنين فقال ﴿ولا نكلف نفساً﴾ أي لا نكلفها أمراً ولا نأمرها ﴿إلا وسعها﴾ أي دون طاقتها ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾ معناه وعند ملائكتنا المقربين كتاب ينطق بالحق أي يشهد لكم وعليكم بالحق كتبته الملائكة بأمرنا يريد صحائف الأعمال ﴿وهم لا يظلمون﴾ أي يوفون جزاء أعمالهم فلا ينقص من ثوابهم ولا يزاد في عقابهم ولا يؤاخذون بذنب غيرهم ﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ بل ردّ لما سبق وابتداء الكلام والمعنى ان قلوب الكفار في غفلة شديدة من هذا الكتاب المشتمل على الوعد والوعيد وهو القرآن وقيل في جهل وحيرة عن الحسن والجبائي ﴿ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون﴾ أي ولهم أعمال ردية سوى هذا الجهل يعملون تلك الأعمال فيستحقون بها وبالكفر العقوبة من الله تعالى وقيل ولهم أعمال أي خطايا من دون الحق عن قتادة وأبي العالية ومجاهد وقيل ولهم أعمال من دون الأجل الذي أجلت لهم في موتهم لا بدّ ان يعملوها عن الحسن ومجاهد في رواية اخرى وابن زيد وقيل أعمال اصغر من ذلك أي دون الكفر كما يقال هذا دون هذا في القدر هم عاملون إلى ان يفني آجالهم فهم مشتغلون بها ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب﴾ أي يكون هذا دأبهم حتى إذا أخذنا متنعميهم ورؤساءهم بعذاب الآخرة ويقال عذاب الدنيا وهو عذاب السيف في يوم بدر عن ابن عباس وقيل هو الجوع حين دعا النبي ﷺ عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف فابتلاهم الله سبحانه بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب عن الضحاك ﴿إذا هم يجأرون﴾ أي يضجّون لشدة العذاب ويجزعون وقيل يستغيثون عن ابن عباس وقيل يصرخون إلى الله بالتوبة فلا يقبل منهم ﴿لا تجأروا اليوم﴾ أي يقال لهم لا تتضرعوا اليوم ﴿إنكم منا لا تنصرون﴾ هذا ايناس لهم من دفع العذاب عنهم ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾ أي تقرأ ﴿فكنتم﴾ أيها الكافرون المعذّبون ﴿على أعقابكم تنكصون﴾ أي تدبرون وتستأخرون وترجعون القهقرى مكذبين ﴿مستكبرين به﴾ أي متكبرين على سائر الناس بالحرم او بالبلد يعني مكة أن لا يظهر عليكم فيه احد عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل مستكبرين بمحمد ﷺ أن تطيعوه وبالقرآن ان تقبلوه فإنها

كناية عن غير مذكور في الجميع ﴿سامراً﴾ أي تسمرون بالليل أي تتحدثون في معائب النبي ﷺ ﴿تهجرون﴾ الحق بالاعراض عنه وتهجرون أي تفحشون في المنطق ثم قال سبحانه ﴿أفلم يدبروا القول﴾ أي ألم يتدبروا القرآن فيعرفوا ما فيه من العبر والدلالات على صدق نبيّنا ﷺ ﴿أم جاءهم ما لم يأت آبائهم الأولين﴾ قال ابن عباس يريد أليس قد أرسلنا نوحاً وإبراهيم والنبيين إلى قومهم وكذلك أرسلنا محمداً ﷺ ﴿أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون﴾ قال ابن عباس أليس هو محمداً الذي قد عرفوه صغيراً وكبيراً صادق اللسان أميناً وافياً بالعهد وفي هذا توبيخ لهم بالاعراض عنه بعدما عرفوا صدقه وأمانته مع شرف نسبه قبل الدعوة ﴿أم يقولون به جنة﴾ قال ابن عباس يريد وأيُّ جنون ترون به وفي هذا دلالة على جهلهم حيث أقرّوا له بالعقل والصدق أولا ثم نسبوه إلى الجنون وإنما نسبوه إلى الجنون لينفروا الناس عنه أو لأنه يطمع في إيمانهم فهو يطمع في غير مطمع ﴿بل جاءهم بالحق﴾ المعنى بل جاءهم بالقرآن والدين الحق وليس به جنة ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ لأنه لم يوافق مرادهم ﴿ولو اتبع الحق اهواءهم﴾ الحق هو الله تعالى عن أبي صالح وابن جريج والسدي والمعنى ولو جعل الله لنفسه شريكاً كما يهوون ﴿لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن﴾ ووجه الفساد ما تقدم ذكره عند قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل الحق ما يدعو إلى المصالح والمحاسن والأهواء ما تدعو إلى المفاسد والمقابح ولو اتبع الحق داعي الهوى لدعا إلى المقابح ولفسد التدبير في السماوات والأرض لأنها مدبرة بالحق لا بالهوى وقيل معناه لفسدت احوال السماوات والأرض لأنها جارية على الحكمة لا على الهوى ومن فيهن اي ولفسد من فيهن وهو اشارة الى العقلاء من الملائكة والانس والجن وقال الكلبي وما بينهما من خلق فيكون عاماً ووجه فساد العالم بذلك انه يوجب بطلان الأدلة وامتناع الثقة بالمدلول عليه وان لا يوثق بوعد ولا وعيد ولا يؤمن انقلاب عدل الحكيم ﴿بل آتيناهم بذكرهم﴾ أي بما فيه شرفهم وفخرهم لأن الرسول ﷺ منهم والقرآن نزل بلسانهم ﴿فهم عن ذكرهم﴾ أي شرفهم ﴿معرضون﴾ وبالذل راضون وقيل الذكر البيان للحق عن ابن عباس .

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا
فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ

لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي
طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا
هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾

[اللغة] أصل الخراج والخرج واحد وهو الغلة التي تخرج على سبيل الوظيفة ومنه خراج الأرض وهما مصدران يجمعان وقد سبق اختلاف القراء فيه في سورة الكهف والاستكانة الخضوع وهو استفعل من الكون والمعنى ما طلبوا الكون على صفة الخضوع قال الأزهري أكانه الله يكينه أي أخضعه حتى ذل ومات فلان بكينة سوء اي بحال سوء وقيل ان استكان من السكينة والسكون إلا أن الفتحة اشبعت فنشأت منها الف فصار استكانوا الأصل استكنوا على افتعلوا قال عنترة في اشباع الفتحة

يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَي غَضُوبٍ جَسْرَةٍ زَيَّافَةٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُكْدَمِ (١)

يريد ينبع فأشبع الفتحة وقال آخر

وَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحِ (٢)

أي بمنتزح يقال استكن واستكان وتمسكن بمعنى.

---

(١) هذا بيت من معلقته الشهيرة. والذفرى: ما خلف الاذن. والجسرة: الناقة الموثقة الخلق. والزيف التبختر. والفنيق: الفحل من الابل. والمكدم من الفحول: القوي. يقول ينبع هذا العرق من خلف أذن الناقة الخ شبهها بالفحل في تبخترها ووثاقة خلقها وضخمها.

(٢) مضى البيت في صفحة ٣٦ من هذا الجزء.

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿أم تسألهم﴾ يا محمد على ما جئتهم به من القرآن والإيمان ﴿خرجا﴾ أي اجراً ومالاً يعطونك فيورث ذلك تهمة في حالك أو يثقل عليهم قبول قولك لأجله ﴿فخراج ربك خير﴾ أي فرزق ربك في الدنيا خير منه عن الكلبي وقيل فأجر ربك في الآخرة خير منه عن الحسن ﴿وهو خير الرازقين﴾ أي أفضل من أعطى وآجر وفي هذا دلالة على ان في العباد من يرزق غيره بإذن الله ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ من التوحيد واخلاص العبادة والعمل بالشريعة ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي لا يصدّقون بالنشأة الآخرة ﴿عن الصراط لناكبون﴾ أي عن الدين الحق عادلون ومائلون وقيل معناه انهم في الآخرة ناكبون عن طريق الجنة يؤخذ بهم يمنة ويسرة إلى النار عن الجبائي ﴿ولو رحمناهم﴾ في الآخرة ﴿وكشفنا ما بهم من ضر﴾ ورددناهم إلى دار التكليف ﴿للجوا في طغيانهم يعمهون﴾ مثل قوله ولو ردّوا لعادوا عن الجبائي وأبي مسلم وقيل أنه في الدنيا أي ولو أنا رحمناهم وكشفنا ما بهم من جوع ونحوه لتمادوا في ضلالتهم وغوايتهم يترددون عن ابن جريج ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ معناه انا قد أخذنا هؤلاء الكفار بالجدب وضيق الرزق والقتل بالسيف ﴿فما استكانوا لربهم﴾ أي ما تواضعوا ولا انقادوا ﴿وما يتضرعون﴾ أي وما يرغبون إلى الله في الدعاء وقال أبو عبد الله (ع) الاستكانة الدعاء والتضرع رفع اليد في الصلاة ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ أي هذا دأبهم حتى إذا فتحنا عليهم نوعاً آخر من العذاب وذاك حين دعا النبي ﷺ عليهم فقال اللهم سنين كسني يوسف فجاعوا حتى أكلوا العلهز وهو الوبر بالدم عن مجاهد وقيل هو القتل يوم بدر عن ابن عباس وقيل فتحنا عليهم باباً من عذاب جهنم في الآخرة عن الجبائي وقيل ذلك حين فتح مكة وقال أبو جعفر (ع) هو في الرجعة ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ أي آيسون من كل خير متحيّرون ثم بيّن سبحانه أنه المنعم على خلقه بأنواع النعم فقال ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والافئدة﴾ أي خلق هذه الحواس ابتداء لا من شيء وخصّ هذه الثلاثة لأن الدلائل مبنية عليها ينظر العاقل ويسمع ويتفكر فيعلم ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أي يقل شكركم لها وقليلاً منصوب على المصدر وتقديره تشكرون قليلاً لهذه النعم التي أنعم الله بها عليكم وقيل معناه انكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحّدونه عن مقاتل ﴿وهو الذي ذرأكم﴾ أي خلقكم وأوجدكم ﴿في الأرض وإليه تحشرون﴾ يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم ﴿وهو الذي يحيي ويميت﴾ أي يحييكم في أرحام أمهاتكم ويميتكم عند انقضاء آجالكم ﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾ أي وله تدبيرها بالزيادة والنقصان وقيل وله ملك اختلافهما وهو ذهاب احدهما ومجيء الآخر ﴿أفلا تعقلون﴾ أي أفلا تعلمون بأن تفكروا فتعلموا ان لذلك صانعاً قادراً

عالماً حياً حكيماً لا يستحق الإلهية سواه ولا تحسن العبادة إلا له .

﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾

[القراءة] قرأ أهل البصرة سيقولون الله في الآيتين والباقون لله ولم يختلفوا في الأولى .

[الحجة] أما قراءة أهل البصرة فجواب على ما يوجبه اللفظ ومن قرأ لله فعلى المعنى وذلك أنه إذا قيل من مالك هذه الدار فأجيب لزيد فإن الجواب على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ فإن الذي يقتضيه اللفظ أن يقال زيد وإنما استقام ذلك لأن معنى من مالك هذه الدار ولمن هذه الدار واحد فلذلك أجيب تارة على اللفظ وتارة على المعنى .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن الكفار المكذبين بالبعث فقال ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ المنكرون للبعث بعد الموت ثم حكى مقالتهم فقال ﴿قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾ وهذا جهل منهم لأنهم لو تفكروا في ان النشأة الأولى اعظم منه لما استعظموه وقد أقرّوا بأن الله خالقهم ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا﴾ أي وعد آباؤنا هذا الذي تعدنا

من البعث ﴿من قبل﴾ أي من قبل مجيئك فما صدق وعدهم ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي ما هذا إلا أكاذيب الأولين قد سطروا ما لا حقيقة له وإنما يجري مجرى حديث السمر الذي يكتب للاطراف به ثم احتج على هؤلاء المنكرين للبعث والنشور فقال ﴿قل﴾ يا محمد لهم ﴿لمن الأرض ومن فيها﴾ أي لمن خلق الأرض وملكها ومن فيها من العقلاء ﴿إن كنتم تعلمون سيقولون﴾ في الجواب ﴿لله﴾ وإنما قال ذلك لأنهم كانوا يقرّون بأن الله هو الخالق ﴿قل أفلا تذكرون﴾ أي فقل لهم عند ذلك أفلا تتفكرون فتعلمون أنه تعالى قادر على ذلك ومن قدر عليه قدر على احياء الموتى لأنه ليس ذلك بأعظم منه ثم زاد في الحجة فقال ﴿قل﴾ يا محمد لهم أيضاً ﴿من رب السماوات السبع﴾ أي من مالكها والمتصرف فيها ﴿ورب العرش العظيم﴾ أي ومن مالك العرش ومدّبره لأنهم كانوا يقرّون بأن الله خالق السماوات وان الملائكة سكان السماوات والعرش عندهم عبارة عن الملك إلا أن يكون أتاهم خلق العرش من قبل النقل ثم أخبرانهم ﴿سيقولون لله﴾ في الجواب عن ذلك أي ان رب السماوات ورب العرش هو الله ومن قرأ لله فالمعنى انها لله ﴿قل أفلا تتقون﴾ أي فعند ذلك يلزمهم الحجة فقل لهم افلا تتقون عذابه على جحد توحيده والاشراك في عبادته وفي انكار البعث ثم زاد في الحجة فقال ﴿قل﴾ يا محمد لهم أيضاً ﴿من بيده ملكوت كل شيء﴾ والملكوت من صفات المبالغة في الملك كالجبروت والرهبوت وقال مجاهد ملكوت كل شيء خزائن كل شيء ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾ أي يمنع من السوء من يشاء ولا يمتنع منه من أراده بسوء يقال أجرت فلاناً إذا استغاث بك فحميته وأجرت عليه إذا حميت عنه ويحتمل أن يكون أراد في الدنيا أي من قصد عبداً من عباده بسوء قدر على منعه ومن أراد الله بسوء لم يقدر على منعه احد ويحتمل أن يكون أراد في الآخرة اي يجير من العذاب ولا يجار عليه منه ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي إن كنتم تعلمون ذلك فأجيبوا ﴿سيقولون﴾ في الجواب ﴿لله قل فأنى تسحرون﴾ أي فكيف يخيل إليكم الحق باطلاً والصحيح فاسداً مع وضوح الحق وتمييزه من الباطل وقيل معناه فكيف تعمون عن هذا وتصدون عنه من قولهم سحرت اعيننا فلم نبصر وقيل معناه فكيف تخدعون ويموه عليكم كقول امرىء القيس « وَنُسحَرُ بِالطَّعامِ وبِالشَّرابِ »[1] أي ونخدع ﴿بل آتيناهم بالحق وانهم لكاذبون﴾ معناه إنا جئناهم بالحق وبيّنا لهم الحق الذي فيه بيان كذبهم ولكنهم أصرّوا على باطلهم وكذبهم .

[النظم] وإنما اتصلت الآية الأولى بما قبلها بمعنى انهم لو تفكّروا لعلموا ولكن

(١) وقبله « أرانا موضعين لحتم غيب » وقد مر بتمامه في ج ٦ .

عوّلوا على التقليد فقالوا مثل ما قال الأولون فعلى هذا تكون متصلة بقوله أفلا تعقلون وقيل انه جواب الاستفهام في قوله أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين والآية الأخيرة معطوفة على ما تقدّم من أدلة التوحيد وهي رد على المشركين وتكذيب لهم في قولهم ان الأصنام آلهة وان الله سبحانه له ولد وان الملائكة بنات الله .

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة وأهل الكوفة غير حفص عالم الغيب بالرفع والباقون بالجر إلا أن رويساً إذا وصل جر وإذا ابتدأ رفع .

[الحجة] وجه الرفع أن يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره هو عالم الغيب ووجه الجر ان يكون صفة الله تعالى ويكون اضافة عالم حقيقية بمعنى اللام ويجوز أن يكون بدلاً فتكون الاضافة غير حقيقية والغيب في تقدير النصب الأول يكون بمعنى الماضي والثاني بمعنى

الحاضر ولا يكون بمعنى المستقبل .

[اللغة] الهَمْزة شدة الدفع ومنه الهمزة للحرف الذي يخرج من أقصى الحلق باعتماد شديد ودفع وهمزة الشيطان دفعه بالاغواء الى المعاصي وقوس همَزى شديدة الدفع للسهم والبرزخ الحاجز بين الشيئين وكل فصل بين شيئين برزخ ومعنى من ورائهم هنا من أمامهم وقدامهم قال الشاعر

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

[الإعراب] قوله إذا لذهب كل إله بما خلق جواب لو مقدر والتقدير ولو كان معه إله إذا لذهب وإذا هنا حشو بين أو وجوابه فهي لغو غير عامل « إمَّا تُرِيَنِّي » ان للشرط ضمت إليها ما مسلطة والمعنى انها سلطت نون التأكيد على دخولها الفعل المضارع ولو لم تكن هي لم يجز أن تريني وجواب الشرط فلا تجعلني ورَبِّ معترض بين الشرط والجزاء وبالتي هي أحسن الموصولة والصلة في موضع جر بأنهما صفة محذوف مجرور التقدير ادفع بالخصلة التي هي أحسن ورب أرجعوني جاء الخطاب على لفظ الجميع لأنه سبحانه يقول انا نحن نزلنا الذكر وانا نحن نحيي وهذا اللفظ يعرفه العرب للجليل الشأن يخبر به الجماعة فكذلك جاء الخطاب في أرجعوني وقال المازني أنه جمع الضمير ليدل على التكرار فكأنه قال رب أرجعني أرجعني أرجعني وإلى يوم يبعثون إلى تتعلق بما يتعلق به مِنْ في قوله ومن ورائهم برزخ ويوم مضاف إلى يبعثون لأن اسماء الزمان تضاف إلى الأفعال .

[المعنى] ثم أكّد سبحانه ما قدَّمه من أدلة التوحيد بقوله ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ أي لم يجعل ولد غيره ولد نفسه لاستحالة ذلك عليه فمن المحال أن يكون له ولد فلا يجوز عليه التشبيه بما هو مستحيل ممتنع إلا على النفي والتبعيد واتخاذ الولد هو ان يجعل الجاعل ولد غيره يقوم مقام ولده لو كان له وكذلك التبني انما هو جعل الجاعل ابن غيره ومن يصح ان يكون ابناً له مقام ابنه ولذلك لا يقال تبنى شاب شيخاً ولا تبني الإنسان بهيمة لما استحال ان يكون ذلك ولداً له ﴿وما كان معه من إله﴾ من هاهنا وفي قوله من ولد مؤكدة فهو آكد من أن يقول ما اتخذ الله ولداً وما كان معه إله نفى عن نفسه الولد والشريك على آكد الوجوه ﴿إذا لذهب كل إله بما خلق﴾ والتقدير إذ لو كان معه إله آخر لذهب كل إله بما خلق أي لميّز كل إله خلقه عن خلق غيره ومنعه من الاستيلاء على ما خلقه أو نصب دليلاً يميّز به بين خلقه وخلق غيره فإنه كان لا يرضى ان يضاف خلقه وانعامه إلى غيره ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ أي ولطلب بعضهم قهر بعض ومغالبته وهذا معنى قول المفسرين ولقاتل بعضهم بعضاً كما

يفعل الملوك في الدنيا وقيل معناه ولمنع بعضهم بعضاً عن مراده وهو مثل قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفي هذا دلالة عجيبة في التوحيد وهو ان كل واحد من الآلهة من حيث يكون إلهاً يكون قادراً لذاته فيؤدّي الى ان يكون قادراً على كل ما يقدر عليه غيره من الآلهة فيكون غالباً ومغلوباً من حيث انه قادر لذاته وأيضاً فإن من ضرورة كل قادرين صحة التمانع بينهما فلو صحَّ وجود إلهين صحَّ التمانع بينهما من حيث انهما قادران وامتنع التمانع بينهما من حيث أنهما قادران للذات وهذا محال وفي هذا دلالة على اعجاز القرآن لأنه لا يوجد في كلام العرب كلمة وجيزة تضمنت ما تضمنته هذه فإنها قد تضمنت دليلين باهرين على وحدانية الله وكمال قدرته ثم نزَّه نفسه عما وصفوه به فقال ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ أي عما يصفه به المشركون من اتخاذه الولد والشريك ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي يعلم ما غاب وما حضر فلا يخفى عليه شيء ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ والمعنى انه عالم بما كان وبما سيكون وبما لم يكن ان لو كان كيف يكون ومن كان بهذه الصفة لا يكون له شريك لأنه الأعلى من كل شيء في صفته ثم قال لنبيه ﷺ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿رب اما تريني ما يوعدون﴾ أي ان أريتني ما يوعدون من العذاب والنقمة يعني القتل يوم بدر ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ أي مع القوم الظالمين والمعنى فأخرجني من بينهم عندما تريد احلال العذاب بهم لئلا يصيبني ما يصيبهم وفي هذا دلالة على جواز ان يدعو الإنسان بما يعلم ان الله يفعله لا محالة لأن من المعلوم ان الله تعالى لا يعذب أنبياءه مع المعذبين ويكون الفائدة في ذلك اظهار الرغبة إلى الله ﴿وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون﴾ هذا ابتداء كلام من الله تعالى معناه انا لا نعاجلهم بالعقوبة مع قدرتنا على ذلك ولكن ننظرهم ونمهلهم لمصلحة توجب ذلك قال الكلبي هذا أمر شهده اصحاب رسول الله ﷺ بعد موته وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر بن عبد الله انهما سمعا رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع وهو بمعنى لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفني في كتيبة يضاربونكم قال فغمز من خلف منكبه الأيسر فالتفت فقال أو عليٌّ فنزل قل رب أما تريني الآيات ثم أمره ﷺ بالصبر إلى أن ينقضي الأجل المضروب للعذاب فقال ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ أي ادفع بالاغضاء والصفح اساءة المسيء عن مجاهد والحسن وهذا قبل الأمر بالقتال وقيل معناه ادفع باطلهم ببيان الحجج على ألطف الوجوه وأوضحها وأقربها إلى الإجابة والقبول ﴿نحن اعلم بما يصفون﴾ أي بما يكذبون ويقولون من الشرك والمعنى انا نجازيهم بما يستحقونه ثم أمره ﷺ فقال ﴿قل﴾ يا محمد ﴿رب أعوذ بك﴾ أي اعتصم بك ﴿من همزات الشياطين﴾ أي من

نزعاتهم ووساوسهم عن ابن عباس والحسن والمعنى من دعائهم إلى الباطل والعصيان ومن شرورهم في كل شيء يخاف فيه من ذلك ﴿وأعوذ بك رب ان يحضرون﴾ أي يشهدوني ويقاربوني ويصدّوني عن طاعتك وقيل معناه أن يحضروني في الصلاة عند تلاوة القرآن وقيل في الأحوال كلها ثم عاد سبحانه إلى قوله أءذا متنا وكنا تراباً وعظاماً فقال ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون﴾ يعني ان هؤلاء الكفار إذا أشرفوا على الموت سألوا الله تعالى عند ذلك الرجعة إلى دار التكليف فيقول احدهم رب أرجعون على لفظ الجمع وفي معناه قولان (أحدهما) انهم استغاثوا اولاً بالله ثم رجعوا إلى مسائلة الملائكة فقالوا لهم ارجعون أي ردّوني الى الدنيا عن ابن جرير (والآخر) انه على عادة العرب في تعظيم المخاطب كما قال قرة عين لي ولك لا تقتلوه وروى النضر بن شميل قال سألوا الخليل عن هذا ففكر ثم قال سألتموني عن شيء لا أحسنه ولا أعرف معناه فاستحسن الناس منه ذلك ﴿لعلي اعمل صالحاً فيما تركت﴾ أي في تركتي والمعنى أؤدّي عنها حق الله تعالى وقيل معناه في دنياي فإنه ترك الدنيا وصار إلى الآخرة وقيل معناه اعمل صالحاً فيما فرطت وضيّعت أي في صلاتي وصيامي وطاعاتي وقال الصادق (ع) انه في مانع الزكاة يسأل الرجعة عند الموت ثم قال سبحانه في الجواب عن سؤالهم ﴿كلا﴾ أي لا يرجع إلى الدنيا ﴿إنها﴾ أي مسألة الرجعة ﴿كلمة هو قائلها﴾ أي كلام يقوله ولا فائدة له في ذلك وقيل معناه وهي كلمة يقولها بلسانه وليس لها حقيقة مثل قوله ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وروى العياشي بإسناده عن الفتح بن يزيد الجرجاني قال قلت لأبي الحسن الرضا (ع) جعلت فداك يعرف القديم سبحانه الشيء الذي لم يكن ان لو كان كيف كان يكون قال ويحك ان مسألتك لصعبة اما قرأت قوله عز وجل ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ولعلا بعضهم على بعض﴾ لقد عرف الشيء الذي لم يكن ولا يكون ان لو كان كيف كان يكون وقال ويحكي قول الأشقياء رب ارجعوني لعلي اعمل صالحاً فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها وقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فقد علم الشيء الذي لم يكن لو كان كيف كان يكون وهو السميع البصير الخبير العليم ﴿من ورائهم﴾ أي ومن بين أيديهم ﴿برزخ إلى يوم يبعثون﴾ أي حاجز بين الموت والبعث في يوم القيامة من القبور عن ابن زيد وقيل حاجز بينهم وبين الرجوع الى الدنيا وهم فيه إلى يوم يبعثون عن ابن عباس ومجاهد وقيل البرزخ الامهال إلى يوم القيامة وهو القبر وكل فصل بين شيئين هو برزخ عن علي بن عيسى وفي الآية دلالة على ان احداً لا يموت حتى يعرف منزلته عند الله تعالى اضطراراً وانه من أهل الثواب أو العقاب عن الجبائي .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ
فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن
ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ
مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾
تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا
شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا
ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ
مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ
تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم شقاوتنا بالألف وفتح الشين والباقون شقوتنا بكسر الشين من غير الف وقرأ أهل المدينة وأهل الكوفة غير عاصم سخرياً بضم السين والباقون بكسرها وكذلك في سورة صٓ .

[الحجة] قال أبو علي الشقوة مصدر كالرقة والفطنة والشقاوة كالسعادة فالقراءة بهما جميعاً سائغة وقال أبو زيد اتخذت فلاناً سُخرياً وسِخرياً إذا هزئت منه وقد سخرت منه اسخر سخرياً وسَخَر قال أبو عبيدة اتخذتموهم سِخريا تسخرون منهم وسُخريا تَسْخَرونهم ويقال أيضاً ان من الهزء سُخري وسِخري ومن السخرية مضمومة لا غير وحكي عن الحسن وقتادة ان ما كان من العبودة فهو سخري بالضم وما كان من الهزء فبالكسر قال أبو علي الأكثر في الهزء كسر السين فيما حكوه ويرى انه انما كان أكثر لأن السخر مصدر سخرت وفَعل وفِعل قد

يكونان بمعنى نحو المثل والمثل والشبه والشبه في حرف آخر فكذلك السخر والسخر الا ان المكسورة الزمت ياء النسب دون المفتوحة مما اتفقوا في القسم على الفتح في لعمر الله ولم يعتد بياء النسب كما لم يعتد بها في نحو احمر واحمري ودوار ودواري والوجه في الضم على ما حكي عن يونس ان السخري قد يقال بالضم بمعنى الهزء واتفق القراء على الضم في الزخرف لأنه من السخرة وانقياد بعضهم لبعض في الأمور وذلك لا يكون إلا بالضم .

[اللغة] اللفح والنفح : بمعنى الا ان اللفح اشد تأثيراً وأعظم من النفح وهو ضرب من السموم للوجه والنفح ضرب الريح الوجه والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان حتى تبدو الاسنان قال الاعشى

وَلَهُ الْمَقْدَمُ لا مِثْلَ لَهُ ساعَةَ الشِّدْقُ عَنِ النّابِ كلح[1]

وخسأت فلاناً أخسأه خساً إذا زجرته ليتباعد فخسأ وهو خاسىء ومعنى اخسأ أي تباعد تباعد سخط .

[الإعراب] العامل في إذا نفخ وبينهم ويومئذ خبر لا المحذوف تقديره فلا انساب تثبت بينهم تلفح وجوههم النار في موضع النصب على الحال والعامل فيه خالدون .

[المعنى]ثم بيّن سبحانه حال الفريقين يوم البعث فقال﴿فإذا نفخ في الصور﴾قيل أن المراد به نفخة الصعق عن ابن عباس وقيل نفخة البعث عن ابن مسعود والصور جمع صورة أي إذا نفخ فيه الأرواح واعيدت احياء عن الحسن وقيل ان الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل (ع) بالصوت العظيم الهائل على ما وصفه الله تعالى علامة لوقت اعادة الخلق عن اكثر المفسرين ﴿فلا انساب بينهم يومئذ﴾ أي لا يتواصلون بالانساب ولا يتعاطفون بها مع معرفة بعضهم بعضاً عن الحسن والمعنى انه لا يرحم قريب قريبه لشغله عنه فإن المقصود بالأنساب دفع ضرّ أو جرّ نفع فإذا ذهب هذا المقصود فكأن الأنساب قد ذهبت ومثله يوم يفرُّ المرء من اخيه وامه وأبيه وقيل معناه لا يتفاخرون بالانساب كما كانوا يفعلونه في الدنيا عن ابن عباس والجبائي ولابدَّ من تقدير محذوف في الآية على تأويل فلا انساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها أو يتعاطفون بها والمعنى انه لا يفضل بعضهم بعضاً يومئذ بنسب وإنما يتفاضلون باعمالهم وقال النبي ﷺ كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حبي ونسبي ﴿ولا يتساءلون﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله وخبره كما كانوا يسألون في الدنيا لشغل كل واحد بنفسه عن

(١) الشدق : جانب الفم .

الجبائي وقيل لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه ذنبه ولا تنافي بين هذه الآية وبين قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لأن للقيامة احوالاً ومواطن فمنها حال يشغلهم عظم الأمر فيها عن المسألة ومنها حال يلتفتون فيها فيتساءلون وهذا معنى قول ابن عباس لما سئل عن الآيتين فقال هذه تارات يوم القيامة وقيل إنما يتساءلون عند دخول الجنة وإنما يسأل بعض اهل الجنة بعضاً فإنهم لا يفزعون من اهوال القيامة عن السدي ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ بالطاعات ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الناجون ﴿ومن خفت موازينه﴾ عن الطاعات ﴿فأولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون﴾ وقد تقدّم تفسير الآيتين واختلاف المفسرين في كيفية الميزان والوزن في سورة الأعراف ﴿تلفح وجوههم النار﴾ أي يصيب وجوههم لفح النار ولهبها ﴿وهم فيها كالحون﴾ أي عابسون عن ابن عباس وقيل هو ان تتقلص شفاههم وتبدو اسنانهم كالرؤوس المشوية عن الحسن ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ أي ويقال لهم أو لم يكن القرآن يقرأ عليكم وقيل الم تكن حججي وبيّناتي وأدلّتي تقرأ عليكم في دار الدنيا ﴿فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ أي شقاوتنا ومعناهما واحد وهو المضرة اللاحقة في العافية والسعادة المنفعة اللاحقة في العافية ويقال لمن حصل في الدنيا على مضرة فادحة شقي والمعنى استعلت علينا سيئاتنا التي أوجبت لنا الشقاء ﴿وكنا قوماً ضالين﴾ أي ذاهبين عن الحق ولما كانت سيئاتهم التي شقوا بها سبب شقاوتهم سميت شقاوة توسعاً ومن اكبر الشقاوة ان تترك عبادة الله تعالى إلى عبادة غيره وتترك الأدلة ويتبع الهوى ﴿ربنا اخرجنا منها﴾ أي من النار ﴿فإن عدنا﴾ لما تكره من الكفر والتكذيب والمعاصي ﴿ فإنا ظالمون﴾ لأنفسنا قال الحسن هذا آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم بعد ذلك يكون لهم شهيق كشهيق الحمار ﴿قال اخسئوا فيها﴾ أي ابعدوا بعد الكلب في النار وهذه اللفظة زجر للكلاب وإذا قيل ذلك للإنسان يكون للاهانة المستحقة للعقوبة ﴿ولا تكلمون﴾ وهذه مبالغة للاذلال والإهانة واظهار الغضب عليهم لأن من لا يكلم اهانة له فقد بلغ به الغاية في الأذلال وقيل معناه ولا تكلمون في رفع العذاب فإني لا أرفعه عنكم وهي على صيغة النهي وليست بنهي لأن الأمر والنهي مرتفعان في الآخرة لارتفاع التكليف ﴿انه كان فريق من عبادي﴾ أي طائفة من عبادي وهم الأنبياء والمؤمنون ﴿يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين﴾ أي يدعون بهذه الدعوات في الدنيا طلباً لما عندي من الثواب ﴿فاتخذتموهم﴾ انتم يا معشر الكفار ﴿سخرياً﴾ أي كنتم تهزؤون وتسخرون منهم وقيل معناه تستعبدونهم وتصرفونهم في اعمالكم وحوائجكم كرهاً بغير أجر وقيل انهم كانوا إذا آذوا المؤمنين قالوا انظروا إلى هؤلاء رضوا من الدنيا بالعيش الدني طمعاً في ثواب الآخرة وليس وراءهم آخرة

ولا ثواب فهو مثل قوله وإذا مرّوا بهم يتغامزون ﴿حتى انسوكم ذكري﴾ أي نسيتم ذكري لاشتغالكم بالسخرية منهم فنسب الانساء إلى عبادة المؤمنين وان لم يفعلوه لما كانوا السبب في ذلك ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ ظاهر المعنى .

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ
ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا
لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا
بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي انهم بكسر الألف وقل كم لبثتم وقل ان لبثتم على الأمر وقرأ ابن كثير قال كم لبثتم فقط وقرأ الباقون انهم بفتح الالف وقال في الموضعين وقرأ اهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لا ترجعون بفتح التاء والباقون بضم التاء وفتح الجيم .

[الحجة] قال ابو علي من فتح أنَّ فالمعنى لأنهم هم الفائزون ويجوز ان يكون انهم في موضع المفعول الثاني لأن جزيت يتعدى إلى مفعولين قال سبحانه وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً وتقديره جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز وفاز الرجل إذا نال ما أراد وقالوا فوّز الرجل إذا مات ويشبه ان يكون ذلك على التفاؤل له اي صار إلى ما احب والمفازة المهلكة على وجه التفاؤل أيضاً ومن كسر إنَّ استأنف فقطعه عما قبله ومثله لبيك ان الحمد والنعمة لك وان

الحمد بالكسر والفتح ومن قرأ قل كم لبثتم كان على قل ايها السائل عن لبثهم وقال على الاخبار عنه وزعموا ان في مصاحف اهل الكوفة قل في الموضعين وحجة من قال ترجعون انا إليه راجعون وقد تقدم ذكر هذا النحو.

[الاعراب] كم لبثتم كم في محل النصب لأنه ظرف زمان والعامل فيه لبث وعدد منصوب على التمييز والعامل فيه كم ولا يمنع كم من العمل الفصل الكثير لأن كم الخبرية تجرّ المميز فإذا فصل بينها وبين معمولها نصبت كالاستفهامية فلان تنصب الاستفهامية مع الفصل اولى وقليلاً صفة مصدر محذوف تقديره ان لبثتم إلا قليلاً عبثاً ويجوز ان يكون مصدراً وضع موضع الحال وتقديره أفحسبتم إنما خلقناكم عابثين ويجوز أن يكون مفعولاً له أي للعبث. لا إله إلا هو في موضع النصب على الحال على تقدير فتعالى الله عديم المثل والاولى ان يكون جملة مستأنفة. ورب العرش خبر مبتدأ محذوف فهي جملة اخرى مستأنفة بدلالة حسن الوقف على المواضع الثلاثة على الحق وعلى هو وعلى الكريم. لا برهان له به جملة منصوبة الموضع بأنه صفة لقوله إلهاً فهي صفة بعد صفة.

[المعنى] ثم اخبر سبحانه عن المؤمنين الذين سخر الكافرون منهم في دار الدنيا فقال ﴿اني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ أي بصبرهم على أذاكم وسخريتكم واستهزائكم بهم ﴿انهم هم الفائزون﴾ أي الظافرون بما أرادوا الناجون في الآخرة والمراد بقوله اليوم أيام الجزاء لا يوم بعينه ﴿قال﴾ أي قال الله تعالى للكفار يوم البعث وهو سؤال توبيخ وتبكيت لمنكري البعث ﴿كم لبثتم في الأرض﴾ أي القبور ﴿عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ لأنهم لم يشعروا بطول لبثهم ومكثهم لكونهم أمواتاً وقيل انه سؤال لهم عن مدة حياتهم في الدنيا قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم استقلوا حياتهم في الدنيا لطول لبثهم ومكثهم في النار عن الحسن قال ولم يكن ذلك كذباً منهم لأنهم أخبروا بما عندهم وقيل ان المراد به يوماً أو بعض يوم من أيام الآخرة قال ابن عباس أنساهم الله قدر لبثهم فيرون انهم لم يلبثوا إلا يوماً أو بعض يوم لعظم ما هم بصدده من العذاب ﴿فسئل العادين﴾ يعني الملائكة لأنهم يحصون أعمال العباد عن مجاهد وقيل يعني الحساب لأنهم يعدُّون الشهور والسنين عن قتادة ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿إن لبثتم﴾ أي ما مكثتم ﴿إلا قليلاً﴾ لأن مكثهم في الدنيا أو في القبور وإن طال فإنه متناه قليل بالإضافة إلى طول مكثهم في عذاب جهنم ﴿لو انكم كنتم تعلمون﴾ صحة ما أخبرناكم به وقيل معناه لو كنتم تعلمون قصر أعماركم في الدنيا وطول مكثكم في الآخرة في العذاب لما اشتغلتم بالكفر والمعاصي وآثرتم الفاني على الباقي ثم قال سبحانه لهم

﴿أفحسبتم﴾ معاشر الجاحدين للبعث والنشور الظانين دوام الدنيا ﴿إنما خلقناكم عبثاً﴾ أي لعباً وباطلاً لا لغرض وحكمة ومثله أيحسب الإنسان أن يترك سدى والمعنى افظننتم انا خلقناكم لتفعلوا ما تريدون ثم انكم لا تحشرون ولا تسئلون عما كنتم تعملون هذا عبث فإن من خلق الأشياء لا لينتفع به نفسه أو غيره كان عابثاً والله سبحانه غني لا يلحقه منفعة فلا بدَّ من أن يكون خلق الخلق لينفعهم ويعرضهم للثواب بأن يتعبدهم وإذا تعبدهم فلا بدَّ من الفرق بين المطيع والعاصي وذلك إنما يكون بعد البعث ﴿وانكم الينا لا ترجعون﴾ أي وحسبتم انكم لا ترجعون إلى حكمنا والموضع الذي لا يملك الحكم فيه غيرنا ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ أي تعالى عما يصفه به الجهال من الشريك والولد وقيل معناه تعالى الله من ان يفعل شيئاً عبثاً والملك الحق الذي يحق له الملك بأنه ملك غير مملوك وكل ملك غيره فملكه مستعار ولأنه يملك جميع الأشياء من جميع الوجوه وكل ملك سواه يملك بعض الأشياء من بعض الوجوه والحق هو الشيء الذي من اعتقد كان على ما اعتقده فالله هو الحق لأن من اعتقد انه ﴿لا إله إلا هو﴾ فقد اعتقد الشيء على ما هو به ﴿رب العرش الكريم﴾ أي خالق السرير الحسن والكريم في صفة الجماد بمعنى الحسن وقيل الكريم الكثير الخير وصف العرش به لكثرة ما فيه من الخير لمن حوله ولأتيان الخير من جهته وخصَّ العرش بالذكر مع كونه سبحانه رب كل شيء تشريفاً وتعظيماً كقوله رب هذا البيت ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به﴾ أي لا حجة له فيما يدعيه يعني أن من صفته انه لا حجة له به ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ معناه فإنما معرفة مقدار ما يستحقه من الجزاء عند ربه فيجازيه على قدر ما يستحقه وقيل معناه فإنما مكافأته عند الله تعالى والمكافأة والمحاسبة بمعنى ﴿انه لا يفلح الكافرون﴾ اي لا يظفر ولا يسعد الجاحدون لنعم الله والمنكرون لتوحيده والدافعون للبعث والنشور ولما حكى سبحانه أقوال الكفار أمر نبيَّه ﷺ بالتبري منهم والانقطاع إليه سبحانه فقال ﴿وقل﴾ يا محمد ﴿رب اغفر﴾ الذنوب ﴿وارحم﴾ وأنعم على خلقك ﴿وأنت خير الراحمين﴾ أي افضل المنعمين وأكثرهم نعمة واوسعهم فضلاً.



مدنية بلا خلاف .

[عدد آيها]

اربع وستون آية عراقي شامي آيتان حجازي :

[اختلافها] آيتان بالغتو والأصال ويذهب بالأبصار كلاهما عراقي شامي .

[فضلها] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة النور اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي وروى الحاكم ابو عبد الله في الصحيح بالإسناد عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلّموهن المغزل وسورة النور يعني النساء وروى عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله (ع) قال حصّنوا أموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النور وحصنوا بها نساءكم فإن من أدمن قراءتها في كل ليلة أو في كل يوم لم يزن أحد من أهل بيته أبداً حتى يموت فإذا مات شيّعه إلى قبره سبعون الف ملك يدعون ويستغفرون الله له حتى يدخل إلى قبره .

[تفسيرها] ختم الله سبحانه سورة المؤمنين بأنه لم يخلق الخلق للعبث بل للأمر والنهي وابتدأ هذه السورة بذكر الأمر والنهي وبيان الشرائع فقال .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ

وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وفرضناها بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابن كثير غير ابن فليح رأفة بفتح الهمزة والباقون بسكون الهمزة وفي الشواذ قراءة عيسى الثقفي سورة بالنصب والزانية والزاني بالنصب وروي عن عمر بن عبد العزيز وعيسى الهمداني سورة أيضاً بالنصب .

[الحجة] قال أبو علي التثقيل في فرضناها لكثرة ما فيها من الفرض والتخفيف يصلح للقليل والكثير ومن حجة التخفيف ان الذي فرض عليك القرآن لرادّك قال ولعل رأفة التي قرأها ابن كثير لغة واما قراءة سورة بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف أي هذه سورة ولا يجوز ان يكون مبتدأ لأنها نكرة ولا يبتدأ بالنكرة حتى توصف وان جعلت انزلناها وفرضناها صفة لها بقي المبتدأ بلا خبر فإن جعلت تقديره يتلى عليكم سورة أنزلناها جاز ومن قرأ سورة بالنصب فعلى اضمار فعل يفسّره أنزلناها والتقدير انزلنا سورة انزلناها الا أن هذا الفعل لا يظهر لأن التفسير يغني عنه ومثله قول الشاعر :

أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا ... أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا
وَالذِّئْبُ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ ... وَحْدِي وَأَخْشَى الرِّيَاحَ وَالْمَطَرَا[1]

أي واخشى الذئب فلما اضمره فسّره بقوله اخشاه ويجوز ان يكون الفعل الناصب لسورة من غير لفظ الفعل بعدها على معنى التخصيص اي اقرؤوا سورة وتأملوا سورة انزلناها كقوله سبحانه ناقة الله وسقياها اي احفظوا ناقة الله وكذلك قوله الزانية والزاني انتصب بفعل مضمر اي اجلدوا الزانية والزاني فلما اضمر الفعل الناصب فسّره بقوله فاجلدوا كل واحد منهما وجاز دخول الفاء في هذا الوجه لأنه موضع امر ولا يجوز زيداً فضربته لأنه خبر وإنما

(١) الشعران لربيع بن ضبع الفزازي وهو من معمري العرب من ابيات قالها بعد ما بلغ مايتين واربعين سنة كما في امالي الشريف (قده) والخزانة وغيره.

جاز في الامر لمضارعته الشرط الا تراه دالاً على الشرط ولذلك انجزم جوابه في قولك زرني اكرمك لأن معناه فإنك ان تزرني اكرمك فلما آل معناه إلى الشرط جاز دخول الفاء في الفعل المفسّر للمضمر وتقول على هذا بزيد فأمرر وعلى عمرو فاغضب .

[اللغة] السورة مأخوذة من سور البناء وهو ارتفاعه وقيل هو ساق من اسواقه فعلى القول الأول يكون تسميتها بذلك لارتفاعها في النفوس وعلى القول الثاني يكون تسميتها بذلك لأنها قطعة من القرآن وقيل ان السورة المنزّلة الشريفة والجلالة قال النابغة .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ
لإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ[1]

وقيل أصله الهمز وقيل اشتقاقها من اسأرت إذا ابقيت في الإناء بقية ومنه الحديث إذا شربتم فاسارروا إلا أنه أجمع على تخفيفها كما أجمع على تخفيف برية وروية وأصلها من برا الله الخلق وروأت في الأمر واصل الفرض من فرض القوس وهو الحزّ الذي فيه الوتر ثم اتّسع فيه فجعل في موضع الايجاب وفصّل بين الفرض والواجب فإن الفرض واجب بجعل جاعل لأنه فرضه على صاحبه كما انه أوجبه عليه والواجب قد يكون واجباً من غير جعل جاعل كوجوب شكر المنعم فجرى دلالة الفعل على الفاعل في انه يدل من غير جعل جاعل والزنا هو وطء المرأة في الفرج من غير عقد شرعي ولا شبهة عقد مع العلم بذلك او غلبة الظن وليس كل وطء حرام زنا لأن الوطء في الحيض والنفاس حرام ولا يكون زنا والجلد ضرب الجلد يقال جلده كما يقال ظهره ورأسه وفأده وهذا قياس والرأفة التحنن والتعطف وفيه ثلاث لغات سكون الهمزة وفتحها ومدها وقال الأخفش الرأفة رحمة في توجع .

[المعنى] ﴿سورة انزلناها﴾ أي هذه سورة قطعة من القرآن لها أول وآخر انزلها جبرائيل (ع) بأمرنا ﴿ وفرضناها ﴾ أي وأوجبنا عليكم العمل بها وعلى من بعدكم إلى يوم القيامة وقيل معناه وفرضنا فيها اباحة الحلال وحظر الحرام عن مجاهد وهذا يعود إلى معنى أوجبناها وقيل معناه وقدّرنا فيها الحدود عن عكرمة وهو من قوله فنصف ما فرضتم وفسّر أبو عمرو معنى القراءة بالتشديد بأن قال معناها فصّلناها وبيّناها بفرائض مختلفة ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ أي دلالات واضحات على وحدانيتنا وكمال قدرتنا وقيل اراد بها الحدود

(١) يخاطب النعمان بن المنذر ملك الحيرة. وفي البيت الثاني كلام لطيف ذكره الشريف المرتضى. (ره) في الامالي ج ١ : ٤٨٧ فراجع.

والأحكام التي شرع فيها ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي لكي تتذكروا فتعلموا بما فيها ثم ذكر سبحانه تلك الآيات وابتدأ بحكم الزنا فقال ﴿الزانية والزاني﴾ معناه التي تزني والذي يزني اي من زنى من النساء ومن زنى من الرجال فيفيد العموم في الجنس ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة﴾ يعني إذا كانا حرين بلغين بكرين غير محصنين فأما إذا كانا محصنين أو كان احدهما محصناً كان عليه الرجم بلا خلاف والإحصان هو أن يكون له فرج يغدو إليه ويروح على وجه الدوام أو يكون حراً فأما العبد فلا يكون محصناً وكذلك الأمة لا تكون محصنة وإنما عليهما نصف الحد خمسون جلدة لقوله سبحانه فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وقيل إنما قدّم ذكر الزانية على الزاني لأن الزنى منهن اشنع واعير وهو لأجل الحبل اضر لأن الشهوة فيهن اكثر وعليهن اغلب وقوله فاجلدوا هذا خطاب للأئمة ومن يكون منصوباً للأمر من جهتهم لأنه ليس لأحد أن يقيم الحدود إلا للأئمة وولاتهم بلا خلاف ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ معناه إن كنتم تصدّقون بالله وتقرُّون بالبعث والنشور فلا تأخذكم بهما رحمة تمنعكم من اقامة الحدود عليهما فتعطّلوا الحدود عن عطا ومجاهد وقيل معناه لا تأخذكم بهما رأفة تمنع من الجلد الشديد بل أوجعوهما ضرباً ولا تخففوا كما يخفف في حدّ الشارب عن الحسن وقتادة وسعيد بن المسيب والنخعي والزهري وقوله في دين الله أي في طاعة الله وقيل في حكم الله عن ابن عباس كقوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اي في حكمه ﴿وليشهد عذابهما﴾ أي وليحضر حال اقامة الحد عليهما ﴿طائفة﴾ أي جماعة ﴿من المؤمنين﴾ وهم ثلاثة فصاعداً عن قتادة والزهري وقيل الطائفة رجلان فصاعداً عن عكرمة وقيل اقله رجل واحد عنت ابن عباس والحسن ومجاهد وإبراهيم وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام ويدل على ذلك قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وهذا الحكم يثبت للواحد كما يثبت للجمع وقيل اقلها اربعة لأن اقل ما يثبت به الزنا شهادة اربعة عن ابن زيد وقيل ليس لهم عدد محصور بل هو موكول إلى رأي الإمام والمقصود ان يحضر جماعة يقع بهم اذاعة الحدّ ليحصل الاعتبار وقوله ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ اختلف في تفسيره على وجوه (احدها) ان المراد بالنكاح العقد ونزلت الآية على سبب وهو ان رجلاً من المسلمين استأذن النبي ﷺ في ان يتزوج أم مهزول وهي امرأة كانت تسافح ولها راية على بابها تعرف بها فنزلت الآية عن عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد وقتادة والزهري والمراد بالآية النهي وان كان ظاهره الخبر ويؤيده ما روي عن أبي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) أنهما قالا هم رجال ونساء كانوا على عهد رسول الله ﷺ مشهورين

بالزنا فنهى الله عن اولئك الرجال والنساء على تلك المنزلة فمن شهر بشيء من ذلك واقيم عليه الحدّ فلا تزوّجوه حتى تعرف توبته (وثانيها) ان النكاح هنا الجماع والمعنى انهما اشتركا في الزنا فهي مثله عن الضحاك وابن زيد وسعيد بن جبير وفي احدى الروايتين عن ابن عباس فيكون نظير قوله الخبيثات للخبيثين في انه خرج مخرج الاغلب الأعم (وثالثها) ان هذا الحكم كان في كل زان وزانية ثم نسخ بقوله وانكحوا الأيامى منكم الآية عن سعيد بن المسيب وجماعة (ورابعها) ان المراد به العقد وذلك الحكم ثابت فيمن زنا بامرأة فإنه لا يجوز له ان يتزوج بها روي ذلم عن جماعة من الصحابة وإنما قرن الله سبحانه بين الزاني والمشرك تعظيماً لأمر الزنا وتفخيماً لشأنه ولا يجوز أن تكون هذه الآية خبراً لأنا نجد الزاني يتزوج غير الزانية ولكن المراد هنا الحكم أو النهي سواء كان المراد بالنكاح العقد أو الوطء وحقيقة النكاح في اللغة الوطء ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ أي حرّم نكاح الزانيات أو حرّم الزنا على المؤمنين فلا يتزوج بهن أو لا يطأهن الا زان أو مشرك .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة عبد الله بن مسلم بن يسار وابي زرعة باربعة بالتنوين .

[الحجة] من قرأ بأربعة شهداء بغير تنوين اضاف العدد إلى شهداء وان كان الشهداء من الصفات وساغ ذلك لأنهم استعملوها استعمال الاسماء كقولهم إذا دفن الشهيد صلت عليه الملائكة ونحو ذلك فحسن اضافة اسم العدد اليها كما يضاف إلى الاسم الصريح ومن قرأ بالتنوين جعل شهداء صفة لأربعة في موضع جر ويجوز ان يكون في موضع نصب من جهتين (أحدهما) ان يكون على معنى ثم لم يحضروا اربعة شهداء وعلى الحال من النكرة اي لم يأتوا بأربعة في حال الشهادة قال الزجاج.

[الإعراب] موضع الذين يرمون رفع بالابتداء ومن قرأ الزانية والزاني بالنصب فيكون على ذلك موضع والذين يرمون نصباً على معنى اجلدوا الذين يرمون المحصنات والمحصنات هنا اللاتي احصن فروجهن بالعفة والذين تابوا في محل النصب على الاستثناء

من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً عند من قال ان شهادتهم مقبولة ويكون قوله وأولئك هم الفاسقون صفة لهم ويجوز ان يكون في موضع جر على البدل من هم في لهم ومن قال ان شهادة القاذف غير مقبولة فعنده يكون في موضع النصب على الاستثناء من قوله واولئك هم الفاسقون.

[المعنى] لمّا تقدّم ذكر حدّ الزنا عقّبه سبحانه بذكر حد القاذف بالزنا فقال سبحانه ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ أي يقذفون العفائف من النساء بالفجور والزنا وحذف لدلالة الكلام عليه ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ أي ثم لم يأتوا على صحة ما رموهن به من الزنا بأربعة شهداء عدول يشهدون انهم رأوهن يفعلن ذلك ﴿فاجلدوهم﴾ أي فاجلدوا الذين يرمونهن بالزنا ﴿ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً﴾ نهى سبحانه عن قبول شهادة القاذف على التأبيد وحكم عليهم بالفسق ثم استثنى من ذلك فقال ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا﴾ اعمالهم ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ واختلف في هذا الاستثناء إلى ماذا يرجع على قولين (أحدهما) انه يرجع إلى الفسق خاصة دون قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً فيزول عنه اسم الفسق بالتوبة ولا تقبل شهادته إذا تاب بعد اقامة الحد عليه عن الحسن وقتادة وشريح وإبراهيم وهو قول ابي حنيفة واصحابه (والآخر) ان الاستثناء يرجع إلى الأمرين فإذا تاب قبلت شهادته حداً ولم يحد عن ابن عباس في رواية الوالبي ومجاهد والزهري ومسروق وعطا وطاوس وسعيد بن جبير والشعبي وهو اختيار الشافعي واصحابه وقول ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) قال الشافعي اخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري قال زعم اهل العراق ان شهادة القاذف لا تجوز فاشهد لاخبرني سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قال لأبي بكرة لما شهد على المغيرة بن شعبة تب تقبل شهادتك أو ان تبت تقبل شهادتك فابى أبو بكرة ان يكذب نفسه وقال الزجاج ليس القاذف بأشد جرماً من الكافر والكافر إذا اسلم قبلت شهادته فالقاذف ايضاً حقه إذا تاب ان تقبل شهادته يعضد هذا القول ان المتكلم بالفاحشة لا ينبغي ان يكون اعظم جرماً من مرتكبها ولا خلاف في العاهر انه إذا تاب قبلت شهادته فالقاذف إذا تاب ونزع مع انه ايسر جرماً يجب ان تقبل شهادته وقال الحسن يجلد القاذف وعليه ثيابه ويجلد الرجل قائماً والمرأة قاعدة وهو المروي عن أبي جعفر (ع) ومن شرط توبة القاذف أن يكذب نفسه فيما قاله فإن لم يفعل ذلك لم يجز قبول شهادته وبه قال الشافعي وقيل أنه لا يحتاج إلى ذلك وهو قول مالك والآية وردت في النساء وحكم الرجال حكمهن ذلك في الاجماع وإذا كان القاذف عبداً أو أمة فالحد اربعون جلدة عند اكثر الفقهاء وروى اصحابنا ان الحدّ ثمانون في الحر والعبد سواء وظاهر الآية يقتضي ذلك وبه قال عمر بن عبد العزيز

والقاسم بن عبد الرحمن .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ
يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ
بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن
كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ
شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ
عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[القراءة] قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر فشهادة احدهم اربع شهادات بالرفع والباقون اربع شهادات بالنصب وقرأ حفص والخامسة الثانية بالنصب والباقون بالرفع وقرأ نافع ان ساكنة النون لعنة الله بالرفع وان غضب الله عليها بكسر الضاد ورفع الله وقرأ يعقوب ان لعنة الله وان غضب الله برفع لعنة وغضب جميعاً والباقون ان لعنة الله وان غضب الله بالتشديد والنصب في الموضعين .

[الحجة] قال أبو علي من نصب اربع شهادات نصبه بالشهادة وينبغي ان يكون قوله شهادة احدهم مبنياً على ما يكون مبتدأ تقديره فالحكم أو فالفرض ان تشهد اربع شهادات او فعليهم ان يشهدوا وان شئت حملته على المعنى لأن المعنى يشهد أحدهم وقوله بالله يجوز أن يكون من صلة الشهادة لأنك اوصلتها بالشهادة ومن صلة شهادات إذا نصبت الاربع وقياس من اعمل الثاني ان يكون قوله بالله من صلة شهادات وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه كما تقول ضربت وضربني زيد ومن رفع فقال شهادة احدهم اربع شهادات بالله فإن الجار والمجرور من صلة شهادات ولا يجوز ان يكون من صلة شهادة لأنك إن وصلتها بالشهادة فقد فصلت بين الصلة والموصول الا ترى ان الخبر الذي هو اربع شهادات يفصل

قوله انه لمن الصادقين في قول من نصب اربع شهادات يجوز ان يكون من صلة شهادة احدهم فتكون الجملة التي هي انه لمن الصادقين في موضع نصب لأن الشهادة كالعلم فيتعلق بها ان كما يتعلق بالعلم والجملة في موضع نصب بأنه مفعول به واربع شهادات ينتصب انتصاب المصدر ومن رفع اربع شهادات لم يكن إنه لمن الصادقين إلا من صلة شهادات دون صلة شهادة لأنك ان جعلته من صلة شهادة فصّلت بين الصلة والموصول ومن قرأ ان لعنة الله عليه وان غضب الله عليها فمعناه انه لعنة الله عليه وانه غضب الله عليها خففت الثقيلة المفتوحة على اضمار القصة والحديث ولا تكون في ذلك كالمكسورة لأن الثقيلة المفتوحة موصولة والموصول يتشبث بصلته اكثر من تشبث غير الموصول بما يتصل به واهل العربية يستقبحون ان تلي الفعل حتى يفصل بينها وبين الفعل بشيء ويقولون استقبحوا ان تحذف ويحذف ما تعمل فيه وان تلي ما لم تكن تليه من الفعل بلا حاجز بينهما فتجتمع هذه الاتساعات فيها فإن فصل بينها وبين الفعل بشيء لم يستقبحوا ذلك كقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى وقوله أفلا يرون الا يرجع اليهم قولاً وعلمت ان قد قام فإن قلت فقد جاء وان ليس للإنسان إلا ما سعى وجاء نودي أن بورك من في النار ومن حولها فالجواب فإن ليس يجري مجرى ما ونحوها مما ليس بفعل وأما قوله نودي ان بورك فإن قوله بورك على معنى الدعاء فلم يجز دخول لا ولا قد ولا السين ولا شيء مما يصح دخوله الكلام فيصح به الفصل ووجه قراءة نافع ان ذلك قد جاء في الدعاء ولفظه لفظ الخبر وقد يجيء في الشعر وان لم يكن شيء يفصل بين ان وبين ما تدخل عليه من الفعل فإن قلت فلم لا تكون ان في قوله ان غضب الله ان الناصبة للفعل وصل بالماضي فيكون كقراءة من قرأ وامرأة مؤمنة أن وهبت نفسها للنبي فإن ذلك لا يسهل الا ترى انها متعلقة بالشهادة والشهادة بمنزلة العلم لا تقع بعدها الناصبة.

[النزول] الضحاك عن ابن عباس قال لما نزلت الآية والذين يرمون المحصنات قال عاصم بن عدي يا رسول الله إن رأى رجل منا مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جلد ثمانين وان التمس اربعة شهداء كان الرجل قد قضى حاجته ثم مضى قال كذلك انزلت الآية يا عاصم قال فخرج سامعاً مطيعاً فلم يصل إلى منزله حتى استقبله هلال بن امية يسترجع فقال ما وراءك قال شر وجدت شريك بن سحما على بطن إمرأتي خولة فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره هلال بالذي كان فبعث اليها فقال ما يقول زوجك فقالت يا رسول الله إن ابن سحما كان يأتينا فينزل بنا فيتعلم الشيء من القرآن فربما تركه عندي وخرج زوجي فلا أدري أدركته الغيرة أم بخل عليّ بالطعام فأنزل الله آية اللعان ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ الآيات وعن الحسن قال لما

نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة يا رسول الله ارايت ان رأى رجل مع أمرأته رجلاً فقتله تقتلونه وان اخبر بما رأى جلد ثمانين افلا يضربه بالسيف فقال رسول الله ﷺ كفى بالسيف شاه اراد ان يقول شاهداً ثم امسك وقال لولا ان يتابع فيه السكران والغيران وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد يفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله ما كنت لأتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت ما رأيت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال النبي ﷺ يا معشر الانصار ما تسمعون إلى ما قال سيدكم فقالوا لا تلمه فإنه رجل غيور ما تزوج امرأة قط إلا بكرا ولا طلق امرأة له فاجترى رجل منا ان يتزوجها فقال سعد بن عبادة يا رسول الله بأبي انت وامي والله اني لأعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرتك فقال فإن الله يأبى إلا ذاك فقال صدق الله ورسوله فلم يلبثوا الا يسيراً حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن امية من حديقة له قد رأى رجلاً مع امرأته فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال إني جئت أهلي عشاء فوجدت معها رجلاً رأيته بعيني وسمعته بأذني فكره ذلك رسول الله ﷺ حتى رأى الكراهة في وجهه فقال هلال إني لأرى الكراهة في وجهك والله يعلم اني لصادق واني لأرجو ان يجعل الله فرجاً فهمَّ رسول الله بضربه وقال واجتمعت الانصار وقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال وتبطل شهادته فنزل الوحي وامسكوا عن الكلام حين عرفوا ان الوحي قد نزل فأنزل الله تعالى والذين يرمون ازواجهم الآيات فقال ﷺ ابشر يا هلال فإن الله تعالى قد جعل فرجاً فقال قد كنت ارجو ذاك من الله تعالى فقال ﷺ ارسلوا اليها فجاءت فلاعن بينهما فلما انقضى اللعان فرَّق بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله ﷺ ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه.

[المعنى] لمّا تقدَّم حكم القذف للأجنبيات عقَّبه بحكم القذف للزوجات فقال ﴿والذين يرمون ازواجهم﴾ بالزنا ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ يشهدون لهم على صحة ما قالوا ﴿الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات﴾ قال الزجاج معناه فشهادة احدهم التي تدرأ حد القاذف اربع شهادات ومن نصب فمعناه فالذي يدرءُ عنهم العذاب ان يشهد أحدهم اربع شهادات ﴿بالله انه لمن الصادقين﴾ فيما رماها به من الزنا ﴿والخامسة﴾ اي والشهادة الخامسة ﴿ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين﴾ فيما رماها به من الزنا والمعنى ان الرجل يقول اربع مرات مرة بعد مرة اخرى اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما ذكرت عن هذه المرأة من الفجور فإن هذا حكم خصَّ الله به الأزواج في قذف نسائهم فتقوم الشهادات الأربع مقام الشهود الأربعة في دفع حد القذف عنهم ثم يقول في المرة الخامسة لعنة الله عليَّ ان كنت

من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا ﴿ويدرءُ عنها العذاب﴾ ويدفع عن المرأة حد الزنا ﴿ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين﴾ معناه ان تقول المرأة اربع مرات مرة بعد اخرى اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما قذفني به من الزنا ﴿والخامسة ان غضب الله عليها﴾ أي وتقول في الخامسة غضب الله عليَّ ﴿إن كان من الصادقين﴾ فيما قذفني به من الزنا ثم يفرَّق الحاكم بينهما ولا تحل له ابداً وكان عليها العدة من وقت لعانها ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم﴾ جواب لولا محذوف تقديره ولولا فضل الله عليكم بالنهي عن الزنا والفواحش واقامة الحدود لتهالك الناس ولفسد النسل وانقطع الانساب عن ابي مسلم وقيل معناه لولا افضال الله وانعامه عليكم وان الله عواد على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرضه من الحدود لنال الكاذب منهما عذاب عظيم اي لبيَّن الكاذب منهما فيقام عليه الحدّ وقيل لعاجلكم بالعقوبة ولفضحكم بما تركبون من الفاحشة ومثله قوله لو رأيت فلاناً وفي يده السيف والمعنى لرأيت شجاعاً أو لرأيت امرا هائلاً وقال جرير .

كَذَبَ الْعَوَاذِلُ لَوْ رَأَيْنَ مَنَاخَنَا بِحَزِيزِ رَامَةَ وَالْمَطِيّ سَوَامُ[1]

وجاء في المثل لو ذات سوار لطمتني .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ
عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ
مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ
خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ
شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ

(١) الحزيز في اللغة : المكان الغليظ المنقاد. وهو في مواضع كثيرة منها حزيز رامة: وهو اسم موضع قرب البصرة . والسوام :- راعيه. وفي رواية الحموي في المعجم «ولقد نظرت فرد نظرتك الهوى ● بحزيز رامة . . .» وعليها فلا شاهد في هذا البيت .

ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

[القراءة] قرأ يعقوب كبره بضم الكاف وهو قراءة ابي رجا وحميد الأعرج وقراءة الفراء كِبره بكسر الكاف وفي الشواذ قراءة عائشة وابن عباس وابن معمر إذ تَلِقُونَهُ[1] وقراءة ابن السميقع تُلْقُونَه والقراءة المشهورة تَلَقُّونه.

[الحجة] من ضم كبره اراد عظمه ومن كسر أراد وزره وإثمه قال قيس بن الخطيم :

تَنَامُ عَنْ كُبْرِ شَانِهَا فَإِذَا قَامَتْ رُوَيْداً تَكَادُ تَنْغَرِفُ[2]

أي عن معظم شأنها واما قوله تلقونه فمعناه تسرعون فيه وتخفون اليه قال الراجز «جَاءَتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشَّأْمِ تَلِقْ»[3] أي تخف واصله تَلِقون فيه او اليه فحذف حرف الجر فوصل الفعل الى المفعول وقيل ان الولق الكذب فكان الكاذب يستمر في الكذب ويسرع فيه وجاء في حديث علي (ع) كذبت وولقت وأما تُلْقُونَه فمعناه تلقونه بأفواهكم وأما تَلَقُّونه فهو من تلقّيت الحديث من فلان أي أخذته منه وقبلته.

[النزول] روى الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وغيرهما عن عائشة انها قالت كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً اقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي وذلك بعدما أنزل الحجاب فخرجت مع رسول الله ﷺ حتى فرغ من غزوه وقفل[4] وروي انها كانت غزوة بني المصطلق من خزاعة قالت ودنونا من المدينة فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني اقبلت الى الرحل فلمست صدرتي فإذا عِقد من جِزْع ظَفار[5] قد انقطع فرجعت فالتمست

(١) من ولق يلق ولقاً في سيره: أسرع.

(٢) العزف: التثني والانقصاف اي تتثنى من دقة خصرها.

(٣) وقبله «ان الجليد زلق وملق * كذنب العقرب شوال علق * جاءت به عنس ...» يهجو به جليد الكلابي ويريد انه ينزل قبل الجماع.

(٤) اي رجع.

(٥) الجزع الخرز اليماني وظفار كقطام: قرية من قرى يمن ينسب اليها الجزع الظفاري.

عِقدي فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذي كانوا يرحلونني فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت اركب وهم يحسبون اني فيه وكانت النساء إذا ذاك خفافاً لم يهبلهن اللحم[1] ﴿ولم يغشهن اللحم في﴾ إنما يأكلن العُلقة من الطعام فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عِقدي وجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فسموت منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم سيفقدوني فيرجعون إليّ فبينا انا جالسة إذ غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرَّس من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما كلّمني بكلمة حتى أناخ راحلته فركبتها فانطلق يقود الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين[2] في حرّ الظهيرة فهلك من هلك فيّ وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهراً والناس يفيضون في قول اهل الإفك ولا اشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي غير اني لا اعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكى إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يحزنني ولا اشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المصانع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلاً إلى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكُنُف وامرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا وانطلقت انا وأم مسطح وأمها بنت صخرة بن عامر خالة ابي فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلاً قد شهد بدراً فقالت اي بنتاه ألم تسمعي ما قال قلت وماذا قال فأخبرتني بقول اهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله ﷺ ثم قال كيف تيكم قلت تأذن لي أن آتي أبويّ قالت وانا اريد ان اتيقن الخبر من قبله فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبويّ وقلت لأمي يا أماه ماذا يتحدث الناس فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلّ ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا اكثرن عليها قلت سبحان الله أو قد يحدث الناس بهذا قالت نعم فمكثت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي ودعا رسول الله اسامة بن زيد وعلي بن ابي طالب (ع) حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله فأما اسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي علم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الودّ فقال يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً فأما علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلوات فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثيرة وان تسأل الجارية تصدّقك فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال يا بريرة هل رأيت شيئاً يريبك من عائشة قالت بريرة والذي بعثك بالحق ان رأيت عليها امراً قط

(١) اي لم يكثر عليهن اللحم والشحم. والعلقة: القليل من الطعام. (٢) الوغر: شدة توقد الحر.

اغمضه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها قالت وأنا والله اعلم اني بريئة وما كنت أظن ان ينزل في شأني وحي يتلى ولكني كنت ارجو ان يرى رسول الله رؤيا يبرئني الله بها فأنزل الله تعالى على نبيّه وأخذه ما كان يأخذه من برحاء الوحي حتى انه لينحدر عنه مثل الجمان من العرق في اليوم الثاني من ثقل القول الذي أنزل عليه فلما سري عن رسول الله ﷺ قال ابشري يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أمي قومي اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا احمد إلا الله فهو الذي أنزل براءتي فأنزل الله تعالى ان الذين جاؤوا بالافك الآيات العشر .

[المعنى] ﴿ إن الذين جاؤوا بالإفك ﴾ أي بالكذب العظيم الذي قلب فيه الأمر عن وجهه ﴿ عصبة منكم ﴾ أيها المسلمون قال ابن عباس وعائشة منهم عبد الله بن أبي سلول وهو الذي تولّى كبره ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ﴿ لا تحسبوه شرّاً لكم بل هو خير لكم ﴾ هذا خطاب لعائشة وصفوان لأنهما قُصدا بالإفك ولمن إغتمّ بسبب ذلك وخطاب لكل من رمى بسبب عن ابن عباس أي لا تحسبوا غمّ الإفك شراً لكم بل هو خير لكم لأن الله تعالى يبرىء عائشة ويأجرها بصبرها واحتسابها ويلزم أصحاب الإفك ما إستحقّوه بالإثم الذي إرتكبوه في أمرها وقال الحسن هذا خطاب للقاذفين من المؤمنين والمعنى لا تحسبوا أيها القذفة هذا التأديب شراً لكم بل هو خير لكم فإنه يدعوكم إلى التوبة ويمنعكم عن المعاودة إلى مثله ﴿لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم ﴾ أي لكل امرىء من القذفة جزاء ما إكتسبه من الإثم بقدر ما خاض وأفاض فيه وقيل معناه على كل امرىء منهم عقاب ما اكتسب كقوله ﴿ وإن أسأتم لها ﴾ أي فعليها ﴿ والذي تولى كبره ﴾ أي تحمل معظمه ﴿ منهم له عذاب عظيم ﴾ المراد به عبد الله بن أبي سلول أي فإنه كان رأس أصحاب الإفك كان يجتمع الناس عنده ويحدثهم بحديث الإفك ويشيع ذلك بين الناس ويقول قال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها والله ما نجت منه ولا نجا منها والعذاب العظيم عذاب جهنم في الآخرة وقيل المراد به مسطح بن أثاثة وقيل حسان بن ثابت فإنه روي أنه دخل على عائشة بعد ما كفّ بصره فقيل لها أنه يدخل عليك وقد قال فيك ما قال وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت عائشة أليس قد كفّ بصره فأنشد حسان قوله فيها :

حِصَانٌ رِزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ (١)

(١) الحصان هنا العفيفة . والرزان : الملازمة موضعها التي لا تتصرف كثيراً . وامرأة رزان : إذا كانت ذات ثبات =

فقالت عائشة لكنك لست كذلك ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾ معناه هلا حين سمعتم هذا الإفك من القائلين له ظن المؤمنون والمؤمنات بالذين هم كأنفسهم خيراً لأن المؤمنين كلهم كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الأمور فإذا جرى على أحدهم محنة فكأنها جرت على جماعتهم فهو كقوله ﴿ فسلموا على أنفسكم ﴾ عن مجاهد وعلى هذا يكون خطاباً لمن سمعه فسكت ولم يصدق ولم يكذب وقيل هو خطاب لمن أشاعه والمعنى هلا إذا سمعتم هذا الحديث ظننتم بها ما تظنونه بأنفسكم لو خلوتم بها وذلك لأنها كانت أم المؤمنين ومن خلا بأمه فإنه لا يطمع فيها وهي لا تطمع فيه ﴿ وقالوا هذا إفك مبين ﴾ أي وهلا قالوا هذا القول كذب ظاهر ﴿ لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ﴾ أي هلا جاءوا على ما قالوه ببينة وهي أربعة شهداء يشهدون بما قالوه ﴿ فإذا لم يأتوا بالشهداء ﴾ أي فحين لم يأتوا بالشهداء ﴿ فأولئك ﴾ الذين قالوا هذا الإفك ﴿ عند الله ﴾ أي في حكمه ﴿ هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة ﴾ بأن أمهلكم لتتوبوا ولم يعاجلكم بالعقوبة ﴿ لمسكم ﴾ أي أصابكم ﴿ فيما أفضتم ﴾ أي خضتم ﴿ فيه ﴾ من الإفك ﴿ عذاب عظيم ﴾ أي عذاب لا إنقطاع له عن ابن عباس ثم ذكر الوقت الذي كان يصيبهم العذاب فيه لولا فضله فقال ﴿ إذ تلقونه بألسنتكم ﴾ أي يرويه بعضكم عن بعض عن مجاهد ومقاتل وقيل معناه تقبلونه من غير دليل ولذلك إضافة إلى اللسان وقيل معناه يلقيه بعضكم إلى بعض عن الزجاج ﴿ وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً ﴾ أي تظنون أن ذلك سهل لا إثم فيه ﴿ وهو عند الله عظيم ﴾ في الوزر لأنه كذب وافتراء .

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ

= ووقار . وما تزن : أي ماتتهم . وغرثى أي جائعة . والغوافل جمع غافلة . يريد أنها لا ترتع في أعراض الناس .

ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

[المعنى] ثم زاد سبحانه في الإنكار عليهم فقال ﴿ ولولا إذ سمعتموه قلتم ﴾ أي هلا قلتم حين سمعتم ذلك الحديث ﴿ ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ﴾ أي لا يحلّ لنا أن نخوض في هذا الحديث وما ينبغي لنا أن نتكلم به ﴿ سبحانك ﴾ يا ربنا ﴿ هذا ﴾ الذي قالوه ﴿ بهتان عظيم ﴾ أي كذب وزور عظيم عقابه أو نتحيرَ من عظمه وقيل إنَّ سبحانك هنا معناه التعجب كقول الأعشى « سُبْحانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفاخِرِ »[1] وقيل معناه ننزهك ربنا من أن نعصيك بهذه المعصية ثم وعظ سبحانه الذين خاضوا في الإفك فقال ﴿ يعظكم الله ﴾ أي ينهاكم الله عن مجاهد وقيل يحرم الله عليكم ﴿ أن تعودوا لمثله ﴾ عن ابن عباس وقيل معناه كراهة أن تعودوا أو لئلا تعودوا إلى مثله من الإفك ﴿ أبداً ﴾ أي طول أعماركم ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ أي مصدقين بالله ونبيّه قابلين موعظة الله ﴿ ويبيّن الله لكم الآيات ﴾ في الأمر والنهي ﴿ والله عليم ﴾ بما يكون منكم ﴿ حكيم ﴾ فيما يفعله لا يضع الشيء إلا في موضعه ثم هدَّد القاذفين فقال ﴿ إن الذين يحبُّون أن تشيع الفاحشة ﴾ أي يفشوا ويظهروا الزنا والقبائح ﴿ في الذين آمنوا ﴾ بأن ينسبوها إليهم ويقذفوهم بها ﴿ لهم عذاب أليم في الدنيا ﴾ بإقامة الحد عليهم ﴿ والآخرة ﴾ وهو عذاب النار ﴿ والله يعلم ﴾ ما فيه من سخط الله وما يستحق عليه من المعاقبة ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ ذلك ثم ذكر فضله ومنّته عليهم فقال ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وإن الله رؤوف رحيم ﴾ لعاجلكم بالعقوبة ولكنه برحمته أمهلكم لتتوبوا وتندموا على ما قلتم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه .

[النظم] لمّا بيَّن سبحانه أحكام قذف المحصنات وعظم أمره عقَّب ذلك بأحكام قذف الزوجات ثم عطف بعد ذلك قذف الأمهات فإن أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمهات المؤمنين بدلالة قوله تعالى ﴿ النبي أولى بالمؤمنين ﴾ الآية .

﴿ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) وقبله « أقول لما جاءني فخره » . قاله في علقمة بن علاثة .

لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ
فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن
يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ
وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ
أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ روح عن يعقوب ما زكّى منكم بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أبو جعفر ولا يتأل وهو قراءة زيد بن أسلم وأبي رجا وأبي مجلز والباقون لا يأتل وروي عن علي (ع) ولتعفوا ولتصفحوا بالتاء كما يروى بالياء أيضاً وقرأ أهل الكوفة غير عاصم يوم يشهد عليهم بالياء والباقون تشهد وفي الشواذ قراءة مجاهد وأبي روق يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق بالرفع .

[الحجة] الوجه في قوله ﴿ ما زكّى ﴾ بالتشديد أنه قال والله يزكي وأما قوله ﴿ ولا يتأل ﴾ فإنه من تألى إذا حلف وفي الحديث ومن يتأل على الله يكذبه وهو الذي يحلف فيقول والله لا يدخل فلان الجنة وفلان النار وأنشد الأصمعي « عجاجة هجاجة تألى لأصبحن الأحقر الأذلا » وأما لا يأتل ففيه ثلاثة أقوال (أحدها) من الآلية التي هي اليمين أيضاً يقال

ايتلى وتألى وإلى بمعنى والآخر أنه من قولهم ما ألوت في كذا أي ما قصرت والمعنى ولا يقصر وقال الأخفش أنه يحتمل الأمرين وقوله ﴿ ولتعفوا ولتصفحوا ﴾ بالتاء مثل ما روي فلتفرحوا بالتاء على الأصل وقد تقدم القول فيه ومن قرأ يوم يشهد بالياء فلأن تأنيث الألسنة ليس بحقيقي ولأنه حصل بين الفعل والفاعل فصل ومن قرأ بالتاء فعلى أن الألسنة مؤنثة ومن قرأ الحق بالرفع جعله وصفاً لله تعالى أي يوفيهم الله الحق دينهم مثل قوله ﴿ إلى الله مولاهم الحق ﴾.

[النزول] قيل إن قوله ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم ﴾ الآية نزلت في أبي بكر ومسطح بن أثاثة وكان ابن خالة أبي بكر وكان من المهاجرين ومن جملة البدريين وكان فقيراً وكان أبو بكر يجري عليه ويقوم بنفقته فلما خاض في الإفك قطعها وحلف أن لا ينفعه بنفع أبداً فلما نزلت الآية عاد أبو بكر إلى ما كان وقال والله إني لأحب أن يغفر الله لي والله لا أنزعها عنه أبداً عن ابن عباس وعائشة وابن زيد وقيل نزلت في يتيم كان في حجر أبي بكر حلف لا ينفق عليه عن الحسن ومجاهد وقيل نزلت في جماعة من الصحابة أقسموا على أن لا يتصدقوا على رجل تكلّم بشيء من الإفك ولا يواسوهم عن ابن عباس وغيره .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

[المعنى] ثم نهى سبحانه عن اتباع الشيطان فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ أي آثاره وطرقه التي تؤدّي إلى مرضاته وقيل وساوسه ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ هذا بيان سبب المنع من اتباعه ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بأن لطف لكن وأمركم بما تصيرون به أزكياء وتنهاكم عما تصيرون بتركه أزكياء ﴿ ما زكى منكم من أحد أبداً ﴾ أي ما صار منكم أحد زكياً ومن في من أحد مزيدة وقيل معناه ما طهر منكم أحد من وسوسة الشيطان وما صلح ﴿ ولكن الله يزكي من يشاء ﴾ أي يطهر بلطفه من يشاء وهو من له لطف يفعله سبحانه به ليزكو عنده ﴿ والله سميع عليم ﴾ يفعل المصالح والألطاف بالمكلفين لأنه يسمع أصواتهم وأقوالهم ويعلم أحوالهم وأفعالهم وفي الآية دلالة على أن الله سبحانه يريد من خلقه خلاف ما يريده الشيطان لأنه إذا ذمّ سبحانه الأمر بالفحشاء والمنكر فخالق الفحشاء والمنكر ومريدهما أولى بالذم تعالى وتقدس عن ذلك وفيها دلالة على أن أحداً لا يصلح إلا بلطفه ﴿ ولا يأتل ﴾ أي ولا يحلف أولا يقصر ولا يترك ﴿ أولو الفضل منكم والسعة ﴾ أي أولو الغنى والسعة في المال ﴿ أن يؤتوا أولي القربى ﴾ قال الزجاج معناه أن لا يؤتوا فحذف لا أي لا يحلفوا أن لا يؤتوا وقيل لا يقصروا أن يؤتوا ولا يتركوا جهداً في الإنفاق على أقربائهم ﴿ والمساكين والمهاجرين في

سبيل الله ﴾ وقد اجتمع في مسطح الصفات الثلاث كان قريناً لأبي بكر مسكيناً مهاجراً قال الجبائي وفي قصة مسطح دلالة على أنه قد يجوز أن تقع المعاصي ممن شهد بدراً بخلاف قول النواثب ﴿ وليعفوا وليصفحوا ﴾ هذا أمر من الله تعالى للمرادين بالآية بالعفو عمن أساء إليهم والصفح عنهم وقال لهم ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ معاصيكم جزاء على عفوكم وصفحكم عمن أساء إليكم ﴿ والله غفور رحيم إن الذين يرمون المحصنات ﴾ أي يقذفون العفائف من النساء ﴿ الغافلات ﴾ عن الفواحش ﴿ المؤمنات ﴾ بالله ورسوله واليوم الآخر ﴿ لعنوا في الدنيا والآخرة ﴾ أي أبعدوا من رحمة الله في الدارين وقيل استحقوا اللعنة فيهما وقيل عذّبوا في الدنيا بالجلد وردّ الشهادة وفي الآخرة بعذاب النار ﴿ ولهم ﴾ مع ذلك ﴿ عذاب عظيم ﴾ وهذا الوعيد عام لجميع المكلفين عن ابن عباس وابن زيد ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ بيّن الله سبحانه أن ذلك العذاب يكون في يوم تشهد ألسنتهم فيه عليهم بالقَذف وسائر أعضائهم بمعاصيهم وفي كيفية شهادة الجوارح أقوال (أحدها) أن الله تعالى يبنيها بُنية يمكنها النطق والكلام من جهتها فتكون ناطقة (والثاني) إن الله تعالى يفعل فيها كلاماً يتضمن الشهادة فيكون المتكلم هو الله دون الجوارح وأضيف الكلام إليها على التوسع لأنها محل الكلام (والثالث) إن الله تعالى يجعل فيها علامة تقوم مقام النطق بالشهادة وأما شهادة الألسن فبأن يشهدوا بألسنتهم إذا رأوا أنه لا ينفعهم الجحود وأما قوله ﴿ اليوم نختم على أفواههم ﴾ فانه يجوز أن تخرج الألسنة ويختم على الأفواه ويجوز أن يكون الختم على الأفواه في حال شهادة الأيدي والأرجل ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ أي يتمّم الله لهم جزاءهم الحق فالدين هنا بمعنى الجزاء ويجوز أن يكون المراد جزاء دينهم الحق فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ﴿ ويعلمون أن الله هو الحق ﴾ أي يعلمون الله ضرورة في ذلك اليوم ويقرُّون أنه الحق لأنه يقضي بالحق ويعطي بالحق ويأخذ بالحق ﴿ المبين ﴾ أي الذي يظهر لهم حقائق الأمور ويبيّن جلائل الآيات .

[النظم] بدء سبحانه فبيَّن حكم القاذف أولاً وأوجب عليه الحد وردّ شهادته وسمّاه فاسقاً فعلم أن المراد به أهل الملة ثم عقّبه بحديث الإفك لإتصاله به ثم ذكر صنفاً آخر من القذفة وهم المنافقون بقوله ﴿ إن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ﴾وبيَّن ما لهم من الغضب واللعنة ثم عمَّ الجميع بالوعيد في قوله ﴿ إن الذين يرمون المحصنات ﴾ الآيات عن أبي مسلم .

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ
لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ
أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ
أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟
فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[اللغة] الإستيناس طلب الأنس بالعلم أو غيره تقول العرب إذهب فاستأنس هل ترى أحداً ومنه قوله ﴿ فإن آنستم منهم رشداً ﴾ أي علمتم وروي عن ابن عباس أنه قال إنما هي تستأذنوا يعني قوله ﴿ تستأنسوا ﴾ وكذلك يروى عن عبد الله وروي عن أبي حتى تسلموا وتستأنسوا[1] وكذلك قرأ ابن عباس .

[المعنى] قال سبحانه ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) أن الخبيثات من الكلم للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلم والطيبات من الكلم للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الكلم ألا ترى أنك تسمع الخبيث من الرجل الصالح فتقول غفر الله لفلان ما هذا من خلقه ولا مما يقول عن ابن عباس والضحاك ومجاهد والحسن (والثاني) إن معناه الخبيثات من السيئات للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من السيئات والطيبات من الحسنات

(١) وفي نسخة « حتى تسلموا أو تستأذنوا ».

للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الحسنات عن ابن زيد (والثالث) الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء عن أبي مسلم والجبائي وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) قالا هي مثل قوله ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ الآية أن أناساً هَمُّوا أن يتزوَّجوا منهن فنهاهم الله عن ذلك وكره ذلك لهم ﴿ أولئك مبرؤون مما يقولون ﴾ أي الطيبون مبرؤون أي منزَّهون من الكلام الخبيث عن مجاهد وقال الفراء يعني به عائشة وصفوان بن المعطل وهو بمنزلة قوله تعالى ﴿ فإن كان له أخوة والأم تحجب بالأخوين ﴾ فجاء على تغليب لفظ الجمع ﴿ لهم مغفرة ﴾ أي لهؤلاء الطيبين من الرجال والنساء مغفرة من الله لذنوبهم ﴿ ورزق كريم ﴾ أي عطية من الله كريمة في الجنة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا ﴾ أي حتى تستأذنوا عن ابن مسعود وابن عباس قال اخطأ الكاتب فيه وكان يقرأ حتى تستأذنوا وقيل تستأنسوا بالتنحنح والكلام الذي يقوم مقام الاستيذان وقد بيَّن الله تعالى ذلك في قوله ﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا ﴾ عن مجاهد والسدي وقيل معناه حتى تستعلموا وتتعرفوا عن أبي أيوب الأنصاري قال قلنا يا رسول الله ما الإستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبيرة ويتنحنح على أهل البيت وعن سهل بن سعد قال أطلع رجل في حجرة من حجر رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه مِدرَى[1] يحكُّ به رأسه أو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينيك إنما الإستيذان من النظر وروي أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أستأذن على أمي فقال نعم قال أنها ليس لها خادم غيري أفأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن عليها ﴿ وتسلموا على أهلها ﴾ قيل إن فيه تقديماً وتأخيراً تقديره حتى تسلموا على أهلها وتستأنسوا وتستأذنوا فإن أذن لكم فادخلوا وقيل معناه حتى تستأنسوا بأن تسلموا فقد روي أن رجلاً استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتنحنح فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لامرأة يقال لها روضة قومي إلى هذا فعلّميه وقولي له قل السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ معناه ذلك الدخول بالاستيذان خير لكم ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ مواعظ الله وأوامره ونواهيه فتتبعونها ﴿ فإن لم تجدوا ﴾ معناه فإن لم تعلموا ﴿ فيها أحداً ﴾ يأذن لكم في الدخول ﴿ فلا تدخلوها ﴾ لأنه ربما كان فيها ما

---

(١) المدرى : المشط .

لا يجوز أن تطلعوا عليه ﴿ حتى يؤذن لكم ﴾ أي حتى يأذن لكم أرباب البيوت في ذلك بيّن الله سبحانه بهذا أنه لا يجوز دخول دار الغير بغير إذنه وإن لم يكن صاحبها فيها ولا يجوز أن يتطلع إلى المنزل ليرى من فيه فيستأذنه إذا كان الباب مغلقاً لقوله (ع) إنما جعل الإستيذان لأجل النظر وإلا أن يكون الباب مفتوحاً لأن صاحبه بالفتح أباح النظر ﴿ وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا ﴾ أي فانصرفوا ولا تلجوا عليهم وذلك بأن يأمروكم بالإنصراف صريحاً أو يوجد منهم ما يدل عليه ﴿ هو أزكى لكم ﴾ معناه أن الإنصراف أنفع لكم في دينكم ودنياكم وأطهر لقلوبكم وأقرب إلى أن تصيروا أزكياء ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾ أي عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ثم قال سبحانه ﴿ ليس عليكم جناح ﴾ أي حرج وإثم ﴿ أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة ﴾ يعني بغير استئذان ﴿ فيها متاع لكم ﴾ قيل في معنى هذه البيوت أقوال (أحدها) أنها الحانات والحمامات والأرحية عن الصادق (ع) وعن محمد بن الحنفية وقتادة ويكون معنى متاع لكم أي إستمتاع لكم (الثاني) إنها الخرابات المعطلة ويدخلها الإنسان لقضاء الحاجة عن عطا (والثالث) أنها الحوانيت وبيوت التجار التي فيها أمتعة الناس عن ابن زيد قال الشعبي وأذنهم أنهم جاءوا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا للناس علّموا (والرابع) أنها مناخات الناس في أسفارهم يرتفقون بها عن مجاهد والأولى حمله على الجميع ﴿ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ لا يخفى عليه شيء من ذلك.

[النظم] وجه اتصال الآية بما قبلها أنه سبحانه لما عظم شأن الزنا والقذف أكّد ذلك بالنهي عن دخول بيوت الناس إلا بعد الإستئذان والإستئناس ليكونوا أبعد من التهمة وأقرب إلى العصمة من السيئة.

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ

أَوْ ءَابَآئِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ
أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ
ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ
لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر غيرَ أولي الأربة بالنصب والباقون بالجر وقرأ ابن عامر أيه المؤمنين ويا أيه الساحر وأيه الثقلان بضم الهاء والباقون بفتحها .

[الحجة] قال أبو علي « غير » فيمن جر صفة للتابعين والمعنى لا يبدين زينتهن إلا للتابعين الذين لا اربة لهم في النساء والأربة الحاجة لأنهم في أنهم لا إربة لهم كالأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء أي لم يقووا عليها ومنه قوله ﴿ فأصبحوا ظاهرين ﴾ وجاز وصف التابعين بغير لأنهم غير مقصودين بأعيانهم فأجري لذلك مجرى النكرة وقد قيل إن التابعين جاز أن يوصفوا بغير في هذا لقصر الوصف على شيء بعينه فإذا قصر على شيء بعينه زال الشياع عنه فاختص فالتابعون ضربان ذو أربة وغير ذي أربة وليس ثالث وإذا كان كذلك جاز لاختصاصه أن يجري وصفاً على المعرفة وعلى هذا الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وكذلك لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر لأن المسلمين وغيرهم لا يخلو من أن يكونوا أصحاء أو زمنى فإذا وصفوا بأحد الشيئين زال الشياع فساغ الوصف به لذلك ومن نصب غير إحتمل ضربين (أحدهما) أن يكون إستثناء والتقدير لا يبدين زينتهن إلا للتابعين إلا ذا الأربة منهم فإنهم لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا أربة (والآخر) أن يكون حالاً والمعنى أو الذين يتبعونهن عاجزين عنهن وذو الحال ما في التابعين من الذكر وقال الوقف على يا أيها وأيها بالألف لأنهما إنما أسقطت لسكونها وسكون لام المعرفة فإذا وقف عليها زال التقاء الساكنين وظهرت الألف فأما ضم الهاء في قراءة ابن عامر فلا يتّجه لأن آخر الإسم هو الياء الثانية من أيُّ فينبغي أن يكون المضموم آخر الإسم ولو جاز

أن يضم هـذا من حيث كان مضمـوماً إلى الكلمـة لجاز أن يضم الميم من اللهم لأنـه آخر الكلمة ووجه الأشكال والشبهة في ذلك أنه وجد هذا الحرف قد صـار في بعض المواضـع التي يدخل فيها بمنزلة ما هو من نفس الكلمة نحو مررت بهذا الرجل وغلام هذه المرأة فلما وجدها في أوائل المبهمة كذلك جعلها في الآخر أيضاً بمنزلة شيء من نفس الكلمة واستجاز حذف الألف اللاحق للحرف لما رآه قد حذف في قولهم هلمَّ فأجري عليه الإعراب لما كان كالشيء الذي من نفس الكلمة فإن قلت فإنه قد حرّك الياء التي قبلها بالضم في يا أيها الرجل فإنه يجوز أن نقول حركة أيُّ في هذه المواضع كحركات الإتباع في نحو امرىء وامروء فهذا وجه شبهته .

[اللغة] أصل الغض النقصان يقال غض من صوته ومن بصره أي نقص ومنه حديث عمرو بن العاص لما مات عبد الرحمن بـن عوف هنيئاً لـك خرجت من الـدنيا ببـطنتك لم تتغضغض منهـا بشيء يقال غضغضت الشيء فتغضغض إذا نقص والإربـة فعلة من الأرب كالمشية والجلسة وفي الحديث إن رجـلاً إعترض النبي صلى الله عليـه وآله وسلم ليسـأله فصاحوا به فقال صلى الله عليه وآله وسلم دعوا الرجل أرِبَ ما لَه قال ابن الأعرابي أي إحتاج فسأل ما له وقيل معناه حاجة جاءت به فدعوه وما مزيدة عن الأزهري[1] .

[الإعراب] يغضوا من أبصارهم مجزوم لأنه جواب شرط مقدر والتقدير قل للمؤمنين غضوا من أبصاركم فإنك إن تقل لهم يغضوا ويجوز أن يكون مجزوماً على تقدير ليغضوا من أبصارهم ومثل ذلك قوله ﴿ يغضضن ﴾ وإن لم يظهر فيه الإعراب لكونه مبنياً ومـا ظهر في مـوضع نصب على البـدل من زينتهن وقـولـه منهـا من هنـا للتبيين والجـار والمجـرور مـع المحذوف في موضع نصب على الحال .

[المعنى] ثم بيَّن سبحانه ما يحلُّ من النظر وما لا يحلُّ منه فقال ﴿ قل ﴾ يـا محمد ﴿ للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ عما لا يحل لهم النظر إليه ﴿ ويحفظوا فروجهم ﴾ عمن لا يحل لهم وعن الفواحش وقيل إن من مزيدة وتقديره يغضوا أبصارهم عن عورات النسـاء وقيل إنها للتبعيض لأن غض البصر إنما يجب في بعض المـواضع عن أبي مسلم والمعنى ينقصوا من نظرهم فلا ينظروا إلى ما حرَّم وقيل إنها لابتداء الغاية وقال ابن زيد كل موضع في القرآن ذكر فيه حفظ الفروج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع فإن المراد بـه الستر حتى لا

(١) وذكروا في الحديث وجوهاً أخر راجع النهاية لابن الأثير واللسان مادة « أرب ».

ينظر إليها أحد وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) قال فلا يحل للرجل أن ينظر إلى فرج أخيه ولا يحل للمرأة أن تنظر إلى فرج أختها ﴿ ذلك أزكى لهم ﴾ أي أنفع لدينهم ودنياهم وأطهر لهم وأنفى للتهمة وأقرب إلى التقوى ﴿ إن الله خبير ﴾ أي عليم ﴿ بما يصنعون ﴾ أي بما يعملونه أي على أيّ وجه يعملونه ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾ أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج ﴿ ولا يبدين زينتهن ﴾ أي لا يظهرن مواضع الزينة لغير محرم ومن هو في حكمه ولم يرد نفس الزينة لأن ذلك يحل النظر إليه بل المراد مواضع الزينة وقيل الزينة زينتان ظاهرة وباطنة فالظاهرة لا يجب سترها ولا يحرم النظر إليها لقوله ﴿ إلا ما ظهر منها ﴾ وفيها ثلاثة أقاويل (أحدها) إن الظاهرة الثياب والباطنة الخلخالان والقرطان والسواران عن ابن مسعود (وثانيها) إن الظاهرة الكحل والخاتم والخدان والخضاب في الكف عن ابن عباس والكحل والسوار والخاتم عن قتادة (وثالثها) إنها الوجه والكفان عن الضحاك وعطا والوجه والبنان عن الحسن وفي تفسير علي بن إبراهيم الكفان والأصابع ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ والخمر المقانع جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة المنسدل على جيبها أمرن بإلقاء المقانع على صدورهن تغطية لنحورهن فقد قيل أنهن كنّ يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدو صدورهنّ وكنّى عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها وقيل إنهن أمرن بذلك ليسترن شعورهن وقرطهن وأعناقهن قال ابن عباس تغطي شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها ﴿ ولا يبدين زينتهن ﴾ يعني الزينة الباطنة التي لا يجوز كشفها في الصلاة وقيل معناه لا يضعن الجلباب والخمار عن ابن عباس ﴿ إلا لبعولتهن ﴾ أي لأزواجهن يبدين مواضع زينتهن لهم استدعاء لميلهم وتحريكاً لشهوتهم فقد روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم لعن السلتاء من النساء والمرهاء فالسلتاء التي لا تخضب والمرهاء التي لا تكتحل ولعن المسوفة والمفسلة فالمسوفة التي إذا دعاها زوجها إلى المباشرة قالت سوف أفعل والمفسلة هي التي إذا دعاها قالت أنا حائض وهي غير حائض ﴿ أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن ﴾ وهؤلاء الذين يحرم عليهم نكاحهن فهم ذوو محارم لهن بالأسباب والأنساب ويدخل أجداد البعولة فيه وإن علوا وأحفادهم وإن سفلوا يجوز إبداء الزينة لهم من غير إستدعاء لشهوتهم ويجوز لهم تعمد النظر من غير تلذذ ﴿ أو نسائهن ﴾ يعني النساء المؤمنات ولا يحل لهنّ أن يتجردن ليهودية أو نصرانية أو مجوسية إلا إذا كانت أمة وهو معنى قوله ﴿ أو ما ملكت أيمانهن ﴾ أي من الإماء عن ابن جريج ومجاهد والحسن وسعيد بن المسيب قالوا ولا يحل للعبد أن ينظر إلى شعر مولاته وقيل معناه العبيد والإماء وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقال الجبائي أراد مملوكاً له لم يبلغ مبلغ الرجال ﴿ أو

التابعين غير أولي الإربة من الرجال ﴾ إختلف في معناه فقيل التابع الذي يتبعك لينال من طعامك ولا حاجة له في النساء وهو الأبله المولى عليه عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقيل هو العنين الذي لا إرب له في النساء لعجزه عن عكرمة والشعبي وقيل إنه الخصي المجبوب الذي لا رغبة له في النساء عن الشافعي ولم يسبق إلى هذا القول وقيل إنه الشيخ الهم لذهاب أربه عن يزيد بن أبي حبيب وقيل هو العبد الصغير عن أبي حنيفة وأصحابه ﴿ **أو الطفل** ﴾ أي الجماعة من الأطفال ﴿ **الذين لم يظهروا على عورات النساء** ﴾ يريد به الصبيان الذين لم يعرفوا عورات النساء ولم يقووا عليها لعدم شهوتهم وقيل لم يطيقوا مجامعة النساء فإذا بلغوا مبلغ الشهوة فحكمهم حكم الرجال ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** ﴾ قال قتادة كانت المرأة تضرب برجلها لتسمع قعقعة الخلخال فيها فنهاهن عن ذلك وقيل معناه لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت ليتبين خلخالها أو يسمع صوته عن ابن عباس ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ أي تفوزون بثواب الجنة وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب إلى الله في كل يوم مائة مرة أورده مسلم في الصحيح والمراد بالتوبة الإنقطاع إلى الله تعالى .

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ
عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ
وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ
فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ
ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا
لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ
إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ

وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير من بعد إكراههن لهن غفور رحيم وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) .

[الحجة] اللام في هن متعلقة بغفور أي غفور لهن .

[اللغة] الأيامى جمع أيم وهي المرأة التي لا زوج لها سواء كانت بكراً أو ثيباً ويقال للرجل الذي لا زوجة له أيم أيضاً قال جميل :

أُحِبُّ الْأَيَامَىٰ إِذْ بُثَيْنَةَ أَيِّمٌ ... وَأَحْبَبْتُ لَمَّا أَنْ غَنِيْتِ الْغَوَانِيَا[1]

وقال الشاعر :

فَإِنْ تَنْكِحِي أَنْكِحْ وَإِنْ تَتَأَيَّمِي ... يَدَا الدَّهْرِ مَا لَمْ تَنْكِحِي أَتَأَيَّمُ[2]

والفعل منه آمت المرأة تئيم أيمة وأيوما والإنكاح التزويج يقال نكح إذا تزوّج وأنكح غيره إذا زوّجه والاستعفاف والتعفف سواء وهو طلب العفة واستعمالها ويقال رجل عف وامرأة عفة والكتاب والمكاتبة أن يكاتب الرجل مملوكه على مال يؤدّيه إليه فإذا أدّاه عتق وأصله من الجمع وكل شيء جمعته إلى شيء فقد كتبته ومنه الكتاب لتداني بعض حروفه إلى بعض وهنا قد جمع العبد نجوم المال وقيل جمع ماله إلى مال السيد .

[الإعراب] أحد مفعولي إنكحوا محذوف تقديره وانكحوا رجالكم الأيامى من نسائكم أو نساءكم الأيامى من رجالكم وانكحوا الصالحين من عبادكم إماءكم الصالحات أو الصالحات من إمائكم عبادكم الصالحين لأن الأيامى يشتمل على الرجال والنساء والصالحين يشتمل عليهما أيضاً وقوله ﴿ منكم ومن عبادكم وإمائكم ﴾ الجار والمجرور في موضع نصب على الحال ومن للتبيين وكل موضع يكون من مع معمولة والعامل فيه في محل النصب على الحال لا يكون إلا كذلك .

[المعنى] ثم أمر سبحانه عباده بالنكاح وأغناهم عن السفاح فقال ﴿ وانكحوا الأيامى منكم ﴾ ومعناه زوّجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم وهذا أمر ندب

---

(١) الغانية من النساء : الشابة المتزوجة وجمعها غوان .

(٢) وفي بعض النسخ « وإن كنت افتى منكم أتأيم » بدل المصراع الأخير .

واستحباب وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من أحب فطرتي فليستنَّ بسنتي ومن سنتي النكاح وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[1] وروى عطا بن السايب عن سعيد بن جبير قال لقيني ابن عباس في حجة حجها فقال هل تزوجت قلت لا قال فتزوج قال ولقيني في العام المقبل فقال هل تزوجت قلت لا فقال اذهب فتزوّج فإن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن أبي هريرة قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد للقيَ الله بزوجة سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول شراركم عزّابكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من أدرك له ولد وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فأحدث فالإثم بينهما وعن أبي إمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أربع لعنهم الله من فوق عرشه وأمنت عليه ملائكته الذي يحصر نفسه فلا يتزوج ولا يتسرى لئلا يولد له والرجل يتشبه بالنساء وقد خلقه الله ذكراً والمرأة تتشبه بالرجال وقد خلقها الله أنثى ومضلل الناس يريد الذي يهزأ بهم يقول للمسكين هلم أعطك فإذا جاء يقول ليس معي شيء ويقول للمكفوف إتق الدابة وليس بين يديه شيء والرجل يسأل عن دار القوم يستُلّه ﴿ والصالحين من عبادكم وإمائكم ﴾ أي وزوّجوا المستورين من عبيدكم وولائدكم وقيل إن معنى الصلاح ههنا الإيمان عن مقاتل ثم رجع إلى الأحرار فقال ﴿ إن يكونوا فقراء ﴾ لا سعة لهم للتزويج ﴿ يغنهم الله من فضله ﴾ وعدهم سبحانه أن يوسّع عليهم عند التزويج ﴿ والله واسع ﴾ المقدور كثير الفضل ﴿ عليم ﴾ بأحوالهم وما يصلحهم فيعطيهم على قدر ذلك وقال أبو عبد الله (ع) من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بربه لقوله سبحانه ﴿ إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد السبيل إلى أن يتزوج بأن لا يجد المهر والنفقة أن يتعفف ولا يدخل في الفاحشة ويصبر حتى يوسّع الله عليه من رزقه ثم بيّن سبحانه ما يسهل سبيل النكاح فقال ﴿ والذين يبتغون الكتاب ﴾ أي يطلبون المكاتبة ﴿ مما ملكت أيمانهم ﴾ من العبيد والاماء ﴿ فكاتبوهم ﴾ والمكاتبة أن يكاتب الإنسان عبده على مال ينجمه عليه ليؤدّيه إليه في هذه النجوم المعلومة وهذا أمر ندب واستحباب وترغيب عند جميع الفقهاء وقيل أنه أمر حتم وإيجاب إذا طلبه العبد وعلم فيه الخير عن عطا وعمر بن دينار والطبري ﴿ إن علمتم فيهم خيراً ﴾ أي صلاحاً ورشداً عن ابن عباس وروي عنه أيضاً

(١) الوجاء : رض عروق البيضتين حتى تنفضح فيكون شبيهاً بالخصاء شبه الصوم به لأنه يكسر الشهوة كالوجاء .

إن علمتم فيهم قدرة على الإكتساب لأداء مال الكتابة ورغبة فيه وأمانة وهو قول ابن عمر وابن زيد والثوري والزجاج قال الحسن إن كان عنده مال فكاتبه وإلا فلا تعلق عليه صحيفة يغدو بها على الناس ويروح بها فيسألهم وروي أن عبداً لسلمان قال له كاتبني قال ألك مال قال لا قال تطعمني أوساخ الناس فأبى عليه وقال قتادة يكره أن يكاتب العبد ويقول لا يكاتبه إلا يسأل الناس ﴿ وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ أي حطّوا عنهم من نجوم الكتابة شيئاً عن ابن عباس وقتادة وعطا وقيل معناه ردّوا عليهم يا معشر السادة من المال الذي أخذتم منهم شيئاً وهو إستحباب وقيل هو إيجاب وقال قوم من المفسرين أنه خطاب للمؤمنين بمعونتهم على تخليص رقابهم من الرق ومن قال أنه خطاب للسادة اختلفوا في قدر ما يجب فقيل يتقدر بربع المال عن الثوري وروي ذلك عن علي (ع) وقيل ليس فيه تقدير بل يحط عنه شيء منه وهو الصحيح وقيل أنه يعطى سهمه من الصدقات في قوله وفي الرقاب قال الحسن لولا الكتابة لما جاز له أخذ الصدقة وقال أصحابنا أن المكاتبة ضربان مطلق ومشروط فالمشروط أن يقول لعبده في حال الكتابة متى عجزت عن أداء ثمنك كنت مردوداً في الرق فإذا كان كذلك جاز له ردّه في الرق عند العجز والمطلق ينعتق منه عند العجز بحساب ما أدّى من المال ويبقى مملوكاً بحساب ما بقي عليه ويرث ويورث بحساب ما عتق ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم ﴾ أي اماتكم وولايدكم ﴿ على البغاء ﴾ أي على الزنا ﴿ إن أردن تحصناً ﴾ أي تعففاً وتزويجاً عن ابن عباس وإنما شرط إرادة التحصن لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة التحصن فإن لم ترد المرأة التحصن بغت بالطبع فهذه فائدة الشرط ﴿ لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴾ أي من كسبهن وبيع أولادهن قيل أن عبد الله بن أبي كان له ست جوار يكرههن على الكسب بالزنا فلما نزل تحريم الزنا أتين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشكون إليه فنزلت الآية ﴿ ومن يكرههن ﴾ أي ومن يجبرهن على الزنا من سادتهن ﴿ فإن الله من بعد إكراههن غفور ﴾ للمكرهات لا للمكره لأن الوزر عليه ﴿ رحيم ﴾ بهن ﴿ ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ﴾ أي واضحات ظاهرات ومن قرأ بفتح الباء فمعناه مفصلات بيّنهن الله وفصّلهن ﴿ ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم ﴾ وأخباراً من الذين مضوا من قبلكم وقصصاً لهم وشبهاً من حالهم بحالكم لتعتبروا بها ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ أي وزجراً للمتقين عن المعاصي وخصّهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها .

﴿ * ٱللَّهُ نُورُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ

فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ
نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن
تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾
رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[القراءة] قرأ أبو جعفر وابن كثير ويعقوب كوكب دُرِّيّ مضمومة الدال مشددة الباء تَوَقَّدَ بفتح التاء والدال وتشديد القاف وقرأ أبو عمر ودِرِّيء مكسورة الدال ممدودة مهموزة توقد كما تقدم وقرأ الكسائي درىء مكسورة الدال ممدودة مهموزة تُوقَدُ بضم التاء والتخفيف والرفع وقرأ نافع وابن عامر وحفص دُرِّي غير مهموزة يوقد بضم الياء والرفع وقرأ أبو بكر وحمزة دُرِّيء مضمومة الدال مهموزة ممدودة توقد بضم التاء وتخفيف القاف وقرأ خلف دري مضمومة الدال غير مهموزة توقد بضم التاء والتخفيف وقرأ ابن عامر وأبو بكر يُسَبَّح له فيها بفتح الباء والباقون بكسرها .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ دُرِّيّ يحتمل قوله أمرين (أحدهما) أن يكون نسبة إلى الدر لفرط صفائه ونوره ويجوز أن يكون فُعِّيلا من الدَرْيء فخففت الهمزة فانقلبت ياء كما تنقلب من النسيء والنبيء ومن قال دِرِّيء كان فِعِّيلا من الدرء مثل السِكِّير والفِسِّيق والمعنى إن الخفاء إندفع عنه لتلألؤه في ظهوره فلم يخف كما يخفى السهى ونحوه ومن قرأ دُرِّيء كان فعيلاً من الدَرْء الذي هو الدفع وقد حكى سيبويه عن أبي الخطاب كوكب دُرِّيء من

الصفات ومن الأسماء المُرِّيق للعُصْفُر ومما يمكن أن يكون على هذا البناء العُلّية ألا تراه أنه من علا ومنه السُرّية . الأولى أن تكون فعلية ومن قرأ تُوقَد كان فاعله المصباح لأن المصباح هو الذي توقد قال امرؤ القيس :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقَفَّالِ (١)

ومن قرأ يوقد كان فاعله المصباح أيضاً ومن قرأ تَوَقَّدَ كان فاعله الزجاجة والمعنى على مصباح الزجاجة فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه فقال توقد فحمل الكلام على لفظ الزجاجة أو يريد بالزجاجة القنديل فقال توقد على لفظ الزجاجة وإن كان يريد القنديل ومعنى توقد من شجرة أي من زيت شجرة فحذف المضاف يدلك على ذلك قوله يكاد زيتها يضيء ومن قرأ يسبح له بفتح الباء أقام الجار والمجرور مقام الفاعل ثم فسَّر من يسبح فقال رجال أي يسبح له رجال فرفع رجالاً بهذا المضمر الذي دلَّ عليه قوله يسبح لأنه إذا قال يسبح دل على فاعل التسبيح ومثله قول الشاعر :

لَيْبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ (٢)

[اللغة] المشكاة قيل أنها رومية معربة وقال الزجاج يجوز أن تكون عربية لأن في الكلام مثل لفظها شكوة وهي قربة صغيرة فعلى هذا تكون مِفعلة منها وأصلها مشكوة فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها والمصباح السراج وأصله من البياض والأصبح الأبيض .

[الإعراب] قيل في تقدير قوله ﴿ نور السماوات ﴾ وجهان (أحدهما) أن يكون على حذف المضاف وتقديره ذو نور السماوات والأرض على حد قوله أنه عمل غير صالح (والثاني) أن يكون مصدراً وضع موضع اسم الفاعل كقوله ﴿ إن أصبح ماؤكم غوراً ﴾ أي غائراً وكما قالت الخنساء :

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ (٣)

وعلى هذا تكون الإضافة غير حقيقية والسماوات في تقدير النصب فيها مصباح حملة في موضع الجر لأنها صفة مشكاة المصباح في زجاجة جملة في موضع رفع بأنها صفة

(١) شب النار : أوقدها . والقفال : المسافرون .

(٢) الشعر في جامع الشواهد وكذا الشعر الآتي وقد مر في الكتاب أيضاً غير مرة .

(٣) مر بمعناه في المجلد الثالث .

مصباح والعائد منها إليه لام العهد تقديره فيها مصباح ذلك المصباح في زجاجة أو هو في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري الجملة في موضع جر بأنها صفة زجاجة وقوله زيتونة بدل من شجرة والباقي صفة نور خبر مبتدأ محذوف أي هو نور على نور متعلق بمحذوف في موضع رفع بكونه صفة نور في بيوت يتعلق بمحذوف وفي موضع جرّ بكونه صفة لمشكاة فانتقل الضمير من المحذوف إليه حيث سدّ مسدّه بغير حساب في موضع نصب بكونه صفة لمفعول محذوف وتقديره يرزق من يشاء رزقاً بغير حساب أي غير محسوب .

[المعنى] ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾ إختلف في معناه على وجوه (أحدها) الله هادي أهل السماوات والأرض إلى ما فيه من مصالحهم عن ابن عباس (والثاني) الله منور السماوات والأرض بالشمس والقمر والنجوم عن الحسن وأبي عالية والضحاك (والثالث) مزين السماوات بالملائكة مزين الأرض بالأنبياء والعلماء عن أبي بن كعب وإنما ورد النور في صفة الله تعالى لأن كل نفع وإحسان وإنعام منه وهذا كما يقال فلان رحمة وفلان عذاب إذا كثر فعل ذلك منه وعلى هذا قول الشاعر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّا نُورُ قَوْمٍ وَإِنَّمَا ... يُبَيَّنُ فِي الظَّلْمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَا

وإنما المعنى إنا نسعى فيما ينفعهم ومنا خيرهم وكذا قول أبي طالب في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

يَلُوذُ بِهِ الْهُلَّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

لم يعن بقوله أبيض بياض لونه وإنما أراد كثرة افضاله واحسانه ونفعه والاهتداء به ولهذا المعنى سمّاه الله تعالى سراجاً منيراً ﴿مثل نوره﴾ فيه وجوه (أحدها) أن المعنى مثل نور الله الذي هدى به المؤمنين وهو الإيمان في قلوبهم عن أبي بن كعب والضحاك وكان أبي يقرأ مثل نور من آمن به (والثاني) مثل نوره الذي هو القرآن في القلب عن ابن عباس والحسن وزيد بن أسلم (والثالث) أنه عنى بالنور محمد ﷺ وأضافه إلى نفسه تشريفاً له عن كعب وسعيد بن جبير فالمعنى مثل محمد رسول الله ﷺ (الرابع) أن نوره سبحانه الأدلة الدالة على توحيده وعدله التي هي في الظهور والوضوح مثل النور عن أبي مسلم (الخامس) أن النور هنا الطاعة أي مثل طاعة الله في قلب المؤمن عن ابن عباس في رواية اخرى ﴿كمشكاة فيها مصباح﴾ المشكاة هي الكوة في الحائط يوضع عليها زجاجة ثم يكون

المصباح خلف تلك الزجاجة ويكون للكوة باب آخر يوضع المصباح فيه وقيل المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وهو مثل الكوة والمصباح السراج وقيل المشكاة القنديل والمصباح الفتيلة عن مجاهد ﴿المصباح في زجاجة﴾ أي ذلك السراج في زجاجة وفائدة اختصاص الزجاجة بالذكر أنه اصفى الجواهر فالمصباح فيه أضوأ ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ أي تلك الزجاجة مثل الكوكب العظيم المضيء الذي يشبه الدر في صفائه ونوره ونقائه وإذا جعلته من الدرء وهو الدفع فمعناه المندفع السريع الوقع في الانقضاض ويكون ذلك أقوى لضوئه ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ أي يشتعل ذلك السراج من دهن شجرة مباركة ﴿زيتونة﴾ أراد بالشجرة المباركة شجرة الزيتون لأن فيها أنواع المنافع فإن الزيت يسرج به وهو ادام ودهان ودباغ ويوقد بحطبه وثفله ويغسل برماده الابريسم ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى اعصار وقيل انه خصَّ الزيتونة لأن دهنها اصفى وأضوء وقيل لأنها اول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان ومنبتها منزل الأنبياء وقيل لأنه بارك فيها سبعون نبياً منهم إبراهيم فلذلك سميت مباركة ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أي لا يفيء عليها ظل شرق ولا غرب فهي ضاحية للشمس لا يظلها جبل ولا شجر ولا كهف فزيتها يكون اصفر عن ابن عباس والكلبي وعكرمة وقتادة فعلى هذا يكون المعنى انها ليست بشرقية لا تصيبها الشمس إذا هي غربت ولا هي غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت بل هي شرقية غربية اخذت بحظها من الأمرين وقيل معناه إنها ليست من شجر الدنيا فتكون شرقية أو غربية عن الحسن وقيل معناه إنها ليست في مقنوة لا تصيبها الشمس ولا هي بارزة للشمس لا يصيبها الظل بل يصيبها الشمس والظل عن السدي وقيل ليست من شجر الشرق ولا من شجر الغرب لأن ما اختص باحدى الجهتين كان أقل زيتاً وأضعف ضوءاً لكنها من شجر الشام وهي ما بين الشرق والغرب عن ابن زيد ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ من صفائه وفرط ضيائه ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ أي قبل أن تصيبه النار وتشتعل فيه واختلف في هذا المشبه والمشبه به على أقوال (أحدها) انه مثل ضربه الله لنبيه محمد ﷺ فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة لا شرقية ولا غربية أي لا يهودية ولا نصرانية توقد من شجرة مباركة يعني شجرة النبوة وهي إبراهيم (ع) يكاد نور محمد ﷺ يبين للناس ولو لم يتكلم به كما ان ذلك الزيت يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار أي تصبه النار عن كعب وجماعة من المفسرين وقد قيل أيضاً ان المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد ﷺ كما سمي سراجاً في موضع آخر من شجرة مباركة يعني ابراهيم لأن اكثر الأنبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية لا نصرانية ولا يهودية لأن النصارى تصلي الى المشرق واليهود تصلي الى المغرب يكاد زيتها يضيء اي يكاد محاسن محمد ﷺ تظهر قبل أن يوحى إليه

﴿نور على نور﴾ أي نبي من نسل نبي عن محمد بن كعب وقيل ان المشكاة عبد المطلب والزجاجة عبد الله والمصباح هو النبي ﷺ لا شرقية ولا غربية بل مكية لأن مكة وسط الدنيا عن الضحاك وروي عن الرضا (ع) أنه قال نحن المشكاة فيها والمصباح محمد ﷺ يهدي الله لولايتنا من أحب وفي كتاب التوحيد لأبي جعفر بن بابويه رحمه الله بالإسناد عن عيسى بن راشد عن أبي جعفر الباقر (ع) في قوله كمشكاة فيها مصباح قال نور العلم في صدر النبي ﷺ المصباح في زجاجة الزجاجة صدر علي (ع) صار علم النبي ﷺ الى صدر علي علم النبي علياً يوقد من شجرة مباركة نور العلم لا شرقية ولا غربية لا يهودية ولا نصرانية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال يكاد العالم من آل محمد ﷺ يتكلم بالعلم قبل أن يسأل نور على نور أي امام مؤيد بنور العلم والحكمة في اثر امام من آل محمد ﷺ وذلك من لدن آدم (ع) إلى أن تقوم الساعة فهؤلاء الاوصياء الذين جعلهم الله خلفاء في أرضه وحججه على خلقه لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم يدل عليه قول ابي طالب في رسول الله ﷺ

أَنْتَ الأَمِينُ مُحَمَّدٌ قَرْمٌ أَغَرُّ مُسَوَّدُ
لِمُسَوَّدِينَ أَطَاهِرٍ كَرُمُوا وَطَابَ الْمَوْلِدُ
أَنْتَ السَّعِيدُ مِنَ السُّعُودِ تَكَنَّفَتْكَ الأَسْعَدُ
مِنْ لَدْنُ آدَمَ لَمْ يَزَلْ فِينَا وَصِيٌّ مُرْشِدُ
وَلَقَدْ عَرَفْتُكَ صَادِقاً وَالْقَوْلُ لا يَتَفَنَّدُ
مَا زِلْتَ تَنْطِقُ بِالصَّوابِ وَأَنْتَ طِفْلٌ أَمْرَدُ

تحقيق هذه الجملة يقتضي ان الشجرة المباركة المذكورة في الآية هي دوحة التقى والرضوان وعترة الهدى والإيمان شجرة أصلها النبوة وفرعها الإمامة وأغصانها التنزيل وأوراقها التأويل وخدمها جبرائيل وميكائيل (وثانيها) أنه مثل ضربه الله للمؤمن والمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح الإيمان والقرآن في قلبه يوقد من شجرة مباركة هي الإخلاص لله وحده لا شريك له فهي خضراء ناعمة كشجرة التفّ بها الشجر فلا يصيبها الشمس على أيّ حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت وكذلك المؤمن قد احترز من أن يصيبه شيء من الفتر فهو بين اربع خلال ان أعطي شكر وإن ابتلي صبر وإن حكم عدل وإن قال صدق فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي بين القبور نور على نور وكلامه نور وعلمه نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى الجنة نور يوم القيامة عن أبي بن كعب (وثالثها) انه مثل القرآن في

قلب المؤمن فكما ان هذا المصباح يستضاء به وهو كما هو لا ينقص فكذلك القرآن يهتدى به ويعمل به فالمصباح هو القرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة لسانه وفمه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء يكاد حجج القرآن تتضح وإن لم تقرأ وقيل يكاد حجج الله على خلقه تضيء لمن تفكر فيها وتدبّرها ولو لم ينزل القرآن نور على نور يعني ان القرآن نور مع سائر الأدلة قبله فازدادوا به نوراً على نور عن الحسن وابن زيد وعلى هذا فيجوز أن يكون المراد ترتب الأدلة فإن الدلائل يترتب بعضها على بعض ولا يكاد العاقل يستفيد منها إلا بمراعاة الترتيب فمن ذهب عن الترتيب فقد ذهب عن طريق الاستفادة وقال مجاهد ضوء نور السراج على ضوء الزيت على ضوء الزجاجة ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ أي يهدي الله لدينه وإيمانه من يشاء بأن يفعل له لطفاً يختار عنده الإيمان إذا علم ان له لطفاً وقيل معناه يهدي الله لنبوته وولايته من يشاء ممن يعلم أنه يصلح لذلك ويضرب الله الأمثال للناس تقريباً إلى الافهام وتسهيلاً لدرك المرام ﴿والله بكل شيء عليم﴾ فيضع الأشياء ومواضعها ﴿في بيوت أذن الله ان ترفع﴾ معناه هذه المشكاة في بيوت هذه صفتها وهي المساجد في قول ابن عباس والحسن ومجاهد والجبائي ويعضده قول النبي ﷺ المساجد بيوت الله في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض ثم قيل انها أربع مساجد لم يبنها إلا نبي الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل ومسجد بيت المقدس بناه سليمان ومسجد المدينة ومسجد قبا بناهما رسول الله ﷺ وقيل هي بيوت الأنبياء وروي ذلك مرفوعاً انه سئل النبي ﷺ لما قرأ الآية أيُّ بيوت هذه فقال بيوت الأنبياء فقام أبو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها يعني بيت عليّ وفاطمة قال نعم من أفاضلها ويعضد هذا القول قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً وقوله ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فالإذن يرفع بيوت الأنبياء والأوصياء مطلق والمراد بالرفع التعظيم ورفع القدر من الارجاس والتطهير من المعاصي والأدناس وقيل المراد برفعها رفع الحوائج فيها إلى الله تعالى ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ أي يتلى فيها كتابه عن ابن عباس وقيل تذكر فيها أسماؤه الحسنى ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ أي يصلى له فيها بالبكور والعشايا عن ابن عباس والحسن والضحاك وقال ابن عباس كل تسبيح في القرآن صلاة وقيل المراد بالتسبيح تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه ووصفه بالصفات التي يستحقها لذاته وأفعاله التي كلها حكمة وصواب ثم بيّن سبحانه المسبح فقال ﴿رجال لا تلهيهم﴾ أي لا تشغلهم ولا تصرفهم ﴿تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة﴾ أي اقامة الصلاة حذف الهاء لأنها عوض عن الواو في أقوام فلما أضافه صار المضاف اليه عوضاً عن الهاء وروي عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) أنهم قوم إذا

حضرت الصلاة تركوا التجارة وانطلقوا إلى الصلاة وهم أعظم أجراً ممن يتّجر. ﴿وإيتاء الزكاة﴾ أي إخلاص الطاعة لله تعالى عن ابن عباس وقيل يريد الزكاة المفروضة عن الحسن ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ أراد يوم القيامة تتقلب فيه احوال القلوب والأبصار وتنتقل من حال الى حال فتلفحها النار ثم تنضجها ثم تحرقها عن الجبائي وقيل تتقلب فيه القلوب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك وتتقلب الأبصار يمنة ويسرة من أين تؤتى كتبهم وأين يؤخذ بهم أم من قِبَل اليمين ام من قبل الشمال وقيل تتقلب القلوب ببلوغها الحناجر والأبصار بالعمى بعد البصر وقيل معناه تنتقل القلوب عن الشك إلى اليقين والإيمان والأبصار عما كانت تراه غيّاً فتراه رشداً فمن كان شاكاً في دنياه أبصر في آخرته ومن كان عالماً ازداد بصيرة وعلماً فهو مثل قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد عن البلخي ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله﴾ أي يفعلون ذلك طلباً لمجازاة الله إياهم بأحسن ما عملوا ولتفضله عليهم بالزيادة على ما استحقّوه بأعمالهم من فضله وكرمه ﴿والله يرزق﴾ أي يعطي ﴿من يشاء بغير حساب﴾ أي بغير مجازاة على عمل بل تفضلاً منه سبحانه والثواب لا يكون إلا بحساب والتفضل يكون بغير حساب .

[النظم] اتصلت الآية الأولى بما قبلها اتصال المثل بالمثل لأنه تعالى لما بيّن وجوه المنافع والمصالح وعلم الشرائع فيما سبق بيّن بعده ان منافع أهل السماوات والأرض منه لأن اسم النور يطلق على ذلك كما تقدم بيانه وقيل انها اتصلت بما قبلها اتصال العلة بالمعلول فكأنه قال أنزلنا آيات بينات ومواعظ بالغات فهديناكم بها لأنا نهدي اهل السماوات والأرض واتصل قوله في بيوت بقوله كمشكاة فيها مصباح على ما تقدم بيانه وقيل يتصل بيسبح ويكون فيها تكريراً على التوكيد والمعنى يسبح الله رجال في بيوت أذن الله ان ترفع فيكون كقولك في الدار قام زيد فيها .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ
بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ
ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ
فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞ

ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير في رواية البزي سحاب بغير تنوين ظلمات بالجر وفي رواية القواس وابن فليح سحاب بالتنوين ظلمات بالجر والباقون كلاهما بالرفع والتنوين .

[الحجة] قال أبو علي قوله أو كظلمات معناه أو كذي ظلمات ويدل على حذف المضاف قوله إذا أخرج يده لم يكد يراها فالضمير الذي أضيف اليه يده يعود الى المضاف المحذوف ومعنى ذي ظلمات انه في ظلمات ومعنى ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة الموج الذي في الموج وقوله خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث فإنه يجوز أن يكون ظلمة الرحم وظلمة البطن وظلمة المشيمة وقوله ﴿فنادى في الظلمات ظلمة البحر﴾ وظلمة بطن الحوت وظلمة الليل ويجوز أن يكون الالتقام كان بالليل فهذه ظلمات ومن قرأ سحاب ظلمات فرفع ظلمات كان خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه ظلمات بعضها فوق بعض ومن قرأ سحاب ظلمات جاز أن يكون تكريراً وبدلاً من ظلمات الأولى ومن قرأ سحاب ظلمات بإضافة سحاب إلى الظلمات فالظلمات هي الظلمات التي تقدم ذكرها فأضاف السحاب إلى الظلمات لاستقلال السحاب وارتفاعه في وقت كون هذه الظلمات كما تقول سحاب رحمة وسحاب مطر إذا ارتفع في الوقت الذي يكون فيه الرحمة والمطر .

[اللغة] السراب شعاع يتخيل كالماء يجري على الأرض نصف النهار حين يشتد الحر والآل شعاع يرتفع بين السماء والأرض كالماء ضحوة النهار والآل يرفع الشخص الذي فيه وإنما قيل سراب لأنه ينسرب أي يجري كالماء وقيعة جمع قاع وهو الواسع من الأرض المنبسطة وفيه يكون السراب ولجة البحر معظمه الذي يتراكب أمواجه فلا يرى ساحله والتج البحر التجاجاً .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه مثل الكفار فقال ﴿والذين كفروا أعمالهم﴾ التي يعملونها ويعتقدون انها طاعات ﴿كسراب بقيعة﴾ أي كشعاع بأرض مستوية ﴿يحسبه الظمآن ماء﴾ أي يظنّه العطشان ماء ﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ أي حتى إذا انتهى اليه رأى أرضاً لا ماء فيها وهو قوله لم يجده شيئاً أي شيئاً مما حسب وقدر فكذلك الكافر يحسب ما قدّم من عمله نافعاً وان له عليه ثواباً وليس له ثواب ﴿ووجد الله عنده فوفاه حسابه﴾ قيل معناه ووجد

الله عند عمله فجازاه على كفره وهذا في الظاهر خبر عن الظمآن والمراد به الخبر عن الكفار ولكن لما ضرب الظمآن مثلاً للكفار جعل الخبر عنه كالخبر عنهم والمعنى وجد امر الله ووجد جزاء الله وقيل معناه وجد الله عنده بالمرصاد فأتم له جزاه ﴿والله سريع الحساب﴾ لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الجميع على افعالهم في حالة واحدة وسئل امير المؤمنين (ع) كيف يحاسبهم في حالة واحدة فقال كما يرزقهم في حالة واحدة وقيل ان المراد به عتبة بن ربيعة كان يلتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام عن مقاتل ثم ذكر مثلاً آخر لأعمالهم فقال ﴿أو كظلمات﴾ أي أو أفعالهم مثل ظلمات ﴿في بحر لجي﴾ أي عظيم اللجة لا يرى ساحله وقيل هو العميق الذي يبعد عمقه عن ابن عباس ﴿يغشاه موج﴾ أي يعلو ذلك البحر اللجي موج ﴿من فوقه موج﴾ أي فوق ذلك الموج موج ﴿من فوقه سحاب﴾ أي من فوق الموج سحاب ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾ يعني ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب والمعنى ان الكافر يعمل في حيرة ولا يهتدي لرشده فهو من جهله وحيرته كمن هو في هذه الظلمات لأنه من عمله وكلامه واعتقاده متقلب في ظلمات وروي عن أبيّ أنه قال ان الكافر يتقلب في خمس ظلمات كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة الى ظلمة وهي النار ﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ اختلف في معناه فقيل لا يراها ولا يقارب رؤيتها فهو نفي للرؤية وعن مقاربة الرؤية لأن دون هذه الظلمة لا يرى فيها عن الحسن واكثر المفسرين ويدل عليه قول ذي الرمة

إذا غيّر النأيُ المُحِبّينَ لَمْ يَكَدْ عَلىٰ كُلِّ حالٍ حُبُّ مَيَّةَ يَبْرَحُ[1]

ويروى رسيس الهوى من حب مية يبرح وقال آخر « ما كدت أعرف إلا بعد انكاري » وقال الفراء كاد صلة والمعنى انه لم يرها وقيل لا يراها إلا بعد جهد ومشقة رؤية تخيل لصورتها لأن حكم كاد إذا لم يدخل عليها حرف نفي ان تكون نافية وإذا دخلها دلّت على أن يكون الأمر وقع بعد بطء عن المبرد ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ أي من يجعل الله له نجاة وفرجاً فما له من نجاة وقيل ومن لم يجعل الله له نوراً في القيامة فما له من نور .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن

(١) مية: اسم محبوبة ذي الرمة. والنأى: البعد. يقول ان العشاق اذا بعدوا عمن يحبون زالت المحبة عنهم وأما انا فعلى كل حال لا يزول حبها عن قلبي. ورسيس الهوى على الرواية الثانية: مسه وأثره وبقيته .

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر يُذهِب بالأبصار بضم الياء وكسر الهاء والباقون يذهب .

[الحجة] من قرأ يُذهِب فالباء زائدة وتقديره يذهب الأبصار ومثله قوله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقول الهذلي

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَىٰ لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ[1]

أي شربن ماء البحر قال ابن جني إنما يزاد هذا الباء لتوكيد معنى التعدي كما يزاد

(١) لجج جمع لجة وهي في الأصل معظم الماء وأراد لجج البحر « نئيج » مأخوذ من قولهم ناج : إذا مرت مراً سريعاً يصف السحاب .

اللام لتوكيد معنى الاضافة في قوله « يابوس للحرب ضراراً لأقوام » وان شئت حملته على المعنى فكأنه قال يكاد سنا برقه يلوي بالأبصار أي يستأثر بالأبصار وقد ذكرنا اختلافهم في قوله خلق كل دابة فيه والوجه في سورة ابراهيم .

[اللغة] الازجاء والتزجية والسوق وزجا الخراج يزجو زجاء إذا انساق الى أهله وتيسر جبايته والركام المتراكم بعضه على بعض والركمة الطين المجموع والودق المطر ودقت السماء تدق ودقاً اذا امطرت قال الشاعر

فَلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا وَلا أَرْضَ أَبْقَلَ أَبْقَالَهَا[1]

والخلال جمع الخلل وهو الفرجة بين الشيئين والبرد أصله من البرد خلاف الحر وسحاب برد أتى بالبرد ويقال سمي البَرد لانه يبرد وجه الأرض أي يقشره من بردت الشيء بالمبرد والسنا مقصوراً الضوء وهو بالمد الرفعة .

[الإعراب] صافّات حال من الطير وينزل من السماء مِنْ لابتداء الغاية لأن السماء مبدأ لإنزال المطر من جبال من للتبعيض لأن البرد بعض الجبال التي في السماء مِنْ بَرَد من لتبيين الجنس لأن جنس الجبال جنس ابرد عن علي بن عيسى والتحقيق ان قوله من جبال بدل من قوله من السماء وقوله فيها في يتعلق بمحذوف وتقديره من جبال كائنة في السماء فالجار والمجرور في موضع الصفة لجبال تقديره من جبال سماوية وقوله من يرد يتعلق بمحذوف آخر في محل جرّ لأنه صفة بعد صفة تقديره من جبال سماوية بَردية ومفعول ينزل محذوف أي ينزل من جبال في السماء من برد برداً كما يقال أخذت من المال شيئاً وقوله على بطنه في موضع نصب على الحال وكذلك قوله على رجلين وعلى أربع ومن الأولى والثالثة بمعنى ما .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه الآيات التي جعلها نوراً للعقلاء العارفين بالله وصفاته فقال ﴿ألم تر﴾ أي ألم تعلم يا محمد لأن ما ذكر في الآية لا يرى بالأبصار وإنما يعلم بالأدلة والخطاب للنبي ﷺ والمراد به جميع المكلفين ﴿ان الله يسبح له من في السماوات والأرض﴾ والتسبيح التنزيه لله تعالى عما لا يجوز عليه ولا يليق به أي ينزهه أهل السماوات وأهل الأرض بألسنتهم وقيل عنى به العقلاء وغيرهم وكنّى عن الجميع بلفظة من تغليباً للعقلاء على غيرهم ﴿والطير﴾ أي ويسبّح له الطير ﴿صافات﴾ أي واقفات في الجوّ

(١) قائله عامربن جوين الطائي . والمزنة : السحابة البيضاء . وأبقلت الأرض : خرج بقلها .

مصطفّات الأجنحة في الهواء وتسبيحها ما يرى عليها من آثار الحدوث ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ معناه ان جميع ذلك قد علم الله تعالى دعاءه الى توحيده وتسبيحه وتنزيهه وقيل ان الصلاة للإنسان والتسبيح لكل شيء عن مجاهد وجماعة وقيل معناه كل واحد منهم قد علم صلاته وتسبيحه اي صلاة نفسه وتسبيح نفسه فيؤدّيه في وقته فيكون الضمير في علم الكل وفي الأول يعود الضمير إلى اسم الله تعالى وهو أجود لأن الاشياء كلها لا يعلم كيفية دلالتها على الله وإنما يعلم الله تعالى ذلك ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ أي عالم بأفعالهم فيجازيهم بحسبها ﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾ والملك المقدور الواسع لمن يملك السياسة والتدبير فملك السماوات والأرض لا يصح إلا لله وحده لأنه القادر على الاجسام لا يقدر على خلقها غيره فالملك التام لا يصحُّ إلا له سبحانه ﴿وإلى الله المصير﴾ أي المرجع يوم القيامة ثم قال ﴿ألم تر﴾ أي ألم تعلم ﴿ان الله يزجي سحاباً﴾ أي يسوقه سوقاً رفيقاً إلى حيث يريد ﴿ثم يؤلّف بينه﴾ أي يضمّ بعضه إلى بعض فيجعل القطع المتفرقة منه قطعة واحدة ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ أي متراكماً متراكباً بعضه فوق بعض ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾ أي ترى المطر والقطر يخرج من خلال السحاب أي مخارج القطر منه ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ أي وينزل من جبال في السماء تلك الجبال من برد برداً والسماء السحاب لأن كل ما علا مطبقاً فهو سماء ويجوز ان يكون البرد يجتمع في السحاب كالجبال ثم ينزل منها عن البلخي وغيره وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال من برد كما يقول عندي بيتان من تبن أي بيتين عن الفراء وقيل أراد السماء المعروفة فيها جبال من برد مخلوقة عن الحسن والجبائي ﴿فيصيب به﴾ أي بالبرد أي بضرره ﴿من يشاء﴾ فيهلك زرعه وماله ﴿ويصرفه عمن يشاء﴾ أي ويصرف ضرره عمن يشاء فيكون أصابته نقمة وصرفه نعمة ﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾ أي يقرب ضوء برق السحاب من أن يذهب بالبصر ويخطفه لشدة لمعانه كما قال يكاد البرق يخطف أبصارهم ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ أي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما وإدخال احدهما في الآخر ﴿إن في ذلك﴾ التقليب ﴿لعبرة﴾ أي دلالة ﴿لأولي الأبصار﴾ أي لذوي العقول والبصائر ﴿والله خلق كل دابة﴾ أي كل حيوان يدبّ على وجه الأرض ولا يدخل فيه الجن والملائكة ﴿من ماء﴾ أي من نطفة وقيل عنى به الماء لأن أصل الخلق من الماء لأن الله خلق الماء وجعل بعضه ناراً فخلق الجن منها وبعضه ريحاً فخلق منه الملائكة وبعضه طيناً فخلق منه آدم (ع) فأصل الحيوان كلّه الماء ويدل عليه قوله ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حيّ فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحية والحوت والدود ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالانس والطير ﴿ومنهم من يمشي

على أربع﴾ كالأنعام والوحوش والسباع ولم يذكر ما يمشي على أكثر من أربع لأنه كالذي يمشي على أربع في رأي العين فترك ذكره لإن العبرة تكفي بذكر الأربع قال البلخي ان الفلاسفة تقول كل ما له قوائم كثيرة فإن اعتماده إذا سعى على أربعة قوائم فقط وقال أبو جعفر (ع) ومنهم من يمشي على أكثر من ذلك ﴿يخلق الله ما يشاء﴾ أي يخترع ما يشاء وينشئه من الحيوان وغيره وقال المبرد قوله كل دابة للناس وغيرهم وإذا اختلط النوعان حمل الكلام على الاغلب فلذلك قال من لغير ما يعقل ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ يخلق هذه الأشياء لقدرته عليها فاختلاف هذه الحيوانات مع اتفاق اصلها يدل على أن لها قادراً خالقاً عالماً حكيماً ﴿لقد أنزلنا الآيات مبينات﴾ أي دلالات واضحات بينات ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ أي من جملة تلك الدواب وعنى به المكلفين دون من ليس بمكلف والصراط المستقيم الايمان لأنه يؤدّي إلى الجنة وقيل ان المراد يهدي في الآخرة الى طريق الجنة.

﴿ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ
وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ
ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟
أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر وقالون عن نافع ويعقوب ويتقه بكسر القاف والهاء مكسورة مختلسة غير مشبعة وقرأ أبو عمرو وحمزة في رواية العجلي وخلاد وأبو بكر في رواية حماد ويحيى ويَتَّقه بكسر القاف وسكون الهاء وقرأ حفص ويَتْقِه بسكون القاف وكسر الهاء غير مشبعة والباقون يَتَّقِهِ بكسر القاف والهاء مشبعة وروي عن علي (ع) انه قرأ قولُ المؤمنين بالرفع وهو قراءة الحسن بخلاف ابن أبي اسحاق وهو مثل قراءة من قرأ فما كان جوابُ قومه بالرفع وقد ذكرنا الوجه فيه وقرأ أبو جعفر وحده لِيُحْكَمَ بينهم بضم الياء وفتح الكاف في الموضعين وفي البقرة وآل عمران مثل ذلك وقد ذكرناه هناك .

[الحجة] قال أبو علي الوجه ويتقه موصولة بياء لأن ما قبل الهاء متحرك ومن قرأ ويَتَّقِهِ لا يبلغ بها الياء فالوجه فيه ان الحركة غير لازمة قبل الهاء ألا ترى ان الفعل إذا رفع دخلته الياء ومن قرأ ويتقه بسكون الهاء فلأن ما يتبع هذه الهاء من الياء والواو زيادة فردَّ إلى الأصل وحذف ما يلحقه من الزيادة ويقوّي ذلك ما حكي عن سيبويه انه سمع من يقول هذه أمة الله في الوصل والوقف وزعم ابو الحسن ان قوله له أرِقَانِ[1] ونحوه لغة يجرونها في الموصل مجراها في الوقف فيحذفون منها كما حذفوا في الوقف وحملها سيبويه على الضرورة وأما قراءة حفص ويَتْقِهْ فوجهه أن تقه من يتقه مثل كتِف فكما يسكن نحو كَتْف كذلك تسكن القاف من تَقِه وعلى هذا قول الشاعر

عَجِبْتُ لِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلْدَهُ أَبَوانِ[2]

ومثله « فَبَاتَ مُنْتَصِباً وما تَكَرْدَسا »[3] فلما أسكن ما قبل الهاء لهذا التشبيه حرّك الهاء بالكسر كما حرّك الدال بالفتح في لم يلده .

[اللغة] قال الزجاج الإذعان الإسراع مع الطاعة يقال أذعن لي بحقي أي طاوعني لما كنت التمسه منه وصار يسرع إليه وناقة مذعان منقادة والحيف الجور ينقص الحق والفوز أخذ

---

(١) هذا جزء من بيت لرجل من ازد السراة يصف برقاً وتمامه « فظلت لدى البيت الحرام اخيله * ومطواي مشتاقان له ارقان » . وقوله اخيله اي انظر الى مخيلته والهاء عائدة على البرق في بيت قبله . ومطواي اي صاحباي .

(٢) نسب البيت الى عمرو الجنبي وله قصة مع امرىء القيس وروى « الارب مولود وليس له ولد . . ا هـ » والمراد من المولود الذي ليس له أب عيسى بن مريم عليه السلام ومن الذي لم يلده ابوان ادم عليه السلام وقيل أراد به القوس لأنها تؤخذ من شجرة معينة واحدة وقيل أراد البيضة وهذا البيت مع بيتين بعده من الالغاز ذكره في شرح الاشموني ج ٣: ٣١٤ .

(٣) التكردس: التجمع والتقبض .

لحظ الجزيل من الخير .

[النزول] قيل نزلت الآيات في رجل من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود حكومة فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الاشرف وحكى البلخي انه كانت بين علي وعثمان منازعة في ارض اشتراها من علي)ع) فخرجت فيها أحجار وأراد ردّها بالعيب فلم يأخذها فقال بيني وبينك رسول الله ﷺ فقال الحكم بن أبي العاص ان حاكمته إلى ابن عمه يحكم له فلا تحاكمه اليه فنزلت الآيات وهو المروي عن أبي جعفر (ع) أو قريب منه .

[المعنى] ﴿ويقولون آمنا بالله﴾ أي صدّقنا بتوحيد الله ﴿وبالرسول وأطعنا﴾ هما فيما حكما ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ أي يعرض عن طاعتهما طائفة منهم ﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعد قولهم آمنا ﴿وما أولئك﴾ الذين يدعون الإيمان ثم يعرضون عن حكم الله ورسوله ﴿بالمؤمنين﴾ وفي هذه الآية دلالة على ان القول المجرد لا يكون إيماناً إذ لو كان ذلك كذلك لما صح النفي بعد الإثبات ﴿وإذا دعوا إلى الله﴾ أي إلى كتاب الله وحكمه وشريعته ﴿ورسوله﴾ أي وإلى حكم رسوله ﴿ليحكم بينهم﴾ الرسول وإنما افرد بعد قوله إلى الله ورسوله لأن حكم الرسول يكون بأمر الله تعالى فحكم الله ورسوله واحد ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ عما يدعون إليه ﴿وان يكن لهم الحق﴾ أي وإن علموا أن الحق يقع لهم ﴿يأتوا اليه﴾ أي إلى النبي ﷺ ﴿مذعنين﴾ مسرعين طائعين منقادين ثم قال سبحانه منكراً عليهم ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ أي شكّ في نبوتك ونفاق وهو استفهام يراد به التقرير لأنه اشدّ في الذّم والتوبيخ أي هذا أمر قد ظهر حتى لا يحتاج فيه إلى البينة كما جاء في نقيضه من المدح على طريق الاستفهام نحو قول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ[1]

﴿أم ارتابوا﴾ في عدلك أي رأوا منك ما رابهم لأجله امرك ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم﴾ اي يجور الله عليهم ﴿ورسوله﴾ أي ويميل رسوله في الحكم ويظلمهم لأنه لا وجه في الأمتناع عن المجيء إلا احد هذه الأوجه الثلاثة ثم أخبر سبحانه انه ليس شيء من ذلك فقال ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ نفوسهم وغيرهم وفي هذه الآية دلالة على ان خوف الحيف من الله تعالى خلاف الدين وإذا كان كذلك فالقطع عليه أولىّ ان يكون خلافاً للدين ثم

(١) الشعر في جامع الشواهد وقد مر في الكتاب ايضاً غير مرة .

وصف سبحانه الصادقين في إيمانهم فقال ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ أي سمعنا قول النبي ﷺ وأطعنا امره وإن كان ذلك فيما يكرهونه ويضرّهم عن ابن عباس ومقاتل وقيل معناه قبلنا هذا القول وانفذنا له واجبنا إلى حكم الله ورسوله ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي الفائزون بالثواب الظافرون بالمراد وروي عن أبي جعفر (ع) ان المعنى بالآية امير المؤمنين عليه افضل الصلوات ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ فيما امراه ونهيا عنه ﴿ويخش الله﴾ أي ويخش عقاب الله في ترك أوامره وارتكاب نواهيه ﴿ويتقه﴾ أي ويتق عقابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ وقيل معناه ويخش الله في ذنوبه التي عملها ويتقه فيما بعد.

[النظم] قيل اتصلت الآية الأولى بقوله ويضرب الله الأمثال للناس ويعود الضمير في قوله ويقولون اليهم وان كان يقع على بعضهم فكأنه قال ويقول جماعة من هؤلاء الناس آمنا عن أبي مسلم وقيل لنه لما تقدّم ذكر المؤمن والكافر عقّبه سبحانه بذكر المنافق .

﴿ * وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ
أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ
مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا
ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ
فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

[القراءة] قرأ أبو بكر كما استخلف بضم التاء والباقون بفتح التاء وقرأ ابن كثير وابو بكر ويعقوب وسهل وليُبْدِلنهم من الابدال والباقون بالتشديد من التبديل.

[الحجة] قال أبو علي الوجه في كما استخلف بفتح التاء واللام لأن اسم الله قد تقدّم ذكره والضمير في ليستخلفنهم يعود إليه فكذلك في قوله كما استخلف والوجه في استخلف انه يراد به ما يراد باستخلف والتبديل والابدال بمعنى وقيل ان التبديل تغيير حال إلى حال اخرى يقال بدل صورته والابدال رفع الشيء بأن يجعل غيره مكانه قال «عزل الأمير بالأمير المبدل».

[الإعراب] وأقسموا بالله جهد إيمانهم اصله واقسموا بالله يجهدون الإيمان جهداً فحذف الفعل واقيم مصدره مضافاً إلى المفعول مقامه كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين إيمانهم طاعة مبتدأ وخبره محذوف تقديره طاعة معروفة اولى بكم وأفضل لكم ليستخلفنهم جواب قسم يدل عليه قوله وعد الله لأن وعده سبحانه كالقسم يعبدونني يجوز ان يكون جملة مستانفة على طريق الثناء عليهم ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال.

[المعنى] ولمّا بيّن الله سبحانه كراهتهم لحكمه قالوا للنبي ﷺ والله لو امرتنا بالخروج من ديارنا وأموالنا لفعلنا فقال الله سبحانه ﴿وأقسموا بالله جهداً إيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن﴾ اي حلفوا بالله اغلظ إيمانهم وقدر طاقتهم انك ان امرتنا بالخروج في غزواتك لخرجنا ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿لا تقسموا﴾ أي لا تحلفوا وتمّ الكلام ﴿طاعة معروفة﴾ أي طاعة حسنة للنبي ﷺ خالصة صادقة افضل واحسن من قسمكم بما لا تصدقون فحذف خبر المبتدأ للعلم به وقيل معناه ليكن منكم طاعة والقول المعروف هو المعروف صحته ﴿ان الله خبير بما تعملون﴾ أي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل ثم امرهم سبحانه بالطاعة فقال ﴿قل﴾ لهم ﴿اطيعوا الله﴾ فيما امركم به ﴿واطيعوا الرسول﴾ فيما اتاكم به واحذروا المخالفة ﴿فإن تولوا﴾ أي فإن تعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله والأصل تتولوا فحذف أحد التاءين ﴿فإنما عليه﴾ أي على الرسول ﴿ما حمل﴾ أي كلف وأمر من التبليغ واداء الرسالة ﴿وعليكم ما حملتم﴾ أي كلفتم من الطاعة والمتابعة ﴿وان تطيعوه﴾ أي وان تطيعوا الرسول ﴿تهتدوا﴾ إلى الرشد والصلاح وإلى طريق الجنة ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ أي ليس عليه الا اداء الرسالة بيان الشريعة وليس عليه الاهتداء وإنما ذلك عليكم ونفعه عائد اليكم والمبين البين الواضح ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم﴾ أي صدقوا بالله

وبرسوله وبجميع ما يجب التصديق به ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي الطاعات الخالصة لله ﴿ليستخلفنهم في الأرض﴾ أي ليجعلنهم يخلفون من قبلهم والمعنى ليورثنهم أرض الكافر من العرب والعجم فيجعلهم سكانها وملوكها ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ قال مقاتل يعني بني إسرائيل إذ اهلك الله الجبابرة بمصر وأورثهم ارضهم وديارهم وأموالهم وعن أبي ابن كعب قال لما قدم رسول الله ﷺ واصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا مع السلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا ترون انا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله فنزلت هذه الآية وعن المقداد بن الاسود عن رسول الله ﷺ انه قال لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر إلا ادخله الله تعالى كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل اما ان يعزهم الله فيجعلهم من أهلها واما ان يذلهم فيدينون لها وقيل انه اراد بالأرض أرض مكة لأن المهاجرين كانوا يسألون ذلك ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ يعني دين الإسلام الذي امرهم ان يدينوا به وتمكينه ان يظهره على الدين كله كما قال زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقيل تمكينه بإعزاز اهله واذلال اهل الشرك وتمكين اهله من اظهاره بعد ان كانوا يخفونه ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا﴾ أي وليصيرنهم بعد ان كانوا خائفين بمكة آمنين بقوة الإسلام وانبساطه قال مقاتل وقد فعل الله ذلك بهم وبمن كان بعدهم من هذه الأمة مكّن لهم في الأرض وابدلهم امناً من بعد خوف وبسط لهم في الأرض فقد انجز وعده لهم وقيل معناه وليبدلنهم من بعد خوفهم في الدنيا امناً في الآخرة ويعضده ما روي عن النبي ﷺ انه قال حاكياً عن الله سبحانه اني لا اجمع على عبد واحد بين خوفين ولا بين امنين ان خافني في الدنيا امنته في الآخرة وان امنني في الدنيا خوّفته في الآخرة ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ هذا استئناف كلام في الثناء عليهم ومعناه لا يخافون غيري عن ابن عباس وقيل معناه لا يراؤون بعبادتي أحداً وفي الآية دلالة على صحة نبوة نبينا ﷺ من جهة الإخبار عن غيب لا يعلم الا بوحي من الله عز وجل ﴿ومن كفر بعد ذلك﴾ أي بعد هذه النعم ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ ذكر الفسق بعد الكفر مع ان الكفر اعظم من الفسق لأن الفسق في كل شيء هو الخروج إلى اكثره فالمعنى أولئك هم الخارجون إلى أقبح وجوه الكفر وافحشه وقيل معناه من جحد تلك النعمة بعد انعام الله تعالى بها فأولئك هم العاصون لله عن ابن عباس واختلف في الآية فقيل انها واردة في اصحاب النبي ﷺ وقيل هي عامة في أمة محمد ﷺ عن ابن عباس ومجاهد والمروي عن اهل البيت (ع) انها في المهدي من آل محمد ﷺ وروي العياشي بإسناده عن علي بن الحسين (ع) انه قرأ الآية وقال هم والله شيعتنا اهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يدي

رجل منا وهو مهدي هذه الأمة وهو الذي قال رسول الله ﷺ لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً وروي مثل ذلك عن أبي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات النبي واهل بيته صلوات الرحمن عليهم وتضمنت الآية البشارة لهم بالاستخلاف والتمكن في البلاد وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي (ع) منهم ويكون المراد بقوله كما استخلف الذين من قبلهم هو أن جعل الصالح للخلاف خليفة مثل آدم وداود وسليمان (ع) ويدل على ذلك قوله إني جاعل في الأرض خليفة ويا داود انا جعلناك خليفة في الأرض وقوله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناه ملكاً عظيماً وعلى هذا اجماع العترة الطاهرة واجماعهم حجة لقول النبي ﷺ اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض وأيضاً فإن التمكين في الأرض على الإطلاق لم يتفق فيما مضى فهو منتظر لأن الله عز اسمه لا يخلف وعده .

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وحمزة لا يحسبن بالياء والباقون بالتاء .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ بالياء جاز أن يكون فاعله أحد شيئين أما ان يكون تضمن ضميراً للنبي ﷺ أي لا يحسبن النبي الذين كفروا معجزين فالذين في موضع نصب بأنه المفعول الاول ومعجزين المفعول الثاني ويجوز ان يكون فاعل الحسبان الذين كفروا ويكون المفعول الثاني محذوفاً وتقديره لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين ومن قرأ بالتاء ففاعل تحسبن المخاطب .

[المعنى] ثم أمر سبحانه بإقامة امور الدين فقال ﴿واقيموا الصلوة﴾ أي قوموا بأدائها واتمامها في اوقاتها ﴿وآتوا الزكوة﴾ المفروضة ﴿واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ اي لترحموا جزاء على ذلك وتثابوا بالنعم الجزيلة ثم قال ﴿لا تحسبن﴾ يا محمد أو أيها السامع ﴿الذين كفروا معجزين﴾ أي سابقين فائتين في الأرض يقال طلبته فأعجزني أي فاتني

وسبقني أي لا يفوتونني ومن قرأ بالياء فمعناه لا يظنن الكافرون انهم يفوتونني ﴿ومأواهم النار﴾ اي مستقرهم ومصيرهم النار ﴿ولبئس المصير﴾ أي بئس المستقر والمأوى وإنما وصفها بذلك وإن كانت حكمة وصواباً من فعل الله تعالى لما ينال الصائر اليها من الشدائد والآلام .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير حفص ثَلاث عورات بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ عن الأعمش عَوَرات بفتح الواو وقرأ أبو جعفر وأبو عبد الله (ع) يضعن من ثيابهن وروي ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير .

[الحجة] قال ابو علي من رفع كان خبر المبتدأ محذوفاً كأنه قال هذا ثلاث عورات فاجمل بعد التفصيل ومن نصب جعله بدلاً من قوله ثلاث مرات فإن قلت فإن قوله ثلاث مرات

زمان بدلالة أنه فسّر بزمان وهو قوله من قبل صلاةالفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرةومن بعد صلاة العشاء وليس العورات بزمان فكيف يصح وليس هي هو قيل يكون ذلك على ان تضمر الاوقات كأنه قال اوقات ثلاث عورات فلما حذف المضاف اعرب المضاف اليه باعراب المضاف والعَوْرات جمع عورة وحكم ما كان على فَعْله من الأسماء تحريك العين في الجمع نحو جَفْنة وجَفَنات إلا ان عامة العرب كرهوا تحريك العين فيما كان عينه واواً أو ياء لما كان يلزم من الانقلاب إلى الألف فأسكنوا وقالوا عورات وبيضات إلا ان هذيلاً حرّكوا العين منها فقالوا عَوَرات ولَوَزات وانشد بعضهم :

أَخُو بَيْضاتٍ رائحٌ مُتَأَوِّبٌ رَفِيقٌ بِمَسْحِ المَنْكِبَيْنِ سَبُوحُ[1]

فحرك الياء من بيضات والجيد عند النحويين الأول ومن قرأ من ثيابهن فلأنه لا يوضع كل الثياب وإنما يوضع بعضها وروي عن أبي عبد الله (ع) انه قال هو الجلباب إلا ان تكون امة فليس عليها جناح ان تضع خمارها.

[اللغة] التبرج اظهار المرأة عن محاسنها ما يجب عليها ستره وأصله الظهور ومنه البرج البناء العالي لظهوره .

[المعنى] لمّا تقدّم احكام النساء والرجال ومن ابيح له الدخول على النساء استثنى سبحانه هاهنا أوقاتاً من ذلك فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت ايمانكم﴾ معناه مُرُوا عبيدكم واماءكم أن يستأذنوا عليكم إذا ارادوا الدخول إلى مواضع خلواتكم عن ابن عباس وقيل اراد العبيد خاصة عن ابن عمر وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ من احراركم وأراد به الصبي الذي يميزّ بين العورة وغيرها وقال الجبائي الاستئذان واجب على كل بالغ في كل حال وعلى الأطفال في هذه الأوقات الثلاثة بظاهر الآية ثلاث مرات أي في ثلاث اوقات من ساعات الليل والنهار ثم فسّرها فقال ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ وذلك أن الإنسان ربما يبيت عرياناً أو على حال لا يحبّ ان يراه غيره في تلك الحال ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ يريد عند القائلة ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ الآخرة حين يأوي الرجل إلى امرأته ويخلو بها امر الله بالاستئذان في هذه الأوقات التي يتخلى الناس فيها وينكشفون وفصّلها ثم اجملها بعد التفصيل فقال

(١) الرائح بمعنى الذاهب. والمتاوب : الراجع : ورفيق بمسح المنكبين اي عالم بتحريكهما كناية عن حسن جريه ومهارته في السير. وسبوح اي حسنُ الحركة . وفي اللسان «ابو بيضات . . . ١٥٠.

﴿ثلاث عورات لكم﴾ أي هذه الأوقات ثلاث عورات لكم سمى سبحانه هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته قال السدي كان اناس من الصحابة يعجبهم ان يواقعوا نساءهم في هذه الأوقات الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاة فأمرهم الله سبحانه ان يأمروا الغلمان والمملوكين ان يستأذنوا في هذه الساعات الثلاث ﴿ليس عليكم﴾ يعني المؤمنين الأحرار﴿ولا عليهم﴾ يعني الخدم والغلمان ﴿جناح بعدهن﴾ أي حرج في ان لا يستأذنوا في غير هذه الأوقات الثلاثة ثم بيّن المعنى فقال ﴿طوّافون عليكم﴾ أي هم خدمكم فلا يجدون بدّاً من دخولهم عليكم في غير هذه الأوقات ويتعذر عليهم الاستئذان في كل وقت كما قال سبحانه ويطوف عليهم ولدان مخلدون أي يخدمهم وقال النبي ﷺ انها من الطوافين عليكم والطوافات جعل الحرة بمنزلة العبيد والاماء وقال مقاتل ينقلبون فيكم ليلاً ونهاراً ﴿بعضكم على بعض﴾ أي يطوف بعضكم وهم المماليك على بعض وهم الموالي ﴿كذلك﴾ أي كما بيّن لكم ما تعبدكم به في هذه الآية ﴿يبيّن الله لكم الآيات﴾ أي الدلالات على الاحكام ﴿والله عليم﴾ بما يصلحكم ﴿حكيم﴾ فيما يفعله ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾ يعني من الأحرار ﴿فليستأذنوا﴾ أي في جميع الاوقات ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ من الأحرار الكبار الذين امروا بالاستئذان على كل حال في الدخول عليكم فالبالغ يستأذن في كل الاوقات والطفل والعبد يستأذن في العورات الثلاث ﴿كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾ مرَّ معناه قال سعيد بن المسيب ليستأذن الرجل على امه فإنما نزلت هذه الآية في ذلك ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾ وهن المسنات من النساء اللاتي قعدن عن التزويج لان لا يرغب في تزويجهن وقيل هن اللاتي ارتفع حيضهن وقعدن عن ذلك اللاتي لا يطمعن في النكاح اي لا يطمع في جماعهن لكبرهن ﴿فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن﴾ يعني الجلباب فوق الخمار عن ابن مسعود وسعيد بن جبير وقيل يعني الخمار والرداء عن جابر بن زيد وقيل ما فوق الخمار من المقانع وغيرها ابيح لهن القعود بين يدي الاجانب في ثياب ابدانهن مكشوفة الوجه واليد فالمراد بالثياب ما ذكرناه لاكل الثياب ﴿غير متبرجات بزينة﴾ أي غير قاصدات بوضع ثيابهن اظهار زينتهن بل يقصدن به التخفيف عن انفسهن فاظهار الزينة في القواعد وغيرهن محظور واما الشابات فإنهن يمنعن من وضع الجلباب أو الخمار ويؤمرن بلبس اكثف الجلابيب لئلا تصفهن ثيابهن وقد روي عن النبي ﷺ انه قال للزوج ما تحت الدرع وللابن والاخ ما فوق الدرع ولغير ذي محرم اربعة اثواب درع وخمار وجلباب وازار ﴿وان يستعففن﴾ اي واستعفاف القواعد وهو ان يطلبن العفة بلبس الجلابيب ﴿خير لهن﴾ من وضعها وان سقط الحرج عنهن فيه ﴿والله سميع﴾

لأقوالكم ﴿عليكم﴾ بما في قلوبكم .

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

[اللغة]الحَرَج الضيق من الحَرَجة وهي الشجر الملتف بعضه ببعض لضيق المسالك فيه وجمعها حَرَجات وحِراج قال.

أيا حَرَجاتِ الحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا بِذي سَلَمٍ لاجادَكُنَّ رَبِيعُ(١)

وحَرِج فلان إذا أثم وتحرج من كذا إذا تأثم من فعله والأشتات المتفرقون وهو جمع شت .

[الاعراب] جميعاً نصب على الحال وكذلك اشتاتاً وتحية منصوب لأنها مصدر سلّموا لأن التحية بمعنى التسليم من عند الله صفة تحية .

[المعنى] لمّا تقدّم ذكر الاستيذان عقّبه سبحانه بذكر رفع الحرج عن المؤمنين في

(١) قيل انه يعاتب الطرق التي سارت فيها المحبوبة للفراق.

الانبساط بالأكل والشرب فقال ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ الذي كفَّ بصره ﴿ولا على الأعرج﴾ الذي يعرج من رجليه او احدهما ﴿حرج ولا على المريض﴾ العليل ﴿حرج﴾ أي إثم واختلف في تأويله على وجوه (أحدها) ان المعنى ليس عليكم في مؤاكلتهم حرج لأنهم كانو يتحرَّجون من ذلك ويقولون ان الاعمى لا يبصر فنأكل جيد الطعام دونه والأعرج لا يتمكن من الجلوس والمريض يضعف عن الأكل عن ابن عباس والقراء (وثانيها) ان المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون قد احللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكان اولئك يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فنفى الله سبحانه الحرج عن الزمني في أكلهم من بيت اقاربهم أو من بيت من يدفع اليهم المفتاح إذا اخرج للغزو عن سعيد بن المسيب والزهري (وثالثها) ان المعنى ليس على الأعمى والأعرج والمريض ضيق ولا إثم في ترك الجهاد والتخلف عنه ويكون قوله ولا على أنفسكم كلاماً مستأنفاً فأول الكلام في الجهاد وآخره في الأكل عن ابن زيد والحسن والجبائي (ورابعها) ان العمي والعرج والمرض كانوا يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لأن الناس كانوا يتقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان أهل المدينة لا يخالطهم في طعام اعمى ولا أعرج ولا مريض عن سعيد بن جبير والضحاك (وخامسها) أن الزمنى والمرضى رخص الله سبحانه لهم في الأكل من بيوت من سمَّاهم في الآية وذلك ان قوماً من اصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا لم يكن عندهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم وقراباتهم فكان اهل الزمانة يتحرجون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنه يطعمهم غير مالكيه عن مجاهد ﴿ولا على أنفسكم﴾ أي وليس عليكم حرج في انفسكم ﴿ان تأكلوا من بيوتكم﴾ أي بيوت عيالكم وأزواجكم وبيت المرأة كبيت الزوج وقيل معناه من بيوت اولادكم فنسب بيوت الاولاد إلى الآباء لأن الاولاد كسبهم وأموالهم كأموالهم ويدل عليه قوله ﷺ انت ومالك لابيك وقوله ﷺ إن اطيب ما يأكل المؤمن كسبه وان ولده من كسبه ولذلك لم يذكر الله بيوت الابناء حين ذكر بيوت الآباء والاقارب اكتفاء بهذا الذكر ثم ذكر بيوت الاقارب بعد الاولاد فقال ﴿او بيوت آبائكم أو بيوت امهاتكم﴾ إلى قوله ﴿أو بيوت خالاتكم﴾ وهذه الرخصة في أكل مال القرابات وهم لا يعلمون ذلك كالرخصة لمن دخل حائطاً وهو جائع أن يصيب من ثمره أو مرَّ في سفره بغنم وهو عطشان ان يشرب من رِسْله[1] توسعة منه على عباده ولطفاً لهم ورغبة بهم عن دناءة الاخلاق وضيق العطن وقال الجبائي ان الآية منسوخة بقوله لا تدخلوا

(١) الرسل : اللبن.

بيوت النبي إلا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وبقول النبي ﷺ لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيبة نفس منه والمروي عن ائمة الهدى صلوات الله عليهم انهم قالوا لا بأس بالاكل لهؤلاء من بيوت من ذكر الله تعالى بغير اذنهم قدر حاجتهم من غير اسراف وقوله ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ معناه أو بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده والمفاتح هنا الخزائن لقوله وعنده مفاتح الغيب وقيل هي التي يفتح الغيب بها عن ابن عباس قال عنى بذلك وكيل الرجل وقَيِّمه في ضيعته وماشيته فلا بأس عليه أن يأكل من ثِمر حائطه ويشرب من لبن ماشيته وقيل إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس يطعم الشيء اليسير عن عكرمة وقيل هو الرجل يولي طعام غيره يقوم عليه فلا بأس ان يأكل منه عن السدي ﴿أو صديقكم﴾ رفع الحرج عن الأكل من بيت صديقه بغير إذن إذا كان عالماً بأنه تطيب نفسه بذلك والصديق هو الذي صدقك عن مودّته وقيل هو الذي يوافق باطنه باطنك كما وافق ظاهره ظاهرك ولفظ الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع قال جرير :

دَعَوْنَ الْهَوىٰ ثُمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا بِأَسْهُمِ أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صَدِيقُ

وقال الحسن وقتادة يجوز دخول الرجل بيت صديقه والتحرم بطعامه من غير استئذان في الاكل وقال أبو عبد الله (ع) لهو والله الرجل يأتي بيت صديقه فيأكل طعامه بغير إذنه وروي ان صديقاً للربيع بن خثيم دخل منزله واكل من طعامه فلما عاد الربيع إلى المنزل اخبرته جاريته بذلك فقال إن كنت صادقة فأنت حرة ﴿ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعاً او اشتاتاً﴾ أي مجتمعين أو متفرقين وذكر في تأويله وجوه (احدها) ان حياً من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده فإنما لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً وربما كانت معه الإبل الحُفَّل[1] فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فأعلم الله سبحانه ان الرجل منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه عن قتادة والضحاك وابن جريج (وثانيها) ان معناه لا بأس بأن يأكل الغني مع الفقير في بيته فإن الغني كان يدخل على الفقير من ذوي قرابته أو صداقته فيدعوه إلى طعامه فيتحرج عن ابن عباس (وثالثها) انهم كانوا إذا نزل بهم ضيف تحرجوا ان يأكلوا إلا معه فأباح الله سبحانه الأكل على الانفراد وعلى الاجتماع عن أبي صالح والأقوال متقاربة والأولى الحمل على العموم ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم﴾ أي ليسلم بعضكم على بعض عن الحسن فيكون كقوله ان اقتلوا انفسكم وقيل معناه فسلّموا على أهليكم وعيالكم عن جابر وقتادة والزهري والضحاك وقيل معناه فإذا دخلتم بيوتاً يعني المساجد فسلّموا على من فيها

(١) التحفيل : ان لا تحلب الناقة اياماً ليجتمع اللبن في ضرعها. وحفل جمع حافل : الممتلئة الضروع.

عن ابن عباس والأولى حمله على العموم وقال إبراهيم إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال ابو عبد الله (ع) هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل ثم يردّون عليه فهو سلامكم على انفسكم ﴿تحية من عند الله﴾ أي هذه تحية حاكم الله بها عن ابن عباس وقيل معناه علّمها الله وشرعها لكم فإنهم كانوا يقولون عم صباحاً ثم وصف التحية فقال ﴿مباركة طيبة﴾ أي إذا ألزمتموها كثر خيركم وطاب أجركم وقيل مؤبدة حسنة جميلة عن ابن عباس وقيل إنما قال مباركة لأن معنى السلام عليكم حفظكم الله وسلّمكم الله من الآفات فهو دعاء بالسلامة من آفات الدنيا والآخرة وقال طيبة لما فيها من طيب العيش بالتواصل وقيل لما فيها من الأجر الجزيل والثواب العظيم ﴿كذلك﴾ أي كما بيّن لكم هذه الأحكام والآداب ﴿يبيّن الله لكم الآيات﴾ أي الأدلة على جميع ما يتعبدّكم به ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي لتعقلوا معالم دينكم .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ۖ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

[اللغة] التسلل الخروج في خفية يقال تسلل فلان من بين أصحابه إذا خرج من

جملتهم والسلة السرقة في الخفية وكذلك الاسلال ومنه الحديث لا اغلال ولا اسلال واللواذ ان يستتر بشيء مخافة من يراه وقيل اللواذ الاعتصام بالشيء بأن يدور معه حيث دار من قولهم لاذ به وقال الزجاج الملاوذة المخالفة هاهنا بدلالة قوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره ويقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه قوله وما أريد أن أخالفكم إلى ما انهيكم عنه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه . .

[الإعراب] لو اذا مصدر وضع موضع الحالموالتقدير يتسللون منكم ملاوذين يخالفون عن امره أي يخالفون الله عن امره بمعنى يجاوزون امره. ويوم يرجعون يوم منصوب بالعطف على محذوف وهو ظرف زمان والتقدير ما أنتم تثبتون عليه الآن ويوم يرجعون اليه خرج من الخطاب إلى الغيبة .

[المعنى] لمّا تقدَّم ذكر المعاشرة مع الاقرباء والمسلمين بيَّن سبحانه في هذه الآية كيفية المعاشرة مع النبي ﷺ فقال ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله﴾ أي ليس المؤمنون على الحقيقة إلا الذين صدقوا بتوحيد الله وعد له وأقرّوا بصدق رسوله ﴿وإذا كانوا معه﴾ أي مع رسوله ﴿على امر جامع﴾ وهو الذي يقتضي الإجماع عليه والتعاون فيه من حضور حرب أو مشورة في أمر أو صلاة جمعة أو ما أشبه ذلك ﴿لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ أي لم ينصرفوا عن الرسول أو عن ذلك الأمر إلا بعد ان يطلبوا الأذن منه في الانصراف ﴿إن الذين يستأذنونك﴾ يا محمد ﴿اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ أي فهم الذين يصدقون بالله ورسوله على الحقيقة دون الذين ينصرفون بلا استئذان ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم﴾ أي متى ما استأذنك هؤلاء المؤمنون ان يذهبوا لبعض مهماتهم وحاجاتهم ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾ خَيَّر سبحانه نبيَّه ﷺ بين أن يأذن وأن لا يأذن وهكذا حكم من قام مقامه من الأئمة ﴿واستغفر لهم الله﴾ أي واطلب المغفرة لهم من الله بخروجهم من جملة من معك واستغفار النبي ﷺ لهم هو دعاؤه لهم باللطف الذي تقع معه المغفرة ﴿ان الله غفور﴾ للمؤمنين أي ساتر لذنوبهم ﴿رحيم﴾ بهم أي منعم عليهم ثم امر سبحانه جميع المكلفين فقال ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ اختلف في تأويله على وجوه (احدها) انه سبحانه علَّمهم تفخيم النبي ﷺ في المخاطبة واعلمهم فضله فيه على سائر البرية والمعنى لا تقولوا له عند دعائه يا محمد أو يا ابن عبد الله ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله في لين وتواضع وخفض صوت عن ابن عباس ومجاهد وقتادة (وثانيها) انه نهى عن التعرض لدعاء رسوله عليهم فالمعنى احذروا دعاءه عليكم إذا اسخطتموه فإن دعاءه موجب مجاب بغير شك

وليس كدعاء غيره عن ابن عباس في رواية أخرى (وثالثها) ان المعنى ليس الذي يأمركم به الرسول ويدعوكم اليه كما يدعو بعضكم بعضاً لأن في القعود عن امره قعوداً عن امر الله تعالى عن أبي مسلم ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا﴾ قال ابن عباس هو ان يلوذ بغيره فيهرب وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة فيلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار من غير استئذان وفيه معنى التهديد بالمجازاة وقال مجاهد كانوا يتسللون في الجهاد رجوعاً عنه وقيل معناه يستترون ويستخفون تقية والتجاء ﴿فليحذر الذين يخالفون عن امره﴾ حذرهم سبحانه عن مخالفة نبيه صلى الله عليه وآله أي فليحذر الذين يعرضون عن امر الله تعالى وإنما دخلت عن لهذا المعنى وقيل عن أمر النبي ﷺ ﴿ان تصيبهم فتنة﴾ أي بلية تظهر ما في قلوبهم من النفاق وقيل عقوبة في الدنيا ﴿أو يصيبهم عذاب اليم﴾ في الآخرة وفي هذا دلالة على ان أوامر النبي ﷺ على الإيجاب لأنها لو لم تكن كذلك لما حذر سبحانه عن مخالفته ثم عظم سبحانه نفسه بأن قال ﴿ألا ان لله ما في السماوات والأرض﴾ اي له التصرف في جميع ذلك ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه ولا مخالفة امره فليس للعبد ان يخالف امر مالكه ﴿قد يعلم ما انتم عليه﴾ من الخيرات والمعاصي ومن الإيمان والنفاق لا يخفى عليه شيء من احوالكم ﴿ويوم يرجعون اليه﴾ يعني يوم البعث يعلمه الله سبحانه متى هو ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من الخير والشر والطاعات والمعاصي ﴿والله بكل شيء﴾ من اعمالهم وغيرها ﴿عليم﴾ معناه يردّون اليه للجزاء فيجازي كُلاً على قدر عمله من الثواب والعقاب .

(٢٥) سورة الفرقان مكية وآياتها سبع وسبعون

مكية كلها عن مجاهد وقتادة وقال ابن عباس إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة من قوله ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ﴾ إلى قوله ﴿ غفوراً رحيماً ﴾ .

[عدد آيها] وهي سبع وسبعون آية بلا خلاف .

[فضلها] أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة وهو يؤمن ان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ودخل الجنة بغير حساب وروى اسحاق بن عمار عن أبي الحسن الرضا (ع) قال ابن عمار لا تدع قراءة تبارك الذي نزل الفرقان على عبده فإن من قرأها في كل ليلة لم يعذبه الله ابداً ولم يحاسبه وكان منزلته في الفردوس الأعلى .

[تفسيرها] اتصلت هذه السورة بسورة النور اتصال النظير بالنظير فإن مختتم تلك السورة تضمن ﴿ إن لله ما في السماوات والأرض ﴾ وإنه بكل شيء عليم ومفتتح هذه السورة ان ﴿ له ملك السماوات والأرض ﴾ سبحانه من قدير حكيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا

مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ
لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ
ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ
ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ
ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ
هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ
لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا
مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن
ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ اهل الكوفة غير عاصم نأكل منها بالنون والباقون بالياء وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر ويَجْعَلُ لك بالرفع والباقون بالجزم.

[الحجة] من قرأ يأكل منها بالياء فإنه يعني به النبي ﷺ ومن قرأ نأكل منها فكأنه اراد انه تكون له المزية علينا في الفضل بأكلنا من جنته ومن قرأ ويجعل لك بالجزم عطف على موضع جعل لأنه جزاء الشرط قال الشاعر.

أَنِّي سَلَكْتَ فَإِنَّنِي لَكَ كَاشِحٌ وَعَلَى ٱنْتِقَاصِكَ فِي الحَيَاةِ وَأَزْدَدِ[1]

(١) الكاشح: العدو الذي يضمر العداوة.

ومن رفع قطعه مما قبله واستأنف :

[الاعراب] قال الزجاج التقدير جاءوا بظلم وزور فلما سقطت الباء افضى الفعل فنصب الفعل واقول انه يجوز جاءوا ظلماً بمعنى اتوا ظلماً قال طرفة .

عَلَىٰ غَيْرِ ذَنْبٍ جِئْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِي نَشَدْتُ فَلَمْ أُغْفَلْ حُمُولَةَ مَعْبَدِ(١)

فمعنى جئته فعلته . اكتتبها جملة في موضع نصب على الحال من اساطير الاولين وقد مضمرة وأساطير خبر مبتدأ محذوف ويأكل الطعام حال والعامل فيه ما تعلق به اللام في قوله ما لهذا الرسول فيكون منصوباً بإضماران . كيف ضربوا كيف في محل النصب على المصدر والتقدير ضرب اي ضربوا لك الامثال ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من الواو في ضربوا التقدير انظر أمنكرين ضربوا لك الأمثال ام لا . ان شاء جعل لك خيراً من ذلك الشرط والجزاء صلة الذي وجنات بدل من قوله خيراً .

[المعنى] ﴿تبارك﴾ تفاعل من البركة معناه عظمت بركاته وكثرت عن ابن عباس والبركة والكثرة من الخير وقيل معناه تقدّس وجلّ بما لم يزل عليه من الصفات ولا يزال كذلك فلا يشاركه فيها غيره واصله من بروك الطير فكأنه قال ثبت ودام فيما لم يزل ولا يزال عن جماعة من المفسرين وقيل معناه قام بكل بركة وجاء بكل بركة ﴿الذي نزل الفرقان﴾ أي القرآن الذي يفرّق بين الحق والباطل والثواب والخطأ في امور الدين بما فيه من الحثّ على افعال الخير والزجر عن القبائح والشر ﴿على عبده﴾ محمد ﷺ ﴿ليكون﴾ محمد ﷺ بالقرآن ﴿للعالمين﴾ أي لجميع المكلفين من الانس والجن ﴿نذيراً﴾ أي مخوّفاً بالعقاب وداعياً لهم إلى الرشاد ثم وصف سبحانه نفسه فقال ﴿الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً﴾ كما زعمت اليهود والنصارى والمشركون ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ يشاركه فيما خلق ويمنعه عن مراده ﴿وخلق كل شيء﴾ مما يطلق عليه اسم المخلوق ﴿فقدّره تقديراً﴾ على ما اقتضته الحكمة والتقدير تبيين مقادير الاشياء للعباد فيكون معناه قدر الاشياء بأن كتبها في الكتاب الذي كتبه الملائكة لطفا لهم وقيل خلق كل شيء فقدّر طوله وعرضه ولونه وسائر صفاته ومدة بقائه عن الحسن ثم اخبر سبحانه عن الكفار فقال ﴿واتخذوا من دونه﴾ أي من دون الله ﴿آلهة﴾ من الاصنام والاوثان وجهوا عبادتهم إليها ثم وصف آلهتهم بما ينبيء انها لا تستحق العبادة فقال ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ أي وهي مخلوقة

(١) هذا بيت من معلقته الشهيرة ومعبد هذا اخوه . والحمولة : الابل التي تطيق ان يحمل عليها ولهذا البيت قصة طويلة مذكورة في هامش المعلقات العشر . ورواية الزوزني وغيره هكذا .

مصنوعة ﴿ولا يملكون لأنفسهم ضرّاً﴾ فيدفعونه عن انفسهم ﴿ولا نفعاً﴾ فيجرّونه إلى انفسهم أي لا يقدرون على دفع ضرٍ ولا على على جرٍّ نفع ﴿ولا يملكون موتاً ولا حياة﴾ أي لا يستطيعون اماتة ولا احياء ﴿ولا نشوراً﴾ ولا اعادة بعد الموت يقال انشره الله فنشر فإن جميع ذلك يختصُّ الله تعالى بالقدرة عليه والمعنى فكيف يعبدون من لا يقدر على شيء من ذلك ويتركون عبادة ربهم الذي يملك ذلك كله ثم اخبر سبحانه عن تكذيبهم بالقرآن فقال ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا افك افتراه﴾ أي ما هذا القرآن إلا كذب افتراه محمد ﷺ واختلفه من تلقاء نفسه ﴿واعانه عليه قوم آخرون﴾ قالوا اعان محمداً ﷺ على هذا القرآن عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار غلام العلاء بن الحضرمي وجبر مولى عامر وكانوا من اهل الكتاب وقيل انهم قالوا اعانة قوم اليهود عن مجاهد ﴿فقد جاؤوا ظلماً وزوراً﴾ أي فقد قالوا شركاً وكذباً حين زعموا أنّ القرآن ليس من الله ومتى قيل كيف اكتفى بهذا القدر في جوابهم قلنا انه لمّا تقدّم التحدّي وعجزهم عن الاتيان بمثله اكتفى هاهنا بالتنبيه على ذلك ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها﴾ معناه وقالوا ايضاً هذه احاديث المتقدمين وما سطروه في كتبهم انتسخها وقيل استكتبها ﴿فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ أي تملى عليه طرفي نهاره حتى يحفظها وينسخها والأصيل العشي لأنه اصل الليل وأوله وفي هذا بيان مناقضتهم وكذبهم لأنهم قالوا افتراه ثم قالوا تملى عليه فقد افتراه غيره وقالوا أنه كتب وقد علموا انه كان لا يحسن الكتابة فكيف كتب ولم يستكتب ثم قال سبحانه ﴿قل﴾ يا محمد لهم تكذيباً لقولهم ﴿أنزله﴾ أي انزل القرآن ﴿الذي يعلم السر﴾ أي الخفيات ﴿في السماوات والأرض﴾ على ما اقتضاه علمه ببواطن الأمور لا على ما تقتضيه أهواء النفوس والصدور ﴿انه كان غفوراً رحيماً﴾ حيث لم يعاجلهم بالعذاب بل انعم عليهم بإرسال الرسول اليهم لتأكيد الحجة وقطع المعذرة ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ كما نأكل ﴿ويمشي في الأسواق﴾ في طلب المعاش كما نمشي ﴿لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً﴾ أي هلا انزل اليه ملك فيكون معيناً له على الإنذار والتخويف وهذا أيضاً من مقالاتهم الفاسدة لأن الملك لو كان معيناً له على الرسالة ومخوفاً من ترك قبولها ولو فعل تعالى ذلك لأدّى ذلك الى استصغار كل واحد منهما من حيث انه لم يقم بنفسه في اداء الرسالة ولأن الجنس إلى الجنس اميل وبه آنس ﴿أو يلقى اليه كنز﴾ يستغني به عن طلب المعاش قال ابن عباس أو ينزل اليه مال من السماء ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾ أي بستان يأكل من ثمارها ومن قرأ بالنون فالمعنى نأكل نحن معه ونتبعه ﴿وقال الظالمون﴾ أي المشركون للمؤمنين ﴿إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ أي ما تتبعون إلا رجلاً مخدوعاً مغلوباً على عقله وقد سبق تفسير

المسحور في بني إسرائيل ﴿أنظر﴾ يا محمد ﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي الأشباه لأنهم قالوا تارة هو مسحور وتارة هو محتاج متروك حتى تمنّوا له الكنز وتارة انه ناقص عن القيام بالأمور ﴿فضلّوا﴾ بهذا عن الهدى وعن وجه الصواب وطريق الحق ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ لإلزامك الحجة من الوجوه المذكورة وقيل معناه لا يستطيعون سبيلاً إلى ابطال امرك وقيل معناه لا يستطيعون سبيلاً إلى الحق مع ردّهم الدلائل والحجج واتباعهم التقليد والإلف والعادة ﴿تبارك﴾ أي تقدّس ﴿الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ الذي اقترحوه من الكنز والبستان ثم فسرّ الذي هو خير مما اقترحوه فقال ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ ليكون ابلغ في الزهو واسرع في نضج الثمار ﴿ويجعل لك قصوراً﴾ أي وسيجعل لك قصوراً في كل بستان قصراً والقصور البيوت المبنية المشيدة المطولة عن مجاهد وأراد في الآخرة أي سيعطيك الله في الآخرة اكثر مما قالوا وقيل أراد به في الدنيا لأن جبرائيل (ع) عرض عليه ذلك كله فاختار الزهد في الدنيا .

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ

صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر وابن كثير وحفص ويعقوب ويوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون وقرأ ابن عامر فنقول بالنون والباقون بالياء وقرأ أبو جعفر وزيد عن يعقوب ان نُتَّخَذ بضم النون وفتح الخاء وهو قراءة زيد بن ثابت وابي الدرداء وروى عن جعفر بن محمد (ع) وزيد بن علي والباقون نَتَّخِذ بفتح النون وكسر الخاء وروي بعضهم عن ابن كثير فقد كذبوكم يقولون بالياء والقراءة المشهورة بالتاء وقرأ حفص فما تستطيعون بالتاء والباقون بالياء وروي عن علي (ع) ويُمَشُّون في الأسواق بضم الياء وفتح الشين المشددة.

[الحجة] قال أبو علي حجة من قرأ يحشرهم بالياء قوله كان على ربك وعداً مسئولاً ويوم يحشرهم ربك ومن قرأ نحشرهم بالنون فيقول بالياء فعلى انه افرد بعد ان جمع كما افرد بعد الجمع في قوله وآتينا موسى الكتاب الى قوله الا تتخذوا من دوني وكيلاً وقراءة ابن عامر ويوم نحشرهم فنقول حسن لاجرائه المعطوف مجرى المعطوف عليه في لفظ الجمع قال ابن جني من قرأ أن نتخذ بضم النون فإن قوله من اولياء في موضع الحال أي ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك اولياء ودخلت من زائدة لمكان النفي تقول اتخذت زيداً وكيلاً فإن نفيت قلت ما اتخذت زيداً من وكيل وكذلك اعطيته درهماً وما أعطيته من درهم وهذا في المفعول به وأما قراءة الجماعة ان نتَّخِذَ من دونك من اولياء فإن قوله من أولياء في موضع المفعول اي اولياء فهو كقولك ضربت رجلاً فإن نفيت قلت ما ضربت من رجل والمعنى في قوله ما كان ينبغي لنا أن نتخذ لسنا ندَّعي استحقاق الولاء ولا العبادة لنا والمعنى في قوله فقد كذَّبوكم بما تقولون بالتاء كذَّبوكم في قولكم أنهم شركاء وأنهم آلهة وذلك في قولهم تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ومن قرأ بما يقولون بالياء فالمعنى فقد كذَّبوكم أي ما كنتم تعبدون بقولهم وقولهم هو نحو ما قالوه في قوله وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون وقوله فألقوا إليهم القول انكم لكاذبون وقوله فما يستطيعون بالياء معناه فما يستطيع الشركاء صرفاً ولا نصراً لكم ومن قرأ بالتاء فمعناه فما تستطيعون انتم ايها المتخذون للشركاء من دونه صرفاً

ولا نصراً ومن قرأ يُمَشُّون فمعناه يدعون إلى المشي ويحملهم حامل على المشي وجاء على فَعَّل لتكثير فعلهم لأنهم جماعة .

[اللغة] السعير النار الملتهبة مأخوذة من أسعار النار وهو شدة إيقادها أسعرتها إسعاراً وسعَّرها الله تسعيراً والتغيظ الهيجان والغليان ومنه قيل لشدة الغضب الغيظ ومقرنين مأخوذ من القرن وهو الحبل يشدّ فيه بعيران أو أبعرة ثم يستعمل في كل مجتمعين والثبور الهلاك وثبر الرجل فهو مثبور أهلك قال ابن الزبعري :

إِذَ أُجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الغَيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

ويقال ماخبرك عن هذا الأمر أي ما صرفك عنه فكان المثبور ممنوع من كل خير حتى هلك والبور الهلكى وهو جمع البائر وقيل هو مصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث قال ابن الزبعري :

يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقَ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ

وأصل الباب من بارت السلعة تبور إذا كسدت فلا تشترى فكأنها بقيت وفسدت .

[الإعراب] مكاناً ظرف لألقى . مقرنين نصب على الحال . ثبوراً مصدر فعل محذوف تقديره ثبر ثبوراً . ودعوا هنا بمعنى قالوا وهنالك يحتمل أن يكون ظرف زمان وأن يكون ظرف مكان أي دعوا في ذلك اليوم أو في ذلك المكان . كانت لهم جزاء ومصيراً في موضع نصب على الحال من وعد وقد مضمرة وذو الحال الضمير المحذوف العائد من الصلة إلى الموصول . لهم فيها ما يشاؤن جملة أخرى في موضع الحال من قوله ﴿ المتقون وما أرسلنا قبلك من المرسلين ﴾ مفعول أرسلنا محذوف تقديره وما أرسلنا قبلك رسلاً ويدل عليه قوله ﴿ من المرسلين ﴾ إلا أنهم ليأكلون الطعام إن مع اسمه وخبره مستثنى عن الرسل المحذوفة تقديره وما أرسلنا قبلك رسلاً إلا هم يأكلون الطعام وهذا كما يقال ما قدم علينا أمير إلا أنه مكرّم لي وليست كسرة أن لأجل اللام فإن دخولها وخروجها واحد في هذا الموضع وقيل ما في الآية كقول الشاعر :

مَا أَعْطَيَانِي وَلَا سَأَلْتُهُمَا إِلَّا وَإِنِّي لَحَاجِزٌ كَرَمِي

[المعنى] ثم بيّن سبحانه سوء اعتقادهم وما أعدّه لهم على قبيح فعالهم ومقالهم فقال ﴿ بل كذّبوا بالساعة ﴾ أي ما كذّبوك لأنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق بل لأنهم لم

يقرّوا بالبعث والنشور والثواب والعقاب ﴿ واعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً ﴾ أي ناراً تتلظى ثم وصف ذلك السعير فقال ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد ﴾ أي من مسيرة مائة عام عن السدي والكلبي وقال أبو عبد الله (ع) من مسيرة سنة ونسب الرؤية إلى النار وإنما يرونها هم لأن ذلك أبلغ كأنها تراهم رؤية الغضبان الذي يزفر غيظاً وذلك قوله ﴿ سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ﴾ وتغيظها تقطعها عند شدة إضطرابها وزفيرها صوتها عند شدة التهابها كإلتهاب الرجل المغتاظ والتغيظ لا يسمع وإنما يعلم بدلالة الحال عليه وقيل معناه سمعوا لها صوت تغيظ وغليان قال عبيد بن عميران جهنم لتزفر زفرة لا يبقى نبي ولا ملك إلا خرّ لوجهه وقيل التغيظ للنار والزفير لأهلها كأنه يقول رأوا للنار تغيظاً وسمعوا لأهلها زفيراً ﴿ وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً ﴾ معناه وإذا ألقوا من النار في مكان ضيق يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح عن أكثر المفسرين وفي الحديث قال (ع) في هذه الآية والذي نفسي بيده أنهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط ﴿ مقرنين ﴾ أي مصفدين قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الإغلال وقيل قرنوا مع الشياطين في السلاسل والأغلال عن الجبائي ﴿ دعوا هنالك ثبوراً ﴾ أي دعوا بالويل والهلاك على أنفسهم كما يقول القائل واثبورا أي واهلاكاه وقيل وانصرافاه عن طاعة الله فتجيبهم الملائكة ﴿ لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً ﴾ أي لا تدعوا ويلاً واحداً ويلاً كثيراً أي لا ينفعكم هذا وإن كثر منكم قال الزجاج معناه هلاككم أكبر من أن تدعوا مرة واحدة ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ ذلك ﴾ يعني ما ذكره من السعير ﴿ خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت ﴾ تلك الجنة ﴿ لهم جزاء ﴾ على أعمالهم ﴿ ومصيراً ﴾ أي مرجعاً ومستقراً ﴿ لهم فيها ما يشاؤون ﴾ ويشتهون من المنافع واللذات ﴿ خالدين ﴾ مؤبّدين لا يفنون فيها ﴿ كان على ربك وعداً مسؤولاً ﴾ قال ابن عباس معناه أن الله سبحانه وعد لهم الجزاء فسألوه الوفاء فوفى وقيل معناه أن الملائكة سألوا الله تعالى ذلك لهم فأجيبوا إلى مسألتهم وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم عن محمد بن كعب وقيل أنهم سألوا الله تعالى في الدنيا الجنة بالدعاء فأجابهم في الآخرة إلى ما سألوا وأتاهم ما طلبوا ﴿ ويوم نحشرهم ﴾ أي نجمعهم ﴿ وما يعبدون من دون الله ﴾ يعني عيسى وعزير والملائكة عن مجاهد وقيل يعني الأصنام عن عكرمة والضحاك ﴿ فيقول ﴾ الله تعالى لهؤلاء المعبودين ﴿ أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل ﴾ أي طريق الجنة والنجاة ﴿ قالوا ﴾ يعني المعبودين من الملائكة والأنس أو الأصنام إذا أحياهم الله وأنطقهم ﴿ سبحانك ﴾ تنزيهاً لك عن الشريك وعن أن يكون معبود سواك ﴿ ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ﴾ أي ليس لنا أن نوالي أعداءك بل أنت وليّنا من

دونهم وقيل معناه ما كان يجوز لنا وللعابدين وما كان يحقُّ لنا أن نأمر أحداً بأن يعبدنا ولا يعبدك فإنا لو أمرناهم بذلك لكنّا والياهم ونحن لا نوالي من يكفر بك ومن قرأ نتخذ فمعناه ما كان يحقُّ لنا أن نعبد ﴿ ولكن متعتهم وآبائهم حتى نسوا الذكر ﴾ معناه ولكن طوّلت أعمارهم وأعمار آبائهم ومتعتهم بالأموال والأولاد بعد موت الرسل حتى نسوا الذكر المنزل على الأنبياء وتركوه ﴿ وكانوا قوماً بوراً ﴾ أي هلكى فاسدين هذا تمام الحكاية عن قول المعبودين من دون الله فيقول الله سبحانه عند تبرء المعبودين من عبدتهم ﴿ فقد كذبوكم ﴾ أي كذّبكم المعبودون أيها المشركون ﴿ بما تقولون ﴾ أي بقولكم أنهم آلهة شركاء لله ومن قرأ بالياء فالمعنى فقد كذّبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا الآية ﴿ فما يستطيعون صرفاً ﴾ أي فما يستطيع المعبودون صرف العذاب عنكم ﴿ ولا نصراً ﴾ لكم بدفع العذاب عنكم ومن قرأ بالتاء فالمعنى فما تستطيعون أيها المتخذون الشركاء صرف العذاب عن أنفسكم ولا أن تنصروا أنفسكم بمنعها من العذاب ﴿ ومن يظلم منكم ﴾ نفسه بالشرك وارتكاب المعاصي ﴿ نذقه ﴾ في الآخرة ﴿ عذاباً كبيراً ﴾ أي شديداً عظيماً ثم رجع سبحانه إلى مخاطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ وما أرسلنا قبلك ﴾ يا محمد ﴿ من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ قال الزجاج وهذا احتجاج عليهم في قوله ﴿ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴾ أي فقل لهم كذلك كان من خلا من الرسل فكيف يكون محمد بدعاً منهم ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ﴾ أي امتحاناً وابتلاء وهو إفتتان الفقير بالغني يقول لو شاء الله لجعلني مثله غنياً والأعمى بالبصير يقول لو شاء الله لجعلني مثله بصيراً وكذلك السقيم بالصحيح عن الحسن وقيل هو إبتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون إنظروا إلى هؤلاء الذين إتّبعوا محمداً من موالينا ورذالنا فقال الله لهؤلاء الفقراء ﴿ أتصبرون ﴾ أيها الفقراء على الأذى والاستهزاء ﴿ وكان ربك بصيراً ﴾ إن صبرتم فاصبروا فأنزل الله فيهم إني جزيتهم اليوم بما صبروا عن مقاتل وقيل معناه أتصبرون أيها الفقراء على فقركم ولا تفعلون ما يؤدّي إلى مخالفتنا أتصبرون أيها الأغنياء فتشكرون ولا تفعلون ما يؤدّي إلى مخالفتنا ﴿ وكان ربك بصيراً ﴾ أي عليماً فيغني من أوجبت الحكمة إغناءه ويفقر من أوجبت الحكمة إفقاره وقيل بصيراً بمن يصبر وبمن يجزع عن ابن جريج .

﴿ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا

كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً
مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾
وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمُلْكُ
يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ
يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ
سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي
عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾
وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة وأبو عمرو تشقق خفيفة الشين هاهنا وفي سورة قّ والباقون تشّقق مشددة الشين وقرأ ابن كثير ننزل بنونين خفيفةً الملائكة بالنصب والباقون ونزل بنون واحدة وتشديد الزاي وفتح اللام والملائكة بالرفع .

[الحجة] تشقق أصله تتشقق فادغم التاء في الشين والتخفيف أكثر في الكلام لأن الحذف أخفّ عليهم من الإدغام ومن قرأ ونُنزّل الملائكة تنزيلاً فإنْ أنزل مثل نزل ومثله في التنزيل وتبتلّ إليه تبتيلاً فجاء المصدر على فعّل قال الشاعر « وَقَدْ تَطَوَّيتُ انْطِوَاءَ الخِصْبِ »[1] .

[اللغة] الرجاء ترقب الخير الذي يقوّي في النفس وقوعه ومثله الطمع والأمل واللقاء المصير إلى الشيء من غير حائل والعتو الخروج إلى أفحش الظلم وأصل الحَجْر الضيق

(١) قائله رؤبة وبعده « بين قتاد ردهة وشقب » والخصب : ضرب من الحيات . قيل ويجوز أن يكون أراد الوتر لأنه من معاني الخصب أيضاً .

وسميّ الحرام حَجْراً لضيقه بالنهي عنه قال المتلمس:

حَنَّتْ إِلَى النَّخْلَةِ الْقُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا حَجْرٌ حَرَامٌ أَلا تِلْكَ الدَّهَارِيسُ[1]

ومنه حجر الكعبة لأنه لا يدخل عليه في الطواف وإنما يطاف من ورائه لتضييقه بالنهي عنه والحجر العقل لما فيه من التضييق في القبيح والهباء غبار كالشعاع لا يمكن القبض عليه وفلان كناية عن واحد بعينه من الناس لأنه معرفة وقال ابن دريد عن أبي حاتم عن العرب أنهم كنوا عن كل مذكر بفلان وعن كل مؤنثه بفلانة فإذا كنوا عن البهائم أدخلوا عليه الألف واللام فقالوا الفلان والفلانة .

[الإعراب] يوم يرون الملائكة العامل في يوم معنى قوله ﴿ لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴾ فإنه يدل على يحزنون ويومئذ توكيد ليوم يرون ولا يجوز أن يكون يوم يرون منصوباً بلا بشرى لأن ما يتصل بلا لم يعمل فيما قبلها وحجراً منصوب لأنه مفعول ثاني لفعل مقدر وهو جعل الله عليكم الجنة حجراً محجوراً . أصحاب الجنة يومئذ خير العامل في يومئذ خير . ويوم تشقق العامل فيه محذوف تقديره واذكر يوم تشقق . الملك يومئذ الحق للرحمن يومئذ من صلة الملك الذي هو المصدر والحق صفة له والجار والمجرور الذي هو للرحمن في موضع خبر المبتدأ الذي هو الملك ويجوز أن يكون يومئذ ظرفاً وهو بدل من يوم تشقق ويكون العامل فيهما الظرف الذي هو قوله للرحمن وأن تقدما عليه . ويوم يعض يجوز أن يكون العامل فيه اذكر ويجوز أن يكون معطوفاً على ما قبله . ويقول جملة في موضع الحال . ياليتني المنادى محذوف وتقديره يا صاحبي ليتني . ويا ويلتا منادى مضاف أصله يا ويلتي تعالي فإنه وقتك فابدل من الكسرة فتحة ومن الياء الفا لثقل الكسرة والياء وخفة الفتحة والألف .

[النزول] قال ابن عباس نزل قوله ﴿ ويوم يعض الظالم ﴾ في عقبة بن أبي معيط وأبيّ بن خلف وكانا متخالين وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا إليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة الرسول فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً ودعا الناس

(١) فاعل حنت : النوق . والدهاريس بمعنى الدواهي . وهذا البيت من قصيدة له قالها بعدما هجا هو وطرفة عمرو بن هند ملك العراق فقتل طرفة بيد عامله ببحرين وهرب المتلمس إلى الشام وبلغه أن عمرو يقول لئن وجده بالعراق ليقتلنه وقصتهما طويلة ذكرها في الأغاني ٢١ : ١٢٧ ومعجم البلدان ٧ : ٢٠٨ ومجمع الأمثال ١ : ٣٥ وأمالي الشريف ١ : ١٨٣ . وغيرها .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى طعامه فلما قربوا الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وبلغ ذلك أبي بن خلف فقال صبأت يا عقبة قال لا والله ما صبأت ولكن دخل عليَّ رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال أبيٌّ ما كنت براض عنك أبداً حتى تأتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة وارتدَّ وأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فضرب عنقه يوم بدر صبراً[1] وأما أبيّ بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد بيده في المبارزة وقال الضحاك لما بزق عقبة في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاد بزاقه في وجهه فأحرق خدَّيه وكان أثر ذلك فيه حتى مات وقيل نزلت في كل كافر أو ظالم تبع غيره في الكفر أو الظلم وترك متابعة أمر الله تعالى وقال أبو عبد الله (ع) ليس رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية أو آيتان تقوده إلى جنة أو تسوقه إلى نار تجري فيمن بعده إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً .

[المعنى] ثم حكى سبحانه عن جهال الكفار بقوله ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ أي لا يأملون لقاء جزائنا وهذا عبارة عن إنكارهم البعث والمعاد وقيل معناه لا يخافون فهي لغة تهامة وهذيل يضعون الرجاء موضع الخوف إذا كان معه جحد لأن من رجا شيئاً خاف فوته فإنه إذا لم يخف كان يقيناً ومن خاف شيئاً رجا الخلاص منه فوضع أحدهما موضع الآخر ﴿ لولا أنزل علينا الملائكة ﴾ أي هلا أنزل الملائكة ليخبرونا بأن محمد نبيٌّ ﴿ أو نرى ربنا ﴾ فيخبرنا بذلك ويأمرنا باتباعه وتصديقه قال الجبائي وهذا يدل على أنهم كانوا مُجَسِّمة فلذلك جوّزوا الرؤية على الله ثم أقسم الله عزَّ اسمه فقال ﴿ لقد استكبروا ﴾ بهذا القول ﴿ في أنفسهم ﴾ أي طلبوا الكبر والتجبر بغير حق ﴿ وعتوا ﴾ بذلك أي طغوا وعاندوا ﴿ عتوا كبيراً ﴾ أي طغياناً وعناداً عظيماً وتمرّدوا في ردّ أمر الله تعالى غاية التمرد ثم أعلم سبحانه أن الوقت الذي يرون فيه الملائكة هو يوم القيامة وإن الله تعالى قد حرمهم البشرى في ذلك اليوم فقال ﴿ يوم يرون الملائكة ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ بشرى يومئذ للمجرمين ﴾ أي لا بشارة لهم بالجنة والثواب قال الزجاج والمجرمون الذين أجرموا الذنوب وهم في هذا الموضع الذين إجترموا الكفر بالله عز وجل ﴿ ويقولون حجراً محجوراً ﴾ أي ويقول

(١) يقال للرجل إذا شدت يداه ورجلاه أو أمسكه رجل آخر حتى يضرب عنقه قتل صبراً .

الملائكة لهم حراماً محرماً عليكم سماع البشرى عن قتادة والضحاك وقيل معناه ويقول المجرمون للملائكة كما كانوا يقولون في الدنيا إذا لقوا من يخافون منه القتل حجراً محجوراً دماؤنا عن مجاهد وابن جريج قال الخليل كان الرجل يرى الرجل الذي يخاف منه القتل في الجاهلية في الأشهر الحرم فيقول حجراً أي حرام عليك حرمتي في هذا الشهر فلا يبدأه بشرٍّ فإذا كان يوم القيامة رأوا الملائكة فقالوا ذلك ظناً منهم أنه ينفعهم وقيل معناه يقول الملائكة حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله عن عطا عن ابن عباس وقيل يقولون حجراً محجوراً عليكم أن تتعوذوا فلا معاذ لكم ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل ﴾ أي قصدنا وعمدنا كما في قول الشاعر :

وَقَدِمَ الْخَوَارِجَ الضُّلَّالُ إلى عِبَادِ رَبِّهُمْ فَقَالُوا إنَّ دِمَاءَكُمْ لَنَا حَلاَلُ

وفي هذا بلاغة عجيبة لأن التقدير قصدنا إليه قصد القادم على ما يكرهه مما لم يكن رآه قبل فيغيّره وأراد به العمل الذي عمله الكفار في الدنيا مما رجوا به النفع والأجر وطلبوا به الثواب والبرّ نحو إنصافهم لمن يعاملهم ونصرهم للمظلوم وأعتاقهم وصدقاتهم وما كانوا يتقرّبون به إلى الأصنام ﴿ فجعلناه هباء منثوراً ﴾ وهو الغبار يدخل الكوة من شعاع الشمس عن الحسن ومجاهد وعكرمة وقيل هو رهج الدواب[1] عن ابن زيد وقيل هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب عن قتادة وسعيد بن جبير وقيل هو الماء المهراق عن ابن عباس والمنثور المتفرق وهذا مثل والمعنى تذهب أعمالهم باطلاً فلم ينتفعوا بها من حيث عملوها لغير الله ثم ذكر سبحانه فضل أهل الجنة على أهل النار فقال ﴿ أصحاب الجنة يومئذ ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ خير مستقراً ﴾ أي أفضل منزلاً في الجنة ﴿ وأحسن مقيلاً ﴾ أي موضع قائلة قال الأزهري القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتدّ الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم والدليل على ذلك أن الجنة لا نوم فيها وقال ابن عباس وابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار قال البلخي معنى خير وأحسن هنا أنه خير في نفسه وحسن في نفسه لا بمعنى أنه أفعل من غيره كما في قوله وهو أهون عليه أي هو هيّن عليه وكما يقال الله أكبر لا بمعنى أنه أكبر من شيء غيره ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ﴾ عطف على قوله ﴿ يوم يرون ﴾ المعنى تتشقق السماء وعليها غمام كما يقال ركب الأمير بسلاحه وخرج بثيابه أي وعليه سلاحه وثيابه عن أبي علي الفارسي وقيل تتشقق السماء

(١) الرهج : ما أثير من الغبار .

عن الغمام الأبيض عن الفراء وإنما تتشقق السماء لنزول الملائكة وهو قوله ﴿ ونزّل الملائكة تنزيلاً ﴾ وقال ابن عباس تتشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس ثم تتشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا من الانس والجن ثم كذلك حتى تتشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ أي الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن يوم القيامة ويزول ملك سائر الملوك فيه وقيل إن الملك ثلاثة أضرب ملك عظمة وهو لله تعالى وحده وملك ديانة وهو بتمليك الله تعالى وملك جبرية وهو بالغلبة ﴿ وكان يوماً على الكافرين عسيراً ﴾ أعسر عليهم ذلك اليوم لشدته ومشقته ويهون على المؤمنين كأدنى صلاة صلّوها في دار الدنيا وفي هذا بشارة للمؤمنين حيث خصّ بشدة ذلك اليوم الكافرين ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ﴾ ندماً وأسفاً وقيل هو عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس على ما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل هو عام في كل ظالم نادم يوم القيامة وكل خليل يخالُّ غيره في غير ذات الله قال عطاء يأكل يديه حتى تذهبا إلى المرفقين ثم تنبتان ولا يزال هكذا كلما نبتت يده أكلها ندامة على ما فعل ﴿ يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ﴾ أي ليتني إتّبعت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وإتّخذت معه سبيلاً إلى الهدى ﴿ يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً ﴾ يعني أبيا ﴿ خليلا ﴾ وقيل أراد به الشيطان عن مجاهد وإن قلنا إن المراد بالظالم هنا جنس الظلمة فالمراد به كل خليل يضلُّ عن الدين ولو قال لما اتخذ فرعون وهامان وإبليس وجميع المضلين لطال فقال فلاناً حتى يتناول كل خليل مضلّ عن الدين ﴿ لقد أضلني ﴾ أي صرفني وردّني ﴿ عن الذكر ﴾ أي عن القرآن والإيمان به ﴿ بعد إذ جاءني ﴾ مع الرسول وتمّ الكلام هنا ثم قال الله ﴿ وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ لأنه يتبرأ منه في الآخرة ويسلمه إلى الهلاك ولا يغني عنه شيئاً ﴿ وقال الرسول ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يشكو قومه ﴿ يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾ يعني هجروا القرآن وهجروني وكذّبوني عن ابن عباس والمعنى جعلوه متروكاً لا يسمعونه ولا يتفهمونه وقيل إن قوله وقال الرسول معناه ويقول كما في قول الشاعر :

مِثْلُ الْعَصَافِيرِ أَحْلاَماً وَمَقْدُرَةً لَوْ يُوْزَنُونَ بِزِفّ الرِّيشِ مَا وَزَنُوا(١)

أي ما يزنون .

(١) قائله قعنب بن أم صاحب . والزف : صغار الريش قاله في هجاء قوم وحقرهم .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً
وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ
بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾
فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ
تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ
لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۠
وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ
ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ
أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ
نُشُورًا ﴿٤٠﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة مسلم بن محارب فَدَمَّرْانِّهِمْ تدميراً على التأكيد بالنون الثقيلة وروي ذلك عن علي (ع) وعنه فَدَمَّراهُمْ وهذا كأنه أمر لموسى وهارون أن يدمّراهم .

[اللغة] العدو المتباعد عن النصرة للبغضة من عدا يعدو إذا باعد خطوه وعدا عليه باعد خطوه للايتاع به وتعدى في فعله إذا أبعد في الخروج عن الحق ومنه عدوتا الوادي

لأنهما بعداه ونهايتاه والترتيل التبيين في تثبيت وترسل وثغر رَتَل ورَتْل بفتح التاء وسكونها إذا كان مفلجاً لا لصص فيه[1] التدمير الاهلاك لأمر عجيب ومنه التنكيل يقال دمَّر على فلان إذا هجم عليه بالمكروه والرس البئر التي لم تطوَ بحجارة ولا غيرها والتتبير الاهلاك والاسم من التيار ومنه قيل التِبْر لِقطعِ الذهب .

[الإعراب] قال الزجاج هادياً ونصيراً منصوب على وجهين (أحدهما) الحال أي كفى ربك في حال الهداية والنصر (والآخر) ان يكون منصوباً على التمييز أي كفى ربك من الهداة والنصار. جملةً نصب على الحال معناه مجموعاً وأحسن مجرور بالعطف على الحق. على وجوههم في موضع نصب على الحال وتقديره يحشرون مكبوبين وقوم نوح منصوب بفعل مضمر يفسّره هذا الظاهر تقديره أغرقنا قوم نوح والعامل في لما أغرقناهم وعاداً وثمود وما بعد ذلك عطف على الهاء والميم في قوله وجعلناهم ويجوز أن يكون عطفاً على معنى واعتدنا للظالمين عذاباً ويكون تقديره وعدنا للظالمين بالعذاب ووعدنا عاداً وكلا منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره. المعنى وأنذرنا كلا ضربنا له الأمثال وتبرنا كلا. مطر السوء منصوب لأنه مصدر أمطرت تقديره إمطار السوء .

[المعنى] ثم عزّى الله سبحانه نبيّه بقوله ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين﴾ أي وكما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك جعلنا لكل نبي عدواً من كفار قومه عن ابن عباس والمعنى في جعله إياهم عدواً لأنبيائه أنه تعالى أمر الأنبياء (ع) أن يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى وترك ما ألفوه من دينهم ودين آبائهم وإلى ترك عبادة الأصنام وذمها وكانت هذه أسباباً داعية إلى العداوة فإذا أمرهم بها فقد جعلهم عدواً لهم ﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ أي حسبك بالله هادياً إلى الحق وناصراً لأوليائه في الدنيا والآخرة على أعدائهم وقيل هادياً للأنبياء إلى التحرز عن عداوة المجرمين بالاعتصام بحبله ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ معناه وقال الكفار لرسول الله ﷺ هلا أتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة والانجيل والزبور جملة واحدة قال الله تعالى ﴿كذلك﴾ أي نزّلناه كذلك متفرّقاً ﴿لنثبت به فؤادك﴾ أي لنقوي به قلبك فتزداد بصيرة وذلك أنه إذا كان يأتيه الوحي متجدداً في كل حادثة وكل امر كان ذلك أقوى لقلبه وأزيد في بصيرته وقيل إنما أنزلت الكتب جملة واحدة لأنها نزلت على الأنبياء يكتبون ويقرؤون فنزلت عليهم مكتوبة والقرآن إنما نُزّل على نبيّ أميّ

(١) المفلجة من الاسنان المنفرجة . واللصص تقارب الاسنان .

لا يكتب ولا يقرأ ولذلك نزل متفرقاً وأيضاً فإن في القرآن الناسخ والمنسوخ وفيه ما هو جواب لمن سأله عن أمور وفيه ما هو انكار لما كان وفيه ما هو حكاية شيء جرى فاقتضت الحكمة انزاله متفرقاً ﴿ورتّلناه ترتيلاً﴾ أي بيّناه تبييناً ورسّلناه ترسيلاً بعضه في أثر بعض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل فصّلناه تفصيلاً عن السدي وقيل فرّقناه تفريقاً عن النخعي وروي أن النبي ﷺ قال يا ابن عباس إذا قرأت القرآن فرتّله ترتيلاً قال وما الترتيل قال بيّنه تبييناً ولا تنثره نثر الدقل ولا تهذه هذّ الشعر[1] قفوا عند عجائبه وحرّكوا به القلوب ولا يكونن همُّ احدكم آخر السورة ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أي ولا يأتيك المشركون بمثل يضربونه لك في ابطال امرك ومخاصمتك ﴿إلا جئناك بالحق﴾ الذي يبطله ويدحضه ﴿وأحسن تفسيراً﴾ أي وبأحسن تفسيراً مما أتوا به من المثل أي بياناً وكشفاً ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ أي يسحبون على وجوههم إلى النار وهم كفار مكة وذلك أنهم قالوا لمحمد ﷺ وأصحابه هم شرُّ خلق الله فقال الله سبحانه ﴿أولئك شر مكاناً﴾ أي منزلاً ومصيراً ﴿وأضل سبيلاً﴾ أي ديناً وطريقاً من المؤمنين وروى انس أن رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة أورده البخاري في الصحيح ثم ذكر سبحانه حديث الأنبياء وأممهم تسلية للنبي فقال ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ أي معيناً يعينه على تبليغ الرسالة ويتحمل عنه بعض أثقاله ﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذّبوا بآياتنا﴾ يعني فرعون وقومه وفي الكلام حذف أي فذهبا اليهم فلم يقبلوا منهما وجحدوا نبوتهما ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ أي أهلكناهم اهلاكاً بأمر فيه اعجوبة ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم﴾ أي وأغرقنا قوم نوح بالطوفان وهو مجيء السماء بماء منهمر وتفجير الأرض عيوناً حتى التقى الماء على أمر قد قدر قال الزجاج من كذب نبيّاً فقد كذب بجميع الأنبياء ﴿وجعلناهم للناس آية﴾ أي عبرة وعظة ﴿واعتدنا﴾ أي وهيّأنا ﴿للظالمين عذاباً أليماً﴾ سوى ما حلَّ بهم في الدنيا ﴿وعاداً وثمود﴾ أي وأهلكنا عاداً وثمود ﴿وأصحاب الرس﴾ وهو بئر رسوا فيها نبيهم أي القوة فيها عن عكرمة وقيل انهم كانوا أصحاب مواش ولهم بئر يقعدون عليها وكانوا يعبدون الأصنام فبعث الله اليهم شعيباً فكذّبوه فانهار البئر وانخسفت بهم الأرض فهلكوا عن وهب وقيل الرس قرية باليمامة يقال لها فلج قتلوا نبيَّهم فأهلكهم الله عن قتادة وقيل كان لهم نبي يسمى حنظلة فقتلوه فأهلكوا عن سعيد بن جبير والكلبي وقيل هم أصحاب رس والرس بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار فنسبوا إليها عن كعب ومقاتل وقيل

(١) الدقل: رديء التمر ويابسه وما ليس له اسم خاص فتراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثوراً والهذ سرعة القراءة .

اصحاب الرس كان نساؤهم سحاقات عن أبي عبد الله (ع) قروناً بين ذلك كثيراً أي وأهلكنا أيضاً قروناً كثيراً بين عاد وأصحاب الرس على تكذيبهم وقيل بين نوح وأصحاب الرس والقرن سبعون سنة وقيل أربعون سنة عن إبراهيم ﴿وكلا ضربنا له الأمثال﴾ أي وكلا بيّنا لهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا عن مقاتل وقيل معناه بيّنا لهم الأحكام في الدين والدنيا ﴿وكلا تبرنا تتبيراً﴾ أي وكلا اهلكنا اهلاكاً على تكذيبهم وجحودهم قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ﴿ولقد أتوا﴾ يعني كفار مكة ﴿على القرية التي امطرت مطر السوء﴾ يعني قرية قوم لوط امطروا بالحجارة ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ في أسفارهم إذا مرُّوا بها فيخافوا ويعتبروا ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾ يعني بل رأوها وإنما لم يعتبروا بها لأنهم كانوا لا يخافون البعث وقيل لا يأملون ثواباً ولا يؤمنون بالنشأة الثانية فركبوا المعاصي .

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ
اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا
وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ
مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ
أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ
أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ
سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا
يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ
النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً
مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ

صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

[القراءة] قرأ البرجمي نَسقيه بفتح النون والباقون نُسقيه بضم النون وفي الشواذ قراءة الأعرج من اتخذ الألاهة هواه وقراءة ابن السميفع الرياح بشرى .

[الحجة] قد مضى الفرق بين نسقي ونُسقى فيما تقدَّم[1] الألاهة الشمس وقيل ألهة بالضم غير مصروفة وانشد

تَرَوَّحْنَا مِنَ اللَّعْبَاءِ عَصْراً وَأَعْجَلْنَا الْأَلَاهَةَ أَنْ تَئُوبَا[2]

ويروى وأعجلنا الالإهة ومن قرأ وألهتكَ فمعناه وعبادتك وقد يجوز أن يكون اراد هذه المعرفة فأضافها اليه لعبادته لها فيكون كقولك ويذرك وشمسك اي والشمس التي تعبدها ومن قرأ بشرى فهو مصدر وضع موضع الحال اي مبشرة كقولهم هلم جرا أي جاراً أو منجراً ويأتينك سعياً وقد ذكرنا الاختلاف بين القراء فيه وما لهم من الاحتجاج في كل وجه منه في سورة الأعراف وذكرنا اختلافهم في ليذكروا في سورة بني إسرائيل .

[اللغة] القبض جمع الأجزاء المبسطة واليسير السهل القريب واليسير أيضاً نقيض العسير وأيسر الرجل ملك من المال ما تتيسر به الأمور عنيه وقيل اليد اليسرى لأنه يتيسر بها العمل مع اليمنى وتياسر أخذ في جهة اليد اليسرى والسبات قطع العمل ومنه سَبَت رأسه يسبته سبتاً إذا حلقه ومنه يوم السبت وهو يوم قطع العمل والنشر خلاف الطيّ وانـاسي جمع انسان جعلت الياء عوضاً عن النون وقد قالوا ايضاً انـاسين وقد يجوز أيضاً ان يكون جمع انسي فيكون مثل كرسي وكراسي .

[الإعراب] أهذا الذي بعث الله رسولاً العائد من الصلة إلى الموصول محذوف لطول الكلام أي بعثه الله رسولاً منصوب على الحال من الهاء المحذوفة وان كاد ليضلنا إنْ مخففة واسمه محذوف تقديره انه كاد وهو ضمير الأمر والشأن واللام في ليضلنا لام التأكيد التي تقع في خبر إن كيف مدَّ الظل كيف في محل النصب على الحال من الضمير المستكن في مَدَّ والتقدير امبدعاً مدَّ الظل ام لا ويجوز ان يكون في موضع المصدر والتقدير أي مد مد الظل وقال الزجاج الأجود أن يكون « ألم تر » من رؤية القلب ويجوز أن يكون من رؤية العين

(١) يعني في سورة النحل فراجع ج ٣ من هذه الطبعة .

(٢) قيل ان الشعر لمية بنت عتبة وهي ام البنين .

وبشراً نصب على الحال في الوجوه كلها من الرياح والعامل فيه ارسل. مما خلقنا الجار والمجرور في موضع نصب على الحال.

[المعنى] ثم حكى سبحانه عن الكفار الذين وصفهم فيما تقدم فقال ﴿وإذا رأوك﴾ أي وإذا شاهدوك يا محمد ﴿ان يتخذونك إلا هزواً﴾ أي ما يتخذونك إلا مهزواً به والمعنى أنهم يستهزؤون بك ويستصغرونك ويقولون على وجه السخرية ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ أي بعثه الله إلينا رسولاً ﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا﴾ قال ابن عباس معناه لقد كاد يصرفنا عن عبادة آلهتنا وتأويله قد قارب أن يأخذ بنا في غير جهة عبادة آلهتنا على وجه يؤدي إلى هلاكنا فإن الإضلال الأخذ بالشيء إلى طريق الهلاك ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ أي على عبادتها لأزلنا عن ذلك وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه فقال سبحانه متوعّداً لهم ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ الذي ينزل بهم في الآخرة عياناً ﴿من أضل سبيلاً﴾ أي من أخطأ طريقاً عن الهدى أهم أم المؤمنون ثم عجّب سبحانه نبيّه ﷺ من نهاية جهلهم فقال ﴿أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه﴾ أي من جعل إلٰهه ما يهواه وهو غاية الجهل وكان الرجل من المشركين يعبد الحجر والصنم فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ يعبد الآخر عن سعيد بن جبير وقيل معناه أرأيت من ترك عبادة خالقه وإلٰهه ثم هوى حجراً فعبده ما حاله عندك عن عطاء عن ابن عباس وقيل من اطاع هواه واتبعه فهو كالإلٰه له وترك الحق عن القتيبي ﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ أي أفأنت كفيل حافظ يحفظه من اتباع هواه وعبادة ما يهواه من دون الله أي لست كذلك وقيل معناه أتقدر أنت يا محمد أن تهديه إذا لم يتدبّر ولم يتفكر أي لا تقدر على ذلك لأن الوكيل هو الكافي للشيء ولا يكون كذلك إلا وهو قادر عليه ثم قال للنبي ﷺ ﴿أم تحسب﴾ يا محمد ﴿أن أكثرهم يسمعون﴾ ما تقوله سماع طالب للافهام ﴿أو يعقلون﴾ ما تقوله لهم وتقرأ عليهم وما يعاينونه من المعجزات والحجج أي لا تظن ذلك ﴿ان هم إلا كالأنعام﴾ أي ما هم إلا كالبهائم التي تسمع النداء ولا تعقل ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ من الأنعام لأنهم مكّنوا من المعرفة فلم يعرفوا والانعام لم يمكنوا منها ولأن الانعام الهمت منافعها ومضارها فهي لا تفعل ما يضرّها وهؤلاء عرفوا طريق الهلاك والنجاة وسعوا في هلاك أنفسهم وتجنّبوا سبيل نجاتهم فهم أضلّ منها ثم نبّه سبحانه على النظر فيما يدل على وحدانيته وكمال قدرته فقال ﴿ألم تر﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد به سائر المكلفين ﴿إلى ربك كيف مد الظل﴾ أي ألم تر إلى فعل ربك ثم حذف المضاف عن مقاتل وقيل معناه ألم تعلم فيكون من رؤية القلب عن الزجاج وذكر أن هذا على القلب وتقديره ألم تر إلى الظل كيف مدّه ربك يعني الظل من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس عن ابن عباس والضحاك

وسعيد بن جبير وجعله ممدوداً لأنه لا شمس معه كما قيل في ظل الجنة ممدوداً إذا لم تكن معه الشمس وقال أبو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفيء من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوعها فيكون الظل بالليل لأنه ظل الأرض عن الجبائي والبلخي ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ أي مقيماً دائماً لا يزول ولا تنسخه الشمس يقال فلان يسكن بلد كذا إذا أقام به فهو مثل قوله سبحانه قل أرأيتم إن جعل الله عليكم سرمداً إلى يوم القيامة الآية في المعنى وفي هذا اشارة الى أنه قادر على تسكين الشمس حتى يبقى الظل ممدوداً بخلاف ما يقوله الفلاسفة ﴿ثم جعلنا الشمس عليه﴾ أي على الظل ﴿دليلاً﴾ قال ابن عباس تدل الشمس على الظل بمعنى أنه لولا الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة وكل الأشياء تعرف بأضدادها وقيل معناه ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً بإذهابها إياه عند مجيئها عن ابن زيد وقيل لأن الظل يتبع الشمس في طوله وقصره كما يتبع السائر الدليل فإذا ارتفعت الشمس قصر الظل وإذا انحطت الشمس طال الظل وقيل ان على هنا بمعنى مع فالمعنى ثم جعلنا الشمس مع الظل دليلاً على وحدانيتنا ﴿ثم قبضناه الينا قبضاً يسيراً﴾ أي قبضنا الظل بارتفاع الشمس لأن الشمس كلما تعلو ينقص الظل فجعل سبحانه ذلك قبضاً وأخبر أن ذلك يسير بمعنى أنه سهل عليه لا يعجزه قال الكلبي إذا طلعت الشمس قبض الله الظل قبضاً خفياً والمعنى ثم جمعنا أجزاء الظل المنبسط بتسليط الشمس عليه حتى ننسخها شيئاً فشيئاً وقيل معناه ثم قبضنا الظل بغروب الشمس الينا أي إلى الموضع الذي حكمنا بكون الظل فيه. قبضاً يسيراً أي خفياً وإنما قيل ذلك لأن الظل لا يذهب بغروب الشمس دفعة بل يذهب جزءاً فجزاً بحدوث الظلام فكلما حدث جزء من الظلام نقص جزء من الظل ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾ أي غطاء ساتراً للأشياء بالظلام كاللباس الذي يشتمل على لابسه فالله سبحانه ألبسنا الليل وغشانا به لنسكن ونستريح من كدّ الأعمال كما قال في موضع آخر لتسكنوا فيه ﴿والنوم سباتاً﴾ أي راحة لأبدانكم وقطعاً لأعمالكم قال الزجاج السبات ان ينقطع عن الحركة والروح في بدنه ﴿وجعل النهار نشوراً﴾ لانتشار الروح باليقظة فيه مأخوذ من نشور البعث وقيل لأن الناس ينتشرون فيه لطلب حوائجهم ومعايشهم فيكون النشور هنا بمعنى التفرق لابتغاء الرزق عن ابن عباس ﴿وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ مضى الكلام فيه في سورة الأعراف ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ أي طاهراً في نفسه ومطهّراً لغيره مزيلاً للأحداث والنجاسات ﴿لنحيي به بلدة ميتاً﴾ قد مات بالجدب وأراد بالبلدة البلد أو المكان فلذلك قال ميتاً بالتذكير والمعنى لنحيي بالمطر بلدة ليس فيها نبت قال ابن عباس لنخرج به النبات والثمار ﴿ونسقيه مما خلقنا أنعاماً﴾ أي ولنسقي من ذلك

الماء انعاماً جمة أو نجعله سقياً لأنعام ﴿وأناسي كثيراً﴾ اي أناساً كثيرة ﴿ولقد صرفناه﴾ اي صرفنا المطر بينهم يدور في جهات الأرض وقيل قسمناه بينهم يعني المطر فلا يدوم على مكان فيهلك ولا ينقطع عن مكان فيهلك ويزيد لقوم وينقص لآخرين على حسب المصلحة ﴿ليذكروا﴾ أي ليتفكروا ويستدلّوا به على سعة مقدورنا ولأنه لا يستحق العبادة غيرنا ﴿فأبى اكثر الناس إلا كفوراً﴾ أي جحوداً لما عدّدناه من النعم وانكاراً فيقولون مطرنا بنوء كذا وكذا عن عكرمة وقيل فأبوا إلا كفوراً بالبعث والنشور .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم
بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ
فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ
قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ
الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾
قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ
سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ
وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ
فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا
الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي لما يأمرنا بالياء والباقون بالتاء .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ بالتاء قال انهم تلقوا امر النبي ﷺ إياهم بالرد وزادهم امره إياهم بالسجود نفوراً عما أمروا به ومن قرأ بالياء فالمعنى أنسجد لما يأمرنا محمد بالسجود على وجه الانكار منهم لذلك ولا يكون أنسجد لما يأمرنا الرحمن بالسجود له لأنهم أنكروا الرحمن تعالى بقولهم وما الرحمن وأقول اذا جعلت ما بمعنى الذي على ما ذكره فالتقدير أنسجد لما يأمرنا بالسجود له وترتيب الحذف فيه على الوجه الذي تقدَّم بيانه في قوله سبحانه فاصدع بما تؤمر فلا وجه لإعادته[1] وإن جعلت ما مصدرية فإنك لا تحتاج إلى حذف شيء ويكون تقديره أنسجد لأمرك أو لأمره .

[اللغة] أصل المرج الخلط ومنه أمر مريج أي مختلط وفي الحديث مرجت عهودهم أي اختلطت ومرجت الدابة وأمرجتها إذا خليتها ترعى وعذب الماء عذوبة فهو عذب والفرات اعذب المياه يقال فرت الماء يفرت فروتة فهو فرات إذا عذب والملح الاجاج الشديد الملوحة والنسب ما يرجع الى ولادة قريبة والصهر خلطة تشبه النسب القرابة والمصاهرة في النكاح المقاربة وفي الحديث كان يؤسّس مسجد قبا فيصهر الحجر العظيم إلى بطنه أي يدنيه يقال صهره وأصهره .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[الإعراب] هذا عذب فرات مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال وكذلك قوله وهذا ملح اجاج بالعطف عليه وذو الحال احد البحرين مبشراً ونذيراً نصب على الحال من شاء نصب على الاستثناء والمستثنى منه الكاف والميم في أسألكم وان يتخذ في موضع نصب بأنه مفعول شاء الذي خلق السماوات والأرض في موضع جرّ تقديره وتوكَّل على الحي الذي لا يموت خالق السماوات والأرض ويحتمل أن يكون في موضع نصب او رفع على المدح والثناء على تقدير أعني الذي خلق أو هو الذي خلق والرحمن بالرفع القراءة وورد عن بعضهم في الشواذ بالجر ففي الرفع وجوه (أحدها) الابتداء وخبره فاسأل به عن الزجاج وفيه نظر لأن الفاء إنما يجوز في خبر ما فيه الألف واللام إذا جاز فيه معنى الشرط ولا يصحّ ذلك هنا (والثاني) ان يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو الرحمن (والثالث) ان يكون بدلاً من الضمير المستكن في استوى (والرابع) أن يكون فاعل استوى واما الجر فعلى ان يكون صفة وتقديره وتوكل على الحي الخالق الرحمن ونفوراً مفعول ثان لزاد .

---

(١) راجع المجلد الثالث

[المعنى] ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ ينذرهم ولكن بعثناك يا محمد إلى القرى كلها رسولاً لعظيم منزلتك لدينا والنذير هو الداعي إلى ما يؤمن معه الخوف من العقاب وقيل انه اخبار عن قدرته سبحانه والمعنى لو شئنا لقسمنا بينهم النذر كما قسمنا الأمطار بينهم ولكنا نفعل ما هو الأصلح لهم والأعود عليهم في دينهم ودنياهم فبعثناك إليهم كافة ﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما يدعونك إليه من المداهنة والاجابة إلى ما يريدون ﴿وجاهدهم﴾ في الله ﴿به﴾ أي بالقرآن عن ابن عباس ﴿جهاداً كبيراً﴾ أي تاماً شديداً وفي هذا دلالة على أن من أجلّ الجهاد وأعظمه منزلة عند الله سبحانه جهاد المتكلمين في حلّ شبه المبطلين وأعداء الدين ويمكن أن يتأول عليه قوله رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أي أرسلهما في مجاريهما وخلاهما كما يرسل الخيل في المرج وهما يلتقيان فلا يختلط الملح بالعذب ولا العذب بالملح وهو قوله ﴿هذا﴾ يعني احد البحرين ﴿عذب فرات﴾ أي طيب شديد الطيب ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة وقيل الفرات البارد والأجاج الحار وقيل الاجاج المُرّ عن قتادة ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ أي حجاباً وحاجزاً من قدرة الله تعالى يمنعها من الاختلاط ﴿وحجراً محجوراً﴾ أي حراماً محرماً أن يفسد الملح العذب ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ أي خلق من النطفة إنساناً وقيل أراد به آدم (ع) فإنه خلق من التراب الذي خلق من الماء وقيل أراد به أولاد آدم فإنهم المخلوقون من الماء ﴿فجعله نسباً وصهراً﴾ أي فجعله ذا نسب وصهر والصهر حرمة الختونة وقيل النسب الذي لا يحلّ نكاحه والصهر النسب الذي يحلّ نكاحه كبنات العم والخال عن الفراء وقيل النسب سبعة أصناف والصهر خمسة ذكرهم الله في قوله ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ عن قتادة والضحاك وقد تقدّم بيانه في سورة النساء وقيل النسب البنون والصهر البنات اللاتي يستفيد الإنسان بهن الاصهار فكأنه قال فجعل منه البنين والبنات وقال ابن سيرين نزلت في النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب زوّج فاطمة (ع) علياً (ع) فهو ابنَ عمه وزوج ابنته فكان نسباً وصهراً ﴿وكان ربك قديراً﴾ أي قادراً على ما أراد ثم أخبر سبحانه عن الكفار فقال ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرُّهم﴾ من الأصنام والأوثان ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ الظهير العون والمعين أي معيناً للشيطان على ربه بالمعاصي عن الحسن ومجاهد وقال الزجاج لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله فإن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان وقيل ظهيراً أي هيناً كالمطرح من قولهم ظهر فلان بحاجته إذا جعلها خلف ظهره فلم يلتفت إليها واستهان بها والظهير بمعنى المظهور وهو المتروك المستخف به ومنه قوله ﴿واتخذتموه ورائكم ظهرياً﴾ والأول أوجه وقالوا عنى بالكافر أبا جهل ﴿وما

أرسلناك﴾ يا محمد ﴿إلا مبشراً﴾ بالجنة ﴿ونذيراً﴾ من النار وقد سبق معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ما أسئلكم عليه﴾ أي على القرآن وتبليغ الوحي ﴿من أجر﴾ تعطونيه ﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بإنفاقه ما له في طاعة الله واتباع مرضاته والمعنى إني لا أسالكم لنفسي أجراً ولكني لا أمنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله سبحانه بل ارغب فيه وأحثُّ عليه وفي هذا تأكيد لصدقه لأنه لو طلب على تبليغ الرسالة أجراً لقالوا إنما يطلب اموالنا ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ أي فوِّض أمورك إليه فإنه ينتقم لك ولو بعد حين فإنه الحي الذي لا يموت فلن يفوته الانتقام ﴿وسبِّح بحمده﴾ أي أحمده منزهاً له عما لا يجوز عليه في صفاته بأن تقول الحمد لله رب العالمين الحمد لله على نعمه وإحسانه الذي لا يقدر عليه غيره الحمد لله حمداً يكافيء نعمه في عظيم المنزلة وعلةّ المرتبة وما أشبه ذلك وقيل معناه وأعبده وصلّ له شكراً منك له على نعمه ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ أي عليماً فيحاسبهم ويجازيهم بها فحقيق بهم أن يخافوه ويراقبوه ﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما﴾ أي ما بين هذين الصنفين ﴿في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن﴾ قد سبق تفسيره في سورة الاعراف ﴿فسئل به خبيراً﴾ اختلف في تأويله فقيل ان المعنى فاسأل عنه خبيراً والباء بمعنى عن والخبير ههنا هو الله تعالى عن ابن جريج وأنشد في قيام الباء مقام عن قول علقمة بن عبدة

فَإِنْ تَسْأَلُوني بِالنِّسَاءِ فَإِنَّني ... خَبِيرٌ بِأَغْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ وَجَدْنَهُ ... وَشَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ(١)
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ فِي وُدِّهِنَّ نَصِيبُ

وقول الأخطل

دَعِ الْمُعَمَّرَ لَا تَسْأَلْ بِمَصْرَعِهِ ... وَاسْأَلْ بِمَصْقَلَةَ الْبَكْرِيِّ مَا فَعَلَا

وقيل ان الخبير هنا محمد ﷺ والمعنى ليسأل كل منكم عن الله تعالى محمداً فإنه الخبير العارف به قيل ان الباء على أصلها والمعنى فاسأل بسؤالك أيها الانسان خبيراً يخبرك بالحق في صفته ودلَّ قوله فاسأل على السؤال كما قالت العرب من كذب كان شراً له أي كان الكذب شراً له ودلَّ عليه كذب وقد مرَّ ذكر أمثاله وقيل ان الباء فيه مثل الباء في قولك لقيت بفلان ليثاً إذا وصفت شجاعته ولقيت به غيثاً إذا وصفت سماحته والمعنى أنك إذا رأيته رأيت

(١) الثراء كثرة المال. وشرخ الشباب اوله .

الشيء المشبه به والمعنى فاسأله عنه فإنه لخبير به وروي أن اليهود حكوا عن ابتداء خلق الأشياء بخلاف ما أخبر الله تعالى عنه فقال سبحانه فاسأل به خبيراً قال نفطويه أي سلني عنه فإنك تسأل بسؤالك [1] خبيراً ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي لهؤلاء المشركين ﴿اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ أي وأيّ شيء الرحمن والمعنى أنا لا نعرف الرحمن قال الزجاج الرحمن اسم من أسماء الله عزَّ اسمه مذكور في الكتب الأولى ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله فقيل لهم انه من اسماء الله ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة لأن فعلان من ابنية المبالغة تقول رجل ريان وعطشان في النهاية من الري والعطش وفرحان وجذلان إذا كان في النهاية من الفرح والجذل ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ مرَّ تفسيره ﴿وزادهم نفوراً﴾ أي زادهم ذكر الرحمن تباعداً من الإيمان عن مقاتل والمعنى انهم ازدادوا عند ذلك نفوراً عن الحق وقبول قول النبي ﷺ.

[النظم] وجه اتصال الآية بما قبلها أن فيها اخبار انه سبحانه أفرده بالارسال مراعاة لحسن التدبير في تمييزه بالاكرام والإجلال لعلمه بما فيه من الخلال الموجبة في الحكمة إرساله إلى الخلق على غاية الكمال فعلى هذا يتعلق بقوله ولقد صرَّفناه بينهم ليذَّكروا ثم ذكر من التصريف للآيات بقوله وهو الذي مرج البحرين ما يدلُّ على وحدانيته وكمال قدرته ثم عجب سبحانه من اعراضهم عن الآيات مع وضوحها وظهورها ومقابلتهم لنعمه بالكفران بقوله ويعبدون من دون الله الآية ثم بيَّن انه أراد بتصريف الآيات الخير والإحسان بقوله وما أرسلناك الآية ثم بيَّن انه لا يسألهم عليه أجراً لئلا ينفروا عنه ثم بيَّن سبحانه أنه كما لا يسألهم أجراً أنه يتوكل عليه في أمره ويفوّض إليه علم المصالح فيما كلّفه ثم هدَّد سبحانه عباده بقوله وكفى به بذنوب عباده خبيراً فإنه إذا لم يذهب عليه ذنوبهم لا يذهب عليه جزاؤهم.

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ
فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾
وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

(١) [لباقي].

ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾
وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ
يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ
مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ
وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم سُرُجاً بضمتين من غير ألف والباقون سراجاً وقرأ حمزة وخلف أن يَذْكُرَ خفيفاً والباقون يَذَّكَّر بتشديدتين وقرأ أهل المدينة وابن عامر يقتروا بضم الياء وقرأ أهل الكوفة بفتح الياء وضم التاء وقرأ أهل البصرة وابن كثير بفتح الياء وكسر التاء وقرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب وسهل يضعف له العذاب بالتشديد والجزم ويخلد بالجزم وقرأ ابن عامر يضعف بالتشديد والرفع ويخلد بالرفع وقرأ أبو بكر يضاعف بالألف والرفع ويخل بالرفع وقرأ نافع وأبو عمرو وأهل الكوفة إلا أبا بكر يضاعف بالألف والجزم ويخلد بالجزم وقرأ ابن كثير وحفص فيهي مهاناً بإشباع كسرة الهاء وذلك مذهب ابن كثير في جميع القرآن ووافقه حفص في هذا الموضع فقط وقرأ يبدل الله بسكون الباء البرجمي عن أبي بكر مختلفاً عنه والباقون بالتشديد .

[الحجة] من قرأ سراجاً فحجته قوله وجعل فيها سراجاً.ومن قرأ سرجاً فحجته قوله ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ فشبهت الكواكب بالمصابيح كما شبهت المصابيح بالكواكب في قوله الزجاجة كأنها كوكب دري وإنما المصباح الزجاجة في المعنى وقد سبق

القول في يذكر ويَذْكُرَ فيما مضى والإقتار خلاف الايسار قال الشاعر :

لَكُمْ مَسْجِدَ اللّه المزوران والْحَصىٰ لَكُمْ قِبْصُهُ مِنْ بَيْنِ أثرىٰ وَأقْتَرا(١)

تقديره من بين رجل أثرى ورجل اقترا فأقام الصفة مقام الموصوف ومثله في التنزيل ومن أهل المدينة مردوا على النفاق قال أبو علي يجوز أن يكون على قبيل مردوا مثل قوله ومن آياته يريكم البرق واما قَتَر يَقْتِرُ ويَقْتُرُ فمثل عكف يعكفُ ويعكِف وعرش يعرُش ويعرِش فمن ضمَّ الياء أراد لم يُقْتِروا في انفاقهم لأن المسرف مشرف على الإقتار ومن فتح الياء فالمعنى لم يضيقوا في الانفاق ومن قرأ يضاعف بالجزم جعله بدلاً من الفعل الذي هو جزاء الشرط وهو قوله يلق اثاماً وذلك ان تضعيف العذاب هو لقي جزاء الاثام في المعنى ومثله قول الشاعر

إنْ يَجْبُنُوا أو يغدروا أو يَنْخَلُوا لا يَحْفِلُوا يَغدو عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

فغدوهم مرجلين في المعنى ترك الاحتفال وقد أبدل من الشرط كما أبدل من الجزاء وذلك في قول الشاعر

مَتىٰ تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنا في دِيارِنا تَجِدْ حطباً جَزلاً ونَاراً تَأَجَّجا(٢)

فأبدل تلمم من تأتنا لأن الإلمام اتيان في المعنى قال أبو علي ومثل حذف الجزاء الذي هو مضاف في المعنى في قوله يلق اثاماً اي جزاء اثام قوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم المعنى من جزاء ما كسبوا وقال أبو عبيدة يلق أثاماً أي عقوبة وأنشد لمسافع الليثي

جزى اللّهُ ابنَ عرْوةَ حَيْثُ أمْسىٰ عَقُوقاً والْعُقُوقُ لَهُ أثامُ

قال وابن عروة رجل من ليث كان دلَّ عليهم ملكاً من غسان فأغار عليهم قال أبو علي ويمكن ان يكون هذا من قول بشر :

---

(١) قائله الكميت. وأراد من قوله « مسجد الله » مسجد مكة ومسجد المدينة « والحصى » أراد به العدد العديد من الاهل والتبع. والقبص بمعنى العدد الكثير من الناس والضمير في قبصه يعود الى الحصى يقال ان بني فلان لفي قبص الحصى .

(٢) الشعر في جامع الشواهد .

فَكَانَ مَقَامُنَا نَدعو عَلَيْهِم بِأَسْفَلِ ذِي المَجازِ لَهُ أُثَامُ (١)

ومن رفع يضاعف ويخلد قطعه عما قبله واستأنف واما يضاعف ويضعف فهما في المعنى سواء وكذلك ويبدِّل ويبدل .

[اللغة] قال أبو عبيدة الخلفة كل شيء بعد شيء الليل خلفة النهار والنهار خلفة الليل لأن احدهما يخلف الآخر قال زهير

بِهَا الْعَيْنُ والآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطلاؤُها ينهضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ (٢)

والهون مصدر الهين في السكينة والوقار والغرام اشد العذاب وهو اللازم الملحّ ومنه الغريم لملازمته والحاحه وفلان مغرم بالنساء أي ملازم لهن لا يصبر عنهن قال بشر بن أبي حازم

ويَوْمُ النِّسَارِ ويَومُ الْجِفَارِ كَانَا عَذَاباً وَكَانَا غَرَاما(٣)

وقال آخر

إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَاماً وَإِنْ يُعْطِ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لا يُبَالِي

[الإعراب] الذين يمشون خبر المبتدأ الذي هو عباد الرحمن ويجوز أن يكون خبره أولئك يجزون الغرفة ويكون الذين يمشون صفة العباد وهوناً في موضع الحال وسلاماً نصب على المصدر بفعل محذوف وتقديره فتسلم منكم سلاماً لا نجاهلكم كأنهم قالوا تسلما منكم . ومستقراً ومقاماً منصوبان على التمييز والمخصوص بالذم محذوف وتقديره ساءت مستقراً جهنم وكان بين ذلك قواماً أي كان الانفاق ذا قوام بين الاسراف والاقتار فقوله بين ذلك تبيين لقوام وان شئت علقته بنفس كان وان شئت علقته بخبر كان أي ثابتاً بين ذلك فيكون خبراً بعد خبر .

[المعنى] ثم مدح سبحانه نفسه بأن قال ﴿تبارك﴾ وقد مرّ معناه في أول السورة

---

(١) في اللسان « بابطع ذي المجاز» . وذو المجاز موضع سوق خلف العرفة بفرسخ كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام .

(٢) هذا بيت من معلقته الشهيرة يصف داراً . وبها العين اي البقر العين فحذف الموصوف . والعين جمع عيناء واسعة العين . والآرام جمع ريم الظبي الأبيض والاطلاء جمع طلا ولد الظبية . والجثوم القعود .

(٣) النسار والجفار موضعان وقعت فيهما حروب للعرب .

﴿الذي جعل في السماء بروجاً﴾ يريد منازل النجوم السبعة السيارة التي هي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وهي اثنا عشر برجاً الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وقيل هي النجوم الكبار عن الحسن ومجاهد وقتادة وسميت بروجاً لظهورها ﴿وجعل فيها سراجاً﴾ يعني الشمس ومن قرأ سُرُجاً أراد الشمس والكواكب معها ﴿وقمراً منيراً﴾ أي مضيئاً بالليل إذا لم تكن شمس ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾ أي يخلف كل واحد منهما صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه فمن فاته عمل الليل استدركه بالنهار ومن فاته عمل النهار استدركه بالليل وهو قوله لمن أراد أن يذكر عن عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) قال تقضي صلاة النهار بالليل وصلاة الليل بالنهار وقيل معناه انه جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه فجعل احدهما اسود والآخر أبيض عن مجاهد ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ أي يتفكر ويستدل بذلك على ان لهما مدبّراً ومصرّفاً لا يشبههما ولا يشبهانه فيوجّه العبادة اليه ﴿أو أراد شكوراً﴾ يقال شكر يشكر شكراً وشكوراً أي أراد شكر نعمة ربه عليه فيهما وعلى القول الأول فمعناه أو أراد النافلة بعد اداء الفريضة ﴿وعباد الرحمن﴾ يريد أفاضل عباده وهذه اضافة التخصيص والتشريف كما يقال ابني من يطيعني أي ابني الذي انا عنه راض ويكون توبيخاً لأولاده الذين لا يطيعونه ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ أي بالسكينة والوقار والطاعة غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين ولا مفسدين عن ابن عباس ومجاهد وقال أبو عبد الله (ع) هو الرجل يمشي بسجيته التي جبل عليها لا يتكلف ولا يتبختر وقيل معناه حلماء علماء لا يجهلون وان جهل عليهم عن الحسن وقيل اعفاء اتقياء عن الضحاك ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ بما يكرهونه أو يثقل عليهم ﴿قالوا﴾ في جوابه ﴿سلاماً﴾ أي سداداً من القول لا يقابلونهم بمثل قولهم من الفحش عن مجاهد وقيل سلاماً أي قولاً يسلمون فيه من الاثم أو سلموا عليهم دليله قوله وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم وقال قتادة كانوا لا يجاهلون اهل الجهل وقال ابن عباس لا يجهلون مع من يجهل قال الحسن هذه صفة نهارهم إذا انتشروا في الناس وليلهم خير ليل إذا خلوا فيما بينهم وبين ربهم يراوحون بين أطوافهم وهو قوله ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ قال الزجاج كل من أدركه الليل فقد بات نام أو لم ينم والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة ساجدين وقائمين طالبين لثواب ربهم فيكونون سُجّداً في مواضع السجود وقياماً في مواضع القيام ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً﴾ أي يدعون بهذا القول وغراماً أي لازماً مُلحّاً دائماً غير مفارق ﴿إنها ساءت

مستقراً ومقاماً﴾ أي إن جهنم بئس موضع قرار واقامة هي ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ واختلف في معنى الاسراف فقيل هو النفقة في المعاصي والاقتار الامساك عن حق الله تعالى عن ابن عباس وقتادة وقيل السرف مجاوزة الحد في النفقة والاقتار التقصير عما لا بد منه عن إبراهيم النخعي وروي عن معاذ انه قال سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال من أعطى في غير حق فقد أسرف ومن منع عن حق فقد قتر وروي عن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة انه قال ليس في المأكول والمشروب سرف وان كثر ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ أي وكان انفاقهم بين الاسراف والاقتار لا اسرافاً يدخلون به في حد التبذير ولا تضييقاً يصيرون به في حد المانع لما يجب وهذا هو المحمود والقوام من العيش ما أقامك وأغناك وقيل القوام بالفتح وهو العدل والاستقامة وبالكسر ما يقوم به الأمر ويستقر عن تغلب وقال أبو عبد الله (ع) القوام هو الوسط وقال (ع) أربعة لا يستجاب لهم دعوة رجل فاتح فاه جالس في بيته فيقول يا رب ارزقني فيقول له ألم آمرك بالطلب ورجل كانت له امرأة يدعو عليها يقول يا رب أرحني منها فيقول ألم أجعل أمرها بيدك ورجل كان له مال فأفسده فيقول يا رب ارزقني فيقول ألم آمرك بالاقتصاد ورجل كان له مال فأدانه بغير بينة فيقول ألم آمرك بالشهادة ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ أي لا يجعلون لله سبحانه شريكاً بل يوجّهون عبادتهم اليه وحده ﴿ولا يقتلون النفس التي حرّم الله﴾ أي حرّم الله قتلها ﴿إلا بالحق﴾ والنفس المحرم قتلها نفس المسلم والمعاهد والمستثناة قتلها نفس الحربي ومن يجب قتلها على وجه القود والارتداد أو للزناء بعد الإحصان وللسعي في الأرض بالفساد ﴿ولا يزنون﴾ والزنا هو الفجور بالمرأة في الفرج وفي هذا دلالة على أن اعظم الذنوب بعد الشرك القتل والزنا وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما بالإسناد عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله ﷺ أيُّ الذنب أعظم قال ان تجعل لله نداً وهو خلقك قال قلت ثم أيُّ قال ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال قلت ثم أيُّ قال ان تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر الآية ﴿ومن يفعل ذلك﴾ قال مقاتل هذه الخصال جميعاً ﴿يلق أثاماً﴾ أي عقوبة وجزاء لما فعل قال الفراء اثمه الله يأثمه إثماً واثاماً أي جزاه جزاء الإثم وقال الشاعر

وَهَلْ يأثمني اللّهُ في أنْ ذَكَرْتُها ... وَعَلَّلْتُ أصْحابي بِها لَيْلَةَ النَّفْرِ[1]

(١) قائله صعيب بن الاسود. يعني هل يجزيني الله جزاء اثمي بأن ذكرت هذه المرأة في غنائي وليلة النفر ليلة الخروج من منى الى مكة.

وقيل ان اثاماً اسم واد في جهنم عن عبد الله بن عمر وقتادة ومجاهد وعكرمة ثم فسّر سبحانه لقي الأثام بقوله ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ يريد سبحانه مضاعفة اجزاء العذاب لا مضاعفة الاستحقاق لأنه تعالى لا يجوز ان يعاقب بأكثر من الاستحقاق لأن ذلك ظلم وهو منفي عنه وقيل معناه انه يستحق على كل معصية منها عقوبة فيضاعف عليه العقاب وقيل المضاعفة عذاب الدنيا وعذاب الآخرة عن قتادة ﴿ويخلد فيه مهاناً﴾ أي ويدوم في العذاب مستحقاً به وإنما قال ذلك لأنه عزَّ اسمه قد يوصل الآلام إلى بعض المكلفين لا على وجه الاستخفاف والاهانة فبيّن أنه يوصل العقاب إليهم على وجه الاهانة ثم استثنى من جملتهم التائب بقوله ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ قال قتادة إلا من تاب من ذنبه وآمن بربه وعمل عملاً صالحاً فيما بينه وبين ربه قال والتبديل في الدنيا طاعة الله بعد عصيانه وذكر الله بعد نسيانه والخير يعمله بعد الشر وقيل يبدلهم الله بقبائح اعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام بالشرك إيماناً وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصاناً عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل ان معناه أن يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة عن سعيد بن المسيب ومكحول وعمرو بن ميمون واحتجّوا بالحديث الذي رواه مسلم في الصحيح مرفوعاً إلى أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ونحّوا عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا كذا وكذا كذا وهو مقرٌّ لا ينكر وهو مشفق من الكبائر فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول أن لي ذنوباً ما أراها هاهنا قال ولقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ﴿وكان الله غفوراً﴾ أي ساتراً لمعاصي عباده ﴿رحيماً﴾ أي منعماً عليهم بالرحمة والفضل .

﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟
كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا
وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا
قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا

صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ
مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ
كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

[القراءة] قرأ أبو عمرو وأهل الكوفة غير حفص وذريتنا والباقون ذرياتنا على الجمع وقرأ يلقون بفتح الياء والتخفيف أهل الكوفة غير حفص والباقون يُلقّون بضم الياء والتشديد وفي قراءة اهل البيت (ع) واجعل لنا من المتقين اماماً والقراءة المشهورة واجعلنا للمتقين اماماً وفي قراءة ابن عباس وابن الزبير فقد كذب الكافرون .

[الحجة] قال أبو علي الذرية تكون واحدة وتكون جمعاً فمن قرأ وذريتنا على الافراد فإنه أراد به الجمع فاستغنى عن جمعه لما كان جمعاً ومن جمع فكما يجمع هذه الأسماء التي تدل على الجمع نحو قوم وأقوام وجاء في الحديث صواحبات يوسف وحجة من قرأ ويُلَقّون قوله ولقّاهم نضرة وسروراً وحجة من خفف فسوف يلقون غياً ومن قرأ فقد كذب الكافرون ترك لفظ الحضور الى الغيبة الا ترى ان قبله قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم .

[اللغة] القُرَّة مصدر يقال قرَّت عينه قرة ويكون من القرور وهو برد العين عند السرور ويكون أيضاً من استقرارها عند السرور وقوله اماماً مصدر من أمّ فلان فلاناً اماماً كما قيل قام قياماً وصام صياماً ولذلك وحدَّه هنا من جمع اماماً فقال ائمة فَلأنه قد كثر في معنى الصفة وقيل انه إنما وحَّد لأنه جاء على الجواب كقول القائل من أميركم فيقول المجيب هؤلاء اميرنا قال الشاعر .

يا غاذلاتي لا تُرِدْنَ مَلامَتِي إنَّ العَواذِلَ لَسْنَ لي بِأَمِيرِ[1]

وقيل إنما وحّد لأن المعنى واجعل كل واحد منا اماماً فاجمل فالمعنى معنى التفصيل وقال الزجاج تأويل ما يعبؤ بكم أي وزن يكون لكم عنده كما يقال ما عبأت بفلان أي ما كان له عندي وزن ولا قدر وأصل العبء في اللغة الثقل وقيل اصله من تهيئة الشيء يقال عبئت الطيب اعبؤ عباً إذا هيأته قال الشاعر يصف أسداً

(١) الشعر في جامع الشواهد.

كَأَنَّ بِنَحْرِهِ وَبِمَنْكَبَيْهِ عَبِيراً، بَاتَ تَعْبَأُهُ عَرُوسُ[1]

أي تهيئه وعبأت الجيش بالتشديد والتخفيف إذا هيّأته وما اعبؤ به أي لا أهيء به أمراً .

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿ ومن تاب ﴾ أي أقلع عن معاصيه وندم عليها ﴿ وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ﴾ أي يرجع إليه مرجعاً عظيماً جميلاً وفرّق علي بن عيسى بين التوبة إلى الله والتوبة من القبيح لقبحه بأنّ التوبة إلى الله تقتضي طلب ثوابه وليس كذلك التوبة من القبيح لقبحه فعلى هذا يكون المعنى من عزم على التوبة من المعاصي فإنه ينبغي أن يوجّه توبته إلى الله بالقصد إلى طلب جزائه ورضائه عنه فإنه يرجع إلى الله فيكافيه وقيل معناه من تاب وعمل صالحاً فقد إنقطع إلى الله فاعرفوا ذلك له فإن من إنقطع إلى خدمة بعض الملوك فقد أحرز شرفاً فكيف المنقطع إلى الله سبحانه ثم عاد سبحانه إلى وصف عباده المخلصين فقال ﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾ أي لا يحضرون مجالس الباطل ويدخل فيه مجالس الغناء والفحش والخناء وقيل الزور الشرك عن الضحاك قال الزجاج الزور في اللغة الكذب ولا كذب فوق الشرك بالله وقيل الزور أعياد أهل الذمة كالسعانين[2] وغيرها عن محمد بن سيرين وقيل هو الغناء عن مجاهد وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) وقيل يعني شهادة الزور عن علي بن أبي طلحة فيكون المراد أنهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في السوق وأصل الزور تمويه الباطل بما يوهم أنه حق ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾ واللغو المعاصي كلها أي مرّوا به مرّ الكرماء الذين لا يرضون باللغو لأنهم يجلون عن الدخول فيه والإختلاط بأهله عن الحسن والكلبي والتقدير إذا مرّوا بأهل اللغو وذوي اللغو مرّوا منزّهين أنفسهم معرضين عنهم فلم يجاروهم فيه ولم يخوضوا معهم في ذلك فهذه صفة الكرام يقال تكرم فلان عما يشينه إذا تنزّه وأكرم نفسه عنه وقيل مرورهم كراماً هو أن يمرّوا بمن يسبّهم فيصفحون عنه وبمن يستعين بهم على حقّ فيعينونه وقيل هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنوا عنه عن أبي جعفر (ع) ومجاهد وأصل اللغو هو الفعل الذي لا فائدة فيه ولهذا يقال للكلمة التي لا تفيد لغو وليس المراد به القبيح فإن فعل الساهي والنائم لغو وليس بحسن ولا قبيح إلا ما يتعدّى إلى الغير على الخلاف فيه ﴿ والذين إذا ذكروا

---

(١) العبير: الزعفران .

(٢) السعانين: عيد معروف للنصارى قبل عيدهم الكبير بأسبوع كما قاله ابن الأثير .

بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صمّاً وعمياناً ﴾ أي إذا وعظوا بالقرآن والأدلة التي نصبها الله لهم نظروا فيها وتفكّروا في مقتضاها ولم يقعوا عليها صمّاً كأنهم لم يسمعوها وعمياناً كأنهم لهم يروها لكنهم سمعوها وأبصروها وانتفعوا بها وتدبّروا لها قال الحسن كم من قارىء يقرؤها فخرَّ عليها أصم وأعمى وقال الأخفش لم يخرُّوا عليها أي لم يقيموا وقال ابن قتيبة لم يتغافلوا عنها كأنهم صمٌّ لم يسمعوها وعمي لم يروها ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ أي إجعل أزواجنا وذرياتنا قرة أعين بأن نراهم يطيعون الله عن الحسن وقيل معناه إرزقنا من أزواجنا أولاداً ومن ذريتنا أعقّاباً قرة أعين أي أهل طاعة تقرُّ بهم أعيننا في الدنيا بالصلاح وفي الآخرة بالجنة ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ أي إجعلنا ممن يقتدي بنا المتقون طلبوا العزَّ بالتقوى لا بالدنيا وقيل معناه إجعلنا نأتم بمن قبلنا حتى يأتم أي يقتدي بنا من بعدنا وعلى هذا فيجوز أن يكون اللام في اللفظ في المتقين وفي المعنى في نا والتقدير واجعل المتقين لنا إماماً ومثله قول الشاعر « كأنّا رَعْنُ قُفٍّ يَرْفَعُ الآلا »[1] والتقدير يرفعه الآل ثم أخبر سبحانه عن جميع هذه الأوصاف فقال ﴿ أولئك يجزون الغرفة ﴾ أي يثابون الدرجة الرفيعة في الجنة ﴿ بما صبروا ﴾ على أمر ربهم وطاعة نبيهم وعلى مشاقّ الدنيا وصعوبة التكليف وقيل هي غرف الزبرجد والدر والياقوت عن عطا والغرفة في الأصل بناء فوق بناء وقيل الغرفة إسم لأعلى منازل الجنة وأفضلها كما أنها في الدنيا أعلى المساكن ﴿ ويلقون فيها تحية وسلاماً ﴾ أي تتلقاهم الملائكة فيها بالتحية وهي كل قول يسرُّ به الإنسان وبالسلام بشارة لهم بعظيم الثواب وقيل التحية الملك العظيم والسلام جميع أنواع السلامة وقيل التحية البقاء الدائم وقال الكلبي يُحَيِّي بعضهم بعضاً بالسلام ويرسل إليهم الرب بالسلام ﴿ خالدين ﴾ أي مقيمين ﴿ فيها ﴾ من غير موت ولا زوال ﴿ حسنت ﴾ الغرفة ﴿ مستقراً ومقاماً ﴾ أي موضع قرار واستقامة ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ ما يعبؤ بكم ربي ﴾ أي ما يصنع بكم ربي عن مجاهد وابن زيد وقيل ما يبالي بكم ربي عن أبي عمرو بن العلاء وما لا يعبؤ به فوجوده وعدمه سواء ﴿ لولا دعاؤكم ﴾ أي لولا دعاؤه إياكم إلى الدين والإسلام عن ابن عباس فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول والمعنى قل للمشركين ما يفعل بكم ربي أي أيُّ نفع له فيكم وأيُّ ضرر يعود إليه من عدمكم وأيُّ قدر لكم عند الله حتى يدعوكم إلى الإيمان لكن الواجب في الحكمة دعاؤكم إلى الدين وإرسال الرسول وقد فعل وقيل معناه لولا عبادتكم له وإيمانكم به وتوحيدكم إياه عن الكلبي ومقاتل والزجاج فيكون الدعاء بمعنى

(١) عجز بيت للنابغة . وصدره « حتى لحقنا بهم تعدى فوارسنا ». والرعن : الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً . والقف : ما ارتفع من الأرض وغلظ . والآل : السراب .

العبادة وفي هذا دلالة على أن من لا يعبد الله ولا يطيعه فلا وزن له عند الله وقيل معناه ما يعبؤ بعذابكم ربي لولا دعاء بعضكم بعضاً إلى الشرك والشرّ عن البلخي ودليله ما يفعل الله بعذابكم الآية وقيل معناه لولا دعاؤكم له إذا مسّكم ضرٌّ أو أصابكم سوء رغبة له وخضوعاً له وروى العياشي بإسناده عن يزيد بن معاوية العجلي قال قلت لأبي جعفر (ع) كثرة القراءة أفضل أم كثرة الدعاء أفضل قال كثرة الدعاء أفضل وقرأ هذه الآية فقد كذبتم الخطاب لأهل مكة أي أن الله دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته ﴿ فقد كذبتم ﴾ يا معاشر الكفار الرسول ﴿ فسوف يكون لزاماً ﴾ أي فسوف يكون عقابه لتكذيبكم إياه لازماً لكم قال صخر الغي :

فَإِمَّا يَنْجُوا مِنْ حَتْفِ أَرْضِي فَقَدْ لَقِيَا حُتُوفَهُمَا لِزَاماً[1]

أي أنه واقع لا محالة قال الزجاج تأويله فسوف يكون تكذيبكم لزاماً يلزمكم فلا تعطون التوبة وتلزمكم به العقوبة وقال أبو عبيدة لزاماً فيصلا وقيل في تفسير اللزام أنه القتل يوم بدر عن ابن مسعود وأبي بن كعب وقيل هو عذاب الآخرة وقال أبو ذؤيب في اللزام :

فَفَاجَأَهُ بِعَادِيَةٍ لِزَامٍ كَمَا يَتَفَجَّرُ الْحَوْضُ اللَّقِيفُ[2]

فلزام بمعناه كثيرة يلزم بعضها بعضاً ولقيف متساقط متهدم وبالله التوفيق .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الحتف: الموت .

(٢) العادية: جماعة القوم يعدون للقتال. يصف كثرة الجيش وشبهها بحوض متهدم يتفجر الماء من جوانبه .



مكية كلها غير قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الآيات إلى آخر السورة فإنها نزلت بالمدينة .

[عدد آيها] مائتان وسبع وعشرون آية كوفي وشامي والمدني الأول وست في الباقين .

[إختلافها] أربع آيات طسم كوفي فلسوف تعلمون غير الكوفي ما كنتم تعبدون غير البصري وما تنزلت به الشياطين عراقي شامي والمدني الأول .

[فضلها] أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بنوح (ع) وكذّب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم (ع) وبعدد من كذّب بعيسى (ع) وصدّق بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطيت سورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه وطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصلة نافلة وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ الطواسين الثلاث في ليلة الجمعة كان من أولياء الله وفي جواره وكنفه وأسكنه الله في جنة عدن وسط الجنة مع النبيين والمرسلين والوصيين الراشدين ولم يصبه في الدنيا بؤس أبداً وأعطي في الآخرة من الأجر الجنة حتى يرضى وفوق رضاه وزوّجه الله مائة حوراء من الحور العين .

[تفسيرها] ذكر الله سبحانه في مختتم سورة الفرقان تكذيبهم بالكتاب وذكر في مفتتح هذه السورة وصف الكتاب فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير الأعشى والبرجمي وحفص طسم ويس وحم بالإمالة والباقون بالفتح والتفخيم وابن كثير أشد فتحاً وتفخيماً وكذلك عاصم ثم يعقوب والآخرون لا يفتحون فتحاً شديداً وقرأ أبو جعفر وحمزة بإظهار النون من سين عند الميم والآخرون يدغمون .

[الحجة] قال أبو علي تبيين النون هو الوجه لأن حروف الهجاء في تقدير الإنفصال والإنقطاع مما بعدها فإذا كان كذلك وجب تبيين النون لأنها إنما تخفى إذا اتصلت بحرف من حروف الفم فإذا لم تتصل بها لم يكن شيء يوجب إخفاءها ووجه إخفائها مع هذه الحروف أن همزة الوصل قد وصلت ولم تقطع وهمزة الوصل إنما تذهب في الدرج فلما سقطت همزة الوصل وهي لا تسقط إلا في الدرج مع هذه الحروف في ألف لام ميم الله كذلك لا يبين النون ويقدر فيها الإتصال بما قبلها ولا يقدر الإنفصال .

[الإعراب] أن لا يكونوا في محل نصب بأنه مفعول له والتقدير لأن لا يكونوا أو بأن

لا يكونوا ظلت أعناقهم في موضع جزم عطفاً على تنزل من ذكر في محل رفع ومن مزيدة وكم في موضع نصب بأنه مفعول أنبتنا وأنبتنا في موضع نصب على الحال وقد مضمرة والتقدير مثبتاً .

[المعنى] ﴿ طسم ﴾ قد بيّنا معاني هذه الحروف المقطعة في أول البقرة فلا معنى لإعادته وقال مجاهد والضحاك إن طسم وطس من أسماء القرآن وقال ابن عباس في رواية الوالبي طسم قسم وهو من أسماء الله عز وجل وقال القرطبي أقسم الله بطوله وسنائه وملكه وروي عن ابن الحنفية عن علي (ع) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت طسم قال الطاء طور سيناء وسين الاسكندرية والميم مكة وقيل الطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ تلك آيات الكتاب المبين ﴾ أشار بتلك إلى ما ليس بحاضر لكنه متوقع فهو كالحاضر لحضور المعنى في النفس والتقدير تلك الآيات التي وعدتم بها هي آيات الكتاب أي القرآن والمبين الذي يبيّن الحق من الباطل ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ أي لعلك مهلك نفسك وقاتل نفسك بأن لا يكونوا مؤمنين وبأن يقيموا على الكفر إنما قال ذلك سبحانه تسلية لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وتخفيفاً عنه بعض ما كان يصيبه من الإغتمام لذلك ﴿ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية ﴾ أي دلالة وعلامة تلجئهم وتضطرهم إلى الإيمان ﴿ فظلت أعناقهم لها ﴾ أي لتلك الآية ﴿ خاضعين ﴾ منقادين وقيل في ذلك وجوه (أحدها) إن المراد فظل أصحاب الأعناق لها خاضعين فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لدلالة الكلام عليه (وثانيها) أنه جعل الفعل أولاً للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون (وثالثها) إن الخضوع مردود إلى المضمر الذي أضيف الأعناق إليه عن الأخفش والمبرد وأبي عبيدة وأنشدوا قول جرير :

أرى مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الْهِلَالِ[1]

(ورابعها) إن المراد بالأعناق الرؤساء والجماعات يقال جاءني عنق من الناس أي جماعة (وخامسها) إنه لما وصف الأعناق بصفة ما يعقل نسب إليها ما يكون من العقلاء كما قال الشاعر :

تَمَزَّرْتُهَا وَالدِّيكُ يَدْعُو صِيَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعْشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا[2]

---

(١) السرار : آخر الشهر ليلة يستسر الهلال .

(٢) مر البيت بمعناه في صفحة ٧٤ من هذا الجزء .

وروي نادى صياحه وذكر أبو حمزة الثمالي في هذه الآية أنها صوت يسمع من السماء في النصف من شهر رمضان وتخرج له العواتق من البيوت وقال ابن عباس نزلت فينا وفي بني أمية قال سيكون لنا عليهم الدولة فتخضع لنا أعناقهم بعد صعوبتها وتلين ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ﴾ أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار أنه لا يأتيهم ذكر من الرحمن محدث أي جديد يعني القرآن كما قال أنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون وقال إن هو إلا ذكر إلا اعرضوا عن الذكر ولم يتدبّروا فيه ﴿ فقد كذبوا فسيأتيهم ﴾ فيما بعد يعني يوم القيامة ﴿ أنباء ما كانوا به يستهزؤون ﴾ وهي مفسّرة في سورة الانعام ﴿ أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج ﴾ معناه من كل نوع معه قرينه ﴿ كريم ﴾ أي حسن وقيل نافع محمود مما يحتاج إليه وقيل من كل صنف يكرم على أهله وقيل كريم مما يأكل الناس والانعام عن مجاهد وقال الشعبي الناس نبات الأرض كما قال سبحانه والله أنبتكم من الأرض نباتاً فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم ﴿ إن في ذلك لآية ﴾ أي لدلالة على وحدانيتنا وكمال قدرتنا ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ أي لا يصدّقون بذلك ولا يعترفون به عناداً وتقليداً لأسلافهم وهرباً من مشقة التكليف قال سيبويه كان هنا مزيدة ومجازه وما أكثرهم مؤمنين ﴿ وإن ربك ﴾ يا محمد ﴿ لهو العزيز ﴾ أي القادر والذي لا يعجز والغالب الذي لا يغلب ﴿ الرحيم ﴾ أي المنعم على عباده بأنواع النعم .

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾
قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾
وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ
عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا
مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ
فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى

فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا
وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ
حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾
قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ
ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ
ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ
جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ يعقوبُ ويضيقَ ولا ينطلقَ بالنصب فيهما والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة عبد الله بن مسلم بن يسار وحماد بن سلمة ألا تتقون بالتاء وقراءة الشعبي وفَعْلَتَك فِعْلَتَك .

[الحجة] من قرأ يضيقُ ولا ينطلقُ بالرفع عطف على أخاف ومن قرأ بالنصب عطف على أن يكذبون أي أخاف أن يكذبون وأن يضيق صدري ولا ينطلق لساني ومن قرأ ألا تتقون بالتاء فهو على إضمار القول أي فقل لهم ألا تتقون ومن قرأ فِعلتك بكسر الفاء فهي مثل الرِكْبة والجِلْسة تكون كناية عن الحال التي يكون عليها وقد يكون المصدر على هذه الزنة تقول نشدته بالله نِشْدة .

[الإعراب] قال الزجاج موضع إذ نصب على معنى واتلِ عليهم هذه القصة فيما تتلو والدليل عليه قوله عطفاً على هذه القصة ﴿ واتلِ عليهم نبأ إبراهيم إن اثت القوم الظالمين ﴾

موضعه نصب بأنه مفعول نادى أي ناداه بهذه الكلمة رسول رب العالمين واحد في معنى الجمع كقوله فإنهم عدوٌّ لي ويجوز أن يكون كل واحد منهما رسولاً . إن عبدت بني إسرائيل في موضع رفع لأنه بدل من نعمة تقديره وتلك نعمة تعبيدك بني إسرائيل وتركك إياي غير عبد ويجوز أن يكون في موضع نصب بأنه مفعول له أي إنما صارت نعمة لأن عبدت بني إسرائيل والمعنى لو لم تفعل ما فعلت لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم فإنما صارت نعمة لما فعلت من البلاء . فماذا تأمرون يجوز أن يكون ما في موضع رفع بالإبتداء وذا بمعنى الذي على تقدير فأيُّ شيء الذي تأمرونه ويجوز أن يكون في موضع نصب بأنه مفعول تأمرون ويكون مع ذا بمنزلة إسم واحد وتقديره أيّ شيء تأمرون .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه أقاصيص رسله تسلية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتحريضاً له على الصبر ثقة بنزول النصر وابتدأ بقصة موسى وفرعون فقال ﴿ وإذ نادى ربك ﴾ أي واذكر يا محمد واتل عليهم الوقت الذي نادى فيه ربك الذي خلقك ﴿ موسى إن أنت القوم الظالمين ﴾ هذا أمر بعد النداء وتقديره قال له يا موسى إن أنت القوم الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي وظلموا بني إسرائيل بأن ساموهم سوء العذاب ثم بين القوم الموصوفين بهذه الصفة فقال ﴿ قوم فرعون ﴾ وهو عطف بيان ﴿ ألا يتقون ﴾ إنما قاله بالياء لأنه على الحكاية ومعناه أما آن لهم أن يتقوا ويصرفوا عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته والتقوى مجانبة القبائح بفعل المحاسن وأصله صرف الأمر بحاجز بين الصارف وبينه ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ رب إني أخاف أن يكذبون ﴾ بالرسالة ولا يقبلوا مني والخوف إنزعاج النفس بتوقيع الضر ونقيضه الأمن وهو سكون النفس إلى خلوص النفع ﴿ ويضيق صدري ﴾ بتكذيبهم إيّاي ﴿ ولا ينطلق لساني ﴾ أي لا ينبعث بالكلام للعقدة التي كانت فيه وقد مرَّ بيانها وقد يتعذر ذلك لآفة في اللسان وقد يتعذر لضيق الصدر وغروب المعاني التي تطلب للكلام ﴿ فأرسل إلى هارون أخي ﴾ يعني ليعاونني كما يقال إذا نزلت بنا نازلة أرسلنا إليك أي لتعيننا وإنما طلب المعاونة حرصاً على القيام بالطاعة وقال الجبائي لم يسأل موسى (ع) ذلك إلا بعد أن أذن الله له في ذلك لأن الأنبياء لا يسألون الله إلا ما يؤذن لهم في مسألته ﴿ ولهم عليَّ ذنب ﴾ يعني قتل القبطي الذي قتله موسى (ع) أي لهم عليّ دعوى ذنب ﴿ فأخاف أن يقتلوني ﴾ خاف أن يقتلوه بتلك النفس لا لإبلاغ الرسالة فإنه علم أن الله تعالى إذا بعث رسولاً تكفل بمعونته على تبليغ رسالته ﴿ قل ﴾ الله ﴿ كلا ﴾ وهو زجر أي لا يكون ذلك ولن يقتلوك به فإني لا أسلّطهم عليك ﴿ فاذهبا ﴾ أنت وأخوك وحذف ذكر هارون وإجابة موسى إلى ما اقترحه من إرساله معه إلى فرعون لدلالة قوله فاذهبا عليه ﴿ بآياتنا ﴾ أي بدلالاتنا ومعجزاتنا

التي خصَّصناكُما بها ﴿ أنا معكم مستمعون ﴾ أي نحن نحفظكم ونحن سامعون ما يجري بينكم ومستمع هنا في موضع سامع لأن الاستماع طلب السمع بالإصغاء إليه وذلك لا يجوز عليه سبحانه وإنما أتى بهذه اللفظة لأنه أبلغ في الصفة وأؤكد وهو قوله ﴿ إني معكما أسمع وأرى ﴾ وإنما قال أنّا معكم لأنه أجراهما مجرى الجماعة ﴿ فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين ﴾ أرسلنا الله إليك لندعوك إلى عبادته وترك الإشراك به ولم يقل رسولا رب العالمين لأن الرسول قد يكون في معنى الجمع قال الهذلي :

أَلِكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُو لِ أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الْخَبَرِ[1]

أي غير الرسل وقيل إن الرسول بمعنى الرسالة كما في قوله :

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ ما بُحْتُ عِنْدَهُمْ بِسِرٍّ وَلا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ

أي برسالة وقال العباس بن مرداس :

أَلا مِنْ مُبَلِّغٍ عَنِّي خُفَافاً رَسُولاً بَيْتُ أَهْلِكَ مُنْتَهَاهَا

فأنث الرسول تأنيث الرسالة وقد يقع المصدر موقع الصفة كما تقع الصفة موقع المصدر فيكون مجازه أنا ذوا رسالة رب العالمين ﴿ أن أرسل معنا بني إسرائيل ﴾ أي أمرك الله بأن أرسلهم وأطلقهم من الاستعباد وخلِّ عنهم وفي الكلام حذف تقديره أنهما أتيا فرعون وبلغا الرسالة على ما أمرهما الله تعالى به ﴿ قال ﴾ فرعون لموسى ﴿ ألم نربك فينا ولیداً ﴾ والتربية تنشية الشيء حالاً بعد حال معناه ألم تكن فينا صبياً صغيراً فربّيناك ﴿ ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ أي أقمت سنين كثيرة عندنا وهي ثماني عشرة سنة عن ابن عباس وقيل ثلاثين سنة عن مقاتل وقيل أربعين سنة عن الكلبي وإنما قال ذلك إمتناناً عليه بإحسانه إليه وقيل أنه أظهر لؤمه حيث ذكر صنائعه ﴿ وفعلت فعلتك التي فعلت ﴾ يعني قتل القبطي ﴿ وأنت من الكافرين ﴾ لنعمتنا وحق تربيتنا عن ابن عباس وعطاء ومقاتل وقيل معناه وأنت من الكافرين بإلهك إذ كنت معناه على ديننا الذي تعيب وتقول إنه كفر عن الحسن والسدي ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ فعلتها إذا وأنا من الضالين ﴾ أي فعلت هذه الفعلة وأنا من الجاهلين لم أعلم بأنها تبلغ القتل وقيل معناه من الناسين عن ابن زيد وقيل من الضالين عن العلم بأن ذلك يؤدّي إلى قتله عن الجبائي وقيل من الضالين عن طريق الصواب لأني ما تعمدته وإنما وقع مني خطأ كمن يرمي طائراً فيصيب إنساناً وقيل من الضالين عن النبوة أي لم يوح إلي تحريم قتله

(١) قوله الكني إليها أي كن رسولي وتحمل رسالتي إليه .

﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ أي ذهبت من بينكم حذراً على نفسي إلى مدين لما خفتكم أن تقتلوني بمن قتلته ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ أي نبوة وقيل إن الحكم العلم بما تدعو إليه الحكمة وهو الذي وهبه الله تعالى لموسى من التوراة والعلم بالحلال والحرام وسائر الأحكام ﴿ وجعلني من المرسلين ﴾ أي نبياً من جملة الأنبياء ﴿ وتلك نعمة تمنُّها عليَّ إن عبدت بني إسرائيل ﴾ يقال عبده واعبده إذا إتخذه عبداً وقيل في معناه أقوال (أحدها) أن فيه إعترافاً بأن تربيته له كانت نعمة منه على موسى وإنكاراً للنعمة في ترك إستعباده ويكون ألف التوبيخ مضمراً فيه فكأنه يقول أو تلك نعمة تمنها علي إن عبدت بني إسرائيل ولم تعبدني (وثانيها) إنه إنكار للمنة أصلاً ومعناه أتمنّ عليَّ بأن ربّيتني مع استعبادك قومي هذه ليست بنعمة يريد أنَّ إتخاذك بني إسرائيل الذين هم قومي عبيداً أحبط نعمتك التي تمنّ بها عليَّ (وثالثها) إن معناه إنك لو كنت لا تستعبد بني إسرائيل ولا تقتل أبناءهم لكانت أمّي مستغنية عن قذفي في اليم فكأنك تمتن عليَّ بما كان بلاؤك سبباً له عن الزجاج وزاد الأزهري لهذا بياناً فقال إن فرعون لما قال لموسى (ع) ألم نربك فينا وليداً فاعتد عليه بأن رباه وليداً منذ ولد إلى أن كبر فكان من جواب موسى (ع) له تلك نعمة تعتد بها عليَّ لأنك عبدت بني إسرائيل ولو لم تعبدهم لكفلني أهلي فلم يلقوني في اليم فإنما صارت لك علي نعمة لما أقدمت عليه مما حظره الله عليك (ورابعها) إن فيه بيان أنه ليس لفرعون عليه نعمة لأن الذي تولى تربيته أمه وغيرها من بني إسرائيل بأمر فرعون لما استعبدهم فيكون معناه أنك تمنّ عليَّ بأن استعبدت بني إسرائيل حتى ربوني وحفظوني عن الجبائي ﴿ قال فرعون وما رب العالمين ﴾ أي أيُّ جنس رب العالمين الذي تدعوني إلى عبادته ﴿ قال ﴾ موسى في جوابه ﴿ رب السماوات والأرض ﴾ أي مبدعهما ومنشئهما وخالقهما ﴿ وما بينهما ﴾ من الحيوان والجماد والنبات ﴿ إن كنتم موقنين ﴾ بأن الرب من كان بهذه الصفة أو موقنين بأن هذه الأشياء محدثة وليست من فعلكم والمحدث لا بدَّ له من محدث ولم يشتغل موسى لجواب ما سأله فرعون لأن الله تعالى ليس بذي جنس بل اشتغل ببيان ربوبيته وصفاته وبيان الحجة الدالة عليه من خلقه الذي يعجز المخلوقون عن مثله ﴿ قال ﴾ فرعون ﴿ لمن حوله ألا تستمعون ﴾ يريد ألا تستمعون مقالة موسى عن ابن عباس وقيل معناه ألا تصغون إليه وتفهمون ما يقوله معجباً من قوله وإنما عجب فرعون من حوله من جوابه لأنه طلب منه أيُّ أجناس الأجسام هو جهلاً منه بالتوحيد لأنه لو كان كأحد أجناس الأجسام لكان محدثاً كسائر الأجسام التي هي من جنسه لحلول الحوادث فيه ودلَّه موسى على الله بدلالة أفعاله التي بها يجب أن يستدل عليه تعالى فقال فرعون إنظروا إلى هذا أسأله عن شيء فيجيب عن غيره فجرى موسى (ع) على عادته

في الرفق وتأكيد الحجة وتكريرها ﴿ قال ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ وإنما ذكره تأييداً لما قبله وتوكيداً له فإن فرعون كان يدَّعي الربوبية على أهل عصره دون من قبله فبيَّن إن المستحق للربوبية من هو رب أهل كل عصر ومالك تدبيرهم فعند ذلك ﴿ قال ﴾ فرعون إذ لم يقدر على جواب لكلام موسى (ع) يموه عليهم ﴿ إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾ لأني أسأله عن ماهية رب العالمين فيجيبني عن غير ذلك كما يفعل المجنون فعند ذلك لم يشتغل موسى (ع) بالجواب عما نسبه إليه.من الجنون ولكن إشتغل بتأكيد الحجة والزيادة في الإبانة بأن ﴿ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾ ذلك وتدبرونه وقيل إن كنتم تعلمون أنه إنما يستحق العبادة من كان بهذه الصفة فلما طال على فرعون الاحتجاج من موسى ﴿ قال ﴾ مهدداً له ﴿ لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾ أي من المحبوسين قالوا وكان إذا سجن أحداً لم يخرجه حتى يموت فلما توعده بالسجن ﴿ قال أولو جئتك بشيء مبين ﴾ معناه أتسجنني ولو جئتك بأمر ظاهر تعرف به صدقي وكذبك وحجة ظاهرة تدل على نبوتي.

﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ
بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾
يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ
ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ
أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ

ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟
حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾
فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ
سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾
قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ
ٱلسِّحْرَ ۚ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ
وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾

[المعنى] ﴿ قال ﴾ فرعون لموسى ﴿ فأت به إن كنت من الصادقين ﴾ أي هات ما إدّعيت من المعجزات إن كنت صادقاً ﴿ فألقى ﴾ حينئذ موسى ﴿ عصاه فإذا هي ثعبان ﴾ أي حيّة عظيمة وقيل الثعبان الذكر من الحيات ﴿ مبين ﴾ ثعبان لا شبهة فيه ﴿ ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ﴾ أي وأخرج يده من كمه أو جيبه على ما روي فإذا هي بيضاء بياضاً نورياً كالشمس في إشراقها للناظرين إليها ﴿ قال ﴾ فرعون ﴿ للملأ ﴾ الأشراف من قومه ﴿ حوله إن هذا ﴾ يعني موسى ﴿ لساحر عليم ﴾ بالسحر والحيل ﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم ﴾ ودياركم ويتغلب عليها ﴿ بسحره فماذا تأمرون ﴾ في بابه وإنما شاور قومه في ذلك مع أنه كان يقول لهم أنه إلّه لأنه يجوز أن يكون ذهب عليه وعلى قومه إن الإلّه لا يجوز أن يشاور غيره كما ذهب عليهم إن الإلّه لا يجوز أن يكون جسماً محتاجاً فاعتقدوا إلّهيته مع ظهور حاجته ﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ قد مرّ تفسيره واختلاف القراء فيه في سورة الأعراف ﴿ وأبعث في المدائن حاشرين ﴾ يحشرون الناس من جميع البلدان ﴿ يأتوك بكل سحار عليم ﴾ وفي الكلام حذف تقديره أنه أنفذ الحاشرين في البلدان فحشروهم ﴿ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴾ أي لوقت يوم بعينه اختاروه وعيّنوه وهو يوم عيدهم يوم الزينة ﴿ وقيل للناس ﴾ أي لأهل مصر ﴿ هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ﴾ لموسى وأخيه ﴿ فلما جاء السحرة ﴾ وحضروا بين يدي فرعون ﴿ قالوا ﴾ له ﴿ أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين ﴾ أي هل لنا أجرة وجزاء على غلبتنا إياه إن نحن غلبناه ﴿ قال ﴾ فرعون

﴿ نعم ﴾ لكم على ذلك الأجر الجزيل ﴿ وإنكم ﴾ مع ما تعطون من الجزاء والأجر ﴿ إذا لمن المقربين ﴾ والمقرب المدني من مجلس الكرامة ﴿ قال لهم ﴾ أي للسحرة ﴿ موسى ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ هذا بصورة الأمر والمراد به التحدي ﴿ فألقوا حبالهم وعصيهم ﴾ أي طرحوا ما كان معهم من الحبال والعصي ﴿ وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ﴾ والعزة القوة التي يمتنع بها من لحاق ضيم لعلو منزلتها وهذا القول قَسَمٌ منهم وإن كان غير مبرور ﴿ فألقى ﴾ عند ذلك ﴿ موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ﴾ أي أن العصا تتناول جميع ما موَّهوا به في أوجز مدة من الزمان ﴿ فألقي السحَرَة ساجدين ﴾ لما بهرهم ما أظهره موسى (ع) من قلب العصا حية وتلقفها جميع ما أتعبوا به نفوسهم فيه وعلموا إن ذلك من عند الله إذ أحد من البشر لا يقدر عليه ﴿ قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ﴾ فعند ذلك ﴿ قال ﴾ فرعون مهدّداً لهم ﴿ آمنتم ﴾ أي صدّقتم له فيما يدعو إليه ﴿ قبل أن آذن لكم ﴾ أي أنا في تصديقه ﴿ أنه لكبيركم ﴾ أي أستاذكم وعالمكم ﴿ الذي علّمكم السحر فلسوف تعلمون ﴾ فيما بعد ما أفعله بكم عقوبة لكم على تصديقكم إياه ثم فسَّر ذلك بقوله ﴿ لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴾ يعني قطع اليد من جانب والرجل من الجانب الآخر كقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ ولأصلبنكم أجمعين ﴾ مع ذلك على الجذوع ولا أترك أحداً منكم لا تناله عقوبتي ﴿ قالوا ﴾ في جوابه عن ذلك ﴿ لا ضير ﴾ أي لا ضرر علينا فيما تفعله يقال ضاره يضيره ضيراً وضرَّه يضرُّه ضرراً ﴿ إنا إلى ربنا منقلبون ﴾ أي إلى ثواب ربنا راجعون فيجازينا على إيماننا وصبرنا بالنعيم الدائم الذي لا ينقضي ولا يضرّنا قطعك وصلبك فإنه ألم ساعة عن قريب ينقضي قال الحسن لم يصل فرعون إلى قتل واحد منهم ولا قطعه وقيل إن أول من قطع الأيدي والأرجل فرعون .

﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾
* وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ
فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾
وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم
مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ

وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا
ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ
رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ
فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ
ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا
ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وأهل الكوفة حاذرون بالألف والباقون بغير ألف وقرأ فاتبعوهم موصولة الألف مشدّدة التاء زيد عن يعقوب وقرأ الباقون فاتبعوهم بقطع الألف وسكون التاء وقرأ حمزة ونصير عن الكسائي وخلف ترىء الجمعان بكسر الراء والباقون بفتحها وفي الشواذ قراءة ابان بن تغلب إن كنا أول المؤمنين بكسر الهمزة من أن وقراءة ابن أبي عامر حادرون بالدال غير المعجمة وقراءة الأعرج وعبيد بن عمير إنا لمدّركون بتشديد الدال وقراءة عبد الله بن الحرث وأزلقنا بالقاف .

[الحجة] قال أبو علي قال أبو عبيدة رجل حَذِر وحَذُر وحاذر قال ابن أحمر :

هَلْ يَنْسَأَنْ يَوْمِي إِلَىٰ غَيْرِهِ أَنِّي حَوَالِي وَأَنِّي حَذِر

حوالي أي ذو حيلة وقال العباس بن مرادس :

وَإِنِّي حَاذِرٌ أَنِّي سِلَاحِي إِلَىٰ أَوْصَالِ ذِيَّالٍ مَنِيع[1]

ووجه إمالة الحركة على الراء من تراثى أن قياسه أن يكون تراآى في الموقف مثال تراعى فأمال فتحة الراء لإمالة فتحة الهمزة التي أميلت ليميل الألف نحو الياء كما قالوا رأى

(١) فرس ذيال أي طويل القد . وقيل طويل الذنب . والأوصال بمعنى المفاصل .

أمالوا فتحة الراء لإمالة فتحة الهمزة فإن قيل فإذا وصل وقيل تراه الجمعان فهلا لم يجز إمالة الفتحة التي على الراء لأنه إذا كان إمالتها لإمالة فتحة الهمزة وما يوجب إمالة الفتحة فقد سقط وهو الألف المنقلبة من الياء التي سقطت لإلتقاء الساكنين فإذا سقطت لم يجز إمالة فتحة الهمزة فإذا لم يجز إمالة فتحة الهمزة وجب أن لا يجوز إمالة فتحة الراء فقيل إن إمالة فتحة الراء في ترآى جائزة في الوصل مع سقوط الألف من تفاعل لإلتقاء الساكنين وما سقط الألف عن تفاعل لإلتقاء الساكنين فهو عندهم في حكم الثابت يدلُّ على ذلك قولهم « وَلا ذَاكِرَاً اللهَ إلَّا قليلاً »(١) فنصب مع سقوط التنوين لإلتقاء الساكنين كما ينصب إذا ثبت وزعم أبو الحسن أنه قد قرأ في القتلى الحر بإمالة فتحة اللام مع سقوط الألف وقال ابن جني قوله إن كنا أول المؤمنين من الكلام الذي يعتاده المستظهر المدل بما عنده يقول الرجل لصاحبه أنا أحفظه عليك إن كنت وافياً ولن يضيع لك جميل عندي إن كنت شاكراً أي فكما تعلم إن هذا معروف من حالي فثق بوفائي وشكري ومثله بيت كتاب سيبويه :

أتَغْضِبُ أنْ أُذْنا قُتَيْبَةَ حُزَّتا جِهاراً وَلَمْ تَغْضِبْ لِقَتْلِ ابْنِ حَازِمِ

فشرط بذلك وقد كان ووقع قبل ذلك وقد جاء به أبو تمام فقال :

وَمَكَارِماً عُتْقَ النِّجَارِ تَلِيدَةً إنْ كَانَ هَضْبُ عِمَايَتَيْنِ تَلِيداً(٢)

أي كما كان هضب عمايتين تليدا فكذلك هذه المكارم وأما قوله حادرون فالحادر القويّ الشديد ومنه الحادرة الشاعرة وحدر الرجل إذا قوي جسمه وامتلأ لحماً وشحماً قال الأعشى :

وَعَسِيرٍ أدْمَاءَ حَادِرَةِ العَيْنِ خَنُوفٍ عَيْرَ أنَةٍ شِمْلالِ(٣)

ويقال أدركت الشيء وأدركته بمعنى ومن قرأ وأزلفنا بالفاء فالآخرون موسى وأصحابه ومن قرأ بالقاف فالآخرون فرعون وأصحابه أي أهلكناهم .

[اللغة] سرى وأسرى لغتان وقد فرّق بينهما والشرذمة العصبة الباقية من عصب كثيرة

(١) هذا عجز بيت لابي الأسود الدئلي . وصدره « فألفيته غير مستعتب » والشعر بتمامه مذكور في جامع الشواهد . وكذا الشعر الآتي .

(٢) النجار : الأصل . وعتق جمع عتيق : الكريم . والتليد : القديم . والهضب : الجبل . وعمايتين : جبلان .

(٣) العسير : الناقة التي اعتاطت فلم تحمل سنتها . والادمة في الابل : البياض الشديد . والخنوف : الدابة التي تميل رأسها إلى فارسها في عدوها . والعيرانة : القوية . وناقة شملال : خفيفة سريعة .

وشرذمة كل شيء بقيته القليلة قال الراجز :

جَـاءَ الـشُّتَـاءُ وَقَـمِيـصِي أَخْـلاَقْ شَـرَاذِمٌ يَضْحَـكُ مِنْهَـا التُّـوَاقْ

والفرق بين الحذر والحاذر أن الحاذر الفاعل للحـذر والحذر المـطبوع على الحـذر والكنوز الأموال المخبأة في مواضع غامضة من الأرض بعضها على بعض ومنه كناز التمر وغيره مما يعبأ بعضه على بعض والمقام الموضع الذي يقـام فيه والكـريم الحقيق بإعطاء الخير الجزيل وهي صفة تعظيم في المدح واتبع فلان فلاناً وتبعـه إذا اقتفى أثره والإشـراق الـدخول في وقت شـروق الشمس ويقال شـرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضـاءت وصفت وأشرقنا دخلنا في الشروق وتراء الجمعان أي تقابلا بحيث يرى كل منهمـا صاحبـه ويقال تراءى ناراً هما إذا تقابلا وإنما جاز تثنية الجمع لأنه يقع عليه صفة التوحيد فتقول هذا جمع واحد كما تقول جملة واحدة والإدراك اللحاق يقال أدرك قتادة الحسن أي لحقه وأدرك الـزرع أي لحق ببلوغه وأدرك الغـلام أي بلغ وأدركت القـدرِ نضجت والـطود الجبـل قـال الأسود بن يعفر :

حَـلُّوا بِـأَنْـقُـرَةٍ يَـجِـيشُ عَـلَيْـهِـمُ مَـاءُ الْفُـرَاتِ يجيءُ مِنْ أَطْـوَادِ

والازدلاف الإدناء والتقريب ومنه المزدلفة[٢] أبو عبيدة أزلفنا جمعنا وليلة المزدلفة ليلة جمع قال الشاعر :

وَكُـلُّ يَـوْمٍ مَضىٰ أَوْ لَـيْلَةٍ سَـلَفَتْ فِيهَـا النُّفُـوسُ إِلىٰ الآجَـالِ تَـزْدَلِفُ

والآخر بفتح الخاء الثاني من قسمي أحد يقال نجى الله أحدهما وأهلك الآخر وبكسر الخاء هو الثاني من قسمي الأول يقال نجى الأول وهلك الآخر .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن السحرة أنهم قالوا لفرعون حين آمنوا ﴿ إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ﴾ أي ما فعلناه من السحر وغيره ﴿ أن كنا أول المؤمنين ﴾ أي لأنا كنا أول من صدَّق موسى وأقرَّ بنبوته وبما دعانا إليه من التوحيد ونفي التشبيه وقيل أنهم أول من آمن عند تلك الآية أو أول من آمن من آل فرعون لأن بني إسرائيل كانوا آمنوا به ﴿ وأوحينا

(١) قيل ان التواق في البيت: اسم ابنه . هي انقرة التي ببلاد الروم واختاره الحموي في المعجم وفيه « نزلوا بأنقرة يسيل عليهم » بدل المصراع الأول .

(٢) [قال] .

إلى موسى أن أسر بعبادي ﴾ سبق تفسيره في سورة طه ﴿ إنكم متبعون ﴾ بتبعكم فرعون وجنوده ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرض مصر ﴿ فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ﴾ يحشرون إليه الناس ويجمعون له الجيوش ليقبضوا على موسى وقومه لمّا ساروا بأمر الله عز وجل فلما حضروا عنده ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ إن هؤلاء ﴾ يعني أصحاب موسى ﴿الشرذمة قليلون ﴾ أي عصابة من الناس قليلة قال الفراء يقال عصبة قليلة وقليلون وكثيرة وكثيرون قال المفسرون وكان الشرذمة الذين قلّلهم فرعون ستمائة ألف ولا يحصى عدد أصحاب فرعون ﴿ وإنهم لنا لغائظون ﴾ يقال غاظه واغتاظه وغيظه إذا أغضبه أي أنّهم غاظونا لمخالفتهم إيانا في الدين ثم لخروجهم من أرضنا على كره منا وذهابهم بالحلى الذي استعاروها وخلوصهم من استعبادنا ﴿ وإنا لجميع حاذرون ﴾ أي خائفون شرّهم وحاذرون أي مؤدّون مقوون أي ذوو أداة وقوة مستعدّون شاكون في السلاح وقال الزجاج الحاذر المستعد والحذر المتيقظ ثم أخبر سبحانه عن كيفية إهلاكهم بقوله ﴿ فأخرجناهم ﴾ يعني آل فرعون ﴿ من جنات ﴾ أي بساتين ﴿ وعيون ﴾ جارية فيها ﴿ وكنوز ﴾ أي أموال مخبأة وخزائن ودفاين ﴿ ومقام كريم ﴾ أي منابر يخطب عليها الخطباء عن ابن عباس وقيل هو مجالس الأمراء والرؤساء التي كان يحفّ بها الاتباع فيأتمرون بأمرهم وقيل المنازل الحسان التي كانوا مقيمين فيها في كرامة وقيل يريد مرابط النخيل لتفرد الرؤساء بارتباطها عدة وزينة فصار مقامها أكرم مقام متروك ﴿ كذلك ﴾ أي كما وصفنا لك أخبارهم ﴿ وأورثناها بني إسرائيل ﴾ وذلك إن الله سبحانه ردَّ بني إسرائيل إلى مصر بعدما أغرق فرعون وقومه وأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والعقار والمساكن والديار ﴿ فاتبعوهم مشرقين ﴾ يعني قوم فرعون أدركوا موسى وأصحابه حين شرقت الشمس وظهر ضوؤها وذلك قوله ﴿ فلما تراء الجمعان ﴾ أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه ﴿ قال أصحاب موسى إنا لمدركون ﴾ أي سيدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا بهم ﴿ قال ﴾ موسى ثقة بنصر الله تعالى ﴿ كلا ﴾ لن يدركونا ولا يكون ما تظنّون فانتهوا عن هذا القول ﴿ إن معي ربي ﴾ بنصره ﴿سيهدين﴾ أي سيرشدني إلى طريق النجاة وقيل سيكفيني عن السدي ﴿ فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر ﴾ وهو نهر النيل ما بين أيلة ومصر وقيل هو بحر قلزم ما بين اليمن ومكة إلى مصر وفيه حذف أي فضرب ﴿ فانفلق ﴾ أي فانشق البحر وظهر فيه إثنا عشر طريقاً وقام الماء عن يمين الطريق ويساره كالجبل العظيم وذلك قوله ﴿ فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ أي فكان كل قطعة من البحر كالجبل العظيم والفرق الاسم لما إنفرق والفرق مصدر ﴿ وأزلفنا ثم الآخرين ﴾ أي قربنا إلى البحر فرعون وقومه حتى أغرقناهم عن

ابن عباس وقتادة وقيل معناه جمعنا في البحر فرعون وقومه عن أبي عبيدة وقيل معناه وقرّبناهم إلى المنية لمجيء وقت هلاكهم ﴿ وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ﴾ يعني بني إسرائيل أنجينا جميعهم من الغرق والهلاك ﴿ ثم أغرقنا الآخرين ﴾ فرعون وجنوده ﴿ إن في ذلك لآية ﴾ معناه إن في فرق البحر وإنجاء موسى وقومه وإغراق فرعون وقومه لَدلالة واضحة على توحيد الله وصفاته التي لا يشاركه فيها غيره ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ معناه أنهم مع هذا السلطان الظاهر والبرهان الباهر والمعجز القاهر ما آمن أكثرهم فلا تستوحش يا محمد من قعود قومك عن الحق الذي تأتيهم به وتدلّهم عليه فقد جروا على عادة أسلافهم في إنكار الحق وقبول الباطل ﴿ وإن ربك لهو العزيز ﴾ في سلطانه ﴿ الرحيم ﴾ بخلقه وقيل العزيز في انتقامه من أعدائه الرحيم في أنجائه من الهلاك لأوليائه وقيل أنه لم يؤمن من أهل مصر غير آسية امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون ومريم التي دلّت على عظام يوسف .

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ
لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾
أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ
يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ
ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى
خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا
مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ
أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا
وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾

وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ
وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾
فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾
قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾
إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا
لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً
فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

[اللغة] الأقدم الموجود قبل غيره ومثله الأول والأسبق والقد وجود الشيء لا إلى أول والتبريز الإظهار يقال أبرزه وبرَّزه فبرز يبرز بروزاً والغاوي العامل بما يوجب الخيبة من الثواب كبكبوا أصله كببوا إلا أنه ضوعف بتكرير الفاء أي دهدهوا وطرح فيها بعضهم على بعض جماعة جماعة والحميم القريب الذي تودّه ويودُّك .

[الإعراب] هل يسمعونكم أصله أن يتعدى إلى ما كان صوتاً مسموعاً تقول سمعت كلامك فإن وقع على جوهر تعدّى إلى مفعولين ولا يكون الثاني منهما إلا صوتاً كقولك سمعت زيداً يقرأ ولا يجوز سمعت زيداً يقوم لأن القيام لا يكون مسموعاً وقوله ﴿ هل يسمعونكم إذ تدعون ﴾ على حذف المضاف والتقدير هل يسمعون دعاءكم فحذف المضاف

ودلَّ عليه قوله إذ تدعون . إلا رب العالمين إستثناء منقطع ويجوز أن يكون غير منقطع على تقدير فإن جميع ما عبدتم عدوٌ لي إلا رب العالمين وقد عبدوا مع الله تعالى الأصنام . إلا من أتى الله الموصول والصلة في محل النصب على البدل من مفعول ينفع المحذوف تقديره يوم لا ينفع أحداً مال ولا بنون إلا من أتى الله ويجوز أيضاً أن يكون منصوباً على الإستثناء . هم فيها مبتدأ وخبر . يختصمون في موضع نصب على الحال ويجوز أن يكون يختصمون خبر المبتدأ وفيها يتعلق به فيكون منصوباً بإضمار أن في جواب التمني .

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿ واتل عليهم ﴾ يا محمد ﴿ نبأ إبراهيم ﴾ أي خبر إبراهيم فإنه شجرة الأنبياء وبه إفتخار العرب وفيه تسلية لك وعظة لقومك ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ﴾ على وجه الإنكار عليهم ﴿ ما تعبدون ﴾ أي أيُّ شيء تعبدون من دون الله ﴿ قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ﴾ أي فنظل لها مُصَلّين عن ابن عباس وقيل معناه فنقيم على عبادتها مداومين ﴿ قال ﴾ إبراهيم ﴿ هل يسمعونكم ﴾ أي هل يسمعون دعاءكم ﴿ إذ تدعون ﴾ معناه هل يستجيبون دعاءكم إذا دعوتموهم ﴿ أو ينفعونكم ﴾ إذا عبدتموهم ﴿ أو يضرون ﴾ إن تركتم عبادتها وفي هذا بيان إن الدين إنما يثبت بالحجة ولولا ذلك لم يحاجّهم إبراهيم (ع) هذا الحجاج ﴿ قالوا بل وجدنا آبائنا كذلك يفعلون ﴾ وهذا أخبار عن تقليدهم آباءهم في عبادة الأصنام ﴿ قال ﴾ ابراهيم (ع) منكراً عليهم التقليد ﴿ أفرأيتم ما كنتم تعبدون ﴾ أي الذي كنتم تعبدونه من الأصنام ﴿ أنتم ﴾ الآن ﴿ وآباؤكم الأقدمون ﴾ أي المتقدمون أي والذين كان آباؤكم يعبدونهم وإنما دخل لفظة كان لأنه جمع بين الحال والماضي ﴿ فإنهم عدوٌ لي ﴾ معناه إن عبادة الأصنام مع الأصنام عدوٌ لي إلا أنه غلب ما يعقل وقيل أنه يعني الأصنام وإنما قال فإنهم فجمعها جمع العقلاء لما وصفها بالعداوة التي لا تكون إلا من العقلاء وجعل الأصنام كالعدو في الضرر من جهة عبادتها ويجوز أن يكون قال فإنهم لأنه كان منهم من يعبد الله مع عبادته الأصنام فغلب ما يعقل ولذلك إستثنى فقال ﴿ إلا رب العالمين ﴾ إستثناء من جميع المعبودين قال الفراء أنه من المقلوب والمعنى فإني عدوٌ لهم ومن عاديته فقد عاداك ثم وصف رب العالمين فقال ﴿ الذي خلقني ﴾ وأخرجني من العدم إلى الوجود ﴿ فهو يهديني ﴾ أي يرشدني إلى ما فيه نجاتي وقيل الذي خلقني لطاعته فهو يهديني إلى جنته ﴿ والذي هو يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفيني ﴾ معناه أنه يرزقني ما أتغذى به ويفعل ما يصحُّ بدني ﴿ والذي يميتني ثم يحييني ﴾ أي يميتني بعد أن كنت حيّاً ويحييني يوم القيامة بعد أن أكون ميتاً ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ أي يوم الجزاء وإنما قال ذلك على سبيل الإنقطاع منه إلى الله تعالى لا على سبيل أنَّ له خطيئة

يحتاج إلى أن يغفر له يوم القيامة لأن عندنا لا يجوز أن يصع من الأنبياء شيء من القبائح وعند جميع أهل العدل وإن جوّزوا عليهم الصغائر فإنها تقع عندهم محبطة مكفرة فليس شيء منها غير مغفور فيحتاج إلى أن يغفر يوم القيامة وقيل معناه أطمع أن يغفر لمن يشفعني فيه فأضافه إلى نفسه كقوله سبحانه لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر وإنما قال وإذا مرضت فأضاف المرض إلى نفسه وإن كان من الله إستعمالاً لحسن الأدب فإن المقصود شكر نعمة الله تعالى ولو كان المقصود بيان القدرة لأضافه إلى الله تعالى ونظيره قول الخضر (ع) فأردت أن أعيبها ثم قال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما وإنما حذف الياءات لأنه رؤوس الآيات وهذا الكلام من إبراهيم (ع) إنما صدر على وجه الإحتجاج على قومه والإخبار بأنه لا يصلح للإلهية إلا من فعل هذه الأفعال ثم حكى الله عنه أنه سأله وقال ﴿ رب هب لي حكماً ﴾ والحكم بيان الشيء على ما تقتضيه الحكمة وقيل إنه العلم عن ابن عباس يعني علماً إلى علم وفقهاً إلى فقه وقيل إنه النبوة عن الكلبي ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾ أي بمن قبلي من النبيين في الدرجة والمنزلة وقيل معناه إفعل بي من اللطف ما يؤدّيني إلى الصلاح والإجتماع مع النبيين في الثواب وفي هذا دلالة على عظم شأن الصلاح وهو الإستقامة على ما أمر الله تعالى به ودعا إليه ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ أي ثناء حسناً في آخر الأمم وذكراً جميلاً وقبولاً عاماً في الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة فأجاب الله سبحانه دعاه فكل أهل الأديان يثنون عليه ويقرّون بنبوته والعرب تضع اللسان موضع القول على الإستعارة لأن القول يكون بها وكذلك يسمون اللغة لساناً قال الأعشى باهلة :

إنّي أتَتْني لِسَانٌ لا أُسَرُّ بِهَا مِنْ عَلْوَ لا عَجَبٌ منهـا ولا سخـر

وقيل إن معناه واجعل لي ولد صدق في آخر الأمم يدعو إلى الله ويقوم بالحق وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ واجعلني من ورثة جنة النعيم ﴾ أي من الذين يرثون الفردوس ﴿ واغفر لأبي أنه كان من الضالين ﴾ أي من الذاهبين عن الصواب في اعتقاده ووصفه بأنه ضال يدلُّ على أنه كان كافراً كفر جهالة لا كفر عناد وقد ذكرنا الوجه في إستغفار إبراهيم لأبيه في سورة التوبة ﴿ ولا تحزني يوم يبعثون ﴾ أي لا تفضحني ولا تعيرني بذنب يوم تحشر الخلائق وهذا الدعاء كان منه (ع) على وجه الإنقطاع إلى الله تعالى لما بيّنا أن القبيح لا يجوز وقوعه من الأنبياء (ع) ثم فسّر ذلك اليوم بأن قال ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴾ أي لا ينفع المال والبنون أحداً إذ لا يتهيأ لذي المال أن يفتدي من شدائد ذلك اليوم

به ولا يتحمل من صاحب البنين بنوه شيئاً من معاصيه ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ من الشرك والشك عن الحسن ومجاهد وقيل سليم من الفساد والمعاصي وإنما خصّ القلب بالسلامة لأنه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد من حيث أن الفساد بالجارحة لا يكون إلا عن قصد بالقلب الفاسد وروي عن الصادق (ع) أنه قال هو القلب الذي سلم من حب الدنيا ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾ أي قربت لهم ليدخلوها ﴿ وبرزت الجحيم للغاوين ﴾ أي أظهرت وكشف الغطاء عنها للضالين عن طريق الحق والصواب ﴿ وقيل لهم ﴾ في ذلك اليوم على وجه التوبيخ ﴿ أينما كنتم تعبدون من دون الله ﴾ من الأصنام والأوثان وغيرهما وإنما وُبّخوا بلفظ الاستفهام لأنه لا جواب لهم عن ذلك إلا بما فيه فضيحتهم ﴿ هل ينصرونكم ﴾ بدفع العذاب عنكم في ذلك اليوم ﴿ أو ينتصرون ﴾ لكم إذا عوقبتم وقيل ينتصرون أي يمتنعون من العذاب ﴿ فكبكبوا فيها ﴾ أي جمعوا وطرح بعضهم على بعض عن ابن عباس وقيل نكسوا فيها على رؤوسهم عن السدي ﴿ هم ﴾ يعني الآلهة التي تعبدونها ﴿ والغاوون ﴾ أي والعابدون والمعنى إجتمع المعبودون من دون الله والعابدون لها في النار ﴿ وجنود إبليس أجمعون ﴾ أي وكبكب معهم جنود إبليس يريد من إتبعه من ولده وولد آدم ﴿ قالوا وهم فيها يختصمون ﴾ أي قال هؤلاء وهم في النار يخاصم بعضهم بعضاً ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسوّيكم برب العالمين ﴾ وإن هذه هي المخففة من الثقيلة أي إنا كنا في ضلال ومعناه لقد كنا في ضلال عن الحق بيّن وذهاب عن الصواب ظاهر إذ سوّيناكم بالله وعدلناكم به في توجيه العبادة إليكم ﴿ وما أضلنا إلا المجرمون ﴾ أي إلا أولونا الذين إقتدينا بهم عن الكلبي وقيل إلا الشياطين عن مقاتل وقيل الكافرون الذين دعونا إلى الضلال ثم أظهروا الحسرة فقالوا ﴿ فما لنا من شافعين ﴾ يشفعون لنا ويسألون في أمرنا ﴿ ولا صديق حميم ﴾ أي ذي قرابة يهمّه أمرنا والمعنى ما لنا من شفيع من الأباعد ولا صديق من الأقارب وذلك حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون وفي الخبر المأثور عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن الرجل يقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله تعالى أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي في النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وروى العياشي بالإسناد عن حمران بن أعين عن أبي عبد الله (ع) قال والله لنشفعن لشيعتنا والله لنشفعن لشيعتنا حتى يقول الناس فما لنا من شافعين ولا صديق حميم إلى قوله ﴿ فنكون من المؤمنين ﴾ وفي رواية أخرى حتى يقول عدونا وعن ابان بن تغلب قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول إن المؤمن ليشفع يوم القيامة

لأهل بيته فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه فيقول ويرفع سبابتيه يا رب خويدمي كان يقيني الحرّ والبرد فيشفع فيه وفي خبر آخر عن أبي جعفر (ع) قال أن المؤمن ليشفع لجاره وما له حسنة فيقول يا رب جاري كان يكفُّ عني الأذى فيشفع فيه وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً ثم قالوا ﴿ فلو أن لنا كرة ﴾ أي رجعة إلى الدنيا ﴿ فنكون من المؤمنين ﴾ المصدّقين فتحلُّ لنا الشفاعة ﴿ إن في ذلك ﴾ أي فيما قصصناه ﴿ لآية ﴾ أي دلالة لمن نظر فيها واعتبر بها ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإعلام له بأن الشرّ قديم ﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ مضىَ معناه .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ
نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ * قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ
وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ
تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى
وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ
ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

[القراءة] قرأ يعقوب وأتباعك وهو قراءة ابن مسعود والضحاك وابن السميفع والفراء والباقون واتبعك .

[الحجة] يحتمل قوله واتباعك وجهين (أحدهما) أن يكون مبتدأ والأرذلون خبره والمعنى لماذا نؤمن لك وإنما إتباعك الأرذلون (والآخر) أن يكون معطوفاً على الضمير في أنؤمن أي أنؤمن نحن وإتباعك والأرذلون صفة للإتباع وجاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير توكيد لما وقع هناك من الفصل وهو قوله لك فصار طول الكلام به كالعرض من توكيد الضمير بقوله نحن والمعنى أنؤمن لك واتباعك الأرذلون فنعدُّ في عدادهم .

[اللغة] الأرذلون والأراذل السفلة وأوضاع الناس والرذل الوضيع والرذيلة نقيض الفضيلة والطرد إبعاد الشيء على وجه التنفير طرده يطرده واطرده جعله طريداً وأطرد في الباب استمر في الذهاب كالطريد والرجم الرمي بالحجارة ولا يقال للرمي بالقوس رجم ويسمى المشتوم مرجوماً لأنه يرمى بما يذم والانتهاء بلوغ الحد من غير مجاوزة إلى ما وقع عنه النهي وأصل النهاية بلوغ الحد والنهي الغدير لانتهاء الماء إليه والفتح الحكم والفتاح الحاكم لأنه يفتح على وجه الأمر بالحكم الفصل قال الشاعر :

أَلا أَبْلِغْ بَنِي أَعْيا رَسُولاً فَإِنِّي عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ

والفلك السفن يقع على الواحد والجمع والمشحون من شحنه يشحنه شحناً إذا ملأه بما يسدُّ خلله وشحن الثغر بالرجال ومنه الشحنة .

[الإعراب] ما علمي ما حرف نفي وعلمي مبتدأ وتقديره ما علمي ثبت أو حصل بما كانوا يعملون .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه حديث نوح (ع) فقال ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ دخلت التاء في كذبت والقوم مذكر لأن المراد بالقوم الجماعة أي كذبت جماعة نوح المرسلين لأن من كذب رسولاً واحداً من رسل الله فقد كذب الجماعة لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل وقال أبو جعفر (ع) يعني بالمرسلين نوحاً والأنبياء الذين كانوا بينه وبين آدم (ع) ﴿ إذ قال لهم أخوهم نوح ﴾ أي في النسب لا في الدين ﴿ ألا تتقون ﴾ عذاب الله تعالى في تكذيبي ومخالفتي ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾ على الرسالة فيما بيني وبين ربكم ﴿ فاتقوا الله ﴾ بطاعته وعبادته ﴿وأطيعوني﴾ فيما أمركم به من الإيمان والتوحيد ﴿ وما أسألكم عليه ﴾ أي على الدعاء إلى التوحيد ﴿ من أجر ﴾ من مزيدة ﴿ إن أجري ﴾ ما

جزائي وثوابي ﴿ إلا على رب العالمين ﴾ وخالق الخلائق أجمعين ثم كرّر عليهم قوله ﴿ فاتقوا الله وأطيعوني ﴾ لاختلاف المعنى لأن التقدير فاتقوا الله وأطيعوني لأني رسول أمين واتقوا الله وأطيعوني لأني لا أسألكم عليه أجراً فتخافوا تلف أموالكم به وكل واحد من هذين المعنيين يقوّي الداعي إلى قبول قول الغير ويبعد عن التهمة ﴿ قالوا أنؤمن لك ﴾ أي نصدّقك فيما تقول ﴿ واتبعك الأرذلون ﴾ أي وقد إتبعك سفلة الناس وأراذلهم وخساسهم عن قتادة وقيل يعنون المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز عن عطا وقيل يعنون الحاكة والأساكفة عن الضحاك وعلقمة والمعنى إن إتباعك أراذلنا وفقراؤنا وأصحاب الأعمال الدنية والمهن الخسيسة فلو إتبعناك لصرنا مثلهم ومعدودين في جملتهم وهذا جهل منهم لأنه ليس في إيمان الأرذلين به ما يوجب تكذيبه فإن الرذل إذا أطاع سلطانه إستحق التقرب عنده دون الشريف العاصي ﴿ قال وما علمي بما كانوا يعملون ﴾ أي ما أعلم أعمالهم وصنائعهم ولم أكلف ذلك وإنما كلفت أن أدعوهم إلى الله وقد أجابوني إليه ﴿ إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون ﴾ أي ليس حسابهم إلا على ربي الذي خلقني وخلقهم لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم ﴿ وما أنا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير مبين ﴾ أي ما أنا بالذي لا يقبل الإيمان من الذين تزعمون أنهم الأرذلون لأني لست إلا نذيراً مخوّفاً من معصية الله داعياً إلى طاعته مبيّناً لها ﴿ قالوا ﴾ له عند ذلك ﴿ لئن لم تنته يا نوح ﴾ أي إن لم ترجع عما تقوله وتدعو إليه ﴿ لتكونن من المرجومين ﴾ بالحجارة عن قتادة وقيل من المرجومين بالشتم عن الضحاك ﴿قال﴾نوح ﴿رب إن قومي كذبوني فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ أي فاقض بيننا قضاء بالعذاب لأنه قال ﴿ ونجني ومن معي من المؤمنين ﴾ أي من ذلك العذاب ﴿ فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ﴾ أي فخلّصناه ومن معه من المؤمنين في السفينة المملوءة من الناس وغيرهم من الحيوانات ﴿ ثم أغرقنا بعد ﴾ أي بعد نجاة نوح ومن معه ﴿ الباقين ﴾ أي الخارجين عن السفينة الكافرين به ﴿ إن في ذلك لآية﴾ واضحة على توحيد الله ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ وليس هذا بتكرار وإنما كل واحد في قصة على حدة فهذا ذكر آية في قصة نوح وما كان من شأنه بعد ذكر آية مما كان في قصة إبراهيم وذكر آية أخرى في قصة موسى وفرعون فبين أنه ذكر كلاً من ذلك لما فيه من الآية الباهرة ﴿ وإن ربك لهو العزيز ﴾ في إهلاك قوم نوح بالغرق ﴿ الرحيم ﴾ في إنجائه نوحاً ومن معه في الفلك .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ
هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ

وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾
وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ
جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا
تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ
أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ ۗ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو جعفر والكسائي خلق الأولين بفتح الخاء والباقون بضم الخاء واللام وفي الشواذ قراءة قتادة تُخلِدون بضم التاء وكسر اللام .

[الحجة] قال أبو علي خلق الأولين عادتهم وخلق الأولين إختلافهم وكذبهم مثل قوله ﴿ وتخلقون إفكاً ﴾ وإن هذا إلا إختلاق وخلد الشيء إذا بقي وأخلدته وخَلَّدته وأخلد إلى كذا إذا أقام عليه ولزمه وقيل أخلد الرجل إذا أبطأ عنه الشيب .

[اللغة] الريع الإرتفاع من الأرض وجمعه أرياع وريعة قال ذو الرمة :

طِرَاقُ الْخَوَافِي مُشْرِفٌ فَوْقَ رِيعَةٍ نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ[1]

(١) الطراق في الريش: ان يكون بعضها فوق بعض. والخوافي: ريشان من الجناح إذا ضم الطائر جناحيه خفيت. وترقرق: بمعنى تلألأ .

ومنه الريع في الطعام وهو إرتفاعه بالزيادة والنماء وقال أبو عبيدة الريع الطريق بين الجبلين في الإرتفاع وقيل هو الفج الواسع والمصانع مأخذ الماء جمع مصنع قال أبو عبيدة كل بناء مصنعة وقال قتادة ومجاهد المصانع هي القصور والحصون والبطش العسف قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط والجبار العالي على غيره بعظيم سلطانه وهو في صفة الله سبحانه مدح وفي صفة غيره ذمٌ لأن معناه في العبد أنه يتكلف الجبرية .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن عاد فقال ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ والتأنيث لمعنى القبيلة لأنه أراد بعاد القبيلة ﴿ إذ قال لهم أخوهم ﴾ في النسب ﴿ هود ألا تتقون ﴾ الله باجتناب معاصيه ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾ إلى قوله ﴿ رب العالمين ﴾ مرَّ تفسيره ﴿ أتبنون بكل ريع ﴾ أي بكل مكان مرتفع وقيل بكل شرف عن ابن عباس وقيل بكل طريق عن الكلبي والضحاك ﴿ آية تعبثون ﴾ أي بناء لا تحتاجون إليه لسكناكم وإنما تريدون العبث بذلك واللعب واللهو كأنه جعل بناهم ما يستغنون عنه عبثاً منعم عن ابن عباس في رواية عطا ويؤيده الخبر المأثور عن أنس بن مالك إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج فرأى قبة مشرفة فقال ما هذه قال له أصحابه هذا لرجل من الأنصار فمكث حتى إذا جاء صاحبها فسلم في الناس أعرض عنه وصنع ذلك به مراراً حتى عرف الرجل الغضب والإعراض عنه فشكا ذلك إلى أصحابه وقال والله إني لأنكر نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أدري ما حدث فيَّ وما صنعت قالوا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأى قبتك فقال لمن هذه فأخبرناه فرجع إلى قبته فسوّاها بالأرض فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فلم ير القبة فقال ما فعلت القبة التي كانت ههنا قالوا شكا إلينا صاحبها أعراضك عنه فأخبرناه فهدمها فقال إن لكل بناء يبنى وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بدَّ منه وقيل معناه أنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسائلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم عن الكلبي والضحاك وقيل إن هذا في بنيان الحمام أنكر هود عليهم إتخاذهم بروجاً للحمام عبثاً عن سعيد بن جبير ومجاهد ﴿ وتتخذون مصانع ﴾ أي حصوناً وقصوراً مشيدة عن مجاهد وقيل مأخذاً للماء تحت الأرض عن قتادة ﴿ لعلكم تخلدون ﴾ كأنكم تخلدون فيها فلا تموتون فإن هذه الأبنية بناء من يطمع في الخلود قال الزجاج معناه تتخذون مباني للخلود لا تتفكرون في الموت ﴿ وإذا بطشتم بطشتم جبارين ﴾ البطش الأخذ باليد أي إذا بطشتم بأحد تريدون إنزال عقوبة به عاقبتموه عقوبة من يريد التجبر بارتكاب العظائم كما قال إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وقيل معناه وإذا عاقبتم قتلتم فمعنى الجبار القتال على الغضب بغير حق ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ مرَّ معناه ﴿ واتقوا الذي أمدَّكم بما تعلمون ﴾ أي

أعطاكم ما تعلمون من الخير . والأمداد إتباع الثاني ما قبله شيئاً بعد شيء على إنتظام وهؤلاء أمدُّوا بأنواع من النعم وهو قوله ﴿ أمدّكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ﴾ فأعطاهم رزقهم على أدرار ﴿ إني أخاف عليكم ﴾ إن عصيتموني ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ يريد يوم القيامة وصفه بالعظم لما فيه من الأهوال العظيمة ﴿ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴾ أي أنهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا عن الكلبي والمعنى أنا لا نقبل ما تدعونا إليه على كل حال أوعظت أم سكت أي حصول الوعظ منك وارتفاعه مستويان عندنا ثم قالوا ﴿ إن هذا إلا خلق الأولين ﴾ أي ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين الذين ادَّعوا النبوة ولم يكونوا أنبياء وأنت مثلهم ومن قرأ خلق الأولين بضم الخاء فالمعنى ما هذا الذي نحن عليه من تشييد الأبنية واتخاذ المصانع والبطش الشديد إلا عادة الأولين من قبلنا وقيل معناه ما هذا الذي نحن فيه إلا عادة الأولين في أنهم كانوا يحيون ويموتون ولا بعث ولا حساب وقيل معناه ما الذي تدّعيه من النبوة والرسالة إلا عادة الأولين ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ على ما تدعيه لا في الدنيا ولا بعد الموت ﴿ فكذبوه فأهلكناهم ﴾ بعذاب الاستئصال ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ قد مرَّ تفسيره .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا
ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ
بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا أَمْرَ
ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾
قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ

بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ
وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ
ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة والشام فارهين بالألف والباقون فرهين بغير الألف .

[الحجة] قال الزجاج فرهين اشرين مرحين وفارهين حاذقين أبو عبيدة قال قد جاء فارهين في معنى فرهين وأنشد :

لا أَسْتَكِينُ إذا ما أزمةٌ أزمتْ ... حَتَّى تَرَانِي بِخَيْرٍ فَارِهَ اللُّبَبِ[1]

أي مرح اللبب .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[اللغة] الهضيم اللطيف في جسمه ومنه هضيمة الحشا أي لطيفة الحشا ومنه هضمه حقه أي نقصه لأنه لطف جسمه بنقصه ومنه هضم الطعام إذا لطف واستحال إلى مشاكلة البدن والمُسَحَّر الذي قد سَحر مرة بعد أخرى وهو أن يكون ممن له سَحْر أي رئة ومنه قولهم انتفخ سَحْره قال لبيد

فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّنَا ... عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأَنَامِ المُسَحَّرِ

أي المعلل بالطعام والشراب على أمر يخفى كخفاء السحر والشرب الحظ من الماء قال

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ ... حَمَامَةٌ فِي غُصُونٍ ذَاتِ أَوْقَالِ[2]

أي لم يمنع حظها من الماء والسوء الضر الذي يشعر به صاحبه لأنه يسؤوه وقوعه

---

(١) الأزمة الشدة والقحط . وفي اللسان « فاره الطلب »

(٢) الوقل ثمرة شجر المقل . وجمعه أوقال وفي اللسان سحوق ذات أوقال» وقال السحوق ما طال من شجر المقل .

والعقر قطع شيء من بدن الحي فإذا كثر انتفت معه الحياة وإذا قل لم ينتف .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن ثمود فقال ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾ وهو مفسر في هذه السورة إلى قوله ﴿أتتركون فيما ههنا آمنين﴾ معناه أتظنون أنكم تتركون فيما أعطاكم الله من الخير في هذه الدنيا آمنين من الموت والعذاب وهذا اخبار بأن ما هم فيه من النعم لا يبقى عليهم وانها ستزول عنهم ثم عدّد نعمهم التي كانوا فيها فقال ﴿في جنات﴾ أي بساتين يسترها الشجر ﴿وعيون﴾ جارية ﴿وزروع ونخل طلعها هضيم﴾ الطلع الكفرى مشتق من الطلوع لأنه يطلع من النخل والهضيم اليانع النضيج عن ابن عباس وقيل هو الرطب اللين عن عكرمة وقيل هو الضامر بدخول بعضه في بعض عن الضحاك وقيل هو الذي إذا مس تفتت عن مجاهد وقيل هو الذي ليس فيه نوى عن الحسن ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ أي حاذقين بنحتها من فره الرجل فراهة فهو فاره وفرهين اشرين بطرين عن ابن عباس ﴿فاتقوا الله﴾ في مخالفته ﴿وأطيعون﴾ فيما أمركم به ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ يعني الرؤساء منهم وهم تسعة رهط من ثمود الذين عقروا الناقة ثم وصفهم فقال ﴿الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا﴾ في جوابه ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ قد أصبت بسحْر ففسد عقلك فصرت لا تدري ما تقول وهو بمعنى لمسحورين والمراد سحرت مرة بعد أخرى وقيل معناه من المخدوعين وقيل من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب عن ابن عباس وقيل معناه انت مخلوق مثلنا لك سحر أي رئة تأكل وتشرب فلم صرت أولى منا بالنبوة ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ أي آدمي مثلنا ﴿فأت بآية﴾ أي بمعجزة تدل على صدقك ﴿إن كنت من الصادقين قال هذه ناقة﴾ وهي الناقة التي أخرجها الله تعالى من الصخرة عشراء ترغو على ما اقترحوه ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾ أي لها حظ من الماء لا تزاحموها فيه ولكم حظ لا تزاحمكم فيه وروي عن أمير المؤمنين (ع انه قال ان اول عين نبعت في الأرض هي التي فجرها الله لصالح فقال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ هذا مع ما بعده مفسّر في سورة الأعراف والقصة مشروحة هناك .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾
فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ

إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾
وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ
عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾
قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾
فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا
ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

[اللغة] العادي والظالم والجائر نظائر وهو من العدوان وأصله من العدو والذي هو الاسراع في السعي والقالي المبغض يقال قلاه يقليه قلى أبغضه الغابر الباقي في قلة كالتراب الذي يذهب بالكنس ويبقى غباره والغبر البقية من اللبن في الاخلاف قال الحرث بن حلزة .

لا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِها إِنَّكَ لا تَدْرِي مَنِ النَّاتِجُ(١)

والتدمير الإهلاك بأهول الأمور .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن قوم لوط فقال ﴿كذبت قوم لوط المرسلين﴾ وقد فسّرناه إلى قوله ﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾ أي تصيبون الذكور من جملة الخلائق ﴿ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ﴾ أي وتتركون ما خلقه الله لكم من الأزواج والنساء والزوجة هي التي وقع عليه العقد بالنكاح الصحيح يقال لها زوجة وزوج قال سبحانه

(١) الكسع أن يؤخذ ماء بارد فيضرب به ضروع الابل الحلوبة اذا أرادوا تغزيرها ليجف لبنها ويكون اقوى لاولادها التي تنتجها. والشول جمع الشائلة التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها. يوصي الشاعر ابنه باطعام الاضياف. يقول لا تضرب الماء البارد على ضرع الابل تطلب بذلك قوة نسلها وأحلبها للأضياف فلعل عدواً يغير عليها فيكون نتاجها له دونك .

اسكن انت وزوجك الجنة ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ أي ظالمون معتدون الحلال إلى الحرام والطاعة إلى المعصية ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط﴾ وترجع عما تقوله ولم تمتنع عن دعوتنا وتقبيح أفعالنا ﴿لتكونن من المخرجين﴾ عن بلدنا ﴿قال﴾ لوط لهم عند ذلك ﴿إني لعملكم من القالين﴾ أي من المبغضين الكارهين ثم دعا ربه فقال ﴿رب نجّني وأهلي مما يعملون﴾ أي من عاقبة ما يعملونه وهو العذاب النازل بهم وأجاب الله سبحانه دعاءه قال ﴿فنجيناه وأهله أجمعين﴾ يعني من العذاب الذي وقع بهم ويجوز أن يكون أراد نجيناه وأهله من نفس عملهم وتكون النجاة من العذاب النازل بهم تبعاً لذلك والأول اوضح ويدل عليه قوله ﴿إلا عجوزاً في الغابرين﴾ وأراد بالعجوز امرأته لأنها كانت تدل اهل الفساد على أضيافه فكانت من الباقين في العذاب وهلكت فيما بعده مع من خرج من القرية بما أمطره الله من الحجارة ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أهلكناهم بالخسف وقيل بالائتفاك وهو الانقلاب ثم امطر على من كان غائباً منهم عن القرية الحجارة من السماء وهو قوله ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾ أي بئس واشتد مطر الكافرين مطرهم وما بعده مفسر قبل .

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ * أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ

ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

[القراءة] قرأ أهل الحجاز والشام ليكة بالنصب غير مهموز هاهنا وفي ص والباقون الأيكة باثبات الهمزة والجر في الموضعين .

[الحجة] قال أبو علي الأيكة تعريف أيكة فإذا خففت الهمزة حذفتها وألقيت حركتها على اللام فقلت لَيْكَة كما قالوا الحَمْرَ ومن قال لَحْمَر قال لَيْكَة وقول من قال أصحاب ليكةَ بفتح التاء مشكل لأنه فتح مع لحاق لام المعرفة الكلمة وهذا في الامتناع كقول من قال بلحمر فيفتح وانما يخرج هذا على أن المعنى قد سمي بكلمة تكون اللام فيها فاء ولم اسمع بها وقال الزجاج جاء في التفسير ان اسم المدينة التي ارسل اليها شعيب كان ليكة .

[اللغة] الأيكة الغيضة ذات الشجر الملتف والجمع الأيك قال

تَجْلُو بِقَادِمَتَيْ حَمَامَةِ أَيْكَةٍ بَرَداً أُسِفَّ لِثَاتُهُ بِالإِثْمِدِ (١)

المخسر المعرض للخسران في رأس المال بالنقصان اخسر يخسر اخساراً اذا جعله يخسر في ماله ونقيضه اربحه والجبلة الخليقة التي طبع عليها الشيء بكسر الجيم والباء وقيل أيضاً بضمها ويسقطون الهاء أيضاً قال أبو ذؤيب

مَنَايَا يَقَرِّبْنَ الْحُتُوفَ لأَهْلِهَا جِهَاراً وَيَسْتَمْتِعْنَ بِالأَنَسِ الجِبْلِ (٢)

وقال آخر

وَالْمَوْتُ أعظم حَادِثٍ مِمَّا يَمُرُّ عَلَى الْجِبِلَّة

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن شعيب فقال ﴿كذب أصحاب لئيكة المرسلين﴾ وهم

(١) شبه شفتي محبوبته بمقدمي جناح الحمامة . وثغرها بالبرد ذر بالاثمد .

(٢) يقول الناس كلهم متعة للموت يستمتع بهم .

أهل مدين عن ابن عباس وقيل أنهم غيرهم عن قتادة وقال ان الله سبحانه أرسل شعيباً إلى أمتين ﴿إذ قال لهم شعيب﴾ ولم يقل أخوهم لأنه لم يكن من نسبهم وكان من أهل مدين فلذلك قال في ذلك الموضع وإلى مدين اخاهم شعيباً ﴿ألا تتقون اني لكم رسول أمين﴾ مفسر فيما قبل إلى قوله ﴿رب العالمين﴾ وإنما حكى الله سبحانه دعوة كل نبي بصيغة واحدة ولفظ واحد اشعاراً بأن الحق الذي تأتي به الرسل ويدعون اليه واحد من اتقاء الله تعالى واجتناب معاصيه والإخلاص في عبادته وطاعة رسله وان أنبياء الله تعالى لا يكونون إلا أمناء الله في عباده فإنه لا يجوز على واحد منهم أن يأخذ الأجرة على رسالته لما في ذلك من التنفير عن قبولهم ثم قال ﴿أوفوا الكيل﴾ أي أعطوا الكيل وافياً غير ناقص ويدخل الوفاء في الكيل والوزن والذرع والعدد ﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ أي من الناقصين للكيل والوزن ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ أي بالعدل الذي لا حيف فيه يعني زنوا وزناً يجمع الأيفاء والاستيفاء وذكرنا الأقوال في القسطاس في سورة بني اسرائيل ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي ولا تنقصوا الناس حقوقهم ولا تمنعوها ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي ولا تسعوا في الأرض بالفساد والعثي اشد الفساد والخراب عن أبي عبيدة ﴿واتقوا الذي خلقكم﴾ اي أوجدكم بعد العدم ﴿والجبلة﴾ أي الخليقة ﴿الأولين﴾ يعني وخلق الأمم المتقدمين ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا﴾ مرّ معناه ﴿وان نظنك لمن الكاذبين﴾ أي وانا نظنك كاذباً من جملة الكاذبين وان هذه مخففة من الثقيلة ولذلك لزمها اللام في الخبر ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾ أي قطعاً من السماء جمع كسفة عن ابن عباس ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك ﴿قال﴾ شعيب ﴿ربي أعلم بما تعملون﴾ ومعناه انه ان كان في معلومه انه ان بقاكم تبتم أو تاب بعضكم لم يقتطعكم بالعذاب وان كان في معلومه انه لا يفلح واحد منكم فسيأتيكم عذاب الاستئصال ثم قال ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ أصابهم حرّ شديد سبعة أيام وحبس عنهم الريح ثم غشيتهم سحابة فلما خرجوا اليها طلباً للبرد من شدة الحرّ الذي أصابهم أمطرت عليهم ناراً فأحرقتهم فكان من أعظم الأيام في الدنيا عذاباً وذلك قوله ﴿انه كان عذاب يوم عظيم﴾ ومعنى الظلة هاهنا السحابة التي قد أظلتهم ﴿إن في ذلك لآية﴾ مفسر إلى آخره .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ

عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ
ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ
ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ
سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾
ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى
لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

[القراءة] قرأ اهل الحجاز وأبو عمرو وحفص وزيد نزل بالتخفيف الروح الامين بالرفع والباقون نزّل بالتشديد الروح الأمين بالنصب وقرأ ابن عامر أو لم تكن بالتاء آية بالرفع والباقون لم يكن بالياء آية بالنصب وفي الشواذ قراءة الحسن الاعجميين وقراءته أيضاً فتأتيهم بغتة بالتاء ما تنزلت به الشياطون.

[الحجة] قال أبو علي حجة من قال نزل به بالتشديد قوله فإنه نزّله على قلبك وتنزّل الملائكة بالروح فإنه مطاوع نزل وقوله نزله روح القدس من ربك بالحق ومن اسند الفعل إلى الروح فقال نزل به الروح الأمين فإنه ينزل بأمر الله تعالى فمعناه معنى المثقلة والوجه في قراءة ابن عامر أو لم تكن لهم آية إنّ في تكن ضمير القصة والحديث لأن ما يقع تفسيراً للقصة والحديث من الجملة إذا كان فيها اسم مؤنث جاز تأنيث المضمر على شريطة التفسير كقوله فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقوله فإنها لا تعمى الابصار وكذلك أن يعلمه

علماء بني إسرائيل لما كان فيه مؤنث جاز أن يؤنث تكن فآية مرتفعة بأنها خبر المبتدأ الذي هو أن يعلمه علماء بني إسرائيل ولا يمتنع ان لا يضمر القصة والحديث ولكن يرفع ان يعلمه بقوله تكن وان كان في تكن علامة التأنيث لأن ان يعلمه في المعنى هو الآية فيحمل الكلام على المعنى كما حمل على المعنى في قوله فله عشر أمثالها فأنث لما كان المراد بالأمثال الحسنات وكذلك قراءة من قرأ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وقال ابن جني في قراءة الحسن الاعجميين انها تفسير للغرض في القراءة المجمع عليها وهي قوله بعض الاعجميين وذلك ان ما كان من الصفات على افعل ومؤنثه فعلى لا يجمع بالواو والنون ولا بالالف والتاء فكان قياسه ان لا يجوز فيه الأعجمون لأن مؤنثه عجمي لكن سببه انه اريد به الاعجميون ثم حذف ياء النسب وجعل جمعه بالواو والنون دليلاً عليها وامارة لإرادتها كما جعلت صحة الواو في عواور امارة لإرادة الياء في عواوير وقوله فتأتيهم بغتة بالتاء معناه فتأتيهم الساعة فأضمر الساعة لدلالة العذاب الواقع فيها عليها ولكثرة ما يرد في القرآن من ذكر إتيانها وأما قوله الشياطون فقد قال الفراء فيه غلط الشيخ يعني الحسن فقيل ذلك للنضر بن شميل فقال إذا جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤية فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن مع انا نعلم انه لم يقرأ به إلا وقد سمعه قال ابن جني هذا مما يعرض مثله للفصيح لتداخل الجمعين عليه وتشابهما عنده ونحو منه قولهم مسيل فيمن اخذه من السيل ثم قالوا في جمعه مسلان وامسلة وفي معين معنان وامعنة مع ان الأقوى ان يكون معنان من العين فالشياطون غلط لكن يشبهه كما ان من همز مصائب كذلك عندهم وقال الزمخشري الوجه فيه انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخيَّر بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين ان تقول هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه ان يشق من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل .

[اللغة] الاعجم الذي يمتنع لسانه عن العربية والعجمي نقيض العربي والأعجمي نقيض الفصيح .

[الإعراب] لا يؤمنون به في موضع النصب على الحال وبغتة مصدر وضع موضع الحال . سنين ظرف زمان لمتعناهم . ما اغنى ما نافية ومفعول اغنى محذوف وتقديره ما اغنى عنهم تمتعهم شيئاً . ذكرى في محل النصب لأنه مفعول له . وما ينبغي فاعل ينبغي مستكن فيه عائد إلى مصدر تنزل تقديره وما ينبغي لهم ان يتنزلوا به .

[المعنى] ثم بيَّن سبحانه أمر القرآن بعد ان قصَّ أخبار الأنبياء (ع) ليتصل بها

حديث نبيّنا ﷺ فقال ﴿وانه لتنزيل رب العالمين نزل به﴾ أي نزل الله بالقرآن ﴿الروح الأمين﴾ يعني جبرائيل (ع) وهو أمين الله لا يغيّره ولا يبدّله وسمّاه روحاً لأنه يحيي به الدين وقيل لأنه يحيي به الأرواح بما ينزل من البركات وقيل لأنه جسم روحاني ﴿على قلبك﴾ يا محمد وهذا على سبيل التوسع لأن الله تعالى يسمعه جبرائيل (ع) فيحفظه وينزل به على الرسول ويقرأه عليه فيعيه ويحفظه بقلبه فكأنه نزل به على قلبه وقيل معناه لقنك الله حتى تلقنته وثبته على قلبك وجعل قلبك وعاء له ﴿لتكون من المنذرين﴾ أي لتخوّف به الناس وتنذرهم بآيات الله ﴿بلسان عربي مبين﴾ أي بلغة العرب مُبين للناس ما بهم اليه الحاجة في دينهم وقيل اراد به لسان قريش ليفهموا ما فيه ولا يقولوا ما نفهم ما قال محمد عن مجاهد وقيل لسان جرهم وإنما جعله عربياً لأن المنزل عليه عربي والمخاطبون به عرب ولأنه تحدّى بفصاحته فصحاء العرب وقد تضمنت هذه الآية تشريف هذه اللغة لأنه سمّاها مبيناً ولذلك اختارها لأهل الجنة ﴿وانه﴾ أي وان ذكر القرآن وخبره ﴿لفي زبر الأولين﴾ أي في كتب الأولين على وجه البشارة به وبمحمد ﷺ لا بمعنى ان الله أنزله على غير محمد ﷺ وواحد الزبر زبور وقيل معناه انه أنزل على سائر الأنبياء من الدعاء إلى التوحيد والعدل والاعتراف بالبعث واقاصيص الأمم مثل الذي نزل في القرآن ﴿ولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل﴾ معناه أو لم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل بمجيئه على ما تقدّمت البشارة دلالة لهم على صحة نبوته لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم وكانت اليهود تبشّر به وتستفتح على العرب به وكان ذلك سبب إسلام الاوس والخزرج على ما مرّ بيانه وعلماء بني إسرائيل عبد الله بن سلام وأصحابه عن ابن عباس وقيل هم خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد عن عطية ﴿ولو نزلناه على بعض الاعجمين﴾ أي ولو نزلنا القرآن على رجل ليس من العرب وعلى من لا يفصح ﴿فقرأه عليهم﴾ أي على العرب ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ أي لم يؤمنوا به وانفوا من اتباعه لكنا أنزلناه بلسان العرب على افصح رجل منهم من أشرف بيت ليتدبّروا فيه وليكون ادعى إلى اتباعه وتصديقه وقيل معناه لو نزلناه على اعجم من البهائم أو غيرها لما آمنوا به وان كان فيه زيادة اعجوبة عن عبد الله بن مطيع وروي عن عبد الله بن مسعود انه سئل عن هذه الآية وهو على بعير فأشار إليه وقال هذا من الأعجمين ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين﴾ أي كما أنزلنا القرآن عربياً مبيناً أمررناه وأدخلناه واوقناه في قلوب الكافرين بأن أمرنا النبي ﷺ حتى قرأه عليهم وبيّنه لهم ثم بيّن انهم مع ذلك ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ فيلجئهم إلى الإيمان به وهذا خبر عن الكفار الذين علم الله انهم لا يؤمنون أبداً ﴿فيأتيهم﴾ أي العذاب

الذي يتوقعونه ويستعجلونه ﴿بغتة﴾ أي فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بمجيئه ﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ أي مؤخرون لنؤمن ولنصدق قال مقاتل لما اوعدهم النبي ﷺ بالعذاب استعجلوا العذاب تكذيباً له فقال الله ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ توبيخاً لهم ثم قال ﴿أفرأيت أن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ أي أرأيت إن أنظرناهم وأخّرناهم سنين ومتّعناهم بشيء من الدنيا ثم اتاهم العذاب لم يغن عنهم ما متّعوا في تلك السنين من النعيم لازديادهم في الآثام واكتسابهم من الاجرام وهو استفهام في معنى التقرير ﴿وما اهلكنا من قرية﴾ أي وما اهلكنا قرية ﴿إلا لها منذرون﴾ أي إلا بعد اقامة الحجج عليهم بتقديم الانذار وارسال الرسل ﴿ذكرى﴾ أي تذكيراً وموعظة لهم ليتّعظوا ويصلحوا فإذا لم يصلحوا مع التخويف والتحذير واستحقّوا عذاب الاستئصال باصرارهم على الكفر والعناد اهلكناهم ﴿وما كنا ظالمين﴾ أي وما ظلمناهم بالاهلاك لأنا لا نظلم أحداً ، نفى سبحانه عن نفسه الظلم وفي هذا تكذيب لمن زعم ان كل ظلم وكفر في الدنيا هو من خلقه وارادته وغاية الظلم ان يعاقب عباده على ما خلقه فيهم وأراده منهم تعالى الله عن ذلك وتقدّس ﴿وما تنزّلت به﴾ أي بالقرآن ﴿الشياطين﴾ كما يزعمه بعض المشركين ﴿وما ينبغي لهم﴾ انزال ذلك أي الشياطين ﴿ وما يستطيعون ﴾ ذلك ولا يقدرون عليه لأن الله تعالى يحرس المعجزة عن ان يموّه بها المبطل فإنه إذا أراد ان يدلّ بها على صدق الصادق اخلصها بمثل هذه الحراسة حتى تصحّ الدلالة بها ومعنى قول العرب ينبغي لك ان تفعل كذا انه يطلب منك فعله في مقتضى العقل من البغية التي هي الطلب ﴿انهم عن السمع لمعزولون﴾ أي مصروفون عن استماع القرآن أي عن المكان الذي يستمعون ذلك فيه ممنوعون عنه بالشهب الثاقبة وقيل معناه ان الشياطين عن سمع القرآن منحون عن قتادة فإن العزل تنحية الشيء عن موضع إلى خلافه وازالته عن امر إلى نقيضه قال مقاتل قالت قريش إنما تجيء بالقرآن الشياطين فتلقيه على لسان محمد ﷺ فاكذبهم .الله تعالى بأن قال انهم لا يقدرون بأن يأتوا بالقرآن من السماء قد حيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب .

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾
وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

[القراءة] قرأ اهل المدينة وابن عامر فتوكل بالفاء والباقون بالواو .

[الحجة] هو في مصاحف اهل المدينة والشام بالفاء وفي مصاحف مكة والعراق بالواو والوجهان حسنان

[اللغة] عشيرة الرجل قرابته سمّوا بذلك لأنه يعاشرهم وهم يعاشرونه .

[المعنى] ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ والمراد به سائر المكلفين فقال ﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾ يسبب ذلك وإنما أفرده بالخطاب ليعلم ان العظيم الشأن إذا أوعد فمن دونه كيف حاله وإذا حذر هو فغيره اولى بالتحذير ﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾ أي رهطك الادنين اي انذرهم بالأفصاح من غير تليين بالقول كما تدعو إليه مقاربة العشيرة وإنما خصَّهم بالذكر تنبيهاً على انه ينذر غيرهم وانه لا يداهنهم لاجل القرابة ليقطع طمع الاجانب عن مداهنته في الدين وقيل انه ﷺ أمر بأن يبدأ بهم في الانذار والدعاء إلى الله ثم بالذين يلونهم كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار لأن ذلك هو الذي يقتضيه حسن الترتيب وقيل انه إنما خصَّهم لأنه يمكنه ان يجمعهم ثم ينذرهم وقد فعل ذلك النبي ﷺ واشتهرت القصة بذلك عند الخاص والعام.وفي الخبر المأثور عن البراء بن عازب انه قال لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً الرجل منهم يأكل المسنة[1] ويشرب العسّ فأمر علياً (ع) برجل شاة فأدمها[2] ثم قال ادنوا بسم الله فدنا القوم عشرةعشرة فأكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب[3] من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم اشربوا بسم الله فشربوا حتى رووا فبدرهم أبو لهب فقال هذا ما سحركم به الرجل فسكت ﷺ يومئذ ولم يتكلم ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم انذرهم رسول الله ﷺ فقال يا بني عبد المطلب اني انا النذير اليكم من الله عز وجل والبشير فأسلموا وأطيعوني تهتدوا ثم

(١) وفي بعض الروايات «الجذعة» وفي بعضها «الجفرة». وهي من اولاد المعز ما بلغ اربعة اشهر وفصل عن أمه واخذ في الرعي. والعس : القدح الكبير .
(٢) أدم الخبز: خلطه بالادام.
(٣) القعب : القدح الضخم الغليظ.

قال من يؤاخيني ويوآزرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني فسكت القوم فأعادها ثلاثاً كل ذلك يسكت القوم ويقول علي (ع) أنا فقال في المرة الثالثة أنت فقام القوم وهم يقولون لابي طالب اطع ابنك فقد أمّر عليك اورده الثعلبي في تفسيره وروي عن أبي رافع هذه القصة وانه جمعهم في الشعب فصنع لهم رجل شاة فأكلوا حتى تضلعوا وسقاهم عسا فشربوا كلهم حتى رووا ثم قال ان الله تعالى امرني ان انذر عشيرتي الأقربين وانتم عشيرتي ورهطي وان الله لم يبعث نبياً إلا جعل من اهله اخاً ووزيراً ووارثاً ووصياً وخليفة في اهله فأيكم يقوم فيبايعني على انه اخي ووارثي ووزيري ووصيّي ويكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبيّ بعدي فسكت القوم فقال ليقومنّ قائمكم أو ليكوننّ في غيركم ثم لتندمنّ ثم اعاد الكلام ثلاث مرات فقام علي (ع) فبايعه وأجابه ثم قال ادن مني فدنا منه ففتح فاه ومجّ في فيه من ريقه وتفل بين كتفيه وثدييه فقال أبو لهب فبئس ما حبوت به[1] ابن عمك أنْ أجابك فملأت فاه ووجهه بزاقاً فقال ﷺ ملأته حكمة وعلماً وعن ابن عباس قال لما نزلت الآية صعد رسول الله ﷺ على الصفا فقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا مالك فقال أرأيتكم ان اخبرتكم ان العدُو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدّقونني قالوا بلى قال فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال أبو لهب تباً لك ألهذا دعوتنا جميعاً فأنزل الله تعالى ﴿تبت يدا أبي لهب وتبّ﴾ إلى آخر السورة وفي قراءة عبد الله بن مسعود وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ أي ألن جانبك وتواضع لهم وحسن اخلاقك معهم عن أبي زيد وغيره ﴿فإن عصوك﴾ يعني اقاربك انذارك إياهم وخالفوك فيما تدعوهم إليه ﴿فقل﴾ لهم ﴿اني بريء مما تعملون﴾ أي من اعمالكم القبيحة وعبادتكم الأصنام ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ أي فوّض امرك إلى العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم بأوليائه ليكفيك كيد اعدائك الذين عصوك فيما امرتهم به ﴿الذي يريك حين تقوم﴾ أي الذي يبصرك حين تقوم من مجلسك أو فراشك إلى الصلاة وحدك وفي الجماعة وقيل معناه يراك حين تقوم في صلاتك عن ابن عباس وقيل حين تقوم بالليل لأنه لا يطلع عليه أحد غيره وقيل حين تقوم للانذار واداء الرسالة ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ اي ويرى تصرفك في المصلين بالركوع والسجود والقيام والقعود عن ابن عباس وقتادة والمعنى يراك حين تقم إلى الصلاة مفرداً وتقلبك في الساجدين إذا صليت في جماعة وقيل معناه وتقلبك في اصلاب الموحدين

(١) أي اعطيت به.

من نبيّ إلى نبيّ حتى اخرجك نبياً عن ابن عباس في رواية عطا وعكرمة وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله صلوات الله عليهما قالا في اصلاب النبيين نبي بعد نبي حتى اخرجه من صلب ابيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم (ع) وروي جابر عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله ﷺ لا ترفعوا قبلي ولا تضعوا قبلي فإني أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي ثم تلا هذه الآية ﴿انه هو السميع العليم﴾ يسمع ما تتلو في صلاتك ويعلم ما تضمر فيها.

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

[القراءة] قرأ نافع يَتْبعهم ساكنة التاء والباقون يَتَّبعهم .

[الحجة] الوجهان حسنان يقال تبعت القوم واتبعتهم اتبعهم .

[اللغة] الافاك الكذاب وأصل الافك القلب والأفاك الكثير القلب للخبر عن جهة الصدق إلى جهة الكذب والاثيم الفاعل للقبيح يقال أثم يأثم أثماً إذا ارتكب القبيح وتأثم إذا ترك الإثم والهائم الذاهب على وجهه عن الكسائي وقيل هو المخالف للقصد عن أبي عبيدة .

[الاعراب] انتصب قوله أيَّ منقلب لأنه صفة مصدر محذوف وتقديره سيعلم الذين ظلموا انقلاباً اي انقلاب ينقلبون ولا يجوز ان يكون معمول سيعلم لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وإنما يعمل فيه ما بعده والعلة في ذلك الاستخبار قبل الخبر ورتبة الاستخبار

التقديم فلا يجوز ان يعمل فيه الخبر لأن الخبر بعده وذلك انه موضوع على انه جواب مستخبر .

[المعنى] لما اخبر الله سبحانه ان القرآن ليس مما تتنزل به الشياطين وانه وحي من الله عقّبه بذكر من تنزل عليه الشياطين فقال ﴿هل انبئكم﴾ أي هل اخبركم ﴿على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم﴾ أي إنما يتنزل الشياطين على كل كذاب فاجر عامل بالمعاصي وهم الكهنة وقيل طليحة ومسيلمة عن مقاتل ولست بكذاب ولا أثيم فلا يتنزل عليك الشياطين وإنما يتنزل عليك الملائكة ﴿يلقون السمع﴾ معناه ان الشياطين يلقون ما يسمعونه إلى الكهنة والكذابين ويخلطون به كثيراً من الاكاذيب ويوحونه اليهم ﴿وأكثرهم﴾ أي واكثر الشياطين ﴿كاذبون﴾ وقيل اكثر الكهنة كاذبون قال الحسن هم الذين يسترقون السمع من الملائكة فيلقون إلى الكهنة ﴿وهذا﴾ كان قبل ان أوحي إلى النبي ﷺ وبعد ذلك فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ قال ابن عباس يريد شعراء المشركين وذكر مقاتل اسماءهم فقال منهم عبد الله بن الزبعري السهمي وأبو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف الجمحي وأبو عزة عمرو بن عبد الله كلهم من قريش وأمية بن أبي الصلت الثقفي تكلّموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما قال محمد ﷺ وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون اشعارهم ويروون عنهم حين يهجون النبي ﷺ واصحابه فذلك قوله يتبعهم الغاوون وقيل الغاوون الشياطين عن قتادة ومجاهد وقيل أراد بالشعراء الذين غلبت عليهم الاشعار حتى اشتغلوا بها عن القرآن والسنة وقيل هم الشعراء الذين إذا غضبوا سبّوا وإذا قالوا كذبوا وإنما صار الاغلب عليهم الغي لأن الغالب عليهم الفسق فإن الشاعر يصدر كلامه بالتشبيب ثم يمدح للصلة ويهجو على حمية الجاهلية فيدعوه ذلك إلى الكذب ووصف الإنسان بما ليس فيه من الفضائل والرذائل وقيل انهم القصاص الذين يكذبون في قصصهم ويقولون ما يخطر ببالهم وفي تفسير علي بن إبراهيم انهم الذين يغيرون دين الله تعالى ويخالفون أمره قال وهل رأيتم شاعراً قط تبعه احد إنما عنى بذلك الذين وضعوا ديناً بآرائهم فتبعهم الناس على ذلك وروى العياشي بالإسناد عن أبي عبد الله (ع) قال هم قوم تعلّموا وتفقّهوا بغير علم فضلّوا واضلّوا ﴿ألم تر انهم في كل واد يهيمون﴾ أي في كل فن من الكذب يتكلّمون وفي كل لغو يخوضون يمدحون ويذمّون بالباطل عن ابن عباس وقتادة والمعنى أنهم لما يغلب عليهم من الهوى كالهائم على وجهه في كل واد يعني فيخوضون في كل فن من الكلام والمعاني التي تعن لهم ويريدونها فالوادي مثل لفنون الكلام وهيمانهم فيه

قولهم على الجهل بما يقولون من لغو وباطل وغلوّ في مدح وذم ﴿وانهم يقولون ما لا يفعلون﴾ أي يحثّون على اشياء لا يفعلونها وينهون عن اشياء يرتكبونها ثم استثنى من جملتهم فقال ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهم شعراء المؤمنين مثل عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت وسائر شعراء المؤمنين الذين مدحوا رسول الله ﷺ وردّوا هجاء من هجاه وفي الحديث عن الزهري قال حدثني عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال يا رسول الله ماذا تقول في الشعر فقال ان المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما ينضحونهم بالنبل وقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت اهجهم أو هاجهم وروح القدس معك رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان (ع) اشعر من الثلاثة ﴿وذكروا الله كثيراً﴾ لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همّهم ﴿وانتصروا﴾ من المشركين للرسول والمؤمنين ﴿من بعد ما ظلموا﴾ قال الحسن انتصروا بما يحبُّون الانتصار به في الشريعة وهو نظير قوله لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم اي ردّوا على المشركين ما كانوا يهجون به المؤمنين ثم هدّد الظالمين فقال ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾ أي سوف يعلم أيّ مرجع يرجعون وايّ منصرف ينصرفون لأن منصرفهم إلى النار نعوذ بالله منها.

(٢٧) سورة النمل مكية وآياتها ثلاث وتسعون

[**عدد آيها**] خمس وتسعون آية حجازي أربع بصري شامي ثلاث كوفي .

[**إختلافها**] آيتان وأولوا بأس شديد حجازي من قوارير غير الكوفي .

[**فضلها**] ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن قرأ طسّ سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله .

[**تفسيرها**] لما ختم الله سبحانه سورة الشعراء بذكر القرآن افتتح هذه السورة بذكره أيضاً فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسّ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى

ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ
إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ
لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ
وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا
ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة ورويس عن يعقوب بشهاب قبس منوناً غير مضاف وقرأ الباقون بشهاب قبس مضافاً .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[الحجة واللغة] قال أبو عبيدة الشهاب النار والقبس ما اقتبست وأنشد :

فِي كَفِّهِ صَعْدَةٌ مُثَقَّفَةٌ فِيهَا سِنَانٌ كَشُعْلَةِ الْقَبَسِ (١)

وقال غيره كل ذي نور فهو شهاب قال أبو علي يجوز أن يكون قبس صفة ويجوز أن يكون إسماً غير صفة فأما الصفة فإنهم يقولون قبسته أقبسه قبساً والقبس الشيء المقبوس فإذا كان القبس صفة فالأحسن أن يجري على شهاب كما جرى على الموصوف في قوله « كأنه ضرم بالكف مقبوس » وإن كان مصدراً غير صفة حسنت فيه الإضافة ولا يحسن ذلك في الصفة لأن الموصوف لا يضاف إلى صفته وقال أبو الحسن الإضافة أجود وأكثر في القراءة كما تقول دار آجر وسوار ذهب ولو قلت سوار ذهب ودار آجر كان عربياً قال أبو علي جعل أبو الحسن القبس فيه غير وصف ألا ترى أنه جعله بمنزلة الآجر والذهب وليس واحد منهما صفة .

[الإعراب] هدى وبشرى في محل النصب أو الرفع فالنصب على الحال أي هادية

(١) الصعدة : القناة التي نبتت مستوية . ومثقفة أي مستوية .

ومبشرة والعامل فيهما معنى الإشارة والرفع على ثلاثة أوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من آيات وعلى أن يكون خبراً بعد خبر أن بورك أن هي المفسرة لأن النداء فيه معنى القول يعني قيل له بورك ولا يجوز أن يكون مخففة من الثقيلة على تقدير أنه بورك لأنه كان يكون لا بدَّ من قَدْ والهاء في أنه ضمير الشأن وأنا الله مبتدأ وخبر وألق عصاك عطف على بورك أي نودي أن بورك وإن ألق عصاك .

[المعنى] ﴿ طسّ ﴾ سبق تفسيره ﴿ تلك ﴾ إشارة إلى ما وعدوا بمجيئه من القرآن ﴿ آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ أضاف الآيات إلى القرآن وآيات القرآن هي القرآن فهو كقوله ﴿ إنه لحق اليقين والقرآن والكتاب ﴾ معناهما واحد وصفه بالصفتين ليفيد أنه مما يظهر بالقراءة ويظهر بالكتابة وهو بمنزلة الناطق بما فيه من الأمرين جميعاً ووصفه بأنه مبين تشبيه له بالناطق بكذا ومعناه أن الله بيَّن فيه أمره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده وإذا وصفه بأنه بيان فإنه يجري مجرى وصفه له بالنطق بهذه الأشياء في ظهور المعنى به للنفس والبيان هو الدلالة التي تبين بها الأشياء والمبين المظهر ﴿ هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ أي هدى من الضلالة إلى الحق بالبيان الذي فيه والبرهان وباللطف فيه من جهة الإعجاز الدال على صحة أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبشرى للمؤمنين بالجنة والثواب ويجوز أن يكون في موضع نصب على أن يكون تقديره هادياً ومبشراً ويجوز أن يكون في موضع رفع والتقدير هو هدى وبشرى ثم وصف المؤمنين فقال ﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾ بحدودها وواجباتها ويداومون على أوقاتها ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ أي ويخرجون ما يجب عليهم من الزكاة في أموالهم إلى من يستحقها ﴿ وهم بالآخرة ﴾ أي بالنشأة الآخرة والبعث والجزاء ﴿ هم يوقنون ﴾ لا يشكُّون فيه ثم وصف من خالفهم فقال ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون ﴾ إختلف في معناه فقيل إن المعنى زيّنا لهم أعمالهم التي أمرناهم بها بأحسن وجوه التزيين والترغيب فهم يتحيَّرون بالذهاب عنها عن الحسن والجبائي وأبي مسلم وقيل زينا لهم أعمالهم بأن خلقنا فيهم شهوة القبيح الداعية لهم إلى فعل المعاصي ليجتنبوا المشتهى فهم يعمهون عن هذا المعنى ويتردَّدون في الحيرة وقيل معناه حرمناهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم فتزينت أعمالهم في أعينهم وحليت في صدورهم ﴿ أولئك الذين لهم سوء العذاب ﴾ أي شدة العذاب وصعوبته ﴿ وهم في الآخرة هم الأخسرون ﴾ أي لا أحد أخسر صفقة منهم لأنهم يخسرون الثواب ويحصل لهم بدلاً منه العقاب ﴿ وإنك ﴾ يا محمد ﴿ لتلقى القرآن ﴾ أي لتعطى ﴿ من لدن حكيم ﴾ في أمره ﴿ عليم ﴾ بخلقه أي من عند الله لأن الملك يلقيه من قبل الله سبحانه وقيل معناه لتلقن قال علي بن عيسى عليم

بمعنى عالم إلا أن في عليم مبالغة فهو مثل سامع وسميع لأن في قولنا عالم يفيد أن له معلوماً كما أن قولنا سامع يفيد أن له مسموعاً وإذا وصفناه بأنه عليم أفاد أنه متى يصح معلوم فهو عالم به كما أن سميعاً يفيد أنه متى وجد مسموع فلا بدَّ أن يكون سامعاً له ﴿ **إذ قال موسى لأهله** ﴾ قال الزجاج العامل في إذ أذكر أي أذكر في قصة موسى إذ قال لأهله أي امرأته وهي بنت شعيب ﴿ **إني آنست** ﴾ أي أبصرت ورأيت ﴿ **ناراً** ﴾ ومنه إشتقاق الإنس لأنهم مرئيون وقيل آنست أي أحسست بالشيء من جهة يؤنس بها وما آنست به فقد أحسست به مع سكون نفسك إليه ﴿ **سآتيكم منها بخبر** ﴾ معناه فالزموا مكانكم لعلي آتيكم من هذه النار بخبر الطريق وأهتدي بها إلى الطريق لأنه كان أضلّ الطريق ﴿ **أو آتيكم بشهاب قبس** ﴾ أي بشعلة نار والشهاب نور كالعمود من النار وكل نور يمتد مثل العمود يسمى شهاباً وإنما قال لامرأته آتيكم على لفظ خطاب الجمع لأنه أقامه مقام الجماعة في الأنس بها والسكون إليها في الأمكنة الموحشة ﴿ **لعلكم تصطلون** ﴾ أي لكي تستدفؤا بها وذلك لأنهم كانوا قد أصابهم البرد وكانوا شاتين عن الحسن وقتادة ﴿ **فلمّا جاءها** ﴾ أي جاء موسى إلى النار يعني التي ظنَّ أنها نار وهي نور ﴿ **نودي أن بورك من في النار ومن حولها** ﴾ قال وهب لما رأى موسى النار وقف قريباً منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة لا تزداد النار إلا إشتعالاً ولا تزداد الشجرة إلا خضرة وحسناً فلم تكن النار بحرارتها تحرق الشجرة ولا الشجرة برطوبتها تطفيء النار فعجب منها وأهوى إليها بصغث في يده ليقتبس منها فمالت إليها فخافها فتأخر عنها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها إلى أن نودي والمراد به نداء الوحي أن بورك من في النار ومن حولها أي بورك فيمن في النار وهم الملائكة وفيمن حولها يعني موسى وذلك أن النور الذي رأى موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح ومن حولها هو موسى لأنه كان بالقرب منها ولم يكن فيها فكأنه قال بارك الله على من في النار وعليك يا موسى ومخرجه الدعاء والمراد الخبر قال الكسائي تقول العرب باركه الله وبارك عليه وبارك فيه وقيل بورك من في النار معناه من في النار سلطانه وقدرته وبرهانه فالبركة ترجع إلى اسم الله وتأويله تبارك من نور هذا النور ومن حولها يعني موسى والملائكة وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقيل معناه بورك من في طلب النار وهو موسى (ع) فحذف المضاف ومن حولها الملائكة أي دامت البركة لموسى والملائكة وهذا تحية من الله سبحانه لموسى (ع) بالبركة كما حيَّا إبراهيم (ع) بالبركة على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ثم نزَّه سبحانه نفسه فقال ﴿ **سبحان الله رب العالمين** ﴾ أي تنزيهاً له عما لا يليق بصفاته تعالى عن أن يكون جسماً يحتاج إلى جهة أو

عرضاً يحتاج إلى محل أو يكون ممن يتكلم بآلة ثم أخبر سبحانه موسى عن نفسه وتعرف إليه بصفاته فقال ﴿ يا موسى أنه أنا الله العزيز الحكيم ﴾ أي إن الذي يكلّمك هو الله العزيز أي القادر الذي لا يغالب ولا يمتنع عليه شيء الحكيم في أفعاله المحكم لتدابيره ثم أراه سبحانه آية يعلم بها صحة النداء فقال ﴿ وألق عصاك ﴾ وفي الكلام حذف تقديره فألقاها فصارت حية ﴿ فلما رآها تهتز كأنها جان ﴾ أي تتحرّك كما يتحرّك الجان وهو الحية التي ليست بعظيمة وإنما شبّهها بالجان في خفة حركتها واهتزازها مع أنها ثعبان في عظمها ولذلك هاله ذلك حتى ولّى مدبراً وقيل إن الحالتين مختلفتان لأن الحال التي صارت ثعباناً هي الحال التي لقي فيها فرعون والحال التي صارت جاناً هي الحال التي خاطبه الله في أول ما بعثه نبيّاً ﴿ ولّى مدبراً ﴾ أي رجع إلى ورائه ﴿ ولم يعقب ﴾ أي لم يرجع وكل راجع معقّب والمفسرون يقولون لم يلتفت ولم يقف فقال الله سبحانه ﴿ يا موسى لا تخف إني لا يخاف لديَّ المرسلون ﴾ وهذا تسكين من الله سبحانه لموسى ونهي له عن الخوف يقول له أنك مرسل والمرسل لا يخاف لأنه لا يفعل قبيحاً ولا يخلّ بواجب فيخاف عقابي على ذلك .

﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة زيد بن أسلم وأبي جعفر القاري إلا من ظلم بفتح الهمزة خفيفة اللام وقرأ علي بن الحسين (ع) وقتادة مبصرة بفتح الميم والصاد .

[الحجة] قال ابن جني من عدل إلى هذه القراءة فكأنه خفي عليه إنقطاع الاستثناء في القراءة الفاشية فإن من هذه القراءة في موضع رفع بالابتداء أو يكون للشرط كقولك من

م إضرب ومن هناك منصوبة على الاستثناء وهو استثناء منقطع بمعنى لكن وقوله ﴿ مُبْصِرَة ﴾ كقولك هدى ونوراً وقد كثرت المفعلة بمعنى الشياع والكثرة في الجواهر والأحداث جميعاً كقولهم أرض مضبة كثيرة الضباب ومفعاة كثيرة الأفاعي ومحياة ومحواة كثيرة الحيات هذا في الجواهر وأما الأحداث فكقولك البطنة موسنة وأكل الرطب مَوْرَدة ومحمة ومنه المسعاة والمعلاة والحق مجدرة بك ومخلقة وفي كله معنى الكثرة من موضعين (أحدهما) المصدرية التي فيه والمصدر إلى الشياع والعموم (والآخر) التاء وهي لمثل ذلك .

[الإعراب] بيضاء منصوبة على الحال ومن غير سوء يتعلق ببيضاء وفي تسع آيات يتعلق بألق وأدخل يدك ومعناه إلقاء العصا وإدخال اليد في جيبك من جملة الآيات التسع التي يظهر هاله . إلى فرعون يتعلق بمحذوف والتقدير مرسلاً إلى فرعون فهو في موضع الحال ظلماً وعلواً مفعول له وكيف في موضع نصب بأنه خبر كان .

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿ إلا من ظلم ﴾ المعنى لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح من غير المرسلين لأن الأنبياء لا يقع منهم ظلم لكونهم معصومين من الذنوب والقبائح فيكون هذا إستثناء منقطعاً وإنما حسن ذلك لاجتماع الأنبياء وغيرهم في معنى شملهم وهو التكليف ﴿ ثم بدل حسناً بعد سوء ﴾ أي بدّل توبة وندماً على ما فعله من القبيح وعزماً أن لا يعود إليه في المستقبل ﴿ فإني غفور رحيم ﴾ أي ساتر لذنبه قابل لتوبته ﴿ وادخل يدك إلى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ أعطاه آية أخرى وقد سبق بيانها ﴿ في تسع آيات ﴾ أي مع تسع آيات أخر أنت مرسل بها ﴿ إلى فرعون وقومه ﴾ فحذف أو يكون تقديره مرسلاً بها إلى فرعون ومبعوثاً إليه ومثله قول الشاعر :

رَأَتْنِي بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وفي الحَبْلِ رَوْعَاءُ الفُؤَادِ فَرُوقُ[1]

والتقدير رأتني مقبلاً بحبليها وقال الزجاج في تسع آيات معناه من تسع آيات أي أظهر هاتين الآيتين من جملة تسع آيات كقولهم خذ لي عشراً من الإبل فيها فحلان والمعنى منها فحلان والآيات التسع مفسرة في سورة بني إسرائيل ﴿ إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ أي خارجين عن طاعة الله إلى أقبح وجوه الكفر ﴿ فلما جاءتهم آياتنا ﴾ أي حججنا ومعجزاتنا

(١) قائله حميد بن ثور . وروعاء الفؤاد : حديده . وفروق بمعنى الخائف .

﴿ مبصرة ﴾ أي واضحة بيّنة على من أبصر أنها خارجة عن قدرة البشر وهو مثل قوله ﴿ وآتينا ﴾ ثمود الناقة مبصرة وقد مرّ بيانه ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴾ أي ظاهر بيّن ﴿ وجحدوا بها ﴾ وأنكروها ولم يقرّوا بأنها من عند الله تعالى قال أبو عبيدة الباء زائدة والمعنى جحدوها كما قال العجاج « نضرب بالسيف ونرجو بالفرج » ﴿ واستيقنتها أنفسهم ﴾ أي عرفوها وعلموها يقيناً بقلوبهم وإنما جحدوها بألسنتهم ﴿ ظلماً ﴾ على بني إسرائيل وقيل ظلماً على أنفسهم ﴿ وعلواً ﴾ أي طلباً للعلو والرفعة وتكبّراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (ع) ﴿ فانظر ﴾ يا محمد أو أيها السامع ﴿ كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ في الأرض بالمعاصي .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

[اللغة] الوزع أصله المنع والكفّ يقال وزعه عن الظلم قال النابغة :

عَلَىٰ حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبِ عَلَى الصِّبَا وَقُلْتُ أَلَمَّا تَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ[1]

وقال آخر :

أَلَمْ تَزِعِ الْهَوىٰ إِذْ لَمْ تُوَاتِي بَلَىٰ وَسَلَوْتُ عَنْ طَلَبِ الْفَتَاةِ

والحطم الكسر ومنه الحطمة من أسماء جهنم والحطام ما تحطم والايزاع الالهام وفلان موزع بكذا أي مولع به قال الزجاج أوزعني تأويله في اللغة كفّني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك وكفني عما يباعد منك .

[الإعراب] لا يحطمنكم في موضع جزم لأنه جواب الأمر قال الزجاج ضاحكاً حال مؤكدة لأن تبسم في معنى ضحك وقال بعض المتأخرين يجوز أن يكون حالاً بعد الفراغ من الفعل لأن التبسم دون الضحك فكأنه تبسم أولاً ثم آل أمره إلى الضحك .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على قصة موسى (ع) قصة داود وسليمان (ع) فقال سبحانه ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً ﴾ أي علماً بالقضاء بين الخلق وبكلام الطير والدواب عن ابن عباس ﴿ وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴾ أي اختارنا من بين الخلق بأن جعلنا أنبياء وبالمعجزة والملك والعلم الذي أتاناه وبالإنة الحديد وتسخير الشياطين والجن والإنس وإنما نكر قوله علماً ليدل على أنه أراد علماً إحتاجا إليه مما ينبىء عن صدقهما في دعوى الرسالة ﴿ وورث سليمان داود ﴾ في هذا دلالة على أن الأنبياء يورثون المال كتوريث غيرهم وهو قول الحسن وقيل معناه أنه ورثه علمه ونبوته وملكه دون سائر أولاده ومعنى الميراث هنا أنه قام مقامه في ذلك فأطلق عليه إسم الإرث كما أطلق على الجنة إسم الإرث عن الجبائي وهذا خلاف للظاهر والصحيح عند أهل البيت (ع) هو الأول ﴿ وقال ﴾ سليمان مظهراً لنعمة الله وشاكراً إياها ﴿ يا أيها الناس علمنا منطق الطير ﴾ أهل العربية يقولون أنه لا يطلق النطق على غير بني آدم وإنما يقال الصوت لأن النطق عبارة عن الكلام ولا كلام للطير إلا أنه لما فهم سليمان معنى صوت الطير سمّاه منطقاً مجازاً وقيل أنه أراد حقيقة المنطق لأن من الطير ما له كلام مهجي كالطيطوى قال المبرد العرب تسمي كل مبين عن نفسه ناطقاً ومتكلماً قال رؤبة :

---

(١) المشيب: الشيب وابيضاض الشعر. والصبا: الميل إلى هوى النفس. وقوله « تصح » من الصحو، وهو زوال السكر. وقوله « على حين » الجار والمجرور متعلق بأسبل في البيت الذي قبله وهو قوله « :

« فأسبل مني عبرة فرددتها على النحر منها مستهل ودامع »

لَـوْ أُنْنِي أُعْـطِيـتُ عِلْمَ الْـحُكْـلِ عِـلْمَ سُـلَيْـمـانَ كَـلامَ النَّـمْـلِ

والحكل ما لا يسمع له صوت وقال علي بن عيسى أن الطير كانت تكلم سليمان معجزة له كما أخبر عن الهدهد ومنطق الطير صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة بخلاف منطق الناس الذي يتفاهمون به المعاني على صيغ مختلفة ولذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها ولم تفهم هي عنا لأن إفهامها مقصورة على تلك الأمور المخصوصة ولما جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها ﴿ وأوتينا من كل شيء ﴾ أي من كل شيء يؤتى الأنبياء والملوك وقيل من كل ما يطلبه طالب لحاجته إليه وانتفاعه به وقيل من كل شيء علماً وتسخيراً في كل ما يصلح أن يكون معلوماً لنا أو مسخراً لنا غير أن مخرجه مخرج العموم فيكون أبلغ وأحسن وروى الواحدي بالإسناد عن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه (ع) قال أعطي سليمان بن داود ملك مشارق الأرض ومغاربها فملك سبعمائة سنة وستة أشهر ملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع وأعطي علم كل شيء ومنطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي سمع بها الناس وذلك قوله علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ﴿ إن هذا لهو الفضل المبين ﴾ أي هذا فضل الله الظاهر الذي لا يخفى على أحد وهذا قول سليمان على وجه الاعتراف بنعم الله عليه ويحتمل أن يكون من قول الله سبحانه على وجه الأخبار بأن ما ذكره هو الفضل المبين ﴿ وحشر لسليمان جنوده ﴾ أي جمع له جموعه وكل صنف من الخلق جند على حدة بدلالة قوله ﴿ من الجن والإنس والطير ﴾ قال المفسّرون كان سليمان إذا أراد سفراً أمر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود على بساط ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والأرض والمعنى وحشر لسليمان جنوده أي جمع له جموعه في مسير له وقال محمد بن كعب بلغنا أن سليمان بن داود كان معسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة صريحة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض أني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت به الريح فأخبرتك وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم وكان يوضع فيه منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلّه الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع الريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن

الرواح إلى الصباح ﴿ فهم يوزعون ﴾ أي يمنع أولهم على آخرهم عن ابن عباس ومعنى ذلك أن على كل صنف من جنوده وزعة ترد أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ولا يتفرّقوا كما تقوم الجيوش إذا كثرت بمثل ذلك وهو أن تدفع أخراهم وتوقف أولاهم وقيل معناه يحبسون عن ابن زيد وهو مثل الأول في أنه يحبس أولاهم على أخراهم ﴿ حتى إذا أتوا على واد النمل ﴾ أي فسار سليمان وجنوده حتى إذا أشرفوا على واد وهو بالطائف عن كعب وقيل هو بالشام عن قتادة ومقاتل ﴿ قالت نملة ﴾ أي صاحت بصوت خلق الله لها ولما كان الصوت مفهوماً لسليمان عبّر عنه بالقول وقيل كانت رئيسة النمل ﴿ يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم ﴾ أي لا يكسرنكم ﴿ سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ بحطمكم ووطئكم فإنهم لو علموا بمكانكم لم يطؤوكم وهذا يدل على أن سليمان وجنوده كانوا ركباناً ومشاة على الأرض ولم تحملهم الريح لأن الريح لو حملتهم بين السماء والأرض لما خافت النمل أن يطأوها بأرجلهم ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان فإن قيل كيف عرفت النملة سليمان وجنوده حتى قالت هذه المقالة قلنا إذا كانت مأمورة بطاعته فلا بدّ أن يخلق لها من الفهم ما تعرف به أمور طاعته ولا يمتنع أن يكون لها من الفهم ما يستدرك به ذلك وقد علمنا أنه تشق ما تجمع من الحبوب بنصفين مخافة أن يصيبها الندى فتنبت إلا الكزبرة فإنها تكسرها بأربع قطع لأنها تنبت إذا شقت بنصفين فمن هداها إلى هذا فإنه جلّ جلاله يهديها إلى تمييز ما يحطمها مما لا يحطمها وقيل إن ذلك كان منها على سبيل المعجز الخارق للعادة لسليمان (ع) قال ابن عباس فوقف سليمان بجنوده حتى دخل النمل مساكنه ﴿ فتبسم ﴾ سليمان ﴿ ضاحكاً من قولها ﴾ وسبب ضحك سليمان التعجب وذلك إن الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجّب وضحك وقيل أنه تبسّم بظهور عدله حيث بلغ عدله في الظهور مبلغاً عرفه النمل وقيل إن الريح أطارت كلامها إليه من ثلاثة أميال حتى سمع ذلك فانتهى إليها وهي تأمر النمل بالمبادرة فتبسّم من حذرها ﴿ وقال رب أوزعني ﴾ أي ألهمني ﴿ أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ ﴾ بأن علّمتني منطق النمل واسمعتني قولها من بعيد حتى أمكنني الكف وأكرمتني بالنبوة والملك ﴿ وعلى والدي ﴾ أي أنعمت على والدي بأن أكرمته بالنبوة وفصل الخطاب وألنت له الحديد وعلى والدتي بأن زوّجتها نبيك وجعل النعمة عليها نعمة لله سبحانه عليه يلزمه شكرها ﴿ وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾ أي وفّقني لأن أعمل صالحاً في المستقبل ترضاه ﴿ وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ قال ابن عباس يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين أي أدخلني في جملتهم وأثبت إسمي مع أسمائهم واحشرني في زمرتهم وقال ابن زيد في عبادك معناه مع

عبادك قال الزجاج جاء لفظ ادخلوا كلفظ ما يعقل لأن النمل هاهنا أجري مجرى الآدميين حتى نطق كما ينطق الآدميون وإنما يقال لما لا يعقل إدخلي وفي الخبر دخلت أو دخلن وروي أن نمل سليمان هذا كان كأمثال الذئاب والكلاب .

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير أو ليأتيّني بنونين أولاهما مشددة مفتوحة والباقون بنون واحدة مشددة وقرأ عاصم ويعقوب فمكث بفتح الكاف والباقون بضم الكاف وقرأ أبو عمرو وابن كثير في رواية البزي من سباء بفتح الهمزة وقرأ ابن كثير في رواية القواس وابن فليح من سبا بغير همزة وقرأ الباقون من سبأ مجرورة منونة ومثله سواء في سورة سبأ لقد كان لسبأ وقرأ أبو جعفر والكسائي ورويس عن يعقوب الا يسْجدوا خفيفة اللام وقرأ الباقون ألّا يسجدوا مثل قوله ألا يقولوا ومن خفّف وقف على الايا وابتدأ اسجدوا وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم ما تخفون وما تعلنون بالتاء والباقون بالياء .

[الحجة] من قرأ ليأتيّني حذف النون الثالثة التي هي قبل ياء المتكلم لاجتماع النونات ومن قرأ ليأتينّني فهو على الأصل ومكَث ومكُث لغتان ومما يقوي الفتح وقوله انكم ماكثون وقوله ماكثين فيه ابداً وقال سيبويه ثمود وسبا مرة للقبيلتين ومرة للحيين قال أبو علي يريد ان هذه الاسماء منها ما جاء على أنه اسم الحي نحو معد وقريش وثقيف ومنها ما يستوي فيه الأمران كثمود وسبأ وقال أبو الحسن في سبأ ان شئت صرفت فجعلته اسم أبيهم أو اسم الحي وإن شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيلة قال والصرف أحب إليّ لأنه قد عرف أنه اسم أبيهم وان كان اسم الأب يصير كالقبيلة الا اني أحملو على الاصل وقال غيره هو اسم رجل واليمانية كلها تنسب إليه يقولون سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال الزجاج من قال انّ سبأ اسم رجل فغلط لأن سبأ هي مدينة تعرف بمأرِبَ من اليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام قال الشاعر

مِنْ سَبَإِ الحَامِرِينَ مَأرِبَ إذ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيلِهِ العَرِمَا

فمن لم يصرف فلأنه اسم مدينة ومن صرفه فلأن يكون اسماً للبلد قال جرير

الواردون وتيمٌ في ذُرى سَبَإٍ قَدْ عَضَّ أعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الجَوَامِيسِ[1]

ومن قرأ ألاّ يَسجدوا فالتقدير فصدَّهم عن السبيل لأن لا يسجدوا على أنه مفعول له قال أبو علي وهذا هو الوجه لتجري القصة على سننها ولا يفصل بين بعضها وبعض ما ليس منها وان كان الفصل بهذا النحو غير ممتنع لأنه يجري مجرى الاعتراض وكأنّه لما قيل وزيّن لهم الشيطان اعمالهم فصدَّهم عن السبيل فهم لا يهتدون فدلّ هذا الكلام على انهم لا يسجدون لله قال الا يا قوم اسجدوا لله خلافاً عليهم ووجه دخول حرف التنبيه على الأمر انه موضع يحتاج فيه إلى استعطاف المأمور لتأكيد ما يؤمر به عليه كما ان النداء موضع يحتاج فيه إلى استعطاف المنادى لما ينادي له من اخبار أو أمر أو نهي ونحو ذلك مما يخاطب به وإذا كان كذلك فيجوز أن لا تريد منادى في نحو قولك الا يسجدوا كما لا تريد المنادى في نحو قوله :

يا لَعْنَةُ اللّهِ والأقْوامِ كُلِّهِمُ وَالصَّالِحِينَ عَلَى سِمْعَانَ مَنْ جَارِ[2]

وكذلك ما حكي عن أبي عمرو من قوله يا ويل له ويجوز ان يراد بعد يا مأمورون فحذفوا كما حذف في قوله يا لعنة الله فكما ان يا هاهنا لا يجوز أن يكون إلا لغير اللعنة

(١) الذرى جمع الذروة : أعلى كل شيء .

(٢) الشعر في جامع الشواهد. وسمعان اسم رجل.

كذلك يجوز أن يكون المأمورون مرادين وحذفوا من اللفظ وقد جاء هذا في مواضع من الشعر فمن ذلك ما أنشده أبو زيد

فَقالَتْ الا يَا اسْمَعْ نعظْكَ بِخطَّةٍ فَقُلْتُ سَمِيعاً فَانْطِقي وَأَصِيبِي

وأنشد الزجاج لذي الرمة

ألا يَا أسْلِمي يَا دَارَ مَيٍّ عَلَى البِلَى وَلا زالَ مُنْهَلاً بِجَرْعَائِكِ الْقَطْرُ[1]

وللأخطل

ألا يا أسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَني بَدْرٍ[2] وَلَا زَالَ حَيّانا عِدىً آخِرَ الدَّهْرِ[3]

ومما يؤكد قراءة من قرأ ألّا يسجدوا بالتشديد انها لو كانت مخففة لما كانت في يسجدوا ياء لأنها اسجدوا ففي ثبات الياء في المصحف دلالة على التشديد ومن قرأ يخفون ويعلنون بالياء فلأن الكلام على الغيبة وقراءة الكسائي فيهما بالتاء لأن الكلام قد دخله خطاب على قراءة اسجدوا لله ومن قرأ الا يا اسجدوا فيجوز أن يكون الخطاب للمؤمنين والكافرين الذين جرى ذكرهم على لفظ الغيبة .

[الإعراب] كان أبو عمرو يسكن الياء في قوله مالي لا أرى الهدهد ويفتح في قوله ومالي لا أعبد الذي فطرني لئلا يقف الواقف على مالي ويبتدىء بلا اعبد ولا أرى في موضع نصب على الحال. أم كان من الغائبين أم منقطعة التقدير بل أهو من الغائبين وكان بمعنى يكون واللام في لأعذبنه جواب قسم مقدر أي والله لأعذبّنه غير بعيد منصوب لأنه صفة ظرف أو صفة مصدر تقديره فمكث وقتاً غير بعيد أو مكثا غير بعيد ويسجدون في موضع نصب على الحال من وجدت .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن سليمان فقال ﴿وتفقّد الطير﴾ أي طلبه عند غيبته ﴿فقال مالي لا أرى الهدهد﴾ أي ما للهدهد لا أراه تقول العرب مالي أراك كئيباً ومعناه مالك

---

(١) قوله أسلمي أمر من السلامة وهي البراءة من العيوب المنادى محذوف تقديره « يا دراهية أسلمي » وقوله « يا دارمي » تأكيد للمنادى الأول ومي « مرخم مية محبوبته وورد ذكرها كثيراً في شعر ذي الرمة. والبلى الاندراس. والانهلال انصباب المطر بشدة. والجرعاء: رملة مستوية لا تنبت شيئاً. والقطر المطر .

(٢) وفي رواية « بني بكر » .

(٣) أي ولو كان بين قبيلتي وقبيلتك عداوة .

ولكنّه من القلب الذي يوضح المعنى واختلف في سبب تفقده الهدهد فقيل انه احتاج اليه في سفره ليدلّه على الماء لأنه يقال انه يرى الماء في بطن الأرض كما يراه في القارورة عن ابن عباس وروى العياشي بالاسناد قال قال أبو حنيفة لأبي عبد الله (ع كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير قال لأن الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى احدكم الدهن في القارورة فنظر أبو حنيفة إلى أصحابه وضحك قال أبو عبد الله (ع ما يضحكك قال ظفرت بك جعلت فداك قال وكيف ذلك قال الذي يرى الماء في بطن الأرض لا يرى الفخ في التراب حتى يؤخذ بعنقه قال أبو عبد الله (ع يا نعمان أما عملت انه إذا نزل القدر أغشى البصر وقيل إنما تفقده لاخلاله بنوبته عن وهب وقيل كانت الطيور تظلّه من الشمس فلما أخلّ الهدهد بمكانه بان بطلوع الشمس عليه ﴿أم كان من الغائبين﴾ معناه أتأخر عصياناً أم غاب لعذر وحاجة قال المبرد لما تفقّد سليمان الطير ولم ير الهدهد قال مالي لا أرى الهدهد على تقدير أنه مع جنوده وهو لا يراه ثم أدركه الشك فشك في غيبته عن ذلك الجمع بحيث لم يره فقال أم كان من الغائبين أي بل أكان من الغائبين كأنه ترك الكلام الأول واستفهم عن حاله وغيبته ثم أوعده على غيبته فقال ﴿لأعذبنّه عذاباً شديداً﴾ معناه لأعذبنّه بنتف ريشه والقائه في الشمس عن ابن عباس وقتادة ومجاهد جاهد وقيل بأن أجعله بين أضداده وكما صحّ نطق الطير وتكليفه في زمانه معجزة له جازت معاتبته على ما وقع منه من تقصير فإنه كان مأموراً بطاعته فاستحق العقاب على غيبته ﴿أو لأذبحنّه﴾ أي لأقطعن حلقه عقوبة على عصيانه ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ أي بحجة واضحة تكون له عذراً في الغيبة ﴿فمكث غير بعيد﴾ أي فلم يلبث سليمان إلا زماناً يسيراً حتى جاء الهدهد وقيل معناه فلبث الهدهد في غيبته قليلاً ثم رجع وعلى هذا فيجوز أن يكون التقدير فمكث في مكان غير بعيد قال ابن عباس فأتاه الهدهد بحجة ﴿فقال أحطت بما لم تحط به﴾ أي اطّلعت على ما لم تطلع عليه وجئتك بأمر لم يخبرك به ولم يعلم به الانس وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك وهو قوله ﴿وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾ أي بخبر صادق وعلم الإحاطة وهو أن يعلم الشيء من جميع جهاته التي يمكن أن يعلم عليها تشبيهاً بالسور المحيط بما فيه وفي الكلام حذف تقديره ثم جاء الهدهد فسأله سليمان عن سبب غيبته فقال احطت بما لم تحط به وفي هذا دلالة على أنه يجوز أن يكون في زمن الأنبياء من يعرف ما لا يعرفونه وسبأ مدينة بأرض اليمن عن قتادة وقيل ان الله تعالى بعث إلى سبأ اثني عشر نبيّاً عن السدي وروى علقمة بن وعلة عن ابن عباس قال سئل النبي ﷺ عن سبأ فقال هو رجل ولد له عشرة من العرب تيامَنَ منهم ستة وتشأم أربعة فالذين تشأموا لخم وجذام وغسان وعاملة والذين تيامنوا كنده والاشعرون والازد ومذحج وحمير

وانمار ومن الانمار خثعم وبجيلة ﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ أي تتصرف فيهم بحيث لا يعترض عليها أحد ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ وهذا اختار عن سعة ملكها أي من كل شيء من الأموال وما يحتاج إليه الملوك من زينة الدنيا وقال الحسن وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ وقيل شرحبيل ولدها أربعون ملكاً آخرهم أبوها [شرحبيل][1] قال قتادة وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر قيلا[2] كل قيل منهم تحت رايته ألف مقاتل ﴿ولها عرش عظيم﴾ أي سرير اعظم من سريرك وكان مقدمه من ذهب مرصع بالياقوت الأحمر والزمرد الاخضر ومؤخره من فضة مكلل بألوان الجواهر وعليه سبعة أبيات عل كل بيت باب مغلق وعن ابن عباس قال كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً وطوله في الهواء ثلاثون ذراعاً وقال أبو مسلم المراد بالعرش الملك ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ أي عبادتهم للشمس من دون الله ﴿فصدَّهم عن السبيل﴾ أي صرفهم عن سبيل الحق ﴿فهم لا يهتدون﴾ قال الجبائي لم يكن الهدهد عارفاً بالله تعالى وانما أخبر بذلك كما يخبر مراهقو صبياننا لأنه لا تكليف إلا على الملائكة والانس والجن فيرانا الصبي على عبادة الله فيتصوران ما خالفها باطل فكذلك الهدهد تصور له ان ما خالف فعل سليمان باطل وهذا الذي ذكره خلاف ظاهر القرآن لأنه لا يجوز أن يفرق بين الحق الذي هو السجود لله وبين الباطل الذي هو السجود للشمس وان احدها حسن والآخر قبيح إلا العارف بالله سبحانه وبما يجوز عليه وما لا يجوز أن يفرق بين الحق الذي هو السجود لله وبين الباطل الذي هو السجود للشمس وان احدها حسن والآخر قبيح إلا العارف بالله سبحانه وبمزا يجوز عليه وما لا يجوز هذا مع نسبة تزين أعمالهم وصدِّهم عن طريق الحق إلى الشيطان وهذا مقالة من يعرف العدل وان القبيح غير جائز على الله سبحانه ﴿ألا يسجدوا لله﴾ قد بيَّنا ان التخفيف إنما هو على معنى الامر بالسجود ودخلت الياء للتنبيه او على تقدير الايا قوم اسجدوالله وقيل انه امر من الله تعالى لجميع خلقه بالسجود له اعترض في الكلام وقيل انه من كلام الهدهد قاله لقوم بلقيس حين وجدهم يسجدون لغير الله وقاله لسليمان عند عوده اليه استنكاراً لما وجدهم عليه والقراءة بالتشديد على معنى زين لهم الشيطان ضلالتهم لئلا يسجدوا لله وذكر الفراء ان القراءة بالتشديد لا توجب سجدة التلاوة وهذا غير صحيح لأن الكلام قد تضمَّن الذم على ترك السجود فيه دلالة على وجوب السجود وهو كقوله وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن الآية ﴿الذي يخرج الخبء في السموات والأرض﴾

---

(١) ما بين المعقفتين غير موجود في المخطوطتين وكذا في نسخة البحار . (٢) القيل الرئيس .

الخبء المخبوء وهو ما أحاط به غيره حتى منع من ادراكه وهو مصدر وصف به يقال خبأته أخبؤه خباً وما يوجده الله تعالى فيخرجه من العدم إلى الوجود يكون بهذه المنزلة وقيل الخبء الغيب وهو كل ما غاب عن الادراك فالمعنى يعلم غيب السماوات والأرض عن عكرمة ومجاهد وقيل ان خبء السماوات المطر وخبء الأرض النبات والاشجار عن ابن زيد ﴿ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾ أي يعلم السر والعلانية ﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ إلى ها هنا تمام الحكاية لما قاله الهدهد ويحتمل ان يكون ابتداء اخبار من الله تعالى والعرش سرير الملك الذي عظمه الله ورفعه فوق السماوات السبع وجعل الملائكة تحفّ به وترفع أعمال العباد اليه وتنشأ البركات من جهته فهو عظيم الشأن كما وصفه الله تعالى وهو أعظم خلق الله تعالى .

﴿ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ
فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ
إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

[القراءة] في الشواذ ما رواه وهب عن ابن عباس الا تغلوا بالغين المعجمة من الغلو .

[المعنى] ولما سمع سليمان ما اعتذر به الهدهد في تأخره ﴿قال﴾ عند ذلك ﴿سننظر أصدقت﴾ في قولك الذي أخبرتنا به ﴿أم كنت من الكاذبين﴾ وهذا ألطف وألين في الخطاب من أن يقول أم كذبت لأنه قد يكون من الكاذبين بالميل إليهم وقد يكون منهم بالقرابة تكون بينه وبينهم وقد يكون منهم بأن يكذب كما كذبوا ثم كتب سليمان كتاباً وختمه بخاتمه ودفعه إليه فذلك قوله ﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم﴾ يعني إلى أهل سبأ ﴿ثم تول عنهم﴾ أي استتر منهم قريباً بعد القاء الكتاب إليهم فانظر ماذا يرجعون عن وهب بن منبه وغيره وقيل انه على التقديم والتأخير ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ أي ماذا يردون من الجواب ثم تول عنهم لأن

التولي عنهم بعد الجواب عن مقاتل وابن زيد والجبائي وأبي مسلم والأول أوجه لأن الكلام إذا صحَّ من غير تقديم وتأخير كان أولى وفي الكلام حذف تقديره فمضى الهدهد بالكتاب وألقاه إليهم فلما رأته بلقيس ﴿قالت﴾ لقومها ﴿يا أيها الملأ﴾ أي الاشراف ﴿إني ألقي إلي كتاب كريم﴾ قال قتادة أتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها فقرأت الكتاب وقيل كانت لها كوة مستقبلة للشمس تقع الشمس عندما تطلع فيها فإذا نظرت إليها سجدت فجاء الهدهد الى الكوة فسدَّها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم فقامت تنظر فرمى الكتاب إليها عن وهب وابن زيد فلما أخذت الكتاب جمعت الاشراف وهم يومئذ ثلاثمائة واثنا عشر قيْلا ثم قالت لهم اني ألقي الي كتاب كريم سمته كريما لأنه كان مختوماً عن ابن عباس ويؤيده الحديث اكرام الكتاب ختمه وقيل وصفته بالكريم لأنه صدره ببسم الله الرحمن الرحيم وقيل لحُسْن خطه وجودة لفظه وبيانه وقيل لأنه كان ممن يملك الانس والجن والطير وقد كانت سمعت بخبر سليمان فسمته كريماً لأنه من كريم رفيع الملك عظيم الجاه ﴿انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ معناه ان الكتاب من سليمان وان المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم سليمان (ع) ولم تعرفه هي ولا قومها وقيل ان هذا حكاية ما قالته على المعنى باللغة العربية وان لم تقل هي بهذا اللفظ والحكاية على ثلاثة أوجه حكاية على المعنى فقط وحكاية على اللفظ فقط ممن حكاه من غير ان يعلم معناه وحكاية على اللفظ والمعنى وهو الأصل في الحكاية التي لا يجوز العدول عنها إلا بقرينة وموضع ﴿ألا تعلو﴾ يجوز ان يكون رفعاً بالبدل من كتاب ويجوز ان يكون نصباً على معنى بأن لا تعلوا والصحيح أنَّ أنْ في مثل هذا الموضع بمعنى أي على ما قاله سيبويه في نحو قوله ﴿وانطلق الملأ منهم ان امشوا﴾ أي امشوا ومعناه لا تترفعوا ولا تتكبروا ﴿عليَّ وأتوني مسلمين﴾ أي منقادين طائعين لأمري فيما أدعوكم وقيل مسلمين مؤمنين بالله تعالى ورسوله مخلصين في التوحيد قال قتادة وكذا كانت الأنبياء تكتب كتبها موجزة مقصورة على الدعاء إلى الطاعة من غير بسط .

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾
قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا
تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟

أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم
بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ
أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۖ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ
تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا
وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾

[القراءة] قرأ حمزة ويعقوب أتمدوني بنون واحدة مشددة على الادغام والباقون بنونين مظهرين .

[الإعراب] حتى تشهدون انتصب تشهدون باضمار ان والنون فيه نون عماد فلما جاء سليمان فاعل جاء الضمير المستكن فيه الراجع إلى مفعول مرسلة المحذوف لأن تقديره اني مرسلة رسولاً اذلة نصب على الحال وهم صاغرون جملة في موضع الحال معطوفة على أذلة .

[المعنى] ولما وقفت بلقيس على كتاب سليمان ﴿قالت﴾ لأشراف قومها ﴿يا أيها الملأ افتوني في أمري﴾ أي أشيروا عليَّ بالصواب والفتيا والفتوى الحكم بما فيه صواب بدلاً من الخطأ وهو الحكم بما يعمل عليه فجعلت المشورة هنا فتيا ﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾ أي ما كنت ممضية أمراً ﴿حتى تشهدون﴾ أي تحضروني تريد الا بحضرتكم ومشورتكم وهذا ملاطفة منها لقومها في الاستشارة منهم لما تعمل عليه ﴿قالوا﴾ لها في الجواب عن ذلك ﴿نحن أولوا قوة﴾ أي أصحاب قوة وقدرة وأهل عدد ﴿ وأولو بأس شديد ﴾ أي وأصحاب شجاعة شديدة ﴿ والأمر إليك ﴾ أي أن الأمر مفوّض إليك في القتال وتركه ﴿فانظري ماذا تأمرين﴾ أي ما الذي تأمريننا به لنمتثله فإن أمرت بالصلح صالحنا وان أمرت بالقتال قاتلنا ﴿قالت﴾ مجيبة لهم عن التعريض بالقتال ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ أي إذا دخلوها عنوة عن قتال وغلبة اهلكوها وخربوها ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ أي أهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الأمر والمعنى انها حذرتهم مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم وانتهى الخبر عنها وصدقها الله فيما قالت فقال ﴿وكذلك﴾ أي وكما قالت

هي ﴿يفعلون﴾ وقيل ان الكلام متصل بعضه ببعض وكذلك يفعلون من قولها ﴿وإني مرسلة اليهم﴾ أي إلى سليمان وقومه ﴿بهدية﴾ أصانعه بذلك عن ملكي ﴿فناظرة﴾ أي فمنتظرة ﴿بم يرجع المرسلون﴾ بقبول أم رد وإنما فعلت ذلك لأنها عرفت عادة الملوك في حسن موقع الهدايا عندهم وكان غرضها ان يتبين لها بذلك انه ملك أو نبي فإن قبل الهدية تبيّن انه ملك وعندها ما يرضيه وان ردها تبين أنه نبي واختلف في الهدية فقيل اهدت إليه وصفاء ووصايف ألبستهم لباساً واحداً حتى لا يعرف ذكر من أنثى عن ابن عباس وقيل أهدت مائتي غلام ومائتي جارية ألبست الغلمان لباس الجواري وألبست الجواري ألبسة الغلمان عن مجاهد وقيل أهدت له صفائح الذهب في أوعية من الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فألقي في الطريق فلما جاؤوا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان فلما رأوا ذلك صغر في أعينهم ما جاؤوا به عن ثابت اليماني وقيل انها عمدت إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجواري الاقبية والمناطق وألبست الغلمان في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب وفي آذانهم أقراطاً وشنوفاً مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر وبعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلاً من أشراف قومها اسمه المنذر بن عمرو وضمّت إليه رجالاً من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت إليه كتاباً بنسخة الهدية قالت فيها ان كنت نبياً فميّز بين الوصفاء والوصايف وأخبر بما في الحقة قبل أن تفتحها وأثقب الدرة ثقباً مستوياً وأدخل الخرزة خيطاً من غير علاج انس ولا جن وقالت للرسول انظر اليه ان دخلت عليه فإن نظر إليك نظرة غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولنّك امره فإنا أعزُّ منه وإن نظر إليك نظر لطف فاعلم أنه نبي مرسل فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر فأمر سليمان الجن ان يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى بضع فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال للجن عليّ بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفاً فراسخ وأمر الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان

تقاصرت اليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا فلما وقفوا بين يدي سليمان نظر اليهم نظراً حسناً بوجه طلق وقال ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا له واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحقة فأتي بها وحركها وجاءه جبرائيل (ع) فأخبره بما في الحقة فقال ان فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فأرسل سليمان إلى الأرضة فجاءت فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضاء انا لها يا رسول الله فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر ثم ميّز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم ان يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الأنية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه والغلام كان يأخذ من الأنية يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صباً والغلام يحدر الماء على يده حدراً فميّز بينهما بذلك هذا كله مروي عن وهب وغيره وقيل انها انفذت مع هداياها عصا كان يتوارثها ملوك حمير وقالت أريد ان تعرفني رأسها من أسفلها وبقدح ماء وقالت تملأها ماء رواء ليس من الأرض ولا من السماء فأرسل سليمان العصا إلى الهواء وقال أي الرأسين سبق إلى الأرض فهو أسفلها وأمر الخيل فأجريت حتى عرقت وملأ القدح من عرقها وقال ليس هذا من ماء الأرض ولا من ماء السماء ﴿فلما جاء سليمان﴾ أي فلمّا جاء الرسول سليمان ﴿قال أتمدُّونني بمال﴾ أي تزيدونني مالاً وهذا استفهام انكار يعني أنه لا يحتاج إلى مالهم ﴿فما آتاني الله خير مما آتاكم﴾ أي ما أعطاني الله من الملك والنبوة والحكمة خير مما أعطاكم من الدنيا وأموالها ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ إذا هدى بعضكم الى بعض وأما أنا فلا أفرح بها أشار إلى قلة اكتراثه بأموال الدنيا ثم قال (ع) للرسول ﴿ارجع اليهم﴾ بما جئت من الهدايا ﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها﴾ أي لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعها ﴿ولنخرجنهم منها أذلة﴾ أي من تلك القرية ومن تلك المملكة وقيل من أرضها وملكها ﴿وهم صاغرون﴾ أي ذليلون صغيرو القدر ان لم يأتوني مسلمين فلما ردَّ سليمان الهدية وميّز بين الغلمان والجواري الى غير ذلك علموا انه نبي مرسل وانه ليس كالملوك الذين يغترون بالمال .

﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟
أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ
مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ

لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا
مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا
عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن
قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ
إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا
رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ
مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة أبي رجاء وعيسى الثقفي عفرية .

[الحجة] والمعنى معنى العفريت يقال رجل عفرية نفرية أي خبيث داه قال ذو الرمة

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ في إِثْرِ عِفْرِيَةٍ مُسَوَّمٌ في سَوادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبُ[1]

وأصل العفريت والعفرية من العفر وهو التراب لأنه يصرع قرنه في العفر ومنه قيل للاسد عفرني وللناقة الشديدة عفرناة قال الأعشى

(١) قوله مسوم أي معلم بعلامة . ومنقضب اي منقض من مكانه يصف ثوراً وحشياً .

بِـذاتِ لـوثٍ عَـفَـرْنـاةٍ إذا عَـثَـرَتْ فَـالتَّعْسُ أدْنَـى لَهـا مِنْ أنْ يُقَـال لَعـا[1]

[اللغة] التنكير تغيير الشيء من حال إلى حال ينكرها صاحبها إذا رآه والصرح القصر وكل بناء مشرف صرح وصرحة الدار وساحتها وقارعتها وصحنها وأصله من الوضوح يقال صرح بالأمر أي كشفه وأوضحه وصرَّح بالتشديد لازم ومتعدٍّ واللجة معظم الماء والجمع لجج ولج البحر خلاف الساحل ومنه لج بالأمر إذا بالغ بالدخول فيه والممرَّد الممملس ومنه الأمرد وشجرة مرداء أي ملساء لا ورق عليها والمارد المتملسَ عن الحق الخارج منه .

[المعنى] فلما رجع إليها الرسول وعرفت أنه نبيّ وأنها لا تقاومه فتجهزّت للمسير إليه وأخبر جبرائيل سليمان (ع) إنها خرجت من اليمن مقبلة إليه ﴿ فقال ﴾ سليمان لأماثل جنده وأشراف عسكره ﴿ يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ﴾ واختلف في السبب الذي خصَّ به العرش بالطلب على أقوال (أحدها) أنه أعجبته صفته فأراد أن يراه وظهر له آثار إسلامها فأحبَّ أن يملك عرشها قبل أن تسلم فيحرم عليه أخذ مالها عن قتادة (وثانيها) أنه أراد أن يختبر بذلك عقلها وفطنتها ويختبر هل تعرفه أو تنكره عن ابن زيد وقيل أراد أن يجعل ذلك دليلاً ومعجزة على صدقه ونبوته لأنها خلفته في دارها وأوثقته ووكلت به ثقات قومها يحرسونه ويحفظونه عن وهب وقال ابن عباس كان سليمان رجلاً مهيباً لايبتدىء بالكلام حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوماً فجلس على سريره فرأى رهجاً[2] قريباً منه فقال ما هذا فقالوا بلقيس يا رسول الله وقد نزلت منا بهذا المكان وكان ما بين الكوفة والحيرة على قدر فرسخ فقال أيكم يأتيني بعرشها . وقوله مسلمين فيه وجهان (أحدهما) أنه أراد مؤمنين موحدين (والآخر) مستسلمين منقادين على ما مرَّ بيانه ﴿ قال عفريت من الجن ﴾ أي مارد قوي داهية عن ابن عباس ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ أي من مجلسك الذي تقضي فيه عن قتادة ﴿ وأني عليه لقوي أمين ﴾ أي وأني على حمله لقويّ وعلى الإتيان به في هذه المدة قادر وعلى ما فيه من الذهب والجواهر أمين وفي هذا دلالة على أن القدرة قبل الفعل لأنه أخبر بأنه قوي عليه قبل أن يجيء به وكان سليمان يجلس في مجلسه للقضاء غدوة إلى نصف النهار فقال سليمان أريد أسرعَ من ذلك فعند ذلك ﴿ قال الذي عنده علم

---

(١) اللوث القوة والعرب تدعو على العاثر من الدواب إذا كان جواداً بالتعس فتقول تعساً له ، وان كان بليداً كان دعائهم له إذا عثر لعاً لك .

(٢) أي غباراً .

من الكتاب ﴾ وهو آصف بن برخيا وكان وزير سليمان وابن أخته وكان صديقاً يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب عن ابن عباس وقيل إن ذلك الإسم الله والذي يليه الرحمن وقيل هو يا حي يا قيوم وبالعبرانية أهيا شر اهيا[1] وقيل هو يا ذا الجلال والإكرام عن مجاهد وقيل أنه قال يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت عن الزهري وقيل إن الذي عنده علم من الكتاب كان رجلاً من الإنس يعلم إسم الله الأعظم إسمه بلخيا عن مجاهد وقيل إسمه أسطوم عن قتادة وقيل الخضر (ع) عن أبي لهيعة وقيل إن الذي عنده علم من الكتاب هو جبرائيل (ع) أذن الله له في طاعة سليمان (ع) بأن يأتيه بالعرش الذي طلبه وقال الجبائي هو سليمان قال ذلك للعفريت ليريه نعمة الله عليه وهذا قول بعيد لم يؤثر عن أهل التفسير وأما الكتاب المعرف في الآية بالألف واللام فقيل إنه اللوح المحفوظ وقيل أراد به جنس كتب الله المنزلة على أنبيائه وليس المراد به كتاباً بعينه والجنس قد يعرف بالألف واللام وقيل إن المراد به كتاب سليمان إلى بلقيس ﴿ إنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ إختلف في معناه فقيل يريد قبل أن يصل إليك من كان منك على قدر مدّ البصر عن قتادة وقيل معناه قبل أن يبلغ طرفك مداه وغايته ويرجع إليك قال سعيد بن جبير قال لسليمان أنظر إلى السماء فما طرف حتى جاء به فوضعه بين يديه والمعنى حتى يرتدّ إليك طرفك بعد مدّه إلى السماء وقيل إرتداد الطرف إدامة النظر حتى يرتد طرفه خاسئاً عن مجاهد فعلى هذا معناه أن سليمان مدّ بصره إلى أقصاه وهو يديم النظر فقبل أن ينقلب بصره إليه حسيراً يكون قد أتى بالعرش قال الكلبي خرّ آصف ساجداً ودعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان وذكر العلماء في ذلك وجوهاً (أحدها) أن الملائكة حملته بأمر الله تعالى (والثاني) أن الريح حملته (والثالث) أن الله تعالى خلق فيه حركات متوالية (والرابع) أنه إنخرق مكانه حيث هو هناك ثم نبع بين يدي سليمان (والخامس) إن الأرض طويت له وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) (والسادس) أنه أعدمه الله في موضعه وأعاده في مجلس سليمان وهذا لا يصحّ على مذهب أبي هاشم ويصحّ على مذهب أبي علي الجبائي فإنه يجوز فناء بعض الأجسام دون بعض وفي الكلام حذف كثير لأن التقدير قال سليمان له إفعل فسأل الله تعالى في ذلك فحضر العرش فرآه سليمان مستقراً عنده ﴿ فلما رآه مستقراً عنده ﴾ أي فلما رأى سليمان العرش محمولاً إليه موضوعاً بين يديه في مقدار رجع البصر ﴿ قال هذا

---

[1] كذا في الأصل والمخطوطتين وفي نسخة مطبوعة « اهى اشراهى » واستظهر في هامش نسخة البحار أن الصحيح « اهيه اشراهيه » وقال اهيه بمعنى واجب الوجود وقيل معنى الجملة : الوجود الذي هو موجود .

من فضل ربي ﴾ أي من نعمته عليّ وإحسانه لـديّ لأن تيسير ذلـك وتسخيره مـع صعوبتـه وتعذره معجزة له ودلالة على علوّ قدره وجلالته وشرف منزلته عند الله تعالى ﴿ ليبلوني أأشكر أم أكفر ﴾ أي ليختبرني هل أقوم بشكر هذه النعمة أم أكفر بهـا ﴿ ومن شكر فـإنما يشكـر لنفسه ﴾ لأن عائدة شكره ومنفعته ترجعـان إليه وتخصـانه دون غيـره وهذا مثـل قولـه ﴿ إن أحسنتم ﴾ أحسنتم لأنفسكم ﴿ ومن كفر فإن ربي غني ﴾ عن شكر العباد غير محتاج إليه بل هم المحتاجون إليه لما لهم فيه من الثواب والأجر ﴿ كريم ﴾ أي متفضل على عباده شاكرهم وكافرهم عاصيهم ومطيعهم لا يمنعه كفرهم وعصيانهم من الإفضال عليهم والإحسان إليهم ﴿ قال ﴾ سليمان ﴿ نكّروا لها عرشها ﴾ أي غيّروا سريرها إلى حـال تنكرهـا إذا رأته وأراد بذلك إعتبار عقلها على ما قيل ﴿ ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون ﴾ أي أتهتدي إلى معرفة عرشها بفطنتها بعد التغيير أم لا تهتدي إلى ذلك عن سعيد بن جبير وقتـادة وقيل أتهتدي أي أتستدل بعرشها على قدرة الله وصحة نبوتي وتهتدي بذلك إلى طريق الإيمان والتوحيد أم لا عن الجبائي قال ابن عباس فنزع ما كان على العرش من الفصوص والجواهر وقال مجاهد غير ما كان أحمر فجعله أخضر وما كان أخضر فجعله أحمر وقال عكرمة زيد فيه شيء ونقص منه شيء ﴿ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قال كأنه هو ﴾ فلم تثبته ولم تنكره ودلّ ذلك على كمال عقلها حيث لم تقل لا إذ كان يشبه سريرها لأنها وجدت فيه ما تعرفه ولم تقل نعم إذ وجدت فيه ما غيّر وبدّل ولأنها خلّفته في بيتها وحمله في تلك المدة إلى ذلك الموضع غير داخل في قدرة البشر قال مقاتل عرفته ولكن شبهوا عليها حين قالوا لها أهكذا عرشـك فشبهت حين قالت كأنه هو ولو قيل لها هذا عرشك لقالت نعم قال عكرمة كانت حكيمة قالت إن قلت هو هو خشيت أن أكذّب وإن قلت لا خشيت أن أكذب فقالت كأنه هو شبهته به فقيل لها فإنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب وكانت قد خلفته وراء سبعة أبواب لما خرجت فقالت ﴿ وأوتينا العلم ﴾ بصحة نبوة سليمـان ﴿ من قبلها ﴾ أي من قبـل الآية في العـرش ﴿ وكنا مسلمين ﴾ طائعين لأمر سليمان وقيل إنه من كلام سليمان عن مجاهد ومعناه وأوتينا العلم بالله وقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرة وكنا مخلصين لله بالتوحيد وقيل معناه وأوتينا العلم بإسلامهـا ومجيئها طـائعة قبـل مجيئها وقيـل إنه من كـلام قوم سليمـان عن الجبائي ﴿ وصدّها ما كانت تعبد من دون الله ﴾ أي منعها عبادة الشمس عن الإيمان بالله تعالى بعد رؤية تلك المعجزة عن مجاهد فعلى هذا تكون ما موصولة مرفوعة الموضع بأنها فاعلة صدّ وقيل معناه وصدّها سليمان عمّا كانت تعبده من دون الله وحال بينها وبينه ومنعها عنـه فعلى هذا يكون ما في موضع النصب وقيل معناه منعها الإيمان والتوحيد الذي كانت تعبده من دون

الله وهو الشمس ثم إستأنف فقال ﴿ إنها كانت من قوم كافرين ﴾ أي من قوم يعبدون الشمس قد نشأت فيما بينهم فلم تعرف إلا عبادة الشمس ﴿ قيل لها إدخلي الصرح ﴾ والصرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقف وذكر إن سليمان لما أقبلت صاحبة سبأ أمر الشياطين ببناء الصرح وهو كهيئة السطح المنبسط من قوارير أجرى تحته الماء وجمع في الماء الحيتان والضفادع ودواب البحر ثم وضع له فيه سرير فجلس عليه وقيل إنه قصر من زجاج كأنه الماء بياضاً وقال أبو عبيدة كل بناء من زجاج أو صخر أو غير ذلك موثق فهو صرح وإنما أمر سليمان (ع) بالصرح لأنه أراد أن يختبر عقلها وينظر هل تستدل على معرفة الله تعالى بما ترى من هذه الآية العظيمة وقيل إن الجن والشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته بعده لو تزوجها وذلك أن أمها كانت جنية فأساؤوا الثناء عليها ليزهّدوه فيها وقالوا إن في عقلها شيئاً وإن رجلها كحافر الحمار فلما إمتحن ذلك وجدها على خلاف ما قيل وقيل أنه ذكر له أن على رجليها شعراً فلما كشفته بان الشعر فساءه ذلك فاستشار الجن في ذلك فعملوا الحمامات وطبخوا له النورة والزرنيخ وكان أول ما صنعت النورة ﴿ فلما رأته ﴾ أي رأت بلقيس الصرح ﴿ حسبته لجة ﴾ وهي معظم الماء ﴿ وكشفت عن ساقيها ﴾ لدخول الماء وقيل إنها لما رأت الصرح قالت ما وجد ابن داود عذاباً يقتلني به إلا الغرق وأنفت أن تجبن فلا تدخل ولم يكن من عادتهم لبس الخفاف فلما كشفت عن ساقيها ﴿ قال ﴾ لها سليمان ﴿ إنه صرح ممرد ﴾ أي مملس ﴿ من قوارير ﴾ وليس بماء ولما رأت سرير سليمان والصرح ﴿ قالت ربي إني ظلمت نفسي ﴾ بالكفر الذي كنت عليه ﴿ وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ فحسن إسلامها وقيل إنها لما جلست دعاها سليمان إلى الإسلام وكانت قد رأت الآيات والمعجزات فأجابته وأسلمت وقيل إنها لما ظنت أن سليمان يغرقها ثم عرفت حقيقة الأمر قالت ظلمت نفسي إذ توهّمت على سليمان ما توهّمت واختلف في أمرها بعد ذلك فقيل إنه تزوجها سليمان وأقرّها على ملكها وقيل إنه زوّجها من ملك يقال له تبع وردّها إلى أرضها وأمر زوبعة أمير الجن باليمن أن يعمل له ويطيع فصنع له المصانع باليمن قال عون بن عبد الله جاء رجل إلى عبد الله بن عتبة فسأله هل تزوجها سليمان قال عهدي بها إن قالت وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين يعني أنه لا يعلم ذلك وإن آخر ما سمع من حديثها هذا القول وروى العياشي في تفسيره بالإسناد قال إلتقى موسى بن محمد بن علي بن موسى (ع) ويحيى بن أكثم نسأله عن مسائل قال فدخلت على أخي علي بن محمد (ع) بعد أن دار بيني وبينه من المواعظ حتى إنتهيت إلى طاعته فقلت له جعلت فداك أن ابن أكثم سألني عن مسائل أفتيه فيها فضحك ثم قال فهل

أفتيته فيها قلت لا قال ولم قلت لم أعرفها قال وما هي قلت أخبرني عن سليمان أكان محتاجاً إلى علم آصف بن برخيا ثم ذكر المسائل الأخر قال إكتب يا أخي بسم الله الرحمن الرحيم سألت عن قول الله تعالى في كتابه قال الذي عنده علم من الكتاب فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرفه آصف لكنّه (ع) أحبَّ أن تعرف أمته من الإنس والجن أنه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله تعالى ففهمه الله ذلك لئلا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان في حياة داود ليعرف إمامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ
تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَٰسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ
وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾
وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾
فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم لتبيتنّه بالتاء وضم التاء الثانية ثم لتقولُنّ بالتاء

أيضاً وضم اللام والباقون لنبيتنه بالنون وفتح التاء ثم لنقولن أيضاً بالنون وفتح اللام وقرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وسهل وابن عامر إنا دمرناهم بكسر الألف والباقون بفتح الألف وروي عن روح وزيد عن يعقوب بكسر الألف أيضاً .

[الحجة] قال أبو علي قوله تقاسموا لا يخلو من أن يراد به مثال الماضي أو مثال الآتي الذي يراد به الأمر فمن أراد به الأمر جعل لنبيتنه جواباً لتقاسموا فكأنه قال حلفوا لنبيتنه لأن هذه الألفاظ التي تكون من ألفاظ القسم تتلقى بما يتلقى به الإيمان كقوله تعالى ﴿ وأقسموا بالله ﴾ جهد إيمانهم لئن جاءتهم آية ﴿ ليؤمنن واقسموا بالله ﴾ جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت فكذلك ﴿ تقاسموا بالله لنبيتنه ﴾ ملقاة باللام والنون الثقيلة وادخل المتكلمون أنفسهم مع المقسمين كما دخلوا في قوله ﴿ قل تعالوا ندع ابناءنا وأبنائكم ﴾ ومن قال تقاسموا لنبيتنه أراد ليقسم بعضكم لبعض لنبيتنه فتقاسموا على هذا أمر كما كان فيمن قال لنبيتنه أمراً ومن قال تقاسموا لتبيتنه بالتاء فتقاسموا على هذا مثال ماض ولا يجوز مع هذا إلاّ بالتاء لأن مثال الماضي للغيبة ولتبيتنه للخطاب ومن كسر أنا دمرناهم جاز أن يكون كان في قوله كيف كان عاقبة مكرهم تامة وأن تكون ناقصة فإن جعلتها تامة بمعنى وقع كان قوله كيف كان عاقبة في موضع حال تقديره على أيُّ حال وقع عاقبة مكرهم أي أحسناً وقع عاقبة مكرهم أو سيئاً أو يكون في كيف ضمير من ذي الحال كما إنك إذا قلت في الدار حدث الأمر فجعلته في موضع الحال كان كذلك وحكم كيف على ذا أن يكون متعلقاً بمحذوف كما أنك إذا قلت في الدار وقع زيد فتقديره وقع زيد مستقراً في هذه الحال فإن جعلته ظرفاً للفعل تعلق بكان الذي بمعنى الحدث وقوله أنا دمرناهم فيمن كسر استئناف وهو تفسير للعاقبة كما أن قوله لهم مغفرة وأجر عظيم تفسير للموعد ومن قرأ انّا دمرناهم جاز أن يكون كان على ضربيها وإذا حملته على وقع كان كيف في موضع حال وجاز في قوله ﴿ أنا دمرناهم ﴾ أمران (أحدهما) أن يكون بدلاً من قوله ﴿ عاقبة مكرهم ﴾ وجاز أن يكون محمولاً على مبتدأ مضمر كأنه قال هو أنا دمرناهم أو ذاك أنا دمرناهم فإذا حملتها على المقتضية للخبر جاز في قوله أنا دمرناهم قولان (أحدهما) أن يكون بدلاً من اسم كان الذي هو العاقبة فإذا حملته على ذلك كان كيف في موضع خبر كان (والآخر) أن يكون خبر كان ويكون موضعه نصباً بأنه خبر كان كأنه كان عاقبة أمرهم تدميرهم ويكون كيف في موضع حال ويجوز أن يكون العامل في كيف أحد شيئين إما أن يكون كان لأنه فعل كما كان العامل في الظرف في قوله ﴿ أكان للناس ﴾ عجباً أن أوحينا ألا ترى أنه لا يجوز أن يتصل قوله للناس بواحد من المصدرين إلا أن تجعله صفة لعجب فتقدمه فيصير في موضع حال فالعامل فيه

على هذا أيضاً كان ويجوز أن يكون العامل فيه ما في الكلام من الدلالة على الفعل لأن قوله أنا دمرناهم بما دلة تدميرنا وتدميرنا يدل على دمَّرنا فيصير العامل فيه هذا المعنى الذي دلَّ عليه ما في الكلام من معنى الفعل وزعموا أن في حرف أبي أنْ دمرناهم فهذا يقوي الفتح في أنا .

[المعنى] ثم عطف سبحانه علي قصة سليمان قصة صالح فقال ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم ﴾ في النسب ﴿ صالحاً إن أعبدوا الله ﴾ أي أرسلناه بأن أعبدوا الله وحده لا شريك له ﴿ فإذا هم فريقان يختصمون ﴾ أي مؤمنون وكافرون يقول كل فريق الحق معي ﴿ قال ﴾ صالح للفريق المكذب ﴿ يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ﴾ أي بالعذاب قبل الرحمة أي لم قلتم إن كان ما أتينا به حقاً فأتنا بالعذاب وسمى العذاب سيئة لما فيه من الآلام ولأنه جزاء على السيئة لأن السيئة هي الخصلة التي تسوء صاحبها ﴿ لولا ﴾ أي هلا ﴿ تستغفرون الله ﴾ أي تطلبون مغفرته من الشرك بأن تؤمنوا ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ فلا تعذَّبون في الدنيا ﴿ قالوا أطّيرنا بك وبمن معك ﴾ أي تشأمنا بك وبمن على دينك وذلك أنهم قحط المطر عنهم وجاعوا فقالوا أصابنا هذا الشرّ من شؤمك وشؤم أصحابك ﴿ قال ﴾ لهم صالح ﴿ طائركم عند الله ﴾ أي الشؤم أتاكم من عند الله بكفركم وهذا كقوله يطيَّروا بموسى ومن معه إلا إنما طائرهم عند الله ﴿ بل أنتم قوم تفتنون ﴾ أي تختبرون بالخير والشر عن ابن عباس وقيل تعذبون بسوء أعمالكم عن محمد بن كعب وقيل تبتلون وتمتحنون بطاعة الله ومعصيته ﴿ وكان في المدينة ﴾ يعني التي بها صالح وهي الحجر ﴿ تسعة رهط يفسدون في الأرض ﴾ كانت هذه التسعة النفر من أشرافهم وهم غواة قوم صالح وهم الذين سعوا في عقر الناقة ﴿ ولا يصلحون ﴾ أي لا يطيعون الله تعالى وذكر ابن عباس أسماءهم وقال هم قدار بن سالف ومصدع ودهمي ودهيم ودعمي ودعيم وأسلم وقتال وصداف ﴿ قالوا تقاسموا بالله ﴾ أي قالوا فيما بينهم احلفوا بالله ﴿ لنبيتنه ﴾ أي لنقتلن صالحاً ﴿ وأهله ﴾ بياتاً ومن قرأ بالنون فكأنهم قالوا أقسموا لنفعلن والأمر بالقسم في القراءتين داخل في الفعل منهم ﴿ ثم لنقولن لوليه ﴾ أي لذي رحم صالح أن سألنا عنه ﴿ ما شهدنا مهلك أهله ﴾ أي ما قتلناه وما ندري من قتله وأهلكه وقد ذكرنا إختلاف القرّاء فيه في سورة الكهف ﴿ وإنا لصادقون ﴾ في هذا القول قال الزجاج كان هؤلاء النفر تحالفوا أن يبيتوا صالحاً وأهله ثم ينكروا عند أوليائه أن يكونوا فعلوا ذلك أو رأوه وكان هذا مكراً عزموا عليه قال الله تعالى ﴿ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً ﴾ أي جازيناهم جزاء مكرهم بتعجيل عقوبتهم ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ بمكر الله بهم فإنهم دخلوا على صالح ليقتلوه فأنزل الله سبحانه الملائكة فرموا كل واحد منهم بحجر

حتى قتلوهم وسلم صالح من مكرهم عن ابن عباس وقيل إن الله أمر صالحاً بالخروج من بينهم ثم استأصلهم بالعذاب وقيل نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضاً ليأتوا صالحاً فخرَّ عليهم الجبل عن مقاتل ﴿ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم ﴾ أي أهلكناهم بما ذكرناه من العذاب ﴿ وقومهم أجمعين ﴾ بصيحة جبرائيل ﴿ فتلك بيوتهم ﴾ أشار إلى بيوتهم والمعنى فانظر إليها ﴿ خاوية ﴾ نصب على الحال أي فارغة خالية ﴿ بما ظلموا ﴾ أي بظلمهم وشركهم بالله تعالى ﴿ إن في ذلك ﴾ أي في إهلاكهم ﴿ لآية لقوم يعلمون ﴾ أي لعبرة لمن نظر إليها واعتبر بها وفي هذه الآية دلالة على أن الظلم يعقب خراب الدور وروي عن ابن عباس أنه قال أجد في كتاب الله أن الظلم يخرب البيوت وتلا هذه الآية وقيل إن هذه البيوت بوادي القرى بين المدينة والشام ﴿ وأنجينا الذين آمنوا ﴾ به ﴿ وكانوا يتقون ﴾ قالوا أنهم أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت وسمي حضرموت لأن صالحاً لما دخلها مات .

﴿ وَلُوطًا إِذْ
قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ * فَمَا
كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ
إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ
قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ
ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ
ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

[القراءة] قرأ أهل البصرة وعاصم يشركون بالياء والباقون بالتاء على الخطاب وفي الشواذ قراءة الحسن فما كان جواب قومه بالرفع .

[الحجة] الأولى أن يكون جواب قومه خبر كان والاسم قوله ﴿ إن قالوا ﴾ لشبه إن

بالمضمر من حيث كانت لا توصف والمضمر أعرف من المظهر وقد تقدم القول في هذا .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه قصة لوط عاطفاً بها على ما تقدَّم فقال ﴿ ولوطاً ﴾ أي وأرسلنا لوطاً ﴿ إذ قال لقومه ﴾ منكراً عليهم أفعالهم ﴿ أتأتون الفاحشة ﴾ يعني الخصلة القبيحة الشنيعة الظاهرة القبح وهي إتيان الذكران في أدبارهم ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ أي تعلمون أنها فاحشة وقيل معناه وأنتم يرى بعضكم ذلك من بعض ثم بيَّن سبحانه الفاحشة التي يأتونها فقال ﴿ إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ﴾ اللاتي خلقهن الله لكم ﴿ بل أنتم قوم تجهلون ﴾ أي تفعلون أفعال الجهال قال ابن عباس تجهلون القيامة وعاقبة العصيان ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم أنهم أناس يتطهرون ﴾ عن إتيان الرجال في إدبارهم ﴿ فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها ﴾ أي جعلناها ﴿ من الغابرين ﴾ أي الباقين في العذاب ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً ﴾ وهو الحجارة ﴿ فساء مطر المنذرين ﴾ الذين ابلغهم لوط النذارة واعلمهم بموضع المخافة ليتَّقوها فخالفوا ذلك ثم قال سبحانه لنبيِّه ﷺ ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ الحمد لله ﴾ شكراً على نعمه بأن وفَّقنا للإيمان وقيل الحمد لله على هلاك الأمم الكافرة ﴿ وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ أي اصطفاهم الله واجتباهم واختارهم على بريته وهم الأنبياء عن مقاتل وقيل هم أصحاب محمد ﷺ عن ابن عباس والحسن وقيل هم أمة محمد ﷺ ومعنى السلام عليهم انهم سلموا مما عذَّب الله به الكفار عن الكلبي وقيل هم آل محمد ﷺ عن علي بن إبراهيم ثم قال سبحانه مخاطباً للمشركين ﴿ الله خير أما يشركون ﴾ يا أهل مكة يعني الله خير لمن عبده أم الأصنام لعابديها وهذا الزام للحجة على المشركين بعد ذكر هلاك الكفار والمعنى ان الله تعالى نجى من عبده من الهلاك والاصنام لم تغن شيئاً عن عابديها عند نزول العذاب وانما قال ذلك لأنهم توهموا في عبادة الأصنام خيراً .

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ
أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾
أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا

رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾
أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا
بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ
مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ
يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[القراءة] قرأ ابو عمرو وهشام ما يذكرون بالياء والباقون بالتاء والوجه فيهما ظاهر .

[اللغة] الحديقة البستان الذي عليه حائط وكل ما أحاط به البناء فهو حديقة وقيل الحديقة البستان الذي فيه النخل والقرار المكان المطمئن الذي يستقرُّ فيه الماء ويقال للروضة المنخفضة قرارة ومنه حديث ابن عباس قال علمي في علم علي (ع) كالقرارة في المثعنجر أي كالغدير في البحر والبرهان البيان بحجة .

[الاعراب] أمن استفهام في محل الرفع على الابتداء وخبره خلق وقرازا نصب على الحال لأن جعل بمعنى خلق وان كان بمعنى صير فهو مفعول ثان له أإله مع الله مبتدأ وخبر تقديره أإله ثبت مع الله وإنما جاز ان تكون النكرة مبتدأ لأنه استفهام ويجوز ان يكون خبر المبتدأ محذوفاً أو يكون تقديره أإله في الوجود مع الله قليلاً ما تذكرون صفة مصدر محذوف تقديره تذكرون تذكراً قليلاً وما مزيدة وبشراً نصب على الحال، وبين يدي رحمته ظرف منه

ايان في محل نصب لأنه ظرف زمان والعامل فيه يبعثون .

[المعنى] ثم عدَّد سبحانه الدلائل على توحيده ونعمه الشاملة لعبيده فقال ﴿أمن خلق السموات والأرض﴾ وتقديره اما تشركون خير أم من خلق السموات والأرض أي أنشأهما واخترعهما ﴿وانزل لكم من السماء ماء﴾ أي غيثاً ومطراً لكم أي لمنافعكم ولأجل معاشكم عرَّفهم سبحانه ان غيره لا يقدر على ذلك ﴿فأنبتنا به حدائق﴾ أي رياضاً وبساتين وما لم يكن عليه حائط لا يقال له حديقة ﴿ذات بهجة﴾ أي ذات منظر حسن يبتهج به من رآه ولم يقل ذوات بهجة لأنه أراد تأنيث الجماعة ولو اراد تأنيث الاعيان لقال ذوات وقال الشاعر :

وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إنْ ظَفَرْتَ بِهِ رَبٌّ كَرِيمٌ وَبِيضٌ ذاتُ أَطْهارِ[1]

﴿ما كان لكم ان تنبتوا شجرها﴾ ما هنا للنفي أي لم يكونوا يقدرون على انبات شجرها ﴿أإله مع الله﴾ وهذا استفهام انكار معناه هل معه معبود سواه اعانه على صنعه ﴿بل﴾ ليس معه إله ﴿هم قوم يعدلون﴾ يشركون بالله غيره يعني كفار مكة ﴿أمن جعل الأرض قراراً﴾ أي مستقرة لا تميل ولا تميد بأهلها ﴿وجعل خلالها أنهاراً﴾ أي وجعل وسط الأرض وفي مسالكها ونواحيها أنهاراً جارية ينبت بها الزرع ويحيا بها الخلق ﴿وجعل لها رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت أثبت بها الأرض ﴿وجعل بين البحرين حاجزاً﴾ أي مانعاً من قدرته بين العذاب والملح فلا يختلط احدهما بالآخر ﴿أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ توحيد ربهم وكمال قدرته وسلطانه ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه﴾ أي يجيب المكروب المجهود فيكشف ضرَّه وكربه وأجابة دعاء المضطر هي فعل ما يدعو به وهذا لا يكون إلا من قادر على الإجابة مختار لها ورأس المضطرين المذنب الذي يدعوه ويسأله المغفرة ومنهم الخائف الذي يسأله الأمن والمريض الذي يطلب العافية والمحبوس الذي يطلب الخلاص فإن الكل إذا ضاق بهم الأمر فزعوا إلى رب العالمين وأكرم الاكرمين وإنما خصَّ المضطر وان كان قد يجيب غير المضطر لأن رغبته أقوى وسؤاله اخضع ﴿ويكشف السوء﴾ أي يدفع الشدة وكل ما يسوء ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله فيهلك قرناً وينشيء قرناً وقيل يجعلكم خلفاء من الكفار بنزول بلادهم وطاعة الله تعالى بعد شركهم

(١) قيل ان الشعر لسموأل بن عاديا يضرب به المثل في الوفاء وكانت عنده دورع أمانة. فطلب منه رجل فأبى فأخذ الرجل ابنه وهدده بقتله ان لم يسلم الدروع، والبيت يشير الى ذلك ويقول ان ظفرت بابني وقتلته فسوف يخلفني ربي ابناء اخرى من نساء بيض ذات اطهار.

وعنادهم ﴿أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ أي قليلاً ما تتعظون عن ابن عباس ومن قرأ بالياء فالمعنى قليلاً ما يتذكر هؤلاء المشركون ﴿أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ أي أما تشركون خير أم من يرشدكم إلى القصد والسمت في البر والبحر بما نصب لكم من الدلالات من الكواكب والقمر وإذا ظللتم وهو كقوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ﴿ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ قد مضى تفسيره ووجوه القراآت فيه[1] ﴿أإله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾ أي جلّ وتنزّه عن الشريك كما يزعمه المشركون ﴿أمن يبدأ الخلق﴾ بأن يخترعه ويوجده وينشئه على غير مثال واحتذاء ثم يميته ويفنيه ﴿ثم يعيده﴾ بعد الإفناء وإنما قال ذلك لأنهم أقرّوا بأنه الخالق فيلزمهم الإقرار بالبعث من حيث ان من قدر على الإنشاء قدر على الإعادة ﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ بانزال المطر وباخراج الثمار والنبات ﴿أإله مع الله﴾ يقدر على ذلك ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿هاتوا برهانكم﴾ أي حجتكم ﴿ان كنتم صادقين﴾ ان لي شريكاً صنع شيئاً من هذه الأشياء فإذا لم يقدروا على اقامة البرهان على ذلك فاعلموا انه لا إله معي ولا يستحق العبادة سواي ﴿قل﴾ يا محمد ﴿لا يعلم من في السموات والأرض﴾ من الملائكة والانس والجن ﴿الغيب﴾ وهو ما غاب علمه عن الخلق مما يكون في المستقبل ﴿إلا الله﴾ وحده أو من اعلمه الله تعالى ﴿وما يشعرون ايان يبعثون﴾ أي متى يحشرون يوم القيامة دلّ سبحانه بهذه الآية كما دلّ بما تقدّمها على قدرته.

﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ
هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا
أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ
هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي
ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

(١) اي في سورة الاعراف. راجع ٢

صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى
كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾

[القراءة] قرأ أهل البصرة وأبو جعفر وابن كثير بَلْ أَدْرَكَ بقطع الالف وسكون اللام والدال وقرأ الشموني عن ابي بكر بَل إِدَّرَكَ موصولة الالف مشدَّدة الدال بلا الف بعدها والباقون بل ادّارك وفي الشواذ قراءة سليمان بن يسار وعطاء بن يسار بَلَ دْرَكَ بفتح اللام ولا همزة ولا الف وقراءة الحسن وابي رجاء وابن محيصن وقتادة بَلْ آدَّرَك وقراءة ابن عباس بلى بياء ادرك وقراءة أبي بل تدارك وقرأ أهل المدينة إذا كنا تراباً بكسر الألف آنا لمخرجون بالاستفهام بهمزة واحدة ممدودة عن أبي جعفر وقالون وغيره ممدودة عن ورش وإسماعيل وقرأ ابن عامر والكسائي أإذا بهمزتين اننا بنونين وقرأ ابن كثير ويعقوب أذا أنا بالاستفهام فيهما جميعاً بهمزة واحدة غير ممدودة وقرأ أبو عمرو آذا آنّا بالاستفهام فيهما جميعاً بهمزة واحدة ممدودة وقرأ عاصم وحمزة وخلف أإذا أإنا بالاستفهام فيهما جميعاً بهمزتين همزتين وقرأ ابن كثير في ضيق بكسر الضاد والباقون بفتحها .

[الحجة] قال ابو علي ان علم قد يصل بالجار كقوله تعالى الم يعلم بأن الله يرى وقولهم علمي بزيد يوم الجمعة ومعنى أدرك بلغ ولحق يقال فلان أدرك الحسن أي لحق ايامه وهذا ما ادركه علمي اي بلغه فالمعنى انهم لم يدركوا علم الآخرة اي لم يعلموا حدوثها وكونها ودلَّ على ذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون أي بل هم من علمها عمون وإذا كان كذلك كان معنى قوله في الآخرة معنى الباء أي لم يدركوا علمها ولم ينظروا في حقيقتها فيدركوا ولهذا قرأ من قرأ أدْرك كأنه أراد لم يدركوه كما تقول أجئتني أمس أي لم تجئني والمعنى لم يدرك علمهم بحدوث الآخرة بل هم في شك منها بل هم من علمها عمون والعمى عن علم الشيء أبعد منه من الشاك فيه لأن الشك قد يعرض عن ضرب من النظر والعمى عن الشيء الذي لم يدرك منه شيئاً وأما من قال إدَّارَك فإنه أراد تدارك فأدغم التاء في الدال لمقاربتها لها

وكونها من حيزها فلما سكتت التاء للادغام اجتلبت لها همزة الوصل كما اجتلبتها في نحو ادّارأتم وفي التنزيل حتى اذا ادّاركوا فيها كان معناها تلاحقوا قال (تَدَارَكْتُم الأَحْلافَ قَدْ ثُلَّ عَرْشُها)(١) وما روي عن أبي بكر بَل إدّرك معناه افتعل من ادّركت وافتعل وتفاعل يجيآن بمعنى ومن ثم صحَّ قولهم ازدوجوا وان كان الحرف على صورة يجب فيها الانقلاب ولكنه صحَّ لما كان بمعنى تفاعلوا وتفاعلوا يلزم فيه تصحيح حروف العلة لسكون الحرف الذي قبل حرف العلة فصار تصحيح هذا كتصحيح عَوِرَ وحَوِلَ لما كان بمعنى إعْوَرَّ وإحْوَلَّ ومن قرأ بَلَ ادْرَكَ فإنه خفف الهمزة بحذفها والقاء حركتها على اللام الساكنة قبلها نحو قَدَ فْلَحَ في قَدْ أَفْلح واما قوله بل ءادّرَك فإن بل استئناف وما بعدها استفهام كما تقول ازيد عندك بل اعمرو عندك تَرَكاً للاول إلى غيره واما بلى(٢) فكأنه جواب وذلك لأنه لما قال قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله فكأن قائلاً قال ما الأمر كذلك فقيل له بلى ثم استؤنف فقيل أدرك علمهم في الآخرة وقد سبق ذكر الاستفهامين فيما تقدم وكذلك ذكر الضيق والضيق والاولى ان يحمل على انهما لغتان.

[اللغة] قال ابن الاعرابي ردفت واردفت ولحقت والحقت بمعنى وترادفوا تلاحقوا قال المبرد اللام في ردف لكم وقيل انه إنما أتي باللام لأن معنى ردف دنا فكأنه قال دنا لكم كما قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهَا الْحاجاتُ يَطْرَحْنَ بِالْفَتى وَهَمٌّ تَعَنَّاني مُعَنًّى رَكَائِبُهْ(٣)

قال يطرحن بالفتى لما كان معنى يطرحن يرمين وكنت الشيء في نفسي واكننته إذا سترته في نفسك فهو مكن ومكنون قال الزماني الاكنان جعل الشيء بحيث الشيء لايلحقه أذى بمانع يصدُّه عنه.

[الاعراب] العامل في إذا امعنى قوله مخرجون لأن ما بعد ان لا يعمل فيما قبل ان فالتقدير أإذا كنا تراباً أخرجنا وهذا في محل نصب لأنه مفعول ثان لو عد «عسى ان يكون

---

(١) هذا صدر بيت لزهير وعجزه «وذبيان قد زلت باقدامها النعل». ومراده من الاحلاف هم قبيلتا اسد وغطفان لانهم تحالفوا على التناصر وقوله «وذبيان» عطف على الاحلاف. وثل عرشه اي تضعضعت حاله.

(٢) اي في قراءة ابن عباس « بلى أدرك » .

(٣) قائله الفرزدق من قصيدة يمدح فيها المطلب بن عبد الله المخزومي وقبل هذا البيت قوله وهو مطلع القصيدة «تقول ابنة الغوثي مالك هيهنا * وأنت تميمي مع الشرق جانبه * فقلت لها. . . .» وقوله هم تعناني اي قاساني «ومعنى» من التعنية .

ردف لكم» يكون اسمه ضمير الأمر والشأن وما بعده خبره وان يكون وما يتعلق به في محل رفع بأنه فاعل عسى .

[**المعنى**] لما اخبر سبحانه عن الكفار انهم لا يشعرون متى يبعثون وانهم شاكون عقّبه بأنهم يعلمون حقيقة ذلك يوم القيامة فقال ﴿**بل ادارك علمهم في الآخرة**﴾ أي تتابع منهم العلم وتلاحق حتى كمل علمهم في الآخرة بما اخبروا به في الدنيا فهو على لفظ الماضي والمراد به الاستقبال اي يتدارك ومن قرأ ادرك فمعناه سيدرك علمهم هذه الاشياء في الآخرة حين لا ينفعهم اليقين ﴿**بل هم في شك منها**﴾ في الدنيا عن ابن عباس والمعنى ان ما جهلوه في الدنيا وسقط علمه عنهم علموه في الآخرة وقيل معناه اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يشكّوا ولم يختلفوا عن السدي وقال مقاتل يقول بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكّوا وعموا عنه في الدنيا وقيل أن هذا على وجه الاستفهام فحذف الألف والمراد به النفي بمعنى انه لم يدرك علمهم بالآخرة ولم يبلغها علمهم وقيل معناه ادرك هذا العلم جميع العقلاء لو تفكروا ونظروا لأن العقل يقتضي ان الاهمال قبيح فلابدَّ من تكليف والتكليف يقتضي الجزاء وإذا لم يكن ذلك في الدنيا فلا بدَّ من دار للجزاء وقيل ان الآية اخبار عن ثلاث طوائف طائفة اقرَّت بالبعث وطائفة شكّت فيه وطائفة نفته كما قال بل هم في أمر مريج وقوله ﴿**بل هم منها عمون**﴾ أي عن معرفتها وهو جمع عمى وهو الاعمى القلب لتركه التدبر والنظر ﴿**وقال الذين كفروا**﴾ بإنكارهم البعث ﴿**أإذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون**﴾ من القبور مبعوثون يقولون ذلك على طريق الاستبعاد والاستنكار ﴿**لقد وعدنا هذا**﴾ البعث ﴿**نحن**﴾ فيما مضى ﴿**وآباؤنا من قبل**﴾ أي ووعد آباؤنا ذلك من قبلنا فلم يكن مما قالوه شيء ﴿**ان هذا إلا أساطير الأولين**﴾ أي احاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين**﴾ الذين كفروا بالله وعصوه اي كيف اهلكهم الله وخرب ديارهم ﴿**ولا تحزن عليهم**﴾ أي على تكذيبهم وتركهم الإيمان ﴿**ولا تكن في ضيق**﴾ وهو ما يضيق به الصدر ﴿**مما يمكرون**﴾ أي يدبّرون في امرك فإن الله تعالى يحفظك وينصرك عليهم ﴿**ويقولون متى هذا الوعد**﴾ الذي تعدنا يا محمد من العذاب ﴿**ان كنتم صادقين**﴾ بأنه يكون ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**عسى ان يكون ردف لكم**﴾ أي قرب لكم عن ابن عباس وقيل اقرب لكم عن السدي وقيل اردف لكم عن قتادة ﴿**بعض الذي تستعجلون**﴾ من العذاب وعسى من الله واجب فمعناه انه قرب منكم وسيأتيكم وهذا البعض

الذي دنا لهم القتل والاسر يوم بدر وسائر العذاب لهم فيما بعد الموت وقيل هو الانذار عند الموت وشدته وعذاب القبر عن الجبائي ﴿وان ربك لذو فضل على الناس﴾ بضروب النعم الدينية والدنيوية وقيل بإمهالهم ليتوبوا والفضل هو الزيادة من الله تعالى للعبد على ما يستحقه بشكره والعدل حق للعبد والفضل فيه واقع من الله تعالى الا انه على ما يصحّ وتقتضيه الحكمة ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ نعمه ﴿فإن ربك ليعلم ما تكنُّ صدورهم﴾ أي تخفيه وتستره ﴿وما يعلنون﴾ اي ويعلم ما يظهرونه أيضاً ﴿وما من غائبة﴾ أي من خصلة غائبة ﴿في السماء والأرض﴾ يعني جميع ما اخفاه عن خلقه وغيبه عنهم ﴿إلا في كتاب مبين﴾ اي إلا وهو مبين في اللوح المحفوظ وقيل أراد أن جميع أفعالهم محفوظة عنده غير منسية كما يقول القائل أفعالك عندي مكتوبة أي محفوظة عن أبي مسلم والجبائي .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾
فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ
وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى
ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم
مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ * وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً
مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾
وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا

عِلْمًا أَمَّا ذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾

[القراءة] قرأ ولا يسمع بالياء الصُمُّ بالرفع هاهنا وفي الروم ابن كثير وابن عباس والباقون لا تسمع بضم التاء الصم بالنصب وقرأ وما انت تهدي العمي حمزة هاهنا وفي الروم وقرأ الباقون وما أنت بهادي العمي وفي الشواذ قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والجحدري وابن ذرعة تَكْلِمُهم بفتح التاء والتخفيف وقرأ اهل العراق غير أبي عمرو وسهل أنَّ الناس بفتح الهمزة والباقون بكسرها.

[الحجة] حجة من قال تسمع انه اشبه بما قبل من قوله انك لا تسمع الموتى ويؤكد ذلك قوله ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ومن قرأ ولا يَسمَعُ الصُمُّ الدعاءَ فالمعنى لا ينقادون للحق لعنادهم كما لا يسمع الأصم ما يقال له ومن قرأ تهدي العمي فالتقدير إنك لا تهديهم لشدة عنادهم واعراضهم وأتت مرفوع بما على قول اهل الحجاز وتهدي في موضع نصب بأنه خبر وعلى قول تميم يرتفع بفعل مضمر يفسّره الظاهر الذي هو تهدي تقديره إذا اظهرت ذلك المضمر ما تهدي تهدي لأنك إذا اظهرت الفعل المضمر اتصل به الضمير ولم ينفصل كما ينفصل إذا لم تظهر ومن قرأ بهادي العمي مضافاً في السورتين فاسم الفاعل للحال او للآتي فإذا كان كذلك كانت الاضافة في نية الانفصال وقوله أن الناس بالفتح فالوجه فيه تكلمهم بأن الناس وزعموا انه في قراءة ابي تنبئهم وعن قتادة انه في بعض الحروف تحدثهم وهذا يدل على ان تكلمهم من الكلام الذي هو النطق وليس هو من الكلم الذي هو الجراحة . ومن كسر فقال ان الناس فالمعنى تكلمهم فتقول لهم ان الناس واضمار القول في الكلام كثير وحسن ذلك لأن الكلام قول فكأن القول اظهر ومن قرأ تَكْلِمُهم فمعناه تَجْرحُهُم بأكلها اياهم .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه من الحجج ما يقوّي قلب نبيّه ﷺ فقال ﴿ان هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيل﴾ أي يخبرهم بالصدق ﴿اكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ من حديث مريم وعيسى والنبي المبشر به في التوراة حيث قال بعضهم هو يوشع وقال بعضهم لابل هو هو منتظر لم يأت بعد وغير ذلك من الاحكام وكان ذلك معجزة لنبينا ﷺ إذا كان لا يدرس كتبهم ولا يقرؤها ثم اخبرهم بما فيها ﴿وانه﴾ يعني القرآن ﴿لهدى﴾ أي دلالة على الحق ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ اي نعمة لهم ﴿إن ربك يقضي بينهم بحكمه﴾ يريد بين المختلفين في،

الدين يوم القيامة واشار بذلك إلى شيئين (أحدهما) ان الحكم له فلا ينفذ حكم غيره فيوصل إلى كل ذي حقّ حقّه (والآخر) انه وعد المظلوم بالانتصاف من الظالم ﴿وهو العزيز﴾ القادر على ما يشاء لا يمتنع عليه شيء ﴿العليم﴾بالمحق والمبطل فيجازي كُلاًّ بحسب عمله وفي هذه الآية تسلية للمحقين من الذين خولفوا في أمور الدين وان أمرهم يؤل إلىَ أن يحكم بينهم رب العالمين ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿فتوكل على الله﴾ يا محمد ﴿إنك على الحق المبين﴾ أي الواضح البين الظاهر والمحق أولى بالتوكل من المبطل المدغل والمراد بهذا الخطاب سائر المؤمنين وان كان في الظاهر لسيد المرسلين ثم شبَّه الكفار بالموتى فقال ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ يقول كما لا تسمع الميت الذي ليس له آلة السمع النداء كذلك لا تسمع الكافر النداء لأنه لا يسمع ولا يقبل الموعظة ولا يتدبر فيها ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ إنما قال ذلك لأن الأصم إذا كان قريباً فالإنسان يطمع في اسماعه فإذا اعرض وادبر وتباعد انقطع الطمع في اسماعه فجعل سبحانه المصمم على الجهل كالميت في انه لا يقبل الهدى وكالأصم في انه لا يسمع الدعاء ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ في الدين بالآيات الدالة على الهدى إذا اعرضوا عنها كما لا يمكنك ان تهدي الاعمى الى قصد الطريق جعل سبحانه الجهل بمنزلة العمى لأنه يمنع عن ادراك الحق كما يمنع العمى من إدراك المبصرات ﴿ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾ اي ما يسمع إلا من يطلب الحق بالنظر في آياتنا ﴿فهم مسلمون﴾ أي مستسلمون منقادون جعل سبحانه استماعهم وقبولهم الحق سماعاً وتركهم للقبول تركاً للسماع وقيل مسلمون اي موحدّون مخلصون ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ اي وجب العذاب والوعيد عليهم وقيل معناه إذا صاروا بحيث لا يفلح أحد منهم ولا احد بسببهم عن مجاهد وقيل معناه إذا غضب الله عليهم من قتادة وقيل معناه إذا أنزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة فسمي المقول قولاً كما يقال جاء الخبر الذي قلت ويراد به المخبر قال ابو سعيد الخدري وابن عمر إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم وأخذوا بمبادىء العقاب منها قوله ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾ تخرج بين الصفا والمروة فتخبر المؤمن بأنه مؤمن والكافر بأنه كافر وعند ذلك يرتفع التكليف ولا تقبل التوبة وهو علم من اعلام الساعة وقيل لا يبقى مؤمن إلا مسحته ولا يبقى منافق الا خطمته تخرج ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى عن ابن عمر وروى محمد بن كعب القرظي قال سئل على صلوات الرحمن عليه من الدابة فقال أما والله ما لها ذنب وإن لها للحية وفي هذا إشارة الى انها من الإنس وروي عن ابن عباس انها دابة من دواب الارض لها زغب وريش ولها ربع قوائم وعن حذيفة عن النبي ﷺ قال دابة الأرض طولها ستّون ذراعاً

لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب فتسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر بين عينيه وتكتب بين عينيه كافر ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤظمن بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى يقال يا مؤمن ويا كافر وروي عن النبي ﷺ أنه يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجاً باقصى المدينة فيفشو ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زماناً طويلاً ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم سار الناس يوماً في اعظم المساجد على الله عز وجل حرمة واكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم ترعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا ما بين الركن الاسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فيرفض الناس عنها ويثبت لها عصابة عرفوا انهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولّت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الأموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وروي عن وهب انه قال ووجهها وجه رجل وسائر خلقها خلق الطير ومثل هذا لا يعرف إلا من النبوات الإلهية وقد روي عن علي (ع) انه قال إنه صاحب العصا والميسم وروى علي بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره عن أبي عبد الله (ع) قال قال رجل لعمار بن ياسر يا ابا اليقظان آية في كتاب الله افسدت قلبي قال عمار وأيّة آية هي فقال هذه الآية فأيّة دابة الأرض هذه قال عمار والله ما اجلس ولا آكل ولا اشرب حتى اريكها فجاء عمار مع الرجل إلى امير المؤمنين (ع) وهو يأكل تمرا وزبداً فقال يا ابا اليقظان هلم فجلس عمار يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل سبحانه الله حلفت انك لا تأكل ولا تشرب حتى ترينيها قال عمار أريتكها ان كنت تعقل وروى العياشي هذه القصة بعينها عن أبي ذر رحمه الله أيضاً وقوله ﴿تكلمهم﴾ اي تكلمهم بما يسؤهم وهو انهم يصيرون الى النار بلسان يفهمونه وقيل تحدثهم بأن هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تكلمهم بأن تقول لهم ﴿إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ وهو الظاهر وقيل بآياتنا معناه بكلامها وخروجها ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾ أي يدفعون عن ابن عباس وقيل يحبس أولهم على آخرهم واستدلّ بهذه الآية على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية بأن قال ان دخول من في الكلام يوجب التبعيض فدلّ ذلك على ان اليوم المشار إليه في الآية يحشر فيه قوم دون قوم وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه

وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً وقد تظاهرت الاخبار عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ في ان الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي قوماً ممن تقدَّم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته ويعيد ايضاً قوماً من اعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب في القتل على ايدي شيعته والذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته ولا يشكُّ عاقل ان هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه وقد فعل الله ذلك في الامم الخالية ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع مثل قصة عزير وغيره على ما فسرَّناه في موضعه وصحَّ عن النبي ﷺ قوله سيكون في أمتي كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذَّة بالقذَّة[1] حتى لو ان احدهم دخل جحر ضبّ لدخلتموه على ان جماعة من الإمامية تأوَّلوا ما ورد من الاخبار في الرجعة على رجوع الدولة والامر والنهي دون رجوع الاشخاص واحياء الاموات وأوَّلوا الاخبار والواردة في ذلك لما ظنّوا ان الرجعة تنافي التكليف وليس كذلك لأنه ليس فيها ما يلجيء إلى فعل الواجب والامتناع من القبيح والتكليف يصحّ معها كما يصحّ مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة كفلق البحر وقلب العصا ثعباناً وما أشبه ذلك ولأن الرجعة لم تثبت بظواهر الاخبار المنقولة فيتطرّق التأويل عليها وإنما المعوّل في ذلك على اجماع الشيعة الإمامية وإن كانت الاخبار تعضده وتؤيدّه ومن قال ان قوله ويوم يحشر من كل أمة فوجاً المراد به يوم القيامة قال المراد بالفوج الجماعة من الرؤساء والمتبوعين في الكفر حشروا وجمعوا لإقامة الحجة عليهم ﴿**حتى إذا جاؤوا**﴾ إلى موقف الحساب ﴿**قال**﴾ الله تعالى لهم ﴿**أكذّبتم بآياتي**﴾ أي كذّبتم بأنبيائي ودلالاتي الدالة على ديني ﴿**ولم تحيطوا بها علماً**﴾ أي لم تطلبوا معرفتها ولم تبيّنوا ما اوجب الله عليكم فيها ﴿**أماذا كنتم تعملون**﴾ حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا في صحتها يقول ذلك تبكيتاً لهم وتجهيلاً أي هذا كان الواجب عليكم فتركتموها ولم تعرفوها حق معرفتها فبماذا اشتغلتم ومن قال بالأول قال المراد بالآيات الأئمة الطاهرون (ع) ﴿**ووقع القول عليهم**﴾ أي وجب العذاب عليهم ﴿**بما ظلموا**﴾ أي بظلمهم إذ صاروا بحيث لا يفلح جحد منهم بسببهم ﴿**فهم لا ينطقون**﴾ إذ ذاك بكلام ينتفعون به ويجوز أن يكون المراد انهم لا ينطقون اصلاً لعظم ما يشاهدونه وهول ما يرونه .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ

---

(١) قال ابن الاثير القذة واحدة القذذ: ريش السهم : وفي الحديث : لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة اي كما تقدّر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع ، يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾
وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى
ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى
ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ
أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ
فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ
بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى
حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ
أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ
فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

[القراءة] قرأ حمزة وحفص وخلف أتوه مقصورة الألف غير ممدودة بفتح التاء وقرأ الباقون آتوه بمد الألف وضم التاء وقرأ أهل البصرة غير سهل وابن كثير وحماد والأعشى والبرجمي عن أبي بكر بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء وقرأ أهل الكوفة من فزعٍ منونا يومئذ بفتح الميم وقرأ أهل المدينة غير إسماعيل من فزعِ بغير تنوين يومئذ بفتح الميم وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ونافع برواية اسماعيل ويعقوب من فزعِ بغير تنوين يومئذ بكسر الميم وقرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص ويعقوب عما تعملون بالتاء والباقون بالياء .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ أتوه كان فعلوا من الاتيان ومن قرأ آتوه فهو فاعلوه

وكلاهما محمول على معنى كل ولو حمله على اللفظ جاز كما في قوله وكلهم آتيه وإن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً وحجة من قال يفعلون بالياء ان ذكر الغيبة قد تقدم في قوله وكل أتوه وحجة التاء أنه خطاب للكافة وقد تدخل الغيبة في الخطاب ولا يدخل الخطاب في الغيبة وقوله من فزع يومئذ من نوَّن كان في انتصاب يوم ثلاثة أوجه (أحدها) ان يكون منتصباً بالمصدر كأنه قال وهم من أن يفزعوا يومئذ آمنون (والآخر) ان يكون اليوم صفة لفزع لأن اسماء الاحداث توصف بأسماء الزمان كما يخبر عنها بها وفيه ذكر الموصوف وتقديره في هذا الوجه ان يتعلق بمحذوف كأنه من فزع بحدث يومئذ (والثالث) أن يتعلق باسم الفاعل كأنه آمنون من فزع يومئذ ويجوز إذا نوَّن الفزع ان يعني به فزعاً واحداً ويجوز أن يعني به كثرة لأنه مصدر والمصادر تدل على الكثرة وإن كانت مفردة الألفاظ كقوله تعالى ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ وكذلك إذا أضاف فقال من فزع يومئذ أو يومئذٍ ويجوز أن يعني به مفرداً ويجوز أن يعني به كثرة فأما القول في اعراب يوم وبنائه إذا أضيف الى إذ فقد ذكر فيما تقدم وحجة من قرأ يعملون بالياء أنه وعيد للمشركين وحجة التاء أنه على معنى قل لهم ذلك .

[الإعراب] وصف النهار بأنه مبصر فيه وجهان (أحدهما) ان معناه ذو أبصار كقوله عشية راضية أي ذات رضى وكقول النابغة « كِلِيني لَهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبٍ »[1] أي ذي نصب (والثاني)أنه يريك الأشياء كما يراها من يبصرها بالنور الذي تجلى عندها وفيه قول ثالث انه مثل قول جرير

لَقَدْ لُمْتَنَا يَا أُمَّ غَيْلاَنَ فِي السُّرَى وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ[2]

أي بالذي ينام فيه فيكون مبصراً بمعنى ما يبصر فيه .

[المعنى] ثم بيَّن سبحانه قدرته على الإعادة والبعث بما احتجَّ به على الكفار فقال ﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه﴾ عن التعب والحركات ﴿والنهار مبصراً﴾ أي يبصر فيه ويمكن التصرف فيه لضيائه ويدرك بنوره جميع الاشخاص كما يدرك بنور البصر ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي دلالات ﴿لقوم يؤمنون﴾ لأن جعل الشيء لما يصلح له من الانتفاع إنما

---

(١) هذا صدر بيت للنابغة الذبياني وعجزه « وليل أقاسيه بطيء الكواكب » وقوله « كليني » اي دعيني امر من وكل اليه الأمر فوض. واميمة على وزن جهينة اسم حسة .

(٢) الشعر في جامع الشواهد .

يكون بالاختيار ولا يكون بالطباع ﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ منصوب بتقدير واذكر يوم ينفخ اسرافيل بأمر الله تعالى في الصور وذلك اليوم الذي يقع عليهم القول بما ظلموا ويجوز أن يكون على حذف في الكلام والتقدير ويوم ينفخ في الصور وتكون النشأة الثانية واختلف في معنى الصور فقيل هو صور الخلق جمع صورة عن الحسن وقتادة ويكون معناه يوم ينفخ الروح في الصور فيبعثون وقيل هو قرن ينفخ فيه شبه البوق عن مجاهد وقد ورد ذلك في الحديث ﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾ أي ماتوا لشدة الخوف والفزع يدل عليه قوله في موضع آخر فصعق من في السموات الآية وقيل هي ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين ﴿إلا من شاء الله﴾ من الملائكة الذين يثبت الله قلوبهم وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل يعني الشهداء فإنهم لا يفزعون في ذلك اليوم وروي ذلك في خبر مرفوع ﴿وكل﴾ من الاحياء الذين ماتوا ثم احيوا ﴿أتوه﴾ أي يأتونه في المحشر ﴿داخرين﴾ أي أذلاء صاغرين عن ابن عباس وقتادة ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ أي واقفة مكانها لا تسير ولا تتحرك في مرأى العين ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ أي تسير سيراً حثيثاً مثل سير السحاب عن ابن عباس وفي مثل هذا المعنى قول النابغة الجعدي يصف جيشاً

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطودِ تَحْسِبُ أَنَّهُم ... وقُوفٌ لِحَاجٍ والرِّكَابُ تُهَمْلِجُ[1]

أي تحسب أنهم وقوف من أجل كثرتهم والتفافهم فكذلك المعنى في الجبال انك لا ترى سيرها لبعد أطرافها كما لا ترى سير السحاب إذا انبسط لبعد أطرافه وذلك إذا أزيلت الجبال عن أماكنها للتلاشي كما في قوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴿صنع الله﴾ أي صنع الله ذلك صنعاً وانتصب بما دلّ عليه ما تقدمه من قوله وهي تمرُّ مرّ السحاب وذكر اسم الله لأنه لم يأت ذكره فيما قبل وإنما دلّ عليه ﴿الذي اتقن كل شيء﴾ أي خلق كل شيء على وجه الاتقان والاحكام والإتساق قال قتادة أي أحسن كل شيء خلقه وقيل الاتقان حسن في ايثاق ﴿أنه خبير بما تفعلون﴾ أي عليم بما يفعل اعداؤه من المعصية وبما يفعل اولياؤه من الطاعة ثم بيّن سبحانه كيفية الجزاء على أفعال الفريقين فقال ﴿من جاء بالحسنة﴾ أي بكلمة التوحيد والاخلاص عن قتادة وقيل بالإيمان عن النخعي وكان يحلف ولا يستثني ان الحسنة لا إله إلا الله والمعنى من وافى يوم القيامة بالإيمان ﴿فله خير منها﴾ قال ابن عباس اي فمنها

---

(١)الجيش الارعن هو المضطرب لكثرته. والطود الجبل والحاج جمع الحاجة . والهملاج: حسن سير الدابة في سرعة .

يصل الخير اليه والمعنى قوله فله من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمان من العقاب فخير هاهنا اسم وليس بالذي هو بمعنى الأفضل وهو المروي عن الحسن وعكرمة وابن جريج قال عكرمة فأما أن تكون خيراً من الإيمان فلا فليس شيء خيراً من لا إله إلا الله وقيل معناه فله أفضل منها في معظم النفع لأنه يعطي بالحسنة عشراً عن زيد بن أسلم ومحمد بن كعب وابن زيد وقيل لأن الثواب فعل الله تعالى والطاعة فعل العبد وقيل هو رضوان الله ورضوان من الله أكبر ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ قال الكلبي إذا أطبقت النار على أهلها فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها وأهل الجنة آمنون من ذلك الفزع ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ أي بالمعصية الكثيرة التي هي الكفر والشرك عن ابن عباس وأكثر المفسرين ﴿فكبّت وجوههم في النار﴾ أي ألقوا في النار منكوسين ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ يعني ان هذا الجزاء فعلكم وليس بظلم حدثنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال حدثنا الحاكم أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال أخبرنا محمد بن عبد الله بن احمد قال أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد قال حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن احمد قال حدثني محمد بن عبد الرحمن بن الفضل قال حدثني جعفر بن الحسين قال حدثني محمد بن زيد بن علي(ع) عن أبيه قال سمعت أبا جعفر(ع) يقول دخل أبو عبد الله الجدلي على أمير المؤمنين (ع) فقال له يا أبا عبد الله ألا أخبرك بقول الله تعالى ﴿من جاء بالحسنة﴾ إلى قوله ﴿تعلمون﴾ قال بلى جعلت فداك قال الحسنة حبّنا أهل البيت والسيئة بغضنا وحدثنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم قال أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الحميري قال حدثنا جدي أحمد بن اسحاق الحميري قال حدثنا جعفر بن سهل قال حدثنا أبو زرعة عثمان بن عبد الله القرشي قال حدثنا ابن لهيعة عن ابن الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ يا علي لو أن أمتي صاموا حتى صاروا كالأوتاد وصلّوا حتى صاروا كالحنايا ثم أبغضوك لأكبّهم الله على مناخرهم في النار ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ قل لهم ﴿إنما أمرت ان أعبد رب هذه البلدة﴾ يعني مكة عن ابن عباس وقال أبو العالية هي منى ﴿الذي حرّمها﴾ أي جعلها حرماً آمناً يحرم فيها ما يحلّ في غيرها لا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يقتص فيها ﴿وله كل شيء﴾ أي وهو مالك كل شيء مما أحلّه وحرّمه فيحرم ما شاء ويحلّ ما شاء ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أي من المخلصين لله بالتوحيد ﴿وان أتلو القرآن﴾ عليكم يا أهل مكة وأدعوكم إلى ما فيه ﴿فمن اهتدى﴾ إلى الحق والعمل بما فيه ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ لأن ثواب ذلك وجزاءه يصل اليه دون غيره ﴿ومن ضلّ﴾ عنه وحاد ولم يعمل بما فيه ولم يهتد إلى الحق ﴿فقل﴾ له يا محمد ﴿إنما أنا من المنذرين﴾ الذين يخوّفون بعقاب الله من

معاصيه ويدعون إلى طاعته ولا أقدر على إكراههم على الإيمان والدين ﴿وقل الحمد لله﴾ اعترافاً بنعمته إذا اختاروني لرسالته ﴿سيريكم آياته﴾ يوم القيامة ﴿فتعرفونها﴾ وتعرفون أنها على ما أخبرتم بها في الدنيا عن الحسن وقيل معنى آياته هي العذاب في الدنيا والقتل ببدر فتعرفونها أي تشاهدونها ورأوا ذلك ثم عجّلهم الله إلى النار عن مقاتل ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ بل هو عالم بجميع ذلك فيجازيكم عليها وإنما يؤخّر عقابكم إلى وقت تقتضيه الحكمة .

[النظم] وجه اتصال قوله إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة بما قبله انه سبحانه لما بيّن ان الأمن من اهوال القيامة للمؤمن المحسن فكأنّ قائلاً قال وما الحسنة وكيف العبادة فقال انما امرت .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(٢٨) سورة القصص مكية وآياتها ثمان وثمانون

[عدد آيها]

وهي ثمان وثمانون آية

[اختلافها] آيتان طسم كوفي يسقون غير الكوفي .

[فضلها] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ طسم القصص اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بموسى وكذّب به ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة انه كان صادقاً ان كل شيء هالك إلا وجهه .

[تفسيرها] لما أمر سبحانه في خاتمة تلك السورة بتلاوة القرآن بيّن في هذه السورة ان القرآن من طسم وانه يتلو عليهم من نبأ موسى وفرعون فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسم ﴿١﴾ تلك ءايت الكتب المبين ﴿٢﴾ نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ﴿٣﴾ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ﴿٤﴾ ونريد أن نمن

عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم ويرى فرعون بالياء وما بعده بالرفع وقرأ الباقون ونري بالنون وضمّه وكسر الراء ونصب الياء وما بعده بالنصب .

[الحجة] قال أبو علي حجة من قرأ بالنون ان ما قبله للمتكلم فينبغي ان يكون ما بعده أيضاً كذلك ليكون الكلام من وجه واحد وحجة من قرأ بالياء ان فرعون وجنوده ازرن ذلك والمعلوم انهم يرونه إذا رأوه وهو قراءة الأعمش .

[اللغة] النبأ الخبر عما هو عظيم الشأن والشيع الفرق وكل فرقة شيعة وسمّوا بذلك لأن بعضهم يتابع بعضاً والعرب تقول شاعكم السلام أي تبعكم وشيّعه اتبعه والتمكين تكميل ما يتمّ به الفعل .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[الإعراب] قوله بالحق في موضع نصب على الحال ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف تقديره تلاوة كائنة بالحق ويجوز أن يكون الحق صفة محذوف تقديره بالأمر الحق والجار والمجرور يتعلق بنتلو ويستضعف في موضع نصب على الحال ويذبح حال بعد حال ويجوز أن يكون حالاً عن الحال .

[المعنى] ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين﴾ أي المبيّن الرشد من الغيّ عن قتادة وقيل هو البيّن الظاهر والآية مفسّرة فيما مضى ﴿نتلو عليك﴾ يا محمد ﴿من نبأ موسى وفرعون﴾ أي طرفاً من أخبارهما ﴿بالحق﴾ أي بالصدق والحقيقة لا ريب فيه ﴿لقوم يؤمنون﴾ أي يصدّقون بالله وبما أنزله إليك ﴿أن فرعون علا في الأرض﴾ أي بغى وتجبّر وتعظّم واستكبر في أرض مصر يقال علا علو إذا تجبّر ومنه قوله لا يريدون علواً في الأرض ﴿وجعل أهلها شيعاً﴾ أي فرقاً قال قتادة فرّق بين بني إسرائيل والقبط والمعنى يكرم قوماً ويذل آخرين بالاستعباد والاستعمال في الأعمال الشاقة وقيل معناه جعل بني إسرائيل اصنافاً في الخدمة والتسخير ﴿يستضعف طائفة منهم﴾ يعني من بني إسرائيل ثم فسّر ذلك فقال

﴿يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم﴾ يقتل الابناء ويستبقي البنات فلا يقتلن وذلك ان بعض الكهنة قال له ان مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملكك وقال السدي رأى فرعون في منامه ان ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل فسأل علماء قومه فقالوا له يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يده ﴿إنه كان من المفسدين﴾بالقتل والعمل بالمعاصي﴿ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض﴾المعنى أن فرعون كان يريد اهلاك بني إسرائيل وافناءهم ونحن نريد أن نمنَّ عليهم ﴿ونجعلهم أئمة﴾أي قادة ورؤساء في الخير يقتدى بهم عن ابن عباس وقيل نجعلهم ولاة وملوكاً عن قتادة وهذا القول مثل الأول لأن الذين جعلهم الله ملوكاً فهم أئمة ولا يضاف إلى الله سبحانه ملك من يملك الناس عدواناً وظلماً وقد قال سبحانه ﴿فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً والملك من الله تعالى﴾ هو الذي يجب ان يطاع فالأئمة على هذا ملوك مقدَّمون في الدين والدنيا يطأ الناس اعقابهم ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ لديار فرعون وقومه وأموالهم وقد صحَّت الرواية عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها[1] وتلا عقيب ذلك ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض الآية وروى العياشي بالإسناد عن أبي الصباح الكناني قال نظر أبو جعفر (ع) إلى عبد الله (ع) فقال هذا والله من الذين قال الله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض الآية وقال سيد العابدين علي بن الحسين (ع) والذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً ان الأبرار منا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته وان عدوَّنا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ أي ونريد ان نمكّن لبني إسرائيل في أرض مصر والتمكين هو فعل جميع ما لا يصحّ الفعل إلا معه مع القدرة والآلة واللطف وغير ذلك وقال علي بن عيسى اللطف لا يدخل في التمكين لأنه لو دخل فيه لكان من لا لطف له لم يكن ممكناً ولكنَّه من باب ازاحة العلة ﴿ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم﴾ أي من بني إسرائيل ﴿ما كانوا يحذرون﴾ من ذهاب الملك على يد رجل منهم قال الضحاك عاش فرعون أربعمائة سنة وكان قصيراً دميماً وهو أول من خضب بالسواد وعاش موسى (ع) مائة وعشرين سنة .

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ

(١) شمس الفرس شماساً كان لا يمكن احداً من ظهره ولا من الاسراج ولا الالجام ولا يكاد يستقر. والضروس الناقة السيئة الخلقة تعض حالبيها .

أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا
رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ
لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا
خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ
قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم وحزناً بضم الحاء وسكون الزاي والباقون حزناً بفتحها وفي الشواذ قراءة الحسن وفضالة بن عبيد الله فؤاد ام موسى فزعا وقراءة ابن عباس قراعا بالقاف والراء وحكى قطرب عن بعضهم فَرْغا .

[الحجة] الحَزَن والحُزْن لغتان مثل البَخَل والبُخْل والعَرَب والعُرْب والعَجَم والعُجْم وأما قوله فزعاً بالفاء والزاي فمعناه قلقاً يكاد يخرج من غلافه واما قرعاً فمعناه يرجع الى معنى فارغ لأن رأس الاقرع يكون خالياً من الشعر واما فَرْغا فمعناه هدراً وباطلاً قال

فَإِنْ تَكُ أذوادٌ أُصِبْنَ وَنِسْوَةٌ فَلَنْ يَذهبُوا فَرْغاً بِقَتْلِ حِبَالِ(١)

وقوله فارغاً معناه خالياً من الحزن لعلمها أنه لا يغرق .

[الإعراب] مفعول خفت محذوف تقديره خفت عليه اخداء قرة عين لي ولك خبر مبتدأ محذوف أي هو قرة عين قال الزجاج ويجوز على بعد ان يكون قرة عين مبتدأ ويكون

(١) قائله طليحة بن خويلد الاسدي والاذواد جمع ذود: ما بين الثلاث الى العشرة من الابل. وحبال اسم رجل وهو ابن أخي طليحة بن خويلد ـ قائل البيت ـ (وقال ابن هشام في السيرة ج ١ : ٦٣٨ وكذا الميداني في مجمع الامثال ج ٢ ١٧١ هو ابنه) قتله عكاشة بن محصن الاسدي فلما اطلع على قتله طليحة خرج في أثر عكاشة حتى أدركه فقتله ثم قال في ذلك أبياتاً وهذا البيت أحدها . يقول ان صار دمُ الابل والنسوة هدراً فلن يصيردم حبال هدرا .

خبره لا تقتلوه وهم لا يشعرون في موضع نصب على الحال والعامل فيه ما يدل على هذه القصة وتقديره قالوا ما قالوه غير شاعرين .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه كيف دبّر في اهلاك فرعون وقومه منبّهاً بذلك على كمال قدرته وحكمته فقال ﴿وأوحينا إلى ام موسى﴾ أي ألهمناها وقذفنا في قلبها وليس بوحي نبوة عن قتادة وغيره وقيل أتاها جبرائيل (ع) بذلك عن مقاتل وقيل كان هذا الوحي رؤيا منام عبّر عنها من يثق به من علماء بني إسرائيل عن الجبائي ﴿أن أرضعيه﴾ ما لم تخافي عليه الطلب ﴿فإذا خفت عليه﴾ في القتل الذي أمر به فرعون في أبناء بني إسرائيل ﴿فألقيه في اليم﴾ أي في البحر وهو النيل ﴿ولا تخافي﴾ عليه الضيعة ﴿ولا تحزني﴾ من فراقه ﴿إنا رادّوه إليك﴾ سالماً عن قريب ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ والأنبياء وفي هذه الآية امران ونهيان وخبران وبشارتان وحكي أن بعضهم سمع بدوية تنشد أبياتاً فقال لها ما أفصحك فقالت الفصاحة لله تعالى وذكرت هذه الآية وما فيها قال وهب بن منبه لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد أن يمنّ به على بني إسرائيل فلما كانت السنة التي يولد فيها موسى بعث فرعون القوابل وتقدم إليهن ان يفتشن النساء تفتيشاً لم يفتشنه قبل ذلك رحلت ام موسى بموسى فلم ينتُ[1] بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها فكانت القوابل لا يعرضن لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها موسى ولدته أمه ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم فأوحى الله تعالى إليها أن أرضعيه الآية قال فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرّك فلما خافت عليه عملت له تابوتاً مطبقاً ومهدت له فيه ثم ألقته في البحر ليلاً كما أمرها الله تعالى قال ابن عباس لما قربت ولادة أم موسى وكانت قابلة من النساء اللاتي وكلّهن فرعون بحبالى بني إسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها فجاءت فعالجتها فلما ولد موسى رأت نوراً بين عينيه فارتعش كل مفصل منها ودخل حبُّ موسى في قلبها ثم قالت يا هذه ما جئت إليك إلا ومن ورائي قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبّاً ما وجدت حبّ شيء مثل حبّه فاحفظي ابنك فإني أراه هو عدونا فلما خرجت من عندها القابلة بصرتها العيون فجاؤوا ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفّت موسى في خرقة فوضعته في تنور مسجور فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فخرجوا من عندها وانطلقت الى الصبي وقد جعل الله النار عليه برداً

---

[1] نتأ يتو الشيء ارتفع . ورد في بعض النسخ « فلم يتأ » بالهمزة ومعناهما واحد.

وسلاماً قال ثم لما رأت الحاح فرعون في الطلب خافت على ابنها فانطلقت الى نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتاً فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت ان لي ابناً أخبأه في التابوت وكرهت الكذب فلما اشترت التابوت وحملته انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلم يطق الكلام فرجع وأخذ في النجر فانطلق لسانه فرجع ثانياً فلما انتهى اليهم اعتقل لسانه هكذا ثلاث مرات فعلم أن ذلك أمر إلهي ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ أي أصابوه وأخذوه من غير طلب ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ أي ليكون لهم في عاقبة أمره كذلك لا انهم اخذوه لهذا كما يقال لمن كسب مالاً فأداه ذلك إلى الحتف والهلاك إنما كسب فلان لحتفه وهو لم يطلب المال للحتف ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ أي عاصين ربهم في أفعالهم وكانت القصة في ذلك ان النيل جاء بالتابوت إلى موضع فيه فرعون وامرأته على شط النيل فأمر فرعون فأتي به وفتحت آسية بنت مزاحم بابه فلما نظرت إليه ألقى الله في قلبها محبة موسى وكانت آسية بنت مزاحم امرأة من بني إسرائيل استنكحها فرعون وهي من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أماً للمؤمنين ترحمهم وتتصدق عليهم ويدخلون عليها فلما نظر فرعون الى موسى غاظه ذلك وقال كيف اخطأ هذا الغلام الذبح قالت آسية وهي قاعدة إلى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وانك امرت ان يذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكن قرة عين لي ولك وذلك قوله تعالى ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ وإنما قالت ذلك لأنه لم يكن له ولد فأطعمته في ولد قال ابن عباس ان اصحاب فرعون لما علموا بموسى جاؤوا ليقتلوه فمنعتهم وقالت لفرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه قال فرعون قرة عين لك وأما لي فلا قال رسول الله ﷺ والذي يُحلف به لو أقرَّ فرعون بأن يكون له قرة عين كما أقرت امرأته لهداه الله به كما هداها ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي لا يشعرون أن هلاكهم على يديه وقيل لا يشعرون أن هذا هو المطلوب الذي يطلبونه ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ أي خالياً من كل شيء إلا من ذكر موسى أي صار فارغاً له عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل فارغاً من الحزن لعلمها أن ابنها ناج سكوناً إلى ما وعدها الله تعالى به وقيل فارغاً من الوحي الذي أوحي اليها بنسيانها فإنها نسيت ما وعدها الله تعالى به عن الحسن وابن زيد ﴿إن كادت لتُبْدِي به﴾ معناه أنها كادت تبدي بذكر موسى فتقول يا ابناه من شدة الغم والوجد عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل معناه كادت تصيح على ابنها شفقة عليه من الغرق عن مقاتل وقيل معناه همّت بأن تقول انها أمه لما رأته عند دعاء فرعون إياها للإرضاع لشدة سرورها به عن جعفر ابن حرب وقيل معناه أنها كادت تبدي بالوحي ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالصبر واليقين

والربط على القلب الهام والصبر وتقويته عن الزجاج وقيل معناه لولا أن قوينا قلبها بالعصمة والوحي وجواب لولا محذوف والتقدير لولا ان ربطنا على قلبها لأظهرته ﴿لتكون من المؤمنين﴾ أي فعلنا ذلك لتكون من جملة المصدقين بوعدنا الواثقين بوحينا وقولنا انا رادُّوه إليك .

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

[اللغة] القص اتباع الاثر ومنه القصص في الحديث لأنه يتبع فيه الثاني الأول والقصاص أتباع الجاني في الأخذ بمثل جنايته في النفس فبصر به رآه فبصر لا يتعدى إلا بحرف الجر ورأى يتعدى بنفسه ومعنى بصرت به عن جنب أبصرته عن جنابة أي عن بعد قال الأعشى

أَتَيْتُ حُرَيْثاً زَائِراً عَنْ جِنَابَةٍ ... وَكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِي جَامِداً

وقيل جنب صفة وقعت موقع الموصوف أي عن مكان جنب والمراضع جمع مرضعة والنصح اخلاص العمل من جانب الفساد وهو نقيض الغش والوكز الدفع وقيل هو بجمع الكف ومثله اللكز واللهز .

[الإعراب] عن جنب الجار والمجرو في موضع نصب على الحال وتقديره فبصرت به بعيدة وان جعلت جنباً صفة على تقدير من مكان جنب فهو في موضع نصب بأنه ظرف مكان هذا من شيعته وهذا من عدوّه جملتان في محل النصب لأنهما صفة رجلين صفة بعد صفة .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه لطف صنعه في تسخيره لفرعون حتى تولى تربية موسى فقال ﴿وقالت﴾ يعني أم موسى ﴿لاخته﴾ يعني أخت موسى واسمها كلثمة عن الضحاك ﴿قصيه﴾ أي اتبعي اثره وتعرفي خبره ﴿فبصرت به عن جنب﴾ في الكلام حذف واقتصار تقديره فذهبت اخت موسى فوجدت آل فرعون قد أخرجوا التابوت وأخرجوا موسى فبصرت به وهذا من الايجاز الدال على الاعجاز باللفظ القليل المعنى على المعنى الكثير أي فرأت أخاها موسى عن جنب أي عن بعد عن مجاهد وقيل عن جانب تنظر اليه كأنها لا تريده عن قتادة وتقديره عن مكان جنب ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي وآل فرعون لا يشعرون انها أخته عن قتادة وقيل معناه وهم لا يشعرون أنها جاءت متعرفة عن خبره ويمكن أن يكون سبحانه كرّر هذا القول تنبيهاً على ان فرعون لو كان إلّهاً لكان يشعر بهذه الأمور ﴿وحرّمنا عليه المراضع﴾ المعنى أنه لا يؤتى بمرضع فيقبلها وتأويله منعناهن منه وبغضناهن اليه عن ابن عباس وقيل هو جمع مرضع بمعنى الرضاع أي منعناه من الرضاع فهذا تحريم منع لا ان هناك نهياً عن الفعل ومثله قول امرىء القيس

جَالَتْ لِتَصْرَعَني فَقُلْتُ لَهَا اقْصِرِي إنّي امْرُؤٌ صَرْعي عَلَيْكَ حَرَامُ[1]

أي صرعي ممتنع عليك فإني فارس امنعك من ذلك ويقال فلان حرم على نفسه كذا أي امتنع منه كما يمتنع بالنهي ﴿من قبل﴾ أي من قبل مجيء أخته وقيل من قبل ردّه على أمه ﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ وهذا يدلّ على أن الله تعالى ألقى محبته في قلب فرعون فلشدة محبته وغاية شفقته عليه طلب له المراضع وكان موسى لا يقبل ثدي واحدة منهن بعد أن أتته مرضع بعد مرضع فلما رأت اخته وجدهم به وحبّهم له ورقّتهم

(١) الضمائر ترجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات السابقة على هذا البيت .

عليه قالت لهم هل أدلّكم على أهل بيت يقبلون هذا الولد ويبذلون النصح في أمره ويحسنون تربيته ويضمنون لكم القيام بأمره ﴿وهم له ناصحون﴾ يشفقون عليهِ وينصحونه وقيل أنهُ لما قالت أختهُ ذلك قال هامان ان هذه المرأة تعرف أن هذا الولد من أيّ أهل بيت هو فقالت هي انما عنيت انهم ناصحون للملك فأمسكوا عنها ﴿فرددناه إلى أمهِ كي تقر عينها ولا تحزن﴾ يعني عين أمه وانطلقت أخت موسى إلى أمها فجاءت بها اليهم فلما وجد موسى ريح أمهِ قبل ثديها وسكن بكاؤه وقيل ان فرعون قال لأمهِ كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك فقالت لأني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوتي بصبي إلا ارتضع مني فسُر فرعون بذلك ﴿ولتعلم ان وعد الله حق﴾ أراد بهِ ما وعدها الله به في الآية المتقدمة لقوله إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ تحقيق ذلك الوعد كما علمت ﴿ولما بلغ أشده﴾ أي ثلاثاً وثلاثين سنة ﴿واستوى﴾ أي بلغ أربعين سنة عن مجاهد وقتادة وابن عباس ﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾ أي فقهاً وعلماً وعقلاً بدينهِ ودين آبائهِ فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبياً وقيل نبوة وعلماً عن السدي ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ وهذه الآية مفسرة في سورة يوسف ﴿ ودخل المدينة ﴾ يريد مصر وقيل مدينة منف من أرض مصر وقيل على فرسخين من أرض مصر ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ أراد به نصف النهار والناس قائلون عن سعيد بن جبير وقيل ما بين المغرب والعشاء الآخرة عن ابن عباس وقيل كان يوم عيد لهم وقد اشتغلوا بلعبهم عن الحسن وقيل اختلفوا في سبب دخوله المدينة في هذا الوقت على أقوال (أحدها) أنه كان موسى حين كبر يركب في مواكب فرعون فلما جاء ذات يوم قيل له ان فرعون قد ركب فركب في أثره فلما كان وقت القائلة دخل المدينة ليقيل عن السدي (والثاني) ان بني إسرائيل كانوا يجتمعون إلى موسى ويسمعون كلامه ولما بلغ أشدَّه خالف قوم فرعون فاشتهر ذلك منه وأخافوه فكان لا يدخل مصر إلا خائفاً فدخلها على حين غفلة عن ابن اسحاق (والثالث)ان فرعون امر باخراجه من البلد فلم يدخل إلا الآن عن ابن زيد ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ أي يختصمان في الدين عن الجبائي وقيل في أمر الدنيا ﴿هذا من شيعته وهذا من عدوه﴾ أي أحدهما اسرائيلي والآخر قبطي يسخر الاسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون وقيل كان أحدهما مسلماً والآخر كافراً عن محمد بن إسحاق ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ أي استنصره لينصره عليه وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال ليهنكم الاسم قال قلت وما الاسم قال الشيعة قال أما سمعت الله سبحانه يقول فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴿فوكزه موسى﴾ أي دفع في صدره بجمع كفه عن مجاهد وقيل ضربه بعصاه عن قتادة ﴿فقضى عليه﴾ أي فقتله وفرغ من أمره ﴿قال هذا

من عمل الشيطان﴾ أي بسببه حتى هيّج غضبي فضربته فهو من اغرائه قال الحسن لم يكن يحلّ قتل الكافر يومئذ لأن الحال كانت حال الكف عن القتال وقيل معناه أن الامر الذي وقع القتل بسببه من عمل الشيطان أي حصل بوسوسة الشيطان وذكر المرتضى قدس الله روحه فيه وجهين آخرين (أحدهما) أنه أراد أن تزيين قتلي له وتركي لما ندبت اليه من تأخيره وتفويتي ما استحقه عليه من الثواب من عمل الشيطان (والآخر) انه يريد أن عمل المقتول من عمل الشيطان يبيّن بذلك أنه مخالف لله تعالى مستحق للقتل ثم وصف الشيطان فقال ﴿انه عدو﴾ لبني آدم ﴿مضل مبين﴾ ظاهر العداوة والإضلال (سؤال) قالوا ان هذا القتل لا يخلو من ان يكون مستحقاً أو غير مستحق فإن كان غير مستحق فالأنبياء (ع) لا يجوز عليهم ذلك عندكم لا قبل النبوة ولا بعدها وان كان مستحقاً فلا معنى لندمه عليه واستغفاره منه (والجواب) ان القتل إنما وقع على سبيل تخليص المؤمن من يد من أراد ظلمه والبغي عليه ودفع مكروهه عنه ولم يكن مقصوداً في نفسه وكل الم وقع على هذا الوجه فهو حسن غير قبيح سواء كان القاتل مداعفاً عن نفسه او عن غيره وسنذكر الوجه في استغفاره منه وندمه عليه .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾

[اللغة] الترقب الانتظار والاستصراخ طلب الصراخ على العدو بما يردعه عن الايقاع به والائتمار التشاور والارتياء يقال ائتمر القوم وارتاءوا بمعنى قال امرؤ القيس

أَحْارِ ابْنَ عَمْرٍو كَأَنِّي خَمِرْ وَيَغْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ(١)

وقال النمر بن تولب

أَرَى النَّاسَ قَدْ أَحْدَثُوا شِيمَةً وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤْتَمَرْ

[الإعراب] « بما أنعمت عليَّ » الباء للقسم ويجوز أن يكون ما حرفاً موصولاً والمعنى بانعامك عليَّ ويجوز أن يكون اسماً موصولاً والضمير العائد محذوفاً والتقدير بالذي أنعمته عليَّ وجواب القسم لن أكون والفاء لجواب القسم مقدر في الموصول بالجملة الفعلية. ان أراد أن يبطش ان الأولى زائدة وان الثانية مع صلتها منصوبة الموضع بأنها مفعولة أراد « اني لك من الناصحين» لا يجوز أن تتعلق اللام في لك بالناصحين لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول وانما تتعلق بمحذوف يفسره هذا الظاهر تقديره اني من الناصحين لك .

[المعنى] ثم حكى سبحانه ان موسى (ع) حين قتل القبطي ندم على ذلك ﴿وقال رب اني ظلمت نفسي﴾ في هذا القتل فإنهم لو علموا بذلك لقتلوني وقال المرتضى قدس الله روحه العزيز انما قاله على سبيل الانقطاع والرجوع إلى الله تعالى والاعتراف بالتقصير عن اداء حقوق نعمه أو من حيث حرم نفسه الثواب المستحق بفعل الندب ﴿فاغفر لي﴾ معناه قول آدم (ع) ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقبول الاستغفار والتوبة قد يسمى غفراناً ﴿فغفر له انه هو الغفور﴾ لعباده ﴿الرحيم﴾ بهم المنعم عليهم ﴿قال﴾ موسى ﴿رب بما أنعمت عليَّ﴾ أي بنعمتك عليَّ من المغفرة وصرف بلاء الأعداء عني ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ المعنى فلك عليَّ ألا أكون مظاهراً ومعيناً للمشركين عن ابن عباس وفي هذا دلالة على أن مظاهرة المجرمين جرم ومعصية ومظاهرة المؤمنين طاعة وإنما ظاهر موسى (ع) من كان ظاهره الإيمان وخالف من كان ظاهره الكفر وجاء في الأثر أن رجلاً قال لعطاء بن أبي رياح ان فلاناً يكتب لفلان ولا يزيد على كتبه دخله وخرجه فإن أخذ منه أجراً كان له غنى وان لم يأخذ اشتد فقره وفقر عياله فقال عطاء اما سمعت قول الرجل الصالح رب بما أنعمت عليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ﴿فأصبح﴾

(١) قوله « حار » مرخم حارث. ورجل خمر ككتف خالطه داء. وقيل رجل خمر أي في عقب خمار وهو بقية السكر .

موسى في اليوم الثاني ﴿في المدينة خائفاً﴾ من قبل القبطي ﴿يترقب﴾ أي ينتظر الاخبار في قتل القبطي عن ابن عباس يعني انه خاف من فرعون وقومه ان يكونوا عرفوا أنه هو الذي قتل القبطي فكان يتجسس وينتظر الاخبار في شأنه ﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾ معناه أن الاسرائيلي الذي كان قد خلصه بالأمس ووكز القبطي من أجله يستصرخ موسى ويستعين به على رجل آخر من القبط خاصمه قال ابن عباس لما فشا امر قتل القبطي قيل لفرعون ان بني إسرائيل قتلت منا رجلاً قال أتعرفون قاتله ومن يشهد عليه قالوا لا فأمرهم بطلبه فبينا هم يطوفون إذ مرَّ موسى من الغد وأتى ذلك الاسرائيلي يطلب نصرته ويستغيث به ﴿قال له موسى انك لغوي مبين﴾ أي ظاهر الغواية حيث قاتلت بالأمس رجلاً وتقاتل اليوم الآخر ولم يرد الغواية في الدين والمراد أن من خاصم آل فرعون مع كثرتهم فإنه غوي أي خائب فيما يطلبه عادل عن الصواب فيما يقصده ﴿فلما ان أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾ معناه فلما أخذته الرقة على الاسرائيلي وأراد أن يدفع القبطي الذي هو عدو لموسى والاسرائيلي عنه ويبطش به أي يأخذه بشدة ظن الاسرائيلي ان موسى قصده لما قال له انك لغوي مبين فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس عن ابن عباس واكثر المفسرين وقال الحسن هو من قول القبطي لأنه قد اشتهر امر القتل بالأمس وانه قتله بعض بني إسرائيل ﴿إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾ أي ما تريد إلا أن تكون عالياً في الأرض بالقتل والظلم قال عكرمة والشعبي لا يكون الانسان جباراً حتى يقتل نفسين بغير حق ﴿وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ ولما قال الاسرائيلي ذلك علم القبطي ان القاتل موسى فانطلق إلى فرعون وأخبر به فأمر فرعون بقتل موسى وبعث في طلبه ﴿وجاء رجل من اقصى المدينة﴾ أي آخرها فاختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى ﴿يسعى﴾ أي يسرع في المشي فأخبره بذلك وأنذره وكان الرجل حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل رجل اسمه شمعون وقيل سمعان ﴿قال يا موسى ان الملأ﴾ أي الأشراف من آل فرعون ﴿يأتمرون بك﴾ أي يتشاورون فيك عن أبي عبيدة وقيل يأمر بعضهم ﴿ليقتلوك فاخرج﴾ من أرض مصر ﴿إني لك من الناصحين﴾ في هذا يقال نصحته ونصحت له .

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا
خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ

تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن عامر حتى يصدُر بفتح الياء وضم الدال وقرأ الباقون يُصدِر بضم الياء وكسر الدال .

[الحجة] من قرأ حتى يَصْدُر الرعاء فمعناه حتى يرجعوا من سقيهم وفي التنزيل يصدُر الناس أشتاتاً ليروا ومن قرأ حتى يُصدر أراد حتى يصدروا مواشيهم من وردهم فحذف المفعول كما قال الشاعر

لا يَعْدِلَنْ أتاوِيُّونَ تَضْرُبُهُمْ نَكْباء صِرٌّ بِأَصْحابِ المُحِلّاتِ[1]

أي أحداً .

[اللغة] تلقاء الشيء حذاؤه ويقال فعل ذلك من تلقاء نفسه أي من حذاء داعي نفسه وسواء السبيل وسط الطريق قال الشاعر « حَتّى أُغَيَّبَ في سَواءِ المَلْحَدِ » [2] وذاد شاته أو ابله

(١) الاتاويون: الغرباء. والصمر شدة البرد. والمحلات القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند سمي بذلك لان من كانت هذه معه حل حيث شاء الا فلا بد من ان يجاور الناس يستعير منهم بعضها اي لا تعدل أتاويون اذا أصابهم الصر أحداً بأصحاب المحلات. سواء الملحد: وسط القبر .

(٢) السرب: القطيع من الظباء والبقر والطير وغيرها. ونزع أي طالبة الفحل .

عن الشيء يذودها ذودا أي حبسها عنه بمنعه منه قال سويد بن كراع

أَبِيتُ عَلَىٰ بَابِ ٱلْقَوافي كَأَنَّما أَذودُ بِهَا سِرْباً مِنَ الوَحْشِ نُزَّعاً[1]

قال الفراء ولا يقال ذدت في الناس وإنما يقال في الإبل والغنم وهذا ليس بشيء يدل عليه قول الكميت يصف بني هاشم[1]

سادةٌ ذادَةٌ عَنِ الخُرَّدِ البِيـ ـضِ إذا الْيَوْم كَانَ كَالأَيَّامِ[2]

والخطب الأمر الذي فيه تفخيم ومنه الخِطبةُ والخُطبة والخَطاب كل ذلك فيه معنى العظم وما خطبكما أي ما شأنكما قال الراجز « يا عَجَباً ما خطبُهُ وخَطْبي » والرعاء جمع راع ويجمع على الرعيان والرعاة .

[الإعراب] تلقاء ظرف مكان لا نسقي أي لا نسقي الغنم الماء فحذف مفعولاه لدلالة الكلام عليه وكذلك قوله ﴿ فسقى لهما ﴾ واللام في قوله ﴿ لما أنزلت ﴾ يتعلق بفقير تمشي في موضع نصب على الحال من جاءت وقوله ﴿ على إستحياء ﴾ في موضع الحال أيضاً من تمشي أي تمشي مستحيية ويجوز أن يكون حالاً بعد حال . قالت أن أبي يدعوك الجملة يجوز أن يكون بدلاً من قوله فجاءته إحداهما ويجوز أن تكون في موضع الحال بإضمار قد والعامل فيه جاءت أو تمشي .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه خروج موسى من مصر إلى مدين فقال ﴿ فخرج منها ﴾ أي من مدينة فرعون ﴿ خائفاً ﴾ من أن يطلب فيقتل ﴿ يترقب ﴾ الطلب ﴿ قال رب نجّني من القوم الظالمين ﴾ قال ابن عباس خرج موسى متوجّهاً نحو مدين وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنّه بربّه قال رب نجني من فرعون وقومه وقيل أنه خرج بغير زاد ولا ماء ولا حذاء ولا ظهر وكان لا يأكل إلا من حشيش الصحراء حتى بلغ ماء مدين ﴿ ولما توجه تلقاء مدين ﴾ التوجه صرف الوجه إلى جهة من الجهات وقوله هذا المعنى يتوجه إلى كذا أي هو كالطالب له يصرف وجهه إليه قال الزجاج معناه ولما سلك في الطريق الذي يلقى مدين فيها وهي على مسيرة ثمانية أيام من مصر نحو ما بين البصرة إلى الكوفة ولم يكن له علم بالطريق ولذلك

---

(١) وقد ورد في حديث الحوض أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « إني لبعقر حوضي أذود الناس عنه لأهل اليمن » وفي حديث آخر « فليذ ادن رجال عن حوضي » وغير ذلك ذكره الجزرى في النهاية فراجع وفي زيارة الجامعة أيضاً : « السادة الولاة والذادة الحماة ».

(٢) الخريد من النساء البكر التي لم تمسس قط .

﴿ قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ﴾ أي يرشدني قصد السبيل إلى مدين وقيل سواء السبيل وسطه المؤدّي إلى النجاة لأن الأخذ يميناً وشمالاً لا يباعد عن طريق الصواب وقيل أنه لم يقصد موضعاً بعينه ولكنّه أخذ في طريق مدين وقال عكرمة عرضت لموسى أربعة طرق فلم يدر أيّتها يسلك ولذلك قال عند إستواء الطرق له عسى ربي أن يهديني سواء السبيل فلما دعا ربه إستجاب له ودلّه على الطريق المستقيم إلى مدين وقيل جاء ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به إلى مدين وقيل أنه خرج حافياً ولم يصر إلى مدين حتى وقع خف قدميه عن سعيد بن جبير ﴿ ولما ورد ماء مدين ﴾ وهو بئر كانت لهم ﴿ وجد عليه أمة من الناس يسقون ﴾ أي جماعة من الرعاة يسقون مواشيهم الماء من البئر ﴿ ووجد من دونهم امرأتين تذودان ﴾ أي تحبسان وتمنعان غنمهما من الورود إلى الماء عن السدي وقيل تذودان الناس عن مواشيهما عن قتادة وقيل تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس عن الحسن فترك ذكر الغنم إختصاراً ﴿ قال ﴾ موسى لهما ﴿ ما خطبكما ﴾ أي ما شأنكما وما لكما لا تسقيان مع الناس عن ابن إسحاق ﴿ قالتا لا نسقي ﴾ عند المزاحمة مع الناس ﴿ حتى يصدر الرعاء ﴾ مرّ معناه أي حتى ينصرف الناس فإنا لا نطيق السقي فننتظر فضول الماء فإذا انصرف الناس سقينا مواشينا من فضول الحوض عن ابن عباس وقتادة ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾ لا يقدر على أن يتولى السقي بنفسه من الكبر ولذلك إحتجنا ونحن نساء أن نسقي الغنم وإنما قالتا ذلك تعريضاً للطلب من موسى أن يعينهما على السقي وقيل إنما قالتا ذلك إعتذاراً إلى موسى في الخروج بغير محرم ﴿ فسقى لهما ﴾ معناه فسقى موسى غنمها الماء لأجلهما وهو أنه زحم القوم عن الماء حتى أخرجهم عنه ثم سقى لهما عن ابن إسحاق وقيل رفع لأجلهما حجراً عن بئر كان لا يقدر على رفع ذلك الحجر عنها إلا عشرة رجال وسألهم أن يعطوه دلواً فناولوه دلواً وقالوا له إنزح إن أمكنك وكان لا ينزحها إلا عشرة فنزحها وحده وسقى أغنامهما ولم يستق إلا ذنوباً[1] واحداً حتى رويت الغنم ﴿ ثم تولى إلى الظل ﴾ أي ثم إنصرف إلى ظل سمرة فجلس تحتها من شدّة الحرّ وهو جائع ﴿ فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير ﴾ قال ابن عباس سأل نبيُّ الله فلق خبز يقيم به صلبه وقال أمير المؤمنين عليه أفضل الصلوات والله ما سأله إلا خبزاً يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض لقد كانت خضرة البقلة ثرى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه قال الأخفش يقال فقير إليه وفقير له قال ابن إسحاق فرجعتا إلى أبيهما في ساعة كانتا لا ترجعان فيها فأنكر شأنهما وسألهما فأخبرتاه الخبر فقال

(١) الذنوب : الدلو التي لها ذنب .

لإحداهما عليّ به فرجعت الكبرى إلى موسى لتدعوه فذلك قوله ﴿ فجاءته إحداهما تمشي على إستحياء ﴾ أي مستحيية معرضة عن عادة النساء الخفرات وقيل أراد باستحيائها أنها غطّت وجهها بكُمّ درعها عن عمر بن الخطاب وقيل هو بعدها من النداء عن الحسن قال فوالله ما كانت ولاجة ولا خراجة ولكنها كانت من الخفرات اللاتي لا يحسن المشي بين أيدي الرجال والكلام معهم وقيل أراد أنها كانت تمشي عادلة عن الطريق ﴿ قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ أي ليكافئك على سقيك لغنمنا وأكثر المفسرين على أن أباها شعيب (ع) وقال وهب وسعيد بن جبير هو يثرون ابن أخي شعيب وكان شعيب مات قبل ذلك بعد ما كفّ بصره ودفن بين المقام وزمزم وقيل يثروب وقيل هو إسم شعيب لأن شعيباً إسم عربي قال أبو حازم لما قالت ليجزيك أجر ما سقيت لنا كره ذلك موسى وأراد أن لا يتبعها ولم يجد بُدّاً من أن يتبعها لأنه كان في أرض مسبعة وخوف فخرج معها وكانت الريح تضرب ثوبها فتصف لموسى عجزها فجعل موسى يعرض عنها مرة ويغضّ مرة فناداها يا أمة الله كوني خلفي وأرني السمت بقولك فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيّئاً فقال له شعيب أجلس يا شاب فتَعَشّ فقال له موسى أعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك الست بجائع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملك الأرض ذهباً فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نُقري الضيف ونطعم الطعام قال فجعل موسى يأكل وذلك قوله ﴿ فلما جاءه وقصّ عليه القصص ﴾ أي فلما جاء موسى شعيباً وقصّ عليه أمره أجمع من قتل القبطي وأنهم يطلبونه ليقتلوه ﴿ قال ﴾ له شعيب ﴿ لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ يعني فرعون وقومه فلا سلطان لهُ بأرضنا ولسنا في مملكته .

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ
إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ
أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ
أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا

ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾
* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا
نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ
أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ عاصم أو جذوة بفتح الجيم وقرأ حمزة وخلف جُذوة بضم الجيم والباقون جِذوة بالكسر وفي الشواذ قراءة الحسن إلى الأجلين بتخفيف الياء وسكونها .

[الحجة] في الجذوة ثلاث لغات على حسب القراءات الثلاث وأما إيما فهي لغة قال الفرزدق :

تَنَظَّرْتُ نَسْراً وَالسِّمَاكَيْنِ أَيُّهُمَا ... عَلَيَّ مِنَ الْغَيْثِ اسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُهْ(١)

[اللغة] الجذوة القطعة الغليظة من الحطب فيها النار وجمعها جذى قال :

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَىٰ يَلْتَمِسْنَ لَهَا ... جَزْلَ الجِذَى غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا ذَعِرِ(٢)

وشاطىء الوادي جانبه وهو الشط والجمع الشواطىء .

[الإعراب] هاتين صفة لابنتي . ثماني حجج ظرف زمان . ذلك بيني وبينك ذلك مبتدأ وخبره بيني وبينك ومعناه ما شرطت عليَّ فلك وما شرطت لي فلي كذلك الأمر بيننا عن الزجاج وأيُّ في معنى الجزاء وهي منصوبة بقضيت وما مزيدة مؤكّدة وجوابه فلا عدوان

(١) النسر . والسماكان : اسماء لكواكب . وفي جامع الشواهد « نصراً » بالصاد وقال في ترجمته : نصر بالنون والصاد والراء المهملتين كفلس هو ابن سيار أمير خراسان . واستهل المطر : أنصب بشدة .

(٢) الحواطب : الجواري يلتمسن الحطب . والجزل : الحطب اليابس وقيل : الغليظ والخوار من كل شيء : الضعيف الذي لا بقاء له . وعود ذعر بالدال المهملة ـ : أي كثير الدخان .

عليٌّ . إن موسى أنْ في موضع نصب وهي مخففة من الثقيلة تقديره نودي بأنه يا موسى وبأنه ألق عصاك .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه أمر موسى في مدين وانصرافه عنه فقال ﴿ قالت إحداهما ﴾ أي إحدى ابنتيه واسمها صفورة وهي التي تزوّج بها واسم الأخرى ليا وقيل إن اسم الكبرى صفراء واسم الصغرى صفيراء ﴿ يا أبت استأجره ﴾ أي إتّخذه أجيراً ﴿ إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ أي خير من استعملتِ من قوي على العمل وإداء الأمانة قال عمر بن الخطاب لما قالت المرأة هذا قال شعيب وما علمك بأمانته وقوّته قالت أما قوته فلأنه رفع الحجر الذي لا يرفعه كذا وكذا وأما أمانته فإنه قال لي أمشي خلفي فأنا أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي عجزك وقيل القوي في نزعه الحجر من البئر وكان لا يستطيعه إلا النفر . الأمين في غضّ طرفه عنهما حين سقى لهما فصدرتا وقد عرفتا قوته وأمانته فلما ذكرت المرأة من حاله ما ذكرت زاده ذلك رغبة فيه ﴿ قال إني أريد أن أنكحك ﴾ أي أزوّجك ﴿ إحدى ابنتيّ هاتين على أن تأجرني ثماني حجج ﴾ أي على أن تكون أجيراً لي ثماني سنين ﴿ فإن أتممت عشراً فمن عندك ﴾ أي ذلك تفضل منك وليس بواجب عليك وقيل معناه على أن تجعل جزائي وثوابي إياك على أن أنكحك إحدى ابنتي أن تعمل لي ثماني سنين فزوّجه ابنته بمهر واستأجره للرعي ولم يجعل ذلك مهراً وإنما شرط ذلك عليه وهذا على وفق مذهب أبي حنيفة والأول أصح وأوفق لظاهر الآية ﴿ وما أريد أن أشق عليك ﴾ في هذه الثمانية حجج وإن أكلفك خدمة سوى رعي الغنم وقيل وما أشق عليك بأن آخذك بإتمام عشر سنين ﴿ ستجدني إن شاء الله من الصالحين ﴾ في حسن الصحبة والوفاء بالعهد وإنما علّق الصلاح بمشيئة الله لأن مراده إن شاء الله تبقيتي فمن الجائز أن يخترمه الله ولا يفعل الصلاح الديني الذي يريده وحكى يحيى بن سلام أنه جعل لموسى كل سخلة توضع على خلاف شية أمها فأوحى الله إلى موسى في المنام أن ألق عصاك في الماء ففعل فولدن كلهن على خلاف شيتهن وقيل أنه وعده أن يعطيه تلك السنة من نتاج غنمه كل أدرع[1] وأنها نتجت كلها درعاً وروى الحسين بن سعيد عن صفوان بن يحيى عن أبي عبد الله (ع) قال سئل أيتها التي قالت أن أبي يدعوك قال التي تزوج بها قيل فأيّ الأجلين قضى قال أوفاهما وأبعدهما عشر سنين قيل فدخل بها قبل أن يمضي الشرط أو بعد إنقضائه قال قبل أن ينقضي قيل له فالرجل يتزوج المرأة ويشترط لأبيها إجارة شهرين أيجوز ذلك قال إن موسى علم أنه

(١) الأدرع من الخيل والشاة : ما أسود رأسه وأبيض سائر جسده .

سيتم له شرطه قيل كيف قال علم أنه سيبقى حتى يفي ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ ذلك بيني وبينك ﴾ أي ذلك الذي وصفت وشرطت عليَّ فلك وما شرطت لي من تزويج إحداهما فلي وتم الكلام ثم قال ﴿ أيما الأجلين ﴾ من الثماني والعشر ﴿ قضيت ﴾ أي أتممت وفرغت منه ﴿ فلا عدوان علي ﴾ أي لا ظلم علي بأن أكلف أكثر منها وأطالب بالزيادة عليهما ﴿ والله على ما نقول وكيل ﴾ أي شهيد فيما بيني وبينك عن ابن عباس ﴿ فلما قضى موسى الأجل ﴾ أي أوفاهما روى الواحدي بالإسناد عن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الأجلين قضى موسى قال أوفاهما وأبطأهما وبالإسناد عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سئلت أي الأجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما وإن سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا أبت إستأجره وقال وهب تزوج الكبرى منهما وفي الكلام حذف وإيجاز وهو فلما قضى موسى الأجل وتسلم زوجته ثم توجّه نحو الشام ﴿ وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً ﴾ وقيل إنه لما زوَّجها منه أمر الشيخ أن يعطي موسى عصا يدفع السباع عن غنمه بها فأعطي العصا وقد ذكرنا حديث العصا في سورة الأعراف وقيل خرج آدم بالعصا من الجنة فأخذها جبرائيل بعد موت آدم (ع) وكانت معه حتى لقي بها موسى ليلاً فدفعها إليه عن عكرمة وقيل لم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت إلى شعيب فأعطاها موسى وكانت عصا الأنبياء عنده وروى عبد الله بن سنان قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول كانت عصا موسى قضيب آس من الجنة أتاه به جبرائيل عليه السلام لما توجه تلقاء مدين وقال السدي كانت تلك العصا استودعها شعيباً ملك في صورة رجل فأمر ابنته أن تأتيه بعصا فدخلت وأخذت العصا فأتته بها فلما رآها الشيخ قال لا أأتيه بغيرها فألقتها وأرادت أن تأخذ غيرها فكانت لا تقع في يدها إلا هي فعلت ذلك مراراً فأعطاها موسى وقوله وسار بأهله قيل إنه مكث بعد إنقضاء الأجل عند صهره عشراً أخرى فأقام عنده عشرين سنة ثم استأذنه في العود إلى مصر ليزور والديه وأخاه فأذن له فسار بأهله عن مجاهد وقيل إنه لما قضى العشر سار بأهله أي بامرأته وبأولاد الغنم التي كانت له وكانت قطيعاً فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته في شهرها فسار في البرية غير عارف بالطريق فألجأه المسير إلى جانب الطور الأيمن في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق وضلَّ الطريق وتفرَّقت ماشيته فأصابه المطر فبقي لا يدري أين يتوجه فبينا هو كذلك آنس من جانب الطور ناراً وروى أبو بصير عن أبي جعفر (ع) قال لما قضى موسى الأجل وسار بأهله نحو بيت المقدس أخطأ الطريق ليلاً فرأى ناراً ﴿ قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً ﴾ وقد مرَّ تفسيره ﴿ لعلي آتيكم منها بخبر ﴾ أي بخبر من الطريق الذي أريد

قصده وهل أنا على صوبه أو منحرف عنه وقيل بخير من النار هل هي لخبر نأنس به أو لشرّ نحذره ﴿ أو جذوة من النار ﴾ أي قطعة من النار وقيل بأصل شجرة فيها نار ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ أي تستدفئون بها ﴿ فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن ﴾ أي نودي موسى من الجانب الأيمن للوادي ﴿ في البقعة المباركة ﴾ وهي البقعة التي قال الله تعالى فيها لموسى ﴿ إخلع نعليك إنك بالواد المقدس ﴾ طوى وإنما كانت مباركة لأنها معدن الوحي والرسالة وكلام الله تعالى وقيل مباركة لكثرة الأشجار والأثمار والخير والنعم بها والأول أصح ﴿ من الشجرة ﴾ إنما سمع موسى النداء والكلام منَ الشجرة لأن الله تعالى فعل الكلام فيها وجعل الشجرة محل الكلام لأن الكلام عرض يحتاج إلى محل وعلم موسى بالمعجز أن ذلك كلامه تعالى وهذه لأعلى منازل الأنبياء أعني أن يسمعوا كلام الله من غير واسطة ومبلّغ وكان كلامه سبحانه ﴿ إن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴾ أي أن المكلم لك هو الله مالك العالمين وخالق الخلائق أجمعين تعالى وتقدس عن أن يحلّ في محل أو يكون في مكان لأنه ليس بعرض ولا جسم .

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا
رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ
وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ
بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ
بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى
هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ
أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ
لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا

الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الحجاز والبصرة من الرَهَب بفتح الراء والهاء وقرأ حفص من الرَهْب بفتح الراء وسكون الهاء والباقون بضم الراء وسكون الهاء وقرأ أهل البصرة وابن كثير فذانك بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أبو جعفر ونافع رداً بغير همزة والباقون بالهمزة وقرأ عاصم وحمزة يُصَدِّقُني بالرفع والباقون يُصَدِّقْني بالجزم وفي الشواذ قراءة الحسن عَضْدُك .

[الحجة] الرَهب والرُهْب لغتان مثل الرشد والرشد والرَهَب والرَهْب مثل الشمع والشمع والنَهْر والنَهَر وقوله ﴿ فذانك ﴾ قد مضى القول فيه فيما تقدَّم وقال الزجاج التشديد تثنية ذلك والتخفيف تثنية ذاك وجعل بدل اللام في ذلك تشديد النون ومن قرأ رداً فإنه خفف الهمزة وذلك حكم الهمزة إذا خففتها وكان قبلها ساكن أن تحذف وتلقى حركتها على الساكن قبلها ومن قرأ يصدقُني بالرفع جعله صفة للنكرة وتقديره ردءاً مصدقاً ومن قرأ بالجزم كان على معنى الجزاء أي إن أرسلته يصدقني وفي عضد خمس لغات عَضُد وعَضْد وعُضُد وعُضْد وعَضِد وافصحها عَضُد مثل رجل .

[الإعراب] قوله إلى فرعون يتعلق بما يتعلق به مِنْ من قوله ﴿ برهانان من ربك ﴾ ويجوز أن يتعلق بمحذوف كما تقدم ذكره في قوله في تسع آيات . إلى فرعون وهارون عطف بيان . ردءاً نصب على الحال والباء في قوله بآياتنا يحتمل ثلاثة أوجه (أحدها) أن يتعلق بيصلون (والثاني) أن يتعلق بنجعل (والثالث) أن تعلق بقوله ﴿ الغالبون ﴾ .

[المعنى] ثم بيَّن سبحانه تمام قصة موسى (ع) فقال ﴿ وأن ألق عصاك ﴾ إنما أعاد سبحانه هذه القصة وكرَّرها في السور تقريراً للحجة على أهل الكتاب واستمالة بهم إلى الحق ومن أحبَّ شيئاً أحبَّ ذكره والقوم كانوا يدَّعون محبة موسى وكل من إدَّعى إتباع سيده مال إلى من ذكره بالفضل على أن كل موضع من مواضع التكرار لا تخلو من زيادة فائدة وهاهنا حذف تقديره فألقاها من يده فانقلبت بإذن الله تعالى ثعباناً عظيماً تهتز كأنها جانّ في سرعة حركتها وشدة إهتزازها ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ أي تتحرّك ﴿ كأنها جان ولى مدبراً ﴾ موسى ﴿ ولم يعقب ﴾ أي لم يرجع إلى ذلك الموضع فنودي ﴿ يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ﴾ من ضررها وفي انقلاب العصا حية دلالة على أن الجواهر متماثلة وأنها من جنس واحد لأنه لا حال أبعد إلى حال الحيوان من حال الخشب وما جرى مجرى ذلك من الجماد فإذا صحَّ قلب الخشب إلى حال الحيوان صحَّ أيضاً قلب الأبيض إلى حال الأسود

﴿ أسلك يدك في جيبك ﴾ أي أدخلها فيه ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ اي من غير برص ﴿ واضمم إليك جناحك من الرهب ﴾ أي ضم يدك إلى صدرك من الخوف فلا خرف عليك عن ابن عباس ومجاهد والمعنى أن الله تعالى أمره أن يضم يده إلى صدره فيذهب ما أصابه من الخوف عند معاينة الحية وقيل أمره سبحانه بالعزم على ما أراده منه وحثّه على الجد فيه لئلا يمنعه الخوف الذي يغشاه في بعض الأحوال مما أمره بالمضي فيه وليس يريد بقوله ﴿ إضمم يدك ﴾ الضم المزيل للفرجة بين الشيئين عن أبي علي الفارسي قال وهذا كما أن أشدد في قوله « أُشْدُدْ حَيَازِيمَكَ لِلْمَوْتِ * فَإِنَّ الْمَوْتَ لَاقِيكا » ليس يراد به الشدّ الذي هو الربط والمراد به تأهّب للموت واستعدّ للقائه حتى لا تهاب لقاه ولا تجزع من وقوعه وقد جاء ذكر اليدين في مواضع يراد بهما جملة ذي اليد فمن ذلك قولهم لبيك والخير بين يديك ومنه قوله تعالى ﴿ بما قدّمت يداك ﴾ وفي المثل يَدَاكَ أَوْ كَتاوَفُوكَ نَفَخَ[1] وإنما يقال هذا عند تفريغ الجملة وقال أبو عبيدة جناحا الرجل يداه وقال غيره الجناح هنا العضد ويدل على قوله إن العضد قد تقام مقام الجملة في مثل قوله ﴿ سنشد عضدك بأخيك ﴾ وقد جاء المفرد ويراد به التثنية قال :

يَدَاكَ يَدٌ إِحْدَاهُمَا الْجُودُ كُلُّهُ ... وَرَاحَتُكَ الْأُخْرَى طِعَانٌ تُغَامِرُهْ

المعنى يداك يدان بدلالة قوله ﴿ إحداهما ﴾ فعلى هذا يجوز أن يراد بالأفراد في قوله ﴿ واضمم إليك جناحك ﴾ التثنية وقيل أنه لما ألقى العصا وصارت حية بسط يديه كالمتقي وهما جناحاه فقيل له اضمم إليك جناحك أي ما بسطته من يديك والمعنى لا تبسط يديك خوف الحية فإنك آمن من ضررها ويجوز أن يكون معناه أسكن ولا تخف فإنّ من هاله أمر أزعجه حتى كأنه يطيره وآلة الطيران الجناح فكأنه (ع) قد بلغ نهاية الخوف فقيل له ضم منشور جناحك من الخوف واسكن وقيل معناه إذا هالك أمر يدك لما تبصر من شعاعها فاضممها إليك لتسكن ﴿ فذانك برهانان من ربك ﴾ معناه فاليد والعصا حجتان من ربك على نبوتك ﴿ إلى فرعون وملئه ﴾ أي أرسلناك إلى فرعون وملئه بهاتين الآيتين الباهرتين ﴿ إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ أي خارجين من طاعة الله إلى أعظم المعاصي وهو الكفر ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلوني ﴾ بتلك النفس ﴿ وأخي هارون هو أفصح مني لساناً ﴾ وإنما قال ذلك لعقدة كانت في لِسانه وقد مرّ فيما مضى ذكر

(١) أوكى القربة : شدها بالوكاء .

سببها وقد كان الله تعالى أزال أكثرها أو جميعها بدعائه ﴿ فأرسله معي ردءاً ﴾ أي معيناً لي على تبليغ رسالتك يقال فلان رده لفلان إذا كان ينصره ويشدّ ظهره ﴿ يصدّقني إني أخاف أن يكذبوني ﴾ أي مصدقاً لي على ما أودّيه من الرسالة وإن جزمته فالمعنى إنك أن ترسله معي يصدّقني وإنما كان سؤاله ذلك بعد أن أذن له فيه لأن الإنسان لا يعلم إن المصلحة في إرسال نبي واحد أو إثنين إلا بالوحي وقال مقاتل معناه لكي يصدقني فرعون ﴿قال سنشد عضدك بأخيك ﴾ هذه إستعارة رابعة والمعنى سنجعله رسولاً معك ونؤيدك بأن نقرنه إليك في النبوة وننصرك به ﴿ ونجعل لكما سلطاناً ﴾ أي حجة وقوة وبرهاناً ﴿ فلا يصلون إليكما بآياتنا ﴾ أي لا يصل فرعون وقومه إلى الأضرار بكما بسبب ما نعطيكما من الآيات وما يجري على أيديكما من المعجزات فيخافكما فرعون وقومه لأجلها وقيل إن قوله ﴿ بآياتنا ﴾ موضعه التقديم أي ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا فلا يصلون إليكما ثم أخبر أن الغلبة لهما عليهم فقال ﴿ أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ على فرعون وقومه القاهرون لهم وهذه الغلبة غير السلطان فإن السلطان بالحجة والغلبة بالقهر حين هلك فرعون وقومه وملك موسى وقومه ديارهم وروي عن أبي جعفر (ع) في حديث طويل قال فلما رجع موسى (ع) إلى امرأته قالت من أين جئت قال من عند رب تلك النار قال فغدا إلى فرعون فوالله لكأني أنظر إليه طويل الباع ذو شعر ادم عليه جبة من صوف عصاه في كفه مربوط حقوه بشريط[1] نعله من جلد حمار شراكها من ليف فقيل لفرعون أن على الباب فتى يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون لصاحب الأسد خل سلاسلها وكان إذا غضب على رجل خلاها فقطعته فخلّاها فقرع موسى الباب الأول وكانت تسعة أبواب فلما قرع الباب الأول إنفتحت له الأبواب التسعة فلما دخل جعلن تبصبصن تحت رجليه كأنهن جراء[2] فقال فرعون لجلسائه رأيتم مثل هذا قط فلما أقبل إليه فقال ألم نربك فينا وليداً إلى قوله ﴿ وإنا من الضالين ﴾ فقال فرعون لرجل من أصحابه قم فخذ بيده وقال للآخر إضرب عنقه فضرب جبرائيل بالسيف حتى قتل ستة من أصحابه فقال خلّوا عنه قال فأخرج يده فإذا هي بيضاء قد حال شعاعها بينه وبين وجهه فألقى العصا فإذا هي حية فالتقمت الأيوان بلحييها فدعاه إن يا موسى أقلني إلى غد ثم كان من أمره ما كان .

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ

---

(١) الحقو : الخصر . والشريط : خوص مفتول يشرط به السرير ونحوه .

(٢) يصبص الكلب : تحرك ذنبه . والجراء جمع الجرو : أولاد السباع .

إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ
عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا
الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ۖ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ
فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ
مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ
فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾
وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ
الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير قال موسى بغير واو وكذلك هو في مصاحف مكة والباقون وقال بالواو وقرأ نافع وأهل الكوفة غير عاصم من يكون بالياء والباقون بالتاء وقرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لا يرجعون بفتح الياء والباقون بضم الياء وفتح الجيم .

[الحجة] قال أبو علي قد مضى القول في نحو هذا فيما قبل وكذلك في نحو الياء والتاء من يكون وكلاهما حسن وكذلك قد مضى فيما تقدم القول في يُرجعون ويَرجعون .

[اللغة] الصرح البناء العالي كالقصر وأصله من الظهور فالتصريح شدة ظهور المعنى قال الشاعر :

بِهِنَّ نَعَامٌ بَنَاهَا الرِّجَالُ تَحْسِبُ أَعْلَامَهُنَّ الصُّرُوحَا[1]

والنبذ الإلقاء والطرح والشيء منبوذ قال أبو الأسود :

نَظَرْتُ إِلَىٰ عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتُهُ كَنَبْذِكَ نَعْلاً أَخْلَقَتْ مِنْ نِعَالِكَا

والقبح الإبعاد قبحه الله أي أبعده يقبحه قبحاً ويقال قبحه إذا جعله قبيحاً وقيل قبحه فهو مقبوح أهلكه .

[الإعراب] بينات نصب على الحال . ما سمعنا بهذا يحتمل أن تكون الباء زائدة ويحتمل أن تكون على أصلها وقوله ﴿ بغير الحق ﴾ الجار والمجرور في موضع نصب على الحال والتقدير واستكبر هو وجنوده مبطلين . ويدعون صفة الأئمة . ويوم القيامة ظرف لفعل يدل عليه قوله ﴿ من المقبوحين ﴾ على تقدير قبحوا يوم القيامة لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول والألف واللام في المقبوحين موصول وتقديره الذين قبحوا .

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات ﴾ التقدير فمضى موسى إلى فرعون وقومه فلما جاءهم بآياتنا أي بحججنا البينات ومعجزاتنا الظاهرات ﴿ قالوا ما هذا إلا سحر مفترى ﴾ أي مختلق مفتعل لم يبن على أصل صحيح لأنه حيلة توهم خلاف الحقيقة فوصفوا الآيات بالسحر والإختلاف على هذا المعنى جهلاً منهم وذهاباً عن الصواب ﴿ وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾ أي لم نسمع ما يدعيه ويدعو إليه في آبائنا الذين كانوا قبلنا وإنما قالوا ذلك مع إشتهار قصة نوح وهود وصالح وغيرهم من النبيين الذين دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته لأحد أمرين أما للفترة التي دخلت بين الوقتين والزمان الطويل وأما لأن آباءهم ما صدقوا بشيء من ذلك ولا دانوا به فيكون المعنى ما سمعنا بآبائنا أنهم صدقوا الرسل فيما جاؤوا به ووجه شبهتهم في ذلك أنهم قالوا إنهم الكبراء فلو كان حقاً لأدركوه فإنه لا يجوز أن يدرك الحق الأنقص في الرأي والعقل ولا يدركه الأفضل فيهما وهذا غلط لأن ما طريقه الإستدلال لا يمتنع أن يصيبه الأدون في الرأي إذا سلك طريقه ولا يصيبه الأكمل في الرأي إذا لم يسلك طريقه ﴿ وقال موسى ﴾ مجيباً لهم ﴿ ربي أعلم بمن جاء بالهدي من عنده ومن تكون له عاقبة الدار ﴾ ومعناه ربي يعلم إني جئت بهذه الآيات الدالة على الهدى من عنده فهو شاهد لي على ذلك إن كذبتموني ويعلم أن العاقبة الحميدة لنا

(١) النعام : المفازة . والإعلام : الجبال .

ولأهل الحق والإنصاف وهذا كما يقال على سبيل المظاهرة الله أعلم بالمحق منا والمبطل وحجتي ظاهرة فأكثرها إن قدرت على ذلك ﴿ إنه لا يفلح الظالمون ﴾ أي لا يفوز بالخير من ظلم نفسه وعصى ربه وكفر نعمه ﴿ وقال فرعون ﴾ منكراً لما أتى به موسى من آيات الله لما أعياه الجواب وعجز عن محاجته ﴿ يا أيها الملأ ﴾ يريد إشراف قومه ﴿ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين ﴾ أي فأجج النار على الطين واتخذ الآجر وقيل أنه أول من إتخذ الآجر وبنى به عن قتادة ﴿ فاجعل لي صرحاً ﴾ أي قصراً وبناء عالياً ﴿ لعلي أطلع إلى إله موسى ﴾ أي أصعد إليه وأشرف عليه وأقف على حاله وهذا تلبيس من فرعون وإيهام على العوام أن الذي يدعو إليه موسى يجري مجراه في الحاجة إلى المكان والجهة ﴿ وإني لأظنه من الكاذبين ﴾ في ادعائه إلهاً غيري وأنه رسوله ﴿ واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق ﴾ أي رفع فرعون وجنوده أنفسهم في الأرض فوق مقدارها بالباطل والظلم وأنفوا وتعظموا عن قبول الحق في إتباع موسى ﴿ وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ﴾ أي أنكروا البعث وشكوا فيه ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم ﴾ أي فعاقبناهم وطرحناهم في البحر وأهلكناهم بالغرق وعنى باليم نيل مصر وقيل بحر من وراء مصر يقال له أساف غرقهم الله فيه ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ أي تفكر وتدبر وانظر بعين قلبك كيف أخرجناهم من ديارهم وأغرقناهم ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ﴾ وهذا يحتاج إلى تأويل لأنه ظاهره يوجب أنه تعالى جعلهم أئمة يدعون إلى النار كما جعل الأنبياء أئمة يدعون إلى الجنة وهذا ما لا يقول به أحد فالمعنى أنه أخبر عن حالهم بذلك وحكم بأنهم كذلك وقد تحصل الإضافة على هذا الوجه بالتعارف ويجوز أن يكون أراد بذلك أنه لما أظهر حالهم على لسان أنبيائه حتى عرفوا فكأنه جعلهم كذلك ومعنى دعائهم إلى النار أنهم يدعون إلى الأفعال التي يستحق بها دخول النار من الكفر والمعاصي ﴿ ويوم القيامة لا ينصرون ﴾ أي لا ينصر بعضهم لبعض ولا ينصرهم غيرهم يوم القيامة كما كانوا يتناصرون في الدنيا ﴿ واتبعناهم في هذه الدنية لعنة ﴾ أي أردفناهم لعنة بعد لعنة وهي البعد عن الرحمة والخيرات وقيل معناه ألزمناهم اللعنة في هذه الدنيا بأن أمرنا المؤمنين بلعنهم فلعنوهم عن أبي عبيدة ﴿ ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ أي من المهلكين عن الأخفش وقيل من المشوهين في الخلقة بسواد الوجوه وزرقة الأعين عن الكلبي عن ابن عباس وقيل من الممقوتين المفضوحين .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى
ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ
عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا
وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن
رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ
أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن
قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ
فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ
أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة سحران بغير ألف والباقون ساحران بالألف .

[الحجة] قال أبو علي حجة من قرأ ساحران أنه قال تظاهراً والمظاهرة المعاونة وفي التنزيل وإن تظاهراً عليه والمعاونة في الحقيقة إنما تكون للساحرين لا للسِحْرين والوجه في

قوله ﴿ سحران ﴾ أنه نسب المعاونة إلى السحرين على وجه الإتساع كأن كل سحر منهما يقوّي الآخر .

[الإعراب] قال الزجاج قوله ﴿ بصائر ﴾ حال أي آتيناه الكتاب مبيناً وأقول فيه أنه بدل من الكتاب فإن المعرفة يجوز أن تبدل منها النكرة والبصائر في معنى الحجج فلا يصحّ معنى الحال فيها إذا كان إسماً محضاً لا شائبة فيه للفعل وقوله ﴿ إذا قضينا ﴾ ظرف للمحذوف الذي يتعلق به الباء في قوله ﴿ بجانب الغربي ﴾ وتتلو جملة منصوبة الموضع على الحال ولكن رحمة رحمة منصوبة مفعول لها تقديره ولكنا أوحينا إليك رحمة أي للرحمة كما تقول فعلت ذلك إبتغاء الخير . لولا أن تصيبهم مصيبة لولا هذه هي التي معناها إمتناع الشيء لوجود غيره وأن تصيبهم مبتدأ وجواب لولا محذوف وتقديره لم يحتج إلى إرسال الرسل ولولا الثانية في قوله ﴿ ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً ﴾ هي التي معناه التخصيص بمعنى هلا . بغير هدى الجار والمجرور في موضع نصب على الحال .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه من أخبار موسى (ع) ما فيه دلالة على معجزة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ يعني التوراة ﴿ من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴾ أي الجموع التي كانت قبله من الكفار مثل قوم نوح وعاد وثمود ويجوز أن يريد بالقرون قوم فرعون لأنه سبحانه أعطاه التوراة بعد إهلاكهم بمدة ﴿ بصائر للناس ﴾ أي حججاً وبراهين للناس وعبراً يبصرون بها أمر دينهم وأدلّة يستدلّون بها في أحكام شريعتهم ﴿ وهدى ﴾ أي دلالة لمن إتبعه يهتدي بها ﴿ ورحمة ﴾ لمن آمن به ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أي يتعّظون ويعتبرون وجاءت الرواية بالإسناد عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية التي مسخوا قردة ألم تر أن الله تعالى قال ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴾ الآية ﴿ وما كنت بجانب الغربي ﴾ أي وما كنت يا محمد حاضراً بجانب الجبل الغربي أي في الجانب الغربي من الجبل الذي كلّم الله فيه موسى عن قتادة والسدي وقيل بجانب الوادي الغربي عن ابن عباس والكلبي ﴿ إذا قضينا إلى موسى الأمر ﴾ أي عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه وقيل معناه أخبرناه بأمرنا ونهينا وقيل أراد كلامه معه في وصف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ونبوته ﴿ وما كنت من الشاهدين ﴾ أي الحاضرين لذلك الأمر وبذلك المكان فتخبر قومك عن مشاهدة وعيان ولكنا أخبرناك به ليكون معجزة لك ﴿ ولكنا أنشأنا قروناً

فتطاول عليهم العمر ﴾ أي خلقنا قرناً بعد قرن فطال عهدهم بالمهلكين قبلهم وفترة النبوة فحملهم ذلك على الاغترار وأنكروا بعثة الله رسله لجهلهم بأمر الرسل فأرسلناك للناس رسولاً وجعلناك رحمة للناس كما جعلنا موسى رحمة لا يتم الكلام إلا بهذا التقدير وقيل إن المعنى خلقنا خلقاً كثيراً عهدنا إليهم في نعتك وصفتك وأمرنا الأول بالإبلاغ للناس إلى الثاني فامتدّ بهم الزمان فنسوا عهدنا إليهم فيك ﴿ وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ﴾ معناه وما كنت مقيماً في قوم شعيب تتلو عليهم آياتنا قال مقاتل معناه ولم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم ﴿ ولكنا كنا مرسلين ﴾ أي أرسلناك إلى أهل مكة وأنزلنا عليك هذه الأخبار ولولا ذلك لما علمتها قال الزجاج المعنى إنك لم تشاهد قصص الأنبياء ولا تليت عليك ولكنا أوحيناها إليك وقصصناها عليك حتى تخبر قومك بهذا فيدلُّ ذلك على صحة نبوتك وقيل معناه إنك لم تشهد إحساننا إلى عبادنا في إرسال الرسل ونصب الآيات وإنزال الكتب بالبينات والهدى وهذا كما يقال لم تدر أيّ شيء كان هناك تفخيماً للأمر ولولا الوحي لما علمت من ذلك ما علمت ولم تهتد له ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾ أي ولم تك حاضراً بناحية الجبل الذي كلمنا عليه موسى وناديناه يا موسى خذ الكتاب بقوة وقيل أراد بذلك المرة الثانية التي كلَّم الله فيها موسى (ع) حين اختار من قومه سبعين رجلاً ليسمعوا كلام الله تعالى ﴿ ولكن رحمة من ربك ﴾ أي ولكن الله تعالى أعلمك ذلك وعرفك إياه نعمة من ربك أنعم بها عليك وهو أن بعثك نبياً واختارك لإيتاء العلم بذلك معجزة لك ﴿ لتنذر قوماً ما أتيهم من نذير من قبلك ﴾ أي لتنذر العرب الذين لم يأتهم رسول قبلك ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أي لكي يتفكروا ويعتبروا وينزعوا عن المعاصي وفي هذا دلالة على وجوب فعل اللطف فإن الإنذار والدعوة لطف من الله تعالى مؤثر في القبول ومقرّب منه ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ معناه لولا أن لهم أن يحتجّوا لو أصابتهم عقوبة بأن يقولوا هلا أرسلت إلينا رسولاً يدعونا إلى ما يجب الإيمان به فنتّبع الرسول ونأخذ بشريعته ونصدّق به لما أرسلنا الرسل ولكنا أرسلنا رسلاً لقطع حجتهم وهو في معنى قوله ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ وقيل إن جواب لولا هاهنا لعجّلنا لهم العقوبة وقيل المراد بالمصيبة هاهنا عذاب الاستئصال وقيل عذاب الدنيا والآخرة عن أبي مسلم ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا ﴾ أي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والإسلام ﴿ قالوا لولا أوتي ﴾ أي هلا أعطي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ مثل ما أوتي موسى ﴾ من فلق البحر واليد البيضاء والعصا وقيل معناه هلا أوتي كتاباً جملة واحدة وإنما قاله اليهود أو قريش بتعليم اليهود فاحتجّ

الله عليهم بقوله ﴿ أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ﴾ أي وقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وقالوا سحران تظاهرا ﴾ يعنون التوراة والقرآن عن عكرمة والكلبي ومقاتل ومن قرأ ساحران تظاهرا فمعناه أنهم قالوا تظاهر موسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس ﴿ وقالوا إنا بكل كافرون ﴾ من التوراة والقرآن قال الكلبي وكانت مقالتهم هذه حين بعثوا الرهط منهم إلى رؤوس اليهود بالمدينة في عيد لهم فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأخبروهم بنعته وصفته في كتابهم التوراة فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك سحران تظاهرا ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴾ معناه قل يا محمد لكفار قومك فأتوا بكتاب هو أهدى من التوراة والقرآن حتى إتبعه إن صدقتم إن التوراة والقرآن سحران وقيل معناه فأتوا بكتاب من عند الله يؤمن معه التكذيب أي لم يكذب به طائفة من الناس ثم قال لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ فإن لم يستجيبوا لك ﴾ أي فإن لم يأتوا بمثل التوراة والقرآن وقيل فإن لم يستجيبوا لك إلى الإيمان مع ظهور الحق ﴿ فاعلم إنما يتبعون اهواءهم ﴾ أي ما تميل إليه طباعهم لأن الهوى ميل الطبع إلى المشتهى قال الزجاج أي فاعلم إنما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وإنما آثروا فيه الهوى ثم ذمّهم فقال ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ أي لا أحد أضل ممن إتبع هواه بغير رشاد ولا بيان جاءه من الله ﴿ إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ إلى طريق الجنة وقيل معناه لا يحكم الله بهدايتهم وقيل إنهم إذا لم يهتدوا بهدى الله فكأنه لم يهدهم .

﴿ * وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ
ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن
قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ
أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ

أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾

[اللغة] أصل التوصيل من وصل الحبال بعضها ببعض قال امرؤ القيس :

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمَرَّهُ تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ (١)

أي موصول بعضه ببعض وهو في الكلام أن يصير بعضه يلي بعضاً والدرء الدفع .

[النزول] نزل قوله ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾ وما بعده في عبد الله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسليمان الفارسي فأنهم لما أسلموا نزلت فيهم الآيات عن قتادة وقيل نزلت في أربعين رجلاً من أهل الإنجيل كانوا مسلمين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل مبعثه إثنان وثلاثون من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب (ع) وقت قدومه وثمانية قدموا من الشام منهم بحيرا وابرهة والأشرف وعامر وأيمن وأدريس ونافع وتميم .

[المعنى] ثم بيَّن سبحانه صفة القرآن فقال ﴿ ولقد وصلنا لهم القول ﴾ أي فصَّلنا لهم القول وبيَّنا عن ابن عباس ومعناه أتينا بآية بعد آية وبيان بعد بيان وأخبرناهم بأخبار الأنبياء والمهلكين من أممهم ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أي ليتذكروا ويتفكروا فيعلموا الحق يتَّعظوا ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله ﴾ أي من قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ هم به ﴾ أي بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ يؤمنون ﴾ لأنهم وجدوا نعته في التوراة وقيل معناه من قبل القرآن وهم بالقرآن يصدّقون والمراد بالكتاب التوراة والإنجيل يعني الذين أوتوا الكتاب ﴿ وإذا يتلى ﴾ القرآن ﴿ عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله ﴾ أي من قبل نزوله ﴿ مسلمين ﴾ به وذلك أن ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل فهؤلاء لم يعاندوا ثم أثنى الله سبحانه عليهم فقال ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ مرَّة بتمسّكهم بدينهم حتى أدركوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فآمنوا به ومرة بإيمانهم به وقيل بما صبروا على الكتاب الأول وعلى الكتاب الثاني وإيمانهم بما فيهما عن قتادة وقيل بما صبروا على دينهم وعلى أذى الكفار وتحمل المشاق ﴿ ويدرؤون بالحسنة السيئة ﴾ أي يدفعون بالحسن من الكلام الكلام

(١) هذا بيت من معلقته المعروفة . يصف فرسه وشدة عدوه ومهارته في الجري . والدرير : السريع من الدواب والخذروف : شي مستدير يديره الصبيان بخيط أدخل في ثقبه وفتل . والوليد : الصبي والأمرار : أحكام الفتل . شبه عدة عدوه بإدارة خذروف أحكم الصبي فتل خيطه وتتابعت كفاه في فتله وادارته بخيط انقطع ثم وصل وذلك أشد لدورانه يقول : يدير الجري والعدو ويسرع فيهما كإسراع هذا الخذروف .

القبيح الذي يسمعونه من الكفار وقيل يدفعون بالمعروف المنكر عن سعيد بن جبير وقيل يدفعون بالحلم جهل الجاهل عن يحيى بن سلام ومعناه يدفعون بالمداراة مع الناس أذاهم عن أنفسهم وروي مثل ذلك عن أبي عبد الله (ع) ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ مرّ معناه ﴿ وإذا سمعوا اللغو ﴾ أي السفه من الناس والقبيح من القول والهزء الذي لا فائدة فيه ﴿ أعرضوا عنه ﴾ ولم يقابلوه بمثله ﴿ وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ أي لا نسأل نحن عن أعمالكم ولا تسألون عن أعمالنا بل كل منا يجازى على عمله وقيل معناه لنا ديننا ولكم دينكم وقيل لنا حلمنا ولكم سفهكم ﴿ سلام عليكم ﴾ أيَ أمان منا لكم أن نقابل لغوكم بمثله وقيل هي كلمة حلم واحتمال بين المؤمنين والكافرين وقيل هي كلمة تحية بين المؤمنين عن الحسن ﴿ لا نبتغي الجاهلين ﴾ أي لا نطلب مجالستهم ومعاونتهم وإنما نبتغي الحكماء والعلماء وقيل معناه لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه عن مقاتل وقيل لا نبتغي دين الجاهلين ولا نحبّه عن الكلبي .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ
أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا
مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا
وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ
فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا
وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾

[القراءة] قرأ اهل المدينة ويعقوب وسهل تجبي بالتاء والباقون بالياء وقرأ ابو عمرو أفلا تعقلون بالياء والتاء كيف شئت والباقون بالتاء .

[الحجة] قال أبو علي تأنيث ثمرات جمع وليس بتأنيث حقيقي فيكون بمنزلة الوعظ والموعظة والصوت والصيحة إذا ذكّرت جاز وإذا أنثت جاز وحجة من قرأ أفلا تعقلون بالتاء قوله فما اوتيتم والياء على أفلا يعقلون يا محمد.

[اللغة] التخطف اخذ الشيء على وجه الاستلاب من كل وجه يقال تخطفه تخطفاً واختطفه اختطافاً وخطفه يخطفه خطفاً قال امرؤ القيس .

تَخَطَّفُ خِزَّانَ الأَنَيْعِمِ بِالضُّحَى وَقَدْ حَجَرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَال[1]

يجبي من جبيت الماء في الحوض اي جمعته والجابية الحوض والبطر الطغيان عند النعمة قال ابن الاعرابي البطر سوء احتمال الغنى وقيل ان اصله من قولهم ذهب دمه بطراً اي باطلاً عن الكسائي وقيل هو ان يتكبر عند الحق فلا يقبله .

[الإعراب] رزقا مصدر وضع موضع الحال تقديره يجبي اليه ثمرات كل شيء من رزقه ويجوز ان يكون مصدر فعل محذوف تقديره نرزق ويجوز ان يكون مصدراً من معنى قوله يجبي اليه ثمرات لأنه في معنى رزق فيكون مثل قولهم حمدته شكراً ويجوز أن يكون مفعولاً له وقوله من لدنا في موضع نصب على الصفة لقوله رزقاً وكم اهلكنا اي كثيراً من القرى اهلكنا فكم في موضع نصب بأهلكنا ومن قرية في موضع نصب على التمييز لإن كم الخبرية إذا فصل بينها وبين مميزها بكلام نصب كما ينصب كم الاستفهامية معيشتها انتصب بقوله بطرت وتقديره في معيشتها فحذف الجار فأفضى الفعل. فتلك مساكنهم مبتدأ وخبر. لم تسكن في موضع نصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة في تلك قليلاً صفة مصدر محذوف تقديره الا سكوناً قليلاً او صفة ظرف تقديره وقتاً أو زماناً قليلاً .

[النزول] قيل نزل قوله إنك لا تهدي من أحببت في ابي طالب فإن النبي ﷺ كان يحبّ اسلامه فنزلت هذه الآية وكان يكره إسلام وحشي قاتل حمزة فنزل فيه يا عبادي الذين

(١) يصف فرسه وقبل البيت قوله «كأني بفتخاه الجناحين لقوه * صيود من العقبان طأطأت شملال» شبهه بعقاب تخطف الارانب والثعالب وتخطف اصله تتخطف فحذف احدى التائين والخزان: ذكور الارانب والانيعم: موضع وفي بعض الروايات «خزان الشربة» وهو اسم موضع ايضاً. وأورال: أجبل ثلاثة سود في جوف الرمل حذاق ماء لبني دارم وكان يسكنها قوم من العرب .

اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فلم يسلم أبو طالب واسلم وحشي ورووا ذلك عن ابن عباس وغيره وفي هذا نظر كما ترى فإن النبي ﷺ لا يجوز أن يخالف الله سبحانه في إرادته كما لا يجوز ان يخالفه في اوامره ونواهيه وإذا كان الله تعالى على ما زعم القوم لم يرد إيمان ابي طالب وأراد كفره وأراد النبي ﷺ إيمانه فقد حصل غاية الخلاف بين ارادتي الرسول ﷺ والمرسل فكأنه سبحانه يقول على مقتضى اعتقادهم انك يا محمد تريد إيمانه ولا أريد إيمانه ولا اخلق فيه الإيمان مع تكفله بنصرتك وبذل مجهوده في اعانتك والذب عنك ومحبته لك ونعمته عليك وتكره انت إيمان وحشي لقتله عمك حمزة وانا اريد إيمانه واخلق في قلبه الإيمان وفي هذا مافيه وقد ذكرنا في سورة الأنعام ان اهل البيت عليهم السلام قد اجمعوا على ان ابا طالب مات مسلماً وتظاهرت الروايات بذلك عنهم واوردنا هناك طرفاً من اشعاره الدالة على تصديقه للنبي ﷺ وتوحيده فإن استيفاء ذلك جميعه لا تتسع له الطوامير وما روي من ذلك في كتب المغازي وغيرها اكثر من أن يحصى يكاشف فيها من كاشف النبي ﷺ ويناضل عنه ويصحح نبوته وقال بعض الثقات ان قصائده في هذا المعنى التي تنفث في عُقَد السحر وتُغَبِّرُ في وجه شعراء الدهر يبلغ قدر مجلد واكثر من هذا ولا شك في انه لم يختر تمام مجاهرة الاعداء استصلاحاً لهم وحسن تدبيره في دفع كيادهم لئلا يلجئوا الرسول إلى ما الجأوه إليه بعد موته.

[المعنى] لمّا تقدّم ذكر الرسول والقرآن وانه أنزل هدى للخلق بيّن سبحانه انه ليس عليه الاهتداء وإنما عليه البلاغ والاداء فقال ﴿إنك﴾ يا محمد ﴿لا تهدي من أحببت﴾ هدايته وقيل من احببته لقرابته والمراد بالهداية هنا اللطف الذي يختار عنده الإيمان فإنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى لأنه اما ان يكون من فعله خاصة أو بإعلامه ولا يعلم ما يصلح المرء في دينه إلا الله تعالى فإن الهداية التي هي الدعوة والبيان قد أضافها سبحانه إليه في قوله وانك لتهدي إلى صراط مستقيم وقيل ان المراد بالهداية في الآية الاجبار على الاهتداء اي انت لا تقدر على ذلك وقيل معناه ليس عليك اهتداؤهم وقبولهم الحق ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ بلطفه وقيل على وجه الإجبار ﴿وهو اعلم بالمهتدين﴾ أي القابلين للهدى فيدبّر الأمور على ما يعلمه من صلاح العباد ثم قال سبحانه حاكياً عن الكفار ﴿وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا﴾ اي نستلب من ارضنا يعني ارض مكة والحرم وقيل إنما قاله الحرث بن نوفل بن عبد مناف فإنه قال للنبي ﷺ انا لنعلم ان قولك حق ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة ان يتخطفنا العرب من ارضنا ولا طاقة لنا بالعرب فقال سبحانه راداً

عليه هذا القول ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ أي أو لم نجعل لهم مكة في أمن وأمان قبل هذا ودفعنا ضرر الناس عنهم حتى كانوا يأمنون فيه فكيف يخافون زواله الآن أفلا نقدر على دفع ضرر الناس عنهم لو آمنوا بل حالة الإيمان والطاعة اولى بالأمن والسلامة من حالة الكفر ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾ اي تجمع اليه ثمرات كل ارض وبلد ﴿رزقاً من لدنا﴾ اي اعطاء من عندنا جارياً عليهم ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ما انعمنا به عليهم وقيل لا يعلمون الله ولا يعبدونه فيعلموا ما يفوتهم من الثواب ﴿وكم اهلكنا من قرية﴾ أي من اهل قرية ﴿بطرت معيشتها﴾ اي في معيشتها بأن اعرضت عن الشكر وتكبّرت والمعنى اعطيناهم المعيشة الواسعة فلم يعرفوا حق النعمة وكفروا فأهلكناهم ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾ تلك اشارة إلى ما يعرفونه هم من ديار عاد وثمود وقوم لوط أي صارت مساكنهم خاوية خالية عن اهلها وهي قريبة منكم فإن ديار عاد إنما كانت بالاحقاف وهو موضع بين اليمن والشام وديار ثمود بوادي القرى وديار قوم لوط بسدوم وكانوا هم يمرّون بهذه المواضع في تجاراتهم ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ اي المالكين لديارهم لم يخلفهم أحد فيها ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال ﴿وما كان ربك﴾ يا محمد ﴿مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً﴾ قيل ان معنى أمها أم القرى وهي مكة وقيل يريد معظم القرى من سائر الدنيا ﴿يتلو عليهم آياتنا﴾ اي يقرأ عليهم حججنا وبياناتنا ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا واهلها ظالمون﴾ لنفوسهم بالكفر والطغيان والعتو والعصيان ثم خاطب سبحانه خلقه فقال ﴿وما أوتيتم من شيء﴾ أي وما اعطيتموه من شيء ﴿فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾ أي هو شيء تتمتعون به في الحياة وتتزينون به ﴿وما عند الله﴾ من الثواب ونعيم الآخرة ﴿خير﴾ من هذه النعم ﴿وابقى﴾ لأنها فانية ونعم الآخرة باقية ﴿أفلا تعقلون﴾ ذلك وتتفكرون فيه حتى تميزوا بين الباقي والفاني .

﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ
وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ
شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ
رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ

مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ
فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾
وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾

[اللغة] المتعة المنفعة وقد فُرّق بينهما بأن المتعة منفعة توجب الالتذاذ في الحال والمنفعة قد تكون بألم تؤدي عاقبته إلى نفع فكل متعة منفعة وليس كل منفعة متعة والاحضار إيجاد ما به يكون الشيء بحيث يشاهد والزعم القول في الأمر على ظن أو علم ولذلك دخل في باب علمت واخواته قال.

فَإِنْ تَزْعَمِيني كُنْتُ أَجْهَلَ فيكُمُ فَإِنِّي شَرَيْتُ الْحِلْمَ عِنْدَكَ بِالْجَهْلِ

[النزول] نزل قوله أفمن وعدناه الآية في رسول الله ﷺ وابي جهل وقيل نزل في حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب (ع) وفي أبي جهل عن محمد بن كعب والسدي وقيل نزل في عمار وفي الوليد بن المغيرة والأولى أن يكون عاماً فيمن يكون بهذه الصفة.

[المعنى] لمّا تقدَّم ذكر ما أوتوا من زينة الحياة الدنيا عقَّبه سبحانه بالفرق بين من اوتي نعيم الدنيا وبين من اوتي نعيم الآخرة فقال ﴿افمن وعدناه وعداً حسناً﴾ من ثواب الجنة ونعيمها جزاء على طاعته ﴿فهو لاقيه﴾ أي فهو واصل اليه ومدركه لا محالة ﴿كمن متّعناه متاع الحياة الدنيا﴾ من الأموال وغيرها ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ للجزاء والعقاب وقيل من المحضرين في النار والمعنى أيكون حال هذا كحال ذاك اي لا يكون حالهما سواء لأن نعم الدنيا مشوبة بالغموم وتعرض الزوال والفناء ونعم الآخرة خالصة صافية دائمة لا تتكدر بالشوب ولا تتنقص بالانقضاء ﴿ويوم يناديهم﴾ أي واذكر يوم ينادي الله الكفار وهو يوم القيامة وهذا نداء تقريع وتبكيت ﴿فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ اي كنتم تزعمون في الدنيا انهم شركاء في الإلهية وتعبدونهم وتدَّعون أنهم ينفعونكم ﴿قال الذين حقّ عليهم القول﴾ أي حق عليهم الوعيد بالعذاب من الجن والشياطين والذين اغووا الخلق من الانس ﴿ربنا هؤلاء الذين اغوينا﴾ يعنون اتباعهم ﴿اغويناهم كما غوينا﴾ أي اظللناهم عن

الدين بدعائنا إياهم إلى الضلال كما ضللنا نحن بأنفسنا ﴿تبرأنا اليك﴾ منهم ومن افعالهم قال الزجاج برىء بعضهم من بعض وصاروا اعداء كما قال سبحانه الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ﴿ما كانوا ايانا يعبدون﴾ أي لم يكونوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زيّنوا لهم عبادتنا وقيل معناه لم يعبدونا باستحقاق وحجة ﴿وقيل ادعوا شركائكم﴾ أي ويقال للاتباع ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله وزعمتم انهم شركائي لينصروكم ويدفعوا عنكم عذاب الله وإنما اضاف الشركاء إليهم لأنه لا يجوز أن يكون لله شريك ولكنهم كانوا يزعمون انها شركاء لله بعبادتهم إياهم ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ أي فيدعونهم فلا يجيبونهم إلى ملتمسهم ﴿ورأوا العذاب﴾ اي ويرون العذاب﴿لو انهم كانوا يهتدون﴾ جواب لو محذوف تقديره لو انهم كانوا يهتدون لرأوا العذاب اي لاعتقدوا ان العذاب حق وهذا القول اولى لدلالة الكلام على المحذوف ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين﴾ أي ما كان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين وهذا سؤال تقرير بالذنب وهو نداء يجمع العلم والعمل معاً فإن الرسل يدعون إلى العلم والعمل جميعاً فكأنه قيل لهم ماذا علمتم وماذا عملتم ﴿فعميت عليهم الانباء يومئذ﴾ أي فخفيت واشتبهت عليهم طرق الجواب يومئذ فصاروا كالعمي لانسداد طرق الاخبار عليهم كما تنسد طرق الأرض على العمي وقيل معناه فالتبست عليهم الحجج عن مجاهد وسميت حججهم انباء لأنها أخبار يخبر بها فهم لا يحتجون ولا ينطقون بحجة لأن الله تعالى ادحض حجتهم واكلّ السنتهم فسكتوا فذلك قوله ﴿فهم لا يتساءلون﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجج وقيل لا يسأل بعضهم بعضاً عن العذر الذي يعتذر به في الجواب فلا يجيبون وقيل معناه لا يتساءلون بالأنساب القرابة كما في الدنيا وقيل لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله لشغله بنفسه عن الجبائي وقيل لا يسأل بعضهم بعضاً أن حمل ذنوبه عنه عن الحسن .

﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ

الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

[المعنى] ثم ذكر سبحانه التائبين ورغّب في التوبة بعد التخويف فقال ﴿فأما من تاب﴾ أي رجع عن المعاصي والكفر ﴿وآمن وعمل صالحاً﴾ أي وأضاف إلى إيمانه الأعمال الصالحة ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ وإنما اتى بلفظه عسى مع انه مقطوع بفلاحه لأنه على رجاء ان يدوم على ذلك فيفلح وقد يجوز ان يزل فيما بعد فيهلك على انه قد قيل ان عسى من الله سبحانه لفظة وجوب في جميع القرآن ولما كان المفلح مختار الله تعالى ذكر عقيبه ان الاختيار إلى الله تعالى والخلق والحكم له لكونه قادراً عالماً على الكمال فقال ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ الخيرة اسم من الاختيار اقيم مقام المصدر والخيرة اسم للمختار أيضاً يقال محمد ﷺ خيرة الله من خلقه ويجوز التخفيف فيهما واختلف في الآية وتقديرها على قولين (أحدهما) ان معناه وربك يخلق ما يشاء من الخلق ويختار تدبير عباده على ما هو الأصلح لهم ويختار للرسالة ما هو الأصلح لعباده ثم قال ما كان لهم الخيرة أي ليس لهم الاختيار على الله بل لله الخيرة عليهم وعلى هذا تكون ما نفيا ويكون الوقف على قوله ويختار وفيه ردّ على المشركين الذين قالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فاختاروا الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف (والآخر) ان يكون ما في الآية بمعنى الذي اي ويختار الذي كان لهم الخيرة فيه فيكون الوقف على هذا عند قوله ما كان لهم الخيرة وهذا أيضاً في معنى الأول لأن حقيقة المعنى فيهما أنه سبحانه يختار وإليه الاختيار ليس لمن دونه الاختيار لأن الاختيار يجب أن يكون على العلم بأحوال المختار ولا يعلم غيره سبحانه جميع أحوال المختار ولأن الاختيار هو اخذ الخير وكيف يأخذ الخير من الاشياء من لا يعلم الخير فيها ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ أي تقدّس وتنزّه عن أن يكون له شريك في خلقه واختياره ثم أقام سبحانه البرهان على صحة اختياره بقوله ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾ أي وربك يعلم ما يخفونه وما يظهرونه فإليه الاختيار وفي هذا دلالة على ان من لا يعلم السر والجهر فلا اختيار إليه ثم أكدّ سبحانه ذلك بقوله ﴿وهو الله لا إله إلا هو﴾ لا يستحق العبادة سواه ﴿له الحمد في الأولى والآخرة﴾ أي له الثناء المدح والتعظيم على ما انعم به على خلقه في الدنيا والعقبى ﴿وله الحكم﴾ بينهم بما يميز به الحق من الباطل قال ابن عباس يحكم لأهل طاعته بالمغفرة والفضل ولأهل معصيته بالشقاء والويل ﴿وإليه﴾ أي وإلى جزائه وحكمه ﴿ترجعون﴾.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ
ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا
تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ
أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟
فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم
مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[المعنى] ثم بيّن سبحانه ما يدلُّ على توحيده فقال لنبيّه ﷺ ﴿قل﴾ يا محمد لأهل مكة الذين عبدوا معي آلهة تنبيهاً لهم على خطئهم ﴿أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾ أي دائماً ﴿إلى يوم القيامة﴾ لا يكون معه نهار ﴿من إله غير الله يأتيكم بضياء﴾ كضياء النهار تبصرون فيه فإنهم لا يقدرون على الجواب عن ذلك إلا بأنه لا يقدر على ذلك سوى الله فحينئذ تلزمهم الحجة بأنه لا يستحق العبادةغيره ﴿افلا تسمعون﴾ أي افلا تقبلون ما وعظتم به وقيل افلا تسمعون ما بيّنه الله لكم من ادلته وتتفكرون فيه ﴿قل﴾ يا محمد لهم ﴿أرأيتم أن جعل الله عليكم النهار سرمداً﴾ أي دائماً ﴿إلى يوم القيامة﴾ لا يكون معه ليل ﴿من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾ أي تستريحون فيه من الحركة والنصب ﴿افلا تبصرون﴾ أي افلا تعلمون من البصيرة وقيل افلا تشاهدون الليل والنهار وتتدبرون فيهما فتعلموا انهما من صنع مدبر حكيم ثم قال ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾ أي ومن نعمته عليكم واحسانه اليكم ان جعل لكم الليل والنهار ﴿لتسكنوا فيه﴾ اي في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أي في النهار ﴿ولعلكم تشكرون﴾ نعم الله في تصريف الليل والنهار

وفي سائر انواع النعم ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ مضى تفسيره فإنما كرّر ذكر النداء للمشركين بأين شركائي تقريعاً لهم بعد تقريع وقيل لأن النداء الأول لتقرير اقرارهم على انفسهم بالغي الذي كانوا عليه ودعوا اليه والثاني للتعجيز عن اقامة البرهان على ما طولبوا به بحضرة الاشهاد ﴿ونزعنا من كل امة شهيداً﴾ اي وأخرجنا من كل أمة من الأمم رسولها الذي يشهد عليهم بالتبليغ وبما كان منهم عن مجاهد وقتادة وقيل هم عدول الآخرة ولا يخلو كل زمان منهم يشهدون على الناس بما علموا ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ أي حججكم على صحة ما ذهبتم اليه ﴿فعلموا أن الحق لله﴾ أي فبهتوا وتحيّروا لما لم يكن لهم حجة يقيمونها وعلموا يقيناً ان الحق ما أنتم عليه وما انزله الله وان الحجة لله ولرسوله فلزمتهم الحجة لأن المشهود عليه إذا لم يأت بمخلص عن بينة الخصم توجهت القضية عليه ولزمه الحكم ﴿وضل عنهم﴾ اي ذهب عنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾ من الكذب وبطل ما عبدوه من دون الله تعالى.

[النظم] إنما اتصلت هذه الآيات بما قبلها بأنه جرى ذكر معبودي الكفار وأنهم لم يغنوا من الله شيئاً فعقّبه سبحانه بأن وصف نفسه بأنه المنعم المالك للنفع والضر وقيل لمّا تقدّم ان الحمد لله سبحانه في الدارين ذكر عقيبه ما يوجب الحمد من النعم السابقة وقيل يتصل بقوله يخلق ما يشاء ويختار اي ويختار لعباده ما هو الاصلح لهم والأنفع.

﴿ * إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾
وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى
ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ
عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ

مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ
عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ
ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ
وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ
بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

[القراءة] قرأ حفص عن عاصم ويعقوب وسهل لخسف بفتح الخاء والسين وهو قراءة الحسن والأعرج وشيبة ومجاهد والباقون لخُسف بضم الخاء وكسر السين وقرأ يعقوب وَيْكَ يقف عليها ثم يبتدي فيقول انه.

[الحجة] قال أبو علي من قرأ الخسف بنا بفتح الخاء فلتقدم ذكر الله تعالى ومن قرأ بضم الخاء فبنى الفعل للمفعول به فإنه يؤول إلى الأول في المعنى وقال ابن جني في ويكأنه ثلاثة أقوال منهم من جعلها كلمة واحدة فلم يقف على وي ومنهم من وقف على وي ومنهم من قال ويك وهو مذهب أبي الحسن والوجه فيه عندنا هو قول الخليل وسيبويه وهو ان وَيْ اسم سمّي به الفعل في الخبر فكأنه اسم اعجب ثم ابتدأ فقال كأنه لا يفلح الكافرون وكأن الله يبسط الرزق فوي منفصلة من كأن وعليه بيت الكتاب.

سَأَلْتَانِي الطَّلَاقَ إِنْ رَأَتَانِي ... قَلَّ مَالِي قَدْ جِئْتَمَانِي بِنُكْرِ

وَيْ كَـأَنْ مَنْ يَكُنْ لَـهُ نَشَبٌ يُحْبـ ـبَ وَمَنْ يَفْتَقِـرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُـرِّ[1]

ومما جاءت فيه كأن عارية من معنى التشبيه ما انشده ابو علي :

كَـأَنَّني حِينَ أُمْسي لا تُكَلِّمُني مُتَيَّمٌ يَشْتَهي مَا لَيْسَ مَوْجُود[2]

أي انا حين أمسي متيمّ من حالي كذا ومن قال انها ويك فكأنه قال اعجب لانه لا يفلح الكافرون وأعجب لأن الله يبسط الرزق وهو قول ابي الحسن وينبغي ان يكون الكاف هنا حرف خطاب بمنزلة الكاف في ذلك وأولئك ويشهد لهذا قول عنترة :

لَقَدْ شَفَا نَفْسي وأَذْهَبَ سُقْمَهَا قِيلُ الْفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرُ أَقْدِمِ

وقول من قال ويكأنه كلمة واحدة إنما يريد به انه لا يفصل بعضه من بعض .

[اللغة] البغي طلب العتو بغير حق ومنه قيل لِولاة الجور بغاة ، والكنز جمع المال بعضه على بعض وصار بالعرف عبارة عما يخبأ تحت الأرض ولا يطلق في الشرع اسم الكنز إلا على مال لا تخرج زكاته للوعيد الذي جاء فيه. والمفاتح جمع مفتح والمفاتيح جمع مفتاح ومعناهما واحد وهو عبارة عما يفتح به الاغلاق . وناء بحمله ينوء نوءًا إذا نهض به مع ثقله عليه ومنه اخذت الأنواء لأنها تنهض من المشرق على ثقل نهوضها وقال ابو زيد ناءني الحمل إذا أثقلني والعصبة الجماعة الملتفّ بعضها ببعض يقال ناءت المفاتيح بالعصبة واناءت العصبة بمعنى كما يقال ذهبت به واذهبته فالباء والهمز يتعاقبان في تعدّي الفعل قال سبحانه فأجاءها المخاض أي جاء بها وقال ابو عبيدة هذا من المقلوب ومعنى قوله لتنوء بالعصبة تنوء العصبة بها كما قال الشاعر :

إنَّ سِرَاجاً لَكَرِيمٌ مَفْخَرُهُ تَجْلى بِهِ الْعَيْنُ إذَا مَا تَجْهَرُهُ

ومعناه يجلى بالعين فقلب وقال آخر :

كَانَتْ عُقُوبَةُ مَا جَنَيْتُ كَمَا كَانَ الزُّنَاءُ عُقُوبَةَ الرَّجْمِ

قال امرؤ القيس :

---

(١) النشب : المال والعقار.

(٢) المتيم من تيمه الحب اي عبده وذلله والشعر في جامع الشواهد وكذا الشعر الآتي .

يُضيءُ الـظَّلامَ وَجْهُهـا لِـضَجيعِهـا كَمِصْبَاحِ زَيْتٍ في قَنَادِيـلِ ذُبَّالِ[١]

أي في ذُبَّال قناديل وهذا غير صحيح ولا يجوز ان يحمل القرآن عليه لأنه يجري مجرى الغلط من العرب ومثل ذلك في شعرهم كثير قال.

غَـدَاةَ أَحَـلَّتْ لِإبْنِ صَـرْمَـةَ طَعنَـةً حُصَيْنٍ غَبيطَاتُ السَّذَايِف والْخَمْرُ[٢]

والعبيطات مفعولة والطعنة فاعلة فقلب ومن اغلاطهم قول الراجز:

جَـارِيَـةٌ لَـمْ تَعْلَمِ الـمُـرَقَّـقـا وَلَمْ تَـذُقْ مِنَ الْبُقُـولِ الـفُسْتُقـا

فظن الفستق من البقول فأما قول خداش بن زهير :

وَتَـرَكْـتُ خَيْـلاً لا هَـوَادَةَ بَـيْـنَـهـا وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بالضَّيا طِـرَةِ الْحُمْرُ[٣]

فذهب كثير من العلماء إلى ان المعنى وتشقى الضيا طرة الحمر بالرماح[٤] فقلب وليس الأمر كذلك وإنما أراد ان رماحهم تشرف عن هؤلاء الضياطرة فإذا طعنوا بها فقد شقيت الرماح لأن منزلتها ارفع من ان يطعنوا بها وقالوا ايضاً في قول زهير.

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُنْتَجْ فَتَتْئِمِ[٥]

انه غلط فنسبه إلى عاد وإنما هو احمر ثمود وهذا أيضاً ليس بغلط فإن ثمود يسمى عاداً الآخرة لقوله تعالى وانه أهلك عاداً الأولى وقيل إنما سموا ثمود لأن الله تعالى اهلك عاداً وبقيت منهم بقية تناسلوا فهم ثمود واشتق لهم هذا الاسم من الثمد وهو الماء القليل لأنهم قلوا عن عدد عاد الأولى وإذا جاء في الشعر ما يجري مجرى الغلط فلا يجوز أن يحمل كلام الله تعالى عليه :

[المعنى] ﴿ان قارون كان من قوم موسى﴾ أي كان من بني إسرائيل ثم من سبط موسى وهو ابن خالته عن عطا عن ابن عباس وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقيل كان

---

(١) ذبال جمع ذبالة بمعنى الفتيلة.

(٢) حصين بدل ابن اصرم اي حصين بن اصرم وسذائف جمع سديف السنام.

(٣) الموادة: المصالحة. الضياطرة: الضخام الذين لا غناء عندهم والحمر جمع الاحمر من لا سلاح معه.

(٤) أي انهم يقتلون بها.

(٥) هذا بيت من المعلقات قاله في ذم الحرب ورواية المعلقات العشر والزوزني وغيره هكذا وكاحمر عاد ثم ترضع.

ابن عم موسى لـحّـاً لأنه كان قارون بن يصهر بن فاهث وموسى بن عمران بن فاهث عن ابن جريج وقيل كان موسى ابن أخيه وقارون عمه عن محمد بن اسحاق ﴿فبغى عليهم﴾ اي استطال عليهم بكثرة كنوزه عن قتادة قال وكان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني إسرائيل اقرأ منه للتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فبغى عليهم وقيل كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل فكان يبغي عليهم ويطالبهم لما كانوا بمصر عن سعيد بن المسيب وابن عباس وقيل انه زاد عليهم في الثياب شبراً عن عطاء الخراساني وشهر بن حوشب ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ قال عطا اصاب كنزاً من كنوز يوسف ﴿ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة﴾ ما هذه موصولة بمعنى والذي وصلتها ان مع اسمها وخبرها اي اعطيناه من الاموال المدخرة قدر الذي ينيء مفاتحه العصبة والمفاتح هنا الخزائن في قول اكثر المفسرين وهو اختيار الزجاج كما في قوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب فيكون المراد بمفاتحه خزائن ماله وهو قول ابن عباس والحسن وقيل هي المفاتح التي تفتح بها الابواب عن قتادة ومجاهد وروى الأعمش عن خيثمة قال كانت مفاتيح قارون من جلود كل مفتاح مثل الاصبع واختلف في معنى العصبة فقيل ما بين عشرة إلى خمسة عشرة عن مجاهد وقيل ما بين عشرة إلى اربعين عن قتادة وقيل اربعون رجلاً عن أبي صالح وقيل ما بين الثلاثة إلى العشرة عن ابن عباس وقيل انهم الجماعة يتعصب بعضهم لبعض ﴿إذ قال قومه﴾ من بني إسرائيل ﴿لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين﴾ أي لا تأشر ولا تمرح ولا تتكبر بسبب كنوزك إن الله لا يحب من كان بهذه الصفة ويدل على ان الفرح بمعنى البطر قول الشاعر.

وَلَسْتُ بِمِفْـرَاحٍ إِذَا اَلـدَّهْـرُ سَـرَّنِي وَلَا جَـازِعٍ مِـنْ صَـرْفِـهِ اَلْمُـتَـقَـلِّبِ

وقول الآخر (ولا ارخي من الفرح الازارا) ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ وهذا أيضاً من مقالة المؤمنين من قوم قارون له وقيل ان المخاطب له بذلك موسى وان ذكر بلفظ الجمع ومعناه اطلب فيما اعطاك الله من الأموال الدار الآخرة بأن تنفقها في سبيل الخير ووجوه الخير والبرّ ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ وهو أن تعمل في الدنيا للآخرة عن اكثر المفسرين ومعناه لا تنس أن تعمل لآخرتك لأن حقيقة نصيب الانسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرته وروي في معناه عن علي (ع) لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك وغناك ان تطلب بها الآخرة وقيل امر أن يقدم الفضل وان يمسك ما يغنيه عن الحسن وقيل معناه انه كان فتوراً شحيحاً فقيل له كل واشرب واستمتع بما آتاك الله من الوجه الذي اباحه الله لك فإن ذلك غير محظور عليك ﴿وأحسن كما احسن الله اليك﴾ اي افضل على الناس

كما افضل الله عليك وقيل احسن فيما افترض الله عليك كما احسن في انعامه عليك عن يحيى بن سلام وقيل معناه واحسن شكر الله تعالى على قدر انعامه عليك وواس عباد الله بمالك ﴿ولا تبغ الفساد﴾ أي لا تطلب العمل ﴿في الأرض﴾ بالمعاصي ﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾ ظاهر المعنى ﴿قال﴾ قارون ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾ اختلف في معناه فقيل أراد إنما أعطيت هذا المال بفضل وعلم عندي ليس ذلك عندكم عن قتادة يعني انه قدر ان هذا ثواب من الله له لفضيلته كما اخبر سبحانه عن ذلك الكافر بقوله ولئن رددت إلى ربي لأجدنَّ خيراً منها منقلباً وقيل معناه لرضا الله عني ومعرفته باستحقاقي عن ابن زيد وهذا قريب من الأول وقيل معناه إن المال حصل له على علم عندي بوجوه المكاسب وبما لا يتهيأ لأحد ان يكتسبه من التجارات والزراعات وغيرها وقيل على علم عندي بصنعة الذهب وهو علم الكيمياء عن الكلبي وحكي ان موسى (ع) علَّم قارون الثلث من صنعة الكيمياء وعلم يوشع الثلث منها وعلم ابن هارون الثلث منها فخدعهما قارون حتى علم ما عندهما وعمل بالكيمياء فكثرت امواله ﴿أو لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون﴾ الكافرة بنعمته ﴿من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً﴾ كقوم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ثم بيَّن سبحانه ان اغتراره بماله وعدده من الخطأ العظيم لأنه لا ينتفع بذلك عند نزول العذاب به كما ان من كانوا اقوى واغنى منه لم تغن اموالهم اشغالهم عنهم شيئاً عند ذلك ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ قال قتادة يعني انهم يدخلون النار بغير حساب وقال قتادة إن الملائكة تعرفهم بسيماهم فلا يسألون عنهم لعلامتهم ويأخذونهم بالنواصي والاقدام فيصيرونهم إلى النار وهذا كقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وأما قوله فوربك لنسألنهم اجمعين فإنما ذلك سؤال تقريع وتوبيخ لا ليعلم ذلك من قبلهم عن الحسن ﴿فخرج على قومه﴾ أي خرج قارون على بني إسرائيل ﴿في زينته﴾ التي كان يتزين بها وحشمه وتبعه وقيل انه خرج في اربعة آلاف دابة عليها اربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان عن قتادة والارجوان في اللغة صبغ احمر وقيل خرج في جوار بيض على سرج من ذهب على قطف ارجوان على بغال بيض عليهن ثياب حمر وحليّ من ذهب عن السدي وقيل خرج في سبعين الفاً عليهم المعصفرات ﴿قال الذين يريدون الحيوة الدنيا﴾ من الكفار والمنافقين وضعيفي الإيمان بما للمؤمنين عند الله من ثواب الجنة لما رأوه في تلك الزينة والجمال ﴿ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾ أي ذو نصيب وافر من الدنيا والمعنى انهم تمنّوا مثل منزلته ومثل ماله ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ وهم المصدّقون بوعد الله المؤمنون لهم ﴿ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾ مما اوتي قارون وحذف لدلالة الكلام عليه ﴿ولا يلقاها إلا

الصابرون﴾ اي ولا يلقى مثل هذه الكلمة ولا يوفّق لها إلا الصابرون على امر الله وقيل معناه ولا يعطاها يعني الجنة في الآخرة ودلّ عليها قوله ثواب الله. إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا عن الكلبي ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ قال السدي دعا قارون امرأة من بني إسرائيل بغياً فقال لها إني اعطيك ألفين على ان تجيئي غداً إذا اجتمعت بنو اسرائيل عندي فتقولي يا معشر بني إسرائيل مالي ولموسى قد آذاني قالت نعم فأعطاها خريطتين عليهما خاتمه فلما جاءت بيتها ندمت وقالت يا ويلتي قد عملت كل فاحشة فما بقي إلا ان افتري على نبي الله فلما اصبحت اقبلت ومعها الخريطتان حتى قامت بين بني إسرائيل فقالت ان قارون قد اعطاني هاتين الخريطتين على ان آتي جماعتكم فأزعم أن موسى يراودني عن نفسي ومعاذ الله أن افتري على نبي الله وهذه دراهمه عليها خاتمه فعرف بنو إسرائيل خاتم قارون فغضب موسى فدعا الله عليه فأوحى الله إليه اني امرت الأرض ان تطيعك وسلّطتها عليه فمرها فقال موسى يا أرض خذيه وهو على سريره وفرشه فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشدة الرحم فقال خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه ثم اخذته حتى غيبت ركبتيه ثم اخذته حتى غيبت حقويه وهو يناشده الرحم فأخذته حتى غيبته فأوحى الله إليه يا موسى ناشدك الرحم واستغاثك فأبيت أن تغيثه لَوْ إيّاي دعا واستغاثني لأغثته قال مقاتل ولما أمر موسى الأرض فابتلعته قال بنو إسرائيل إنما فعل ذلك موسى ليرث ماله لأنه كان ابن عمه فخسف بداره وبجميع امواله بعده بثلاثة ايام فلم يقدر على ماله بعده ابداً ﴿فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله﴾ أي فما كان له من جماعة منقطعة اليه يدفعون عنه عذاب الله تعالى الذي نزل به وإنما قال سبحانه ذلك لأنه كان يقدر مع نفسه الامتناع بحاشيته وجنوده ﴿وما كان من المنتصرين﴾ بنفسه لنفسه ﴿واصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس﴾ حين خرج عليهم في زينته ﴿يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ وهذه كلمة ندم واعتراف وقد بينا أن عند الخليل وسيبويه لفظة وي مفصولة من كأن وإن وقعت في المصحف موصولة يقول القائل إذا تبين له الخطأ وي كنت على خطأ وقال الفراء اصله ويلك فحذفت اللام وجعلت ان مفتوحة في موضع نصب بفعل مضمر كأنه قال اعلم ان الله تعالى قال وحدثني شيخ من اهل البصرة قال سمعت اعرابية تقول لزوجها اين ابنك ويلك فقال لها ويك انه وراء البيت قال معناه اما ترينه وراء البيت وقيل معناه الا كان واما كان وقال الكسائي ويكأن في التأويل ذلك ان الله وهو قول ابن عباس أي قالوا ذلك ان الله يبسط الرزق لمن يشاء لا لكرامته كما بسط لقارون ويقدر ان يضيق على من يشاء لا لهوان لكن بحسب المصلحة وقال مجاهد وقتادة ويكأن معناه ألم تعلم ﴿لو لا أن منّ الله

علينا لخسف بنا﴾ أي لولا انه أنعم علينا بنعمه فلم يعطنا ما اعطى قارون لخسف بنا كما خسف به وقيل معناه لو ان الله تعالى منَّ علينا بالتجاوز عما تمنينا لخسف بنا لما تمنينا منزلة قارون ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ أي لا يفوز بثواب الله وينجو من عقابه الجاحدون لنعمه العابدون معه سواه.

[النظم] إنما اتّصلت قصة قارون بما قبلها من قوله ﴿نتلو عليك من نبإ موسى﴾ فكأنّه قال ومن نبإ موسى الذي وعدنا تلاوته في اول السورة قصة قارون معه وقيل اتصل بقوله فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى فأكّد سبحانه ذلك بحديث قارون وحاله وقيل انه لما تقدّم خزي الكفار وافتضاحهم يوم القيامة ذكر عقيبه ان قارون من جملتهم وانه يفتضح يوم القيامة كما افتضح في الدنيا.

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ
فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ
لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا
رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ
عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

[النزول] قيل لمّا نزل النبيﷺ بالجحفة في مسيرة الى المدينة لما هاجر اليها اشتاق إلى مكة فأتاه جبرائيل (ع) فقال اتشتاق إلى بلدك ومولدك فقال نعم قال جبرائيل فإن الله يقول إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد يعني مكة ظاهراً عليها فنزلت الآية بالجحفة وليست بمكية ولا مدنية وسميت مكة معاداً لعوده اليها عن ابن عباس .

[المعنى] ﴿تلك الدار الآخرة﴾ يعني الجنة ﴿نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ أي تجبّراً وتكبّراً على عباد الله واستكباراً عن عبادة الله ﴿ولا فساداً﴾ أي عملاً بالمعاصي عن ابن جريج ومقاتل وروى زاذان عن امير المؤمنين (ع) انه كان يمشي في الأسواق وحده وهو دالٌ يرشد الضال ويعين الضعيف ويمرّ بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً ويقول نزلت هذه الآية في اهل العدل والمواضع من الولاة واهل القدرة من سائر الناس وروى ابو سلام الاعرج عن امير المؤمنين (ع) أيضاً قال ان الرجل ليعجبه شراك نعله فيدخل في هذه الآية تلك الدار الآخرة الآية يعني ان من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن يريد علواً في الأرض قال الكلبي يعني بقوله فساداً الدعاء إلى عبادة غير الله وقال عكرمة هو أخذ المال بغير حق ﴿والعاقبة للمتقين﴾ أي والعاقبة الجميلة المحمودة من الفوز بالثواب للذين اتقوا الشرك والمعاصي وقيل معناه الجنة لمن اتقى عقاب الله باداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ مضى تفسيره ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما يعملون﴾ أي لا يزاد في عقابهم على قدر استحقاقهم بخلاف الزيادة في الفضل على الثواب المستحق فإنه يكون تفضلاً فهو مثل قوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ خطاب للنبيﷺ والمعنى ان الذي أوجب عليك الامتثال بما تضمنه القرآن وأنزله عليك ﴿لرادّك الى معاد﴾ أي يردّك الى مكة عن ابن عباس ومجاهد والجبائي وعلى هذا فيكون في الآية دلالة على صحة النبوة لأنه اخبر به من غير شرط ولا استثناء وجاء المخبر مطابقاً للخبر قال القتيبي معاد الرجل بلده لأنه يتصرف في البلاد ثم يعود اليه وقيل إلى معاد إلى الموت عن ابن عباس في رواية اخرى وعن أبي سعيد الخدري قيل الى المرجع يوم القيامة أي يعيدك بعد الموت كما بدأك عن الحسن والزهري وعكرمة وابي مسلم وقيل الى الجنة عن مجاهد وابي صالح فالمعنى انه مميتك وباعثك ومدخلك الجنة والظاهر يقتضي انه العود إلى مكة لأن ظاهر العود يقتضي ابتداء ثم عوداً اليه على انه يجوز أن يقال الجنة معاد وإن لم يتقدم له فيها كون كما قال سبحانه في الكفار ثم ان مرجعهم لإلى

الجحيم ثم ابتدأ سبحانه كلاماً آخر فقال ﴿قل﴾ يا محمد ﴿ربي اعلم من جاء بالهدى﴾ الذي يستحق به الثواب ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ أي ومن لم يجيء بالهدى وضلَّ عنه أي لا يخفى عليه المؤمن والكافر ومن هو على الهدى ومن هو ضال عنه وتأويله قل ربي يعلم اني جئت بالهدى من عنده وانكم في ضلال سينصرني عليكم ثم ذكر نعمه فقال ﴿وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب﴾ أي وما كنت يا محمد ترجو فيما مضى أن يوحي الله اليك ويشرفك بإنزال القرآن عليك ﴿إلا رحمة من ربك﴾ قال الفراء هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه إلا ان ربك رحمك وأنعم به عليك وأراد بك الخير كذلك ينعم عليك بردّك إلى مكة فاعرف هذه النعم وقيل معناه وما كنت ترجو ان تعلم كتب الأولين وقصصهم تتلوها على اهل مكة ولم تشهدها ولم تحضرها بدلالة قوله وما كنت ثاوياً في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا أي انك تتلو على اهل مكة قصص مدين وموسى ولم تكن هناك ثاويا مقيماً وكذلك قوله وما كنت بجانب الغربي وانت تتلو قصصهم وامرهم فهذه رحمة من ربك ﴿فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ أي معيناً لهم وفي هذا دلالة على وجوب معاداة أهل الباطل وفي هذه الآية وما بعدها وإن كان الخطاب للنبي ﷺ فالمراد غيره وقد روي عن ابن عباس انه كان يقول القرآن كله اياك اعني واسمعي يا جارة ﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك﴾ أي ولا يمنعك هؤلاء الكفار عن ابتاع آيات الله التي هي القرآن والدين بعد إذ نزلت اليك تعظيماً لذكرك وتفخيماً لشأنك ﴿وادع إلى ربك﴾ أي إلى طاعة ربك الذي خلقك وأنعم عليك وإلى توحيده ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ أي لا تمل اليهم ولا ترض بطريقتهم ولا توال احداً منهم ﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر﴾ أي لا تعبد معه غيره ولا تستدع حوائجك من جهة ما سواه ﴿لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود إلا هو وحده لا شريك له ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ أي كل شيء فانٍ بائد إلا ذاته وهذا كما يقال هذا وجه الرأي ووجه الطريق وهذا معنى قول مجاهد ﴿الا هو﴾ وفي هذا دلالة على ان الاجسام تفنى ثم تعاد على ما قاله الشيوخ في الفناء والإعادة وقيل معناه كل شيء هالك إلا ما اريد به وجهه فإن ذلك يبقى ثوابه عن عطا وابن عباس وعن أبي العالية والكلبي وهو اختيار الفراء وانشد :

أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ ذَنْبَاً لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبُّ الْعِبَادِ إِلَيهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

أي اليه أوجه العمل وعلى هذا يكون وجه الله ما وجه اليه من الأعمال ﴿له الحكم﴾ اي له القضاء النافذ في خلقه وقيل له الفصل بين الخلائق في الآخرة دون غيره ﴿واليه ترجعون﴾ اي ترجعون في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

[النظم] اتّصل قوله تلك الدار الآخرة الآية بما قبله على معنى انه سبحانه كما حرّم نعم الدنيا عليهم بالهلاك كذلك يحرّم عليهم نعم الآخرة وأما وجه اتصال قوله إنَّ الذي فرض عليك القرآن الآية بما قبله فقد ذكر فيه من حمل المعاد على البعث انه اتصل بقوله تلك الدار الآخرة ومن حمله على العود إلى مكة قال انه لما بيّن سبحانه وعده لأم موسى ردَّ موسى عليها مع شرف النبوة كذلك وعده ربه العودة إلى مكة مع الشرف العظيم وقد انجز وعده كما انجز وعده هناك ويكون معنى الكلام أن الذي انزل القرآن بذلك الوعد سينجز هذا الوعد واتصل قوله قل ربي اعلم من جاء بالهدى عليّ معنى انه امره بأن يقول لهم ربي اعلم بالصادق والكاذب لا يلتبس عليه شيء.

[تم الجزء السابع من مجمع البيان في تفسير القرآن]

وقد تصدى لتصحيحه والتعليق عليه
العبد المذنب الفاني السيد هاشم الرسولي المحلاتي عفى عنه
وعن والديه بحق محمد وآله الطاهرين